شرائح قصصية سليمانية

(الجزء الرابع)

(من القصة الأولى بعد المئة الثالثة

حتى القصة الأربعمائة)

نحو قصة عربية أصيلة وهادفة وبناءة وجادة ومحترمة

بقلم

أحمد علي سليمان عبد الرحيم

جميع الحقوق محفوظة

بسم الله الرحمن الرحيم

الإهداء!

(أهدي هذه الشريحة القصصية ، إلى هواة القصة والباحثين عن

العبرة فيها ، ليتأملوها وليتدبروها ، وليعملوا بمقتضاها!)

مع خالص احترامي وتقديري

الكاتب الفقير إلى الله والراجي عفوه ومغفرته /

أحمد علي سليمان عبد الرحيم

(كاتب أهل الصعيد)

1 - شهيدة من شهداء البصرة (شهيدة العفة)

(شهيدة من شهداء البصرة هي المعلمة الفاضلة الست خالدة تركي (أم منتظر)! تلك المرأة التي نصبوا لها تمثالاً في البصرة ، إذ هي رمز من رموز العفة والطهارة للمرأة العراقية! وقصتها قصة مؤلمة تذرف لها الدموع! وهي تمثل قمة الشرف للمرأة العراقية المؤمنة فقد طبقت عملياً المثل العربي الذي يقول: "اللي استحوا ماتوا" أو "اللي اختشوا ماتوا"! لكنها لم تمت بل استشهدت! وهذه القصة واقعية حدثت في تفجيرات البصرة في شارع الوفود! وبطلة القصة امرأة عراقية معلمة فاضلة ، كانت في موقع الانفجار تقود سيارتها ، والكلام للشخص الذي شهد الحادث ، فبعد وقوع الانفجار يقول: جئتُ مسرعاً وبلا وعي أحاول إنقاذ جرحى الانفجار! وكانت الأشلاء منتشرة في كل مكان! وأثناء هذه اللحظات الدامية للقلب كنتُ حاملاً لطفل جريح أركض به ، وأبحث عن سيارة لنقله إلى المستشفى ، وفجأة انتبهت إلى سيارة كانت تحترق وهنالك أحد بداخلها لم أميزه: "ذكر أم أنثى"! وخلال تلك اللحظات قمت بالصراخ على أحد رجال الشرطة طالباً منه إنقاذ هذا الشخص وإخراجه من السيارة ، وخلال لحظات انفتح باب السيارة وإذا بي أرى امرأة ثلاثينية التهمت النيران ثيابها ، وكانت قد نزلت من السيارة تحاول أن تستر نفسها ، ولم تستطع لأن ثيابها كانت محترقة بالية من النار ، فإذا بها تعود لتركب السيارة المحترقة ، قسماً بالله صرت أصرخ كالمجنون: انقذوها! انقذوها! ولكن سرعان ما اختفت المرأة بين كثافة الدخان ولهيب النار في السيارة وعندما وصل إليها رجال الشرطة وجدوها محترقة متفحمة قد فارقت الحياة. وكل المتواجدين هناك انهاروا بالبكاء: ضابط الشرطة يلطم على وجهه ويصيح يا أختي تسترين روحك بالموت! لم تنزل من السيارة التي كانت تقلها وفضلت الموت مستورة بالدخان! وتمثالها وسيارتها المحترقة موجودة إلى اليوم يشهدان بتفضيلها الموت مستورة ولا الحياة عارية! وبقطع النظر هل هذا جائز أم غير جائز ، المهم أن اجتهاد المرأة يفضي إلى تفضيل الموت في ستر ولا الحياة في عُري!)

2 - الجواب ما ترى لا ما تسمع

(وهذه النفحة القصصية عن أمير المؤمنين وخليفة المسلمين ذلك الخليفة المظلوم المفترى عليه هارون الرشيد – رحمه الله -! ولعل هذا الرجل من مَن كثر عنهم الكلام والأقاويل بأنه صاحب غناء وخمر ولهو وغير ذلك وكل هذا ادعاءات من أعداء الدين! ومن يقرأ سيرته بتمحص وتمعن يعرف أنه كان يصلي في الليلة الواحدة مائة ركعة. وكان يحج عاماً ويغزو عاماً. وما يهمنا منه الآن هذه القصة التي بها العبرة. وصله خطاب طويل من ملك الروم كان وكان هذا الخطاب كثير الكلمات والحروف يسب ويشتم ويلعن هارون الرشيد والمسلمين! وفيه من التهديد الكثير ويقول فيه أيضاً أني سأفعل وسأُدمر! وسأكوّن جيشاً هائلاً قوياً أيها المسلمون وسأكتسح أراضيكم! ولن يقف أمام وجهي أحد. حتى أصل إلى الكعبة. فأقضي عليها وأهدمها. فأرسل هذا الخطاب لهارون الرشيد وقُرأ عليه هذا الخطاب فالتفت هارون إلى كاتبه ، وقال اكتب خلف الخطاب لا يريد أن يرسل له خطاباً في ورقة جديدة استحقاراً لهُ ، قال اكتب خلف الخطاب. (من هارون الرشيد أمير المؤمنين بن الخليفة المهدي إلى نقفور كلب الروم. أما بعد فإن الجواب ما ترى لا ما تسمع ، يا ابن الكافرة! والسلام على من اتبع الهدى: ثلاث كلمات فقط أرسلها له (إن الجواب ما ترى لا ما تسمع)! ثم خرج هارون الرشيد! ونادى في الناس

الجهـــاد الجهـــاد ، فاجتمع الناس جماعاتٍ ووُحداناً وخلال وقت قصير ، إذا بالجيش يلتئم والقوة تتجمع ثم يقودها هذا البطل العظيم ومتجهاً إلى أين؟ إلى نقفور بذاته ملك الروم. ويصل إليه بعد أن يفتح البلاد تلو البلاد. والقرى تلو القرى! إلى أن يصل إلى عاصمة نقفور. يحاصرها ويشد عليهم بالحصار. ويحلف أن لا يرجع إلا برأس نقفور. أعطاه الروم ما شاء من المال والذهب والجزية لكنه أبى ، ورفض ثم في النهاية! قام الروم بالانقلاب على نقفور وسلموا رأسه إلى هارون الرشيد قتيلاً. ثم استسلموا جميعاً لهارون الرشيد ودفعوا له الجزية أذلة خاسئين ، وعاد رضي الله عنة منتصراً قوياً إلى بلاده وقد رفع راية الإسلام والحق عالياً. ولكن في هذا الزمان يصرخ المسلمون في كل مكان ولكن لا من مجيب ، يصرخون في بورما والفيليبين والحبشة وأفريقيا والشيشان وأفغانستان يصرخون! لكن لا مجيب. لاحول ولا قوة إلا بالله. اللهم انصرهم وثبتهم على دينك).هـ. من شريط قصص لا تُنسى /للشيخ إبراهيم الفارس.

3 ـ موت إصر موت!

(يقول الدكتور خالد الجبير: حدثني ضياء مغسل الموتى بالمستشفى العسكري بالرياض ، وهو ثقة ـأحسبه كذلكـ والله حسيبه ، ولا أزكي على الله أحداً. حدثني قال: جاء ضابط صف من القوات الجوية يريدني أن أساعده في استخراج شهادة الوفاة لزميلٍ له قد توفى. وبعد أن أنهيت تلك الإجراءات غسلنا صديقه معاً ، وافترقنا في الساعة الحادية عشر والنصف وخمس دقائق! حيث ذهب بميته ، وذهبت لأستعد لصلاة الظهر! وفي الساعة الواحدة ظهراً اتصلت بي المستشفى وقالوا: إن هناك جنازة يريد أهلها أن يصلوا عليها عصراً ، تعال وغسلها الآن. جئت مسرعاً فذهبت إلى النعش ، وكشفت عنه فإذا بي أرى! ماذا أرى؟ أرى العجب! أرى ضابط الصف من القوات الجوية ببدلته الزرقاء على ذاك النعش. توقفت أصبت بدوار مفاجئ ، وبصداع حاد ، وذهبت إلى مكتبي واسترجعت وتوكلت على الله وقرأت شيئاً من القرآن ، ثم عزمت وتوكلت عليه وغسلته. وبعد أن أنهيت غسله ، سألت أهله كيف توفي؟ قالوا: عندما لحد زميله ، وأراد أن يخرج من القبر ، أصيب بوجع شديد في قلبه ، ومات في قبر زميله ، وحمل من القبر ميتاً لا روح فيه. فهل نحن مستعدون للموت؟).هـ. بقلم أستاذي د/خالد الجبير!

4 ـ القس إسحق المسالم

(ما أجمل الهداية إلى الإسلام الدين الحق! في كتاب: (رجال ونساء أسلموا!) وهو من إعداد الأستاذ الأديب: عبد الرحمن محمود ، كانت هذه القصة بتفاصيلها وبالنص مع تصف كبير وتغاض عن الأسماء والأماكن: (إنها قصة إسلام رئيس لجان التنصير بأفريقيا القس إسحق المسالم! والرجل كان راعي كنيسة ورئيس فخري لجمعيات بإفريقيا وغرب آسيا. يقول عن نفسه: من والدين نصرانيين أرثوذكس زرعا في نفوسنا ـ ونحن صغار ـ الحقد ضد الإسلام والمسلمين. وحين بدأت أدرس حياة الأنبياء بدأ الصراع الفكري في داخلي ، وكانت أسئلتي تثير المشاكل في أوساط الطلبة ، مما جعلني أعين قسيساً قبل موعد التنصيب بعامين كاملين ـ لإغرائي وإسكاتي فقد كانوا يشعرون بمناصرتي للإسلام ـ مع أنه كان مقرراً ألا يتم التنصيب إلا بعد مرور 9 سنوات من بداية الدراسة اللاهوتية. ثم عيّنت رئيساً للكنيسة ورئيساً

فخرياً لجمعيّات تنصيريّة قويّة جدّاً ولها جذور في كثير من البلدان) وكانت تُغدق عليّ الأموال ، حتّى لا أعود لمناقشة مثل تلك الأفكار ، لكنّي مع هذا كنت حريصاً على معرفة حقيقة الإسلام ، ولم يخب النور الإسلامي الذي أنار قلبي فرحاً بمنصبي الجديد بل زاد ، وبدأت علاقتي مع بعض المسلمين سراً وبدأت أدرس وأقرأ عن الإسلام. وطُلب منّي إعداد رسالة الماجستير حول مقارنة الأديان ، وأشرف على الرسالة أسقف البحث العلمي ، واستغرقت في إعدادها أربع سنوات ، وكان المشرف يعترض على ما جاء في الرسالة حول صدق نبوة الرسول محمد صلى الله عليه وسلم وأميته وتبشير المسيح بمجيئه. وأخيراً تمّت مناقشة الرّسالة ، واستغرقت المناقشة تسع ساعات ، وتركزت حول قضيّة النّبوّة والنّبي صلى الله عليه وسلم ، علماً بأن الآيات صريحة في الإشارة إلى نبوّته وختم النّبوّة به. وفي النهاية صدر قرار بسحب الرسالة منّي وعدم الاعتراف بها. أخذتُ أفكر في أمر الإسلام تفكيراً عميقاً ، حتّى تكون هدايتي عن يقين تام ولكن لم أكن أستطيع الحصول على الكتب الإسلامية ، فقد شدّدت الحراسة عليّ وعلى مكتبتي الخاصّة. وفي اليوم السادس من الشهر الثامن من عام 1978م ، كنت ذاهباً لإحياء مولد العذراء ، أخذت القطار ، وأثناء ركوبي في الحافلة بملابسي الكهنوتية وصليب يزن ربع كيلو من الذهب الخالص وعصاي الكرير ، صعد صبيّ في الحادية عشر من عمره يبيع كتيبات صغيرة ، فوزعها على كلّ الركّاب ماعدا أنا ، وهنا صار في نفسي هاجس لم كل الركاب إلا أنا ، فانتظرته حتّى انتهى من التوزيع والجمع فباع ما باع وجمع الباقي قلت له: "يا بنيّ لماذا أعطيت الجميع بالحافلة إلا أنا". فقال باللغة الإنجليزية: "لا يا أبونا أنت قسيس". وهنا شعرت وكأنّني لست أهلاً لحمل هذه الكتيّبات مع صغر حجمها (لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُون). ألححت عليه ليبيعني منهم فقال: "لا هذه كتب إسلاميّة ليست لك" ونزل ، وبنزول هذا الصّبي من الحافلة شعرت وكأنّني جوعان وفي هذه الكتب شبعي وكأنّني عطشان وفيها شربي. نزلت خلفه فجرى خائفاً منّي فنسيت من أنا وجريت وراءه حتّى حصلت على كتابين. عندما وصلت إلى الكنيسة ودخلت إلى غرفة النّوم المخصّصة بالمدعوّين رسميّاً كنت مرهقاً من السفر ، ولكن عندما أخرجت أحد الكتابين وهو (جزء عم) وفتحته وقع بصري على سورة الإخلاص فأيقظت عقلي وهزت كياني. بدأت أرددها حتى حفظتها ، وكنت أجد في قراءتها راحة نفسية واطمئناناً قلبياً وسعادة روحية ، وبينا أنا كذلك إذ دخل عليّ أحد القساوسة وناداني: "أبونا إسحاق المسالم" ، فخرجت وأنا أصيح في وجهه: (قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ) دون شعور منّي. وعلى كرسي الاعتراف كانت البداية: فبعد ذلك ذهبت إلى مولد العذراء يوم الأحد وأثناء صلاة القداس المعتاد ، وفي فترة الراحة ذهبت إلى كرسي الاعتراف لكي أسمع اعترافات الشعب الجاهل الذي يؤمن بأن القسيس بيده غفران الخطايا. جاءتني امرأة تعض أصابع الندم. قالت: "إني انحرفت ثلاث مرات وأنا أمام قداستك الآن أعترف لك رجاء أن تغفر لي وأعاهدك ألا أعود لذلك أبداً ". ومن العادة المتبعة أن يقوم الكاهن برفع الصليب في وجه المعترف ويغفر له خطاياه. وما كدت أرفع الصليب لأغفر لها حتى وقع ذهني على العبارة القرآنية الجميلة: (قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ) فعجز لساني عن النطق وبكيت بكاءً حارّاً وقلت: "هذه جاءت لتنال غفران خطاياها منّي فمن يغفر لي خطاياي يوم الحساب والعقاب"؟. هنا أدركت أن هناك كبيراً أكبر من كل كبير ، إله واحدٌ لا معبود سواه. ذهبت على الفور للقاء الأسقف وقلت له: "أنا أغفر الخطايا لعامة الناس فمن يغفر لي خطاياي". فأجاب دون اكتراث: "البابا". فسألته: "ومن يغفر للبابا" ، فانتفض جسمه ووقف صارخاً وقال: "أنت قسيس مجنون! وأخذت إلى كبير الرهبان لتأديبي دينياً

وتقديم النصيحة لي فقال: "يا بنيّ . إن الله لا يضيع أجر من أحسن عملاً ، اصبر واحتسب. ومن يتق الله يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب". قلت في نفسي: ليس هذا الكلام من الكتاب المقدس ولا من أقوال القديسين. وما زلت في ذهولي بسبب هذا الكلام حتى رأيته يزيدني ذهولاً على ذهول بقوله: "يا بنيّ نصيحتي لك السر والكتمان إلى أن يعلن الحق مهما طال الزمان"! تُرى ماذا يعني بهذا الكلام وهو كبير الرهبان. ولم يطل بي الوقت حتى فهمت تفسير هذا الكلام المحيّر. فقد دخلت عليه ذات صباح لأوقظه فتأخر في فتح الباب ، فدفعته ودخلت وكانت المفاجأة الكبرى التي كانت نوراً لهدايتي لهذا الدين الحق دين الوحدانيّة عندما شاهدت رجلاً كبيراً في السنّ ذا لحية بيضاء وكان في عامة الخامس والستّين وإذا به قائماً يصلي صلاة المسلمين (صلاة الفجر). تسمرتُ في مكاني أمام هذا المشهد الذي أراه ولكنّي انتبهت بسرعة عندما خشيت أن يراه أحد من الرهبان فأغلقت الباب. جاءني بعد ذلك وهو يقول: "يا بنيّ استر عليّ ربّنا يستر عليك". أنا منذ 23 سنة على هذا الحال! غذائي القرآن وأنيس وحدتي توحيد الرحمن ومؤنس وحشتي عبادة الواحد القهّار الحقّ أحقّ أن يتّبع يا بنيّ". وبعد أيّام تم رجوعي لكنيستي في بريتوريا لكن الأشياء التي حدثت مع سورة الإخلاص وكرسي الاعتراف والراهب المتمسّك بإسلامه جعلت في نفسي أثراً كبيراً ، لكن ماذا أفعل وأنا محاصر من الأهل والأقارب وممنوع من الخروج من الكنيسة ؟ وبعد مرور عام جاءني خطاب والمودع بالملف الخاص بإشهار إسلامي ، وفوجئتُ بأحد المتنصرين الجدد وعندما فتحت باب الكابينة 14 بالمفتاح الخاص بالطاقم العامل على الباخرة فوجئت بأن المتنصر الجديد متري (وكان اسمه محمّد آدم) يصلّي صلاة المسلمين. تحدّثت إليه فوجدته متمسّكاً بعقيدته الإسلاميّة ، فلم يغره المال ولم يؤثّر فيه بريق الدنيا الزائل. خرجت منه وبعد حوالي الساعة أرسلت له أحد المنصّرين فحضر لي بالجناح رقم 3 وبعد أن خرج المنصّر قلت له: "يا متري لماذا تصلّي صلاة المسلمين بعد تنصّرك؟!" ، فقال: "بعت لكم جسدي بأموالكم ، أمّا قلبي وروحي وعقلي فملك الله الواحد القهّار ، لا أبيعهم بكنوز الدنيا وأنا أشهد أمامك بأن لا إله إلا الله وأنّ محمّد رسول الله". وبعد هذه الأحداث التي أنارت لي طريق الإيمان وهدتني لأعتنق الدين الإسلامي وجدت صعوبات كثيرة في إشهار إسلامي نظراً لأنّني قس كبير ورئيس لجنة التنصير في أفريقيا ، وقد حاولوا منع ذلك بكل الطرق لأنه فضيحة كبيرة لهم. وهددوني بسلت جميع أموالي ، فتنازلت لهم عنها كلّها فلا شيء يعدل لحظة الندم التي شعرت بها وأنا على كرسي الاعتراف. بعدها كادت لي الكنيسة العداء وأهدرت دمي فتعرضت لثلاث محاولات اغتيال! ولم أفكر في العودة لما كنت عليه بعد أن هداني الله تعالى للحق!)

5 - غزوة مـؤتــة

(وهل هناك أجمل من سيرة النبي – صلى الله عليه وسلم -؟ هذه إحدى غزواته المباركة: غزوة مؤتة! وهي بأدنى البلقاء من أرض الشام ، وكان جمادى الأولى سنة ثمان وكان سببها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث الحارث بن عمير الأزدي أحد بني لهب بكتابه إلى الشام إلى ملك الروم أو بصري ، فعرض له شرحبيل ابن عمرو الغساني فأوثقه رباطاً ، ثم قدمه فضرب عنقه ولم يقتل لرسول الله صلى الله عليه وسلم رسول غيره ، فاشتد ذلك عليه حين بلغه الخبر فبعث البعوث واستعمل عليهم زيد بن الحارثة وقال: (إن أصيب فجعفر بن أبي طالب

على الناس فإن أصيب جعفر فعبد الله بن رواحة). وتجهز الناس وهم ثلاثة آلاف ، فلما حضر خروجهم ودع الناس أمراء رسول الله صلى الله عليه وسلم وسلموا عليهم ، فبكي عبد الله بن رواحة فقالوا: ما بك؟ فقال: أما والله ما بي حب الدنيا ولا صبابة بكم ولكن سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ آية من كتاب الله يذكر فيها النار: (إن منكم إلا ورادها كان على ربك حتماً مقضياً) فلست أدي كيف لي بالصدر بعد الورود؟ فقال المسلمون: صحبكم الله بالسلامة ، ودفع عنكم ، وردكم إلينا صالحين ، ثم مضوا حتى نزلوا معان ، فبلغ الناس أن هرقل بالبلقاء في مائة ألف من الروم ، وانضم إليهم من لحم ، وجذام وبلقين وبهراء ، وبلي مائة ألف ، فلما بلغ ذلك المسلمين ، أقاموا على معان ليلتين ينظرون في أمرهم وقالوا نكتب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنخبره بعدد عدونا ، فإما أن يمدنا بالرجال ، وإما أن يأمرنا بأمره ، فنمضي له ، فشجع الناس عبد الله أبن رواحة ، فقال يا قوم: والله إن الذي تكرهون للتي خرجتم تطلبون الشهادة ، وما نقاتل الناس بعدد ولا قوة ولا كثرة ، ما نقاتلهم إلا بها الدين أكرمنا به الله ، فانطلقوا ، فإنما هي إحدى الحسنيين ، إما ظفر وإما شهادة. فمضي الناس حتى إذا كانوا بتخوم البلقاء ، لقيتهم الجموع ، إما ظفر وإما شهادة. فمضى الناس حتى إذا كانوا بتخوم البلقاء ، لقيتهم الجموع بقريةٍ يقال لها ، مشارف ، فدنا العدو ، وانحاز المسلمون إلى مؤتة ، فالتقى الناس عندها ، فتعبأ المسلمون ، ثم اقتتلوا والراية في يد زيد بن حارثة ، فلم يقاتل بها حتى شاط في رماح القوم وخر صريعاً ، وأخذها جعفر فقاتل بها حتى إذا أرهقه القتال ، اقتحم عن فرسه ، فعقرها ، ثم قاتل حتى قتل ، فكان جعفر أول من عقر فرسه في الإسلام عند القتال ن فقطعت يمينه ، فأخذ الراية بيساره ، فقطعت يساره ، فاحتضن الراية حتى قتل وله ثلاث وثلاثون سنة ، ثم أخذها عبد الله بن رواحة ، وتقدم بها وهو على فرسه فجعل يستنزل نفسه ويتردد بعض التردد ، ثم نزل ، فأتاه أبن عم له ، بعرق من لحم فقال ، شد بها صلبك ، فإنك لقد لقيت في أيامك هذه ما لقيت ، فأخذها من يده ، فانتهس منها نهسة ، ثم سمع الحطمة في ناحية الناس فقاتل حتى قتل. ثم أخذ الراية ثابت بن أقرم أخو بني عجلان فقال: يا معشر المسلمين ، اصطلحوا على رجل منكم ، قالوا: أنت ، قال ما أنا بفاعل ، فاصطلح الناس على خالد بن الوليد فلما أخذ الراية دافع القوم ، وحاس بهم ، ثم انحاز بالمسلمين ، وانصرف بالناس ، وقد ذكر ابن سعد أن الهزيمة كانت المسلمين ، والذي في (صحيح البخاري) أن الهزيمة كانت على الروم. والصحيح ما ذكره ابن إسحاق أن كل فئة انحزت عن الأخرى وأطلع الله سبحانه رسوله على ذلك من يومهم ذلك ، فأخبر به أصحابه. وقال (لقد رفعوا إلى في الجنة فيما يرى النائم على سرر من ذهب فرأيت في سرير عبد الله بن رواحة ازوراراً عن سرير صاحبيه)! فقلت: عم هذا فقيل لي: مضيا ، وتردد عبد الله بغض التردد ثم مضى. وذكر عبد الرزاق عن ابن عيينة ، عن ابن جدعان ، عن ابن المسبب قال: رسول الله صلى الله عليه وسلم (مثل لي جعفر وزيد وابن رواحة في خيمة صدود ، ورأيت جعفراً مستقيماً ليس فيه صدود قال: فسالت أو قيل لي إنهما حين غشيهما الموت أعرضها أو كأنهما صدا بوجوههما ، وأما جعفر فإنه لم يفعل. وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم في جعفر: (إن الله أبدله بيديه جناحين يطير بهما في الجنة حيث شاء). قال أبو عمر وروينا عن ابن عمر أنه قال: (وجدنا ما بين صدر جعفر ومنكبيه وما أقبل منه ، تسعين جراحة ما بين ضربة بالسيف وطعنه بالرمح). وقال موسى بن عقبة: قدم يعلى بن منية على رسول الله صلى الله عليه وسلم بخير أهل مؤتة ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إن شئت فأخبرني ، إن شئت أخبرك) قال: أخبرني يا

رسول الله! فأخبره صلى الله عليه وسلم خبرهم كله ، ووصفهم له ، فقال: والذي بعثك بالحق ، ما تركت من حديثهم حرفاً واحداً لم تذكره ، وإن أمرهم لكما ذكرت ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إن الله رفع لي الأرض حتى رأيت معتركهم). واستشهد يومئذ: جعفر ، وزيد بن حارثة ، وعبد الله بن رواحة ، ومسعود بن الأوس ، ووهب بن سعد بن أبي سرح ، وعباد بن قيس ، وحارثة بن النعمان ، وسراقة بن عمرو بن عطية ، وأبو كليب ، وجابر ابنا عمرو بن زيد ، وعامر ، وعمرو أبنا سعيد بن الحارث وغيرهم. وقال ابن إسحاق: وحدثني عبد الله بن أبي بكر أنه حدث عن زيد بن أرقم قال: كنت يتيماً لعبد الله بن رواحة في حجرة فخرج بي في سفره ذلك مردفي على حقيبة رحله!)

6 ـ الشاعر عندما يعف

(طلِب من شاعر صاحب مبدأ ومنهجية ورسالة ، أن يكتب قصيدة في مناسبةٍ كذا من مناسبات الجاهلية. لا ناقة للإسلام فيها ولا جمل! بل بالعكس هذه المناسبة باحتفالاتها وبروتوكولاتها وطقوسها تعضد ملك وجبروت الظالمين العتاة ، وتؤصل للجاهلية وتساندها ، وتشرعن مناهج المجرمين التي تحل اليوم محل شريعة الله تعالى! فأجاب الشاعر في ثقة المؤمن وإيمان الواثق ، رغم فقره وعوزه وحاجته: بأن لا. فقيل: وتأخذ كذا وكذا من المال. فقال: بل لا ولو أعطيتُ ألف كذا وكذا. وطبعاً برر لهم ذلك بتبريرات ليست من قلبه ولا من عقله في شيء! لأنه يخشى وشاية هؤلاء السفهاء الحمقى عند المجرمين ، فيحدث له ما لا تحمد عقباه! وبين لهم أن الشعر شعور ، وأن المشاعر لا تباع ولا تشترى! وأنهم لن يعدموا شاعراً يرتزق بشعره!)

7 ـ الشاعر ليس نبياً ليكون شعره وحياً!

(عندما يفترضُ أقوامٌ أن الشاعر لا يرد عليه الخطأ في قصيدةٍ ما من قصائده ، أو في ديوان ما من دواوينه ، فإن افتراضهم هذا ينبغي أن يسبقه افتراضٌ آخرُ لا يقل عنه في بداهة العقل والمنطق ، وهو أن هذا الشاعر نبي يوحى إليه ، ومن ثم فهو يُبلغ الناسَ عن ربه ما أوحاه إليه بلا زيادةٍ أو نقصان! فليس له أن يبدل أو يزيد أو ينقص أو يؤخر أو يقدم! ومن ثم أصبح شعره – إن كان ذلك كذلك – نصاً مقدساً لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، فلا يوجد به مثقال حبة خردل من خطأ أو خلل أو عيب! ولا نزال نستخرج الإقواء تلو الإقواء ، والسناد تلو السناد ، والإضمار تلو الإضمار ، والبتر تلو البتر ، والتذييل تلو التذييل ، والترفيل تلو الترفيل ، والتسبيغ تلو التسبيغ ، والتشعيث تلو التشعيث ، والحشو تلو الحشو ، والإكفاء تلو الإكفاء ، والإيطاء تلو الإيطاء ، والتضمين تلو التضمين ، وغير ذلك من الأخطاء النحوية والصرفية والإعرابية ، لا أقول في أشعار البارودي وشوقي وحافظ ومطران والعقاد ، ولا أقول في أشعار المتنبي وأبي تمام والبحتري والمعري ، ولا أقول في أشعار جرير والفرزدق والأخطل ، بل في أشعار زهير بن أبي سلمى وعنترة والسموأل وعمرو بن كلثوم والخنساء وحسان بن ثابت ولبيد بن ربيعة والأعشى وغيرهم! ولا تزال الدراسات ـ في جامعاتنا العربية من جامعات الخليج شرقاً حتى جامعات المغرب العربي غرباً مروراً بمصر والشام – تطلع علينا بأبحاثٍ دقيقةٍ مخلصةٍ نقيةٍ صادقةٍ متوضئةٍ طاهرةٍ تُبين الحقيقة للناس بوجود عيوب قاتلة وأخطاء دامغة في أشعار عمالقة العرب الأولين الغابرين ، وليس فقط في أشعار العرب

المعاصرين! لازلنا نقرأ عن الخلل والعيب في الشعر القديم والحديث ، وسوف نظل نكتشف ما لم يكتشفه غيرنا من العيوب والمزالق والأخطاء في شعر العرب! طبعاً أنا لا أقول بضعف شعر العرب الأولين وركاكته وكثرة العيوب والأخطاء فيه ، كما يذهب إلى ذلك خبثاءُ المستشرقين ومن شابههم ممن ينالون من لغة الضاد نحوها وصرفها وشعرها ونثرها! ولا أقر الشاعر الذي يوغل في الأخطاء اللغوية والإملائية والعروضية والبلاغية والنحوية والصرفية ، ويكون ذلك منه طابعاً عاماً في أغلب قصائده! إن مثل هذا النوع من الشعراء ينبغي أن يتعلم العربية أولاً ثم يكتب الشعر! كما أنني لا أقصد النوع الأشد جُرماً وهو الذي يتعمد - عن علم ويقين وسبق إصرار وترصد – الخطأ فيما يكتبه! فهو ينصب الفاعل ويرفع المفعول وينصب اسم (كان) ويرفع اسم (إن) عمداً رغم معرفته بأخطائه! لأنه يعتقد أن هذا لون من ألوان الحداثة والتجديد! وكبرتْ كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذباً! لكنني أقصد الشاعر الذي تقع منه بعض الهنات والأخطاء البسيطة الت يمكن أن يع فيها سهواً لا عمداً! يخطئ كما أخطأ أبوه آدم – صلى الله عليه وسلم – عندما أكل من الشجرة ، ثم تاب فتاب الله عليه! هل أكل آدم من الشجرة عامداً متعمداً؟ لا! وكذلك الشاعر يقع في الأخطاء دون أن يشعر! فإذا ذكّر ذكَر! بمعنى أنه يدفع بنصوصه وأشعاره إلى المتخصصين النحارير ليصوبوها له بدقة متناهية! ثم يصحح ما توصلوا إليه من أخطاء وعثرات! فهل يخلو الديوان أو النصوص بعد ذلك من الأخطاء؟ والله لا أقطع بذلك! لأنها كلها في عمومها اجتهادات بشر يصيبون ويخطئون ، ويتفقون ويختلفون! ولي مع الكتب والكُتاب نثراً وشعراً قرابة الأربعة عقود – علم الله – وأجد الأخطاء البسيطة وغير البسيطة فأصححها وأعتذر عن كاتبها أو شاعرها! وليس من منهجي أبداً تصيد الأخطاء لأتنقص الآخرين أو أعرّض بهم أو أصل على أكتافهم! وأعلم علم يقين أن من ألف فقد استُهدف! وأعلم علم يقين أن المؤلف ناثراً أو شعراً يضع قريحة فكره على طبق من ذهب لقرائه! وإذن فالخطأ وراد على الجميع! ووالله إذا انتقلنا إلى الكُتاب والنقاد الغربيين – وأغلبنا ينظر إليهم على أنهم الدقة كلها والتحقيق كله والتدقيق كله – فإنني أجد عندهم الأخطاء القاتلة بعد مراجعتهم وتدقيقهم وتحقيقهم! فكم من موسوعة (جرامر & قواعد نحوية) اشتريتها وطالعت في المقدمة السيرة الذاتية للمؤلف ونبذة مطولة عن لجنة التدقيق والمراجعة من النحويين العباقرة في علم القواعد النحوية الإنجليزية ، وأغلبهم شابوا في هذا العلم! وتمت مراجعة الكتاب على أيديهم عدة مرات! ومع هذا لم يخل من الأخطاء! فأراسلهم فيعترفون بالخطأ ويعدون بتصحيحه في الطبعات القادمة! وإلى اليوم يستخرج النقاد الغربيون الأخطاء تلو الأخطاء عند شكسبير وجون ملتون وألدوس هاكسيلي ووليم ووردث وورث وجاك لندن وعيرهم من الكتاب والنقاد والشعراء من أبناء جلدتهم! وظل شكسبير عندهم الشاعر العملاق والأديب الذي لا يشق له غبار! فرق بين أن تكون الأخطاء عند الكاتب أو الشاعر سبيلاً إلى تحطيمه وبين أن تكون سبيلاً إلى بيان الحقيقة وتوقير المؤلف! مرة ثانية: يخطئ لأنه مجبول على الخطأ! أخطأ أبوه آدم – صلى الله عليه وسلم - ، ثم تاب فتاب الله عليه! بعض الكُتاب أو الشعراء عندما نوافيهم ببعض أخطائهم ونواجههم بها تأخذهم العزة بالإثم ويكابرون ولا يستجيبون للتصحيح رغم وضوح الدليل! هؤلاء يشبهون من قال لربه تعالى: (أنا خيرٌ منه خلقتني من نار وخلقته من طين!) أما عندما يستجيبون أو يناقشون أو يثبتون صوابهم بالدليل فهؤلاء كمن قال الله فيه: (ثم اجتباه ربه بكلماتٍ فتاب عليه وهدى!) وتخرج طبعة لكتاب ما نثراً أو شعراً فيقع الناسُ على الأخطاء فيواجهون بها الكاتب أو الشاعر فيُصدر طبعته الثانية

بدون تكرار الأخطاء! ويزيد على ذلك شكر مَن صوّبوه والاعتذار للقراء عن طبعته الأولى التي فيها أخطاء! إن الكتاب الوحيد الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه هو القرآن ، فهو محفوظ بحفظ الله له! لم يستحفظ الله عليه أحداً! بل تولى حِفظه بنفسه – سبحانه وتعالى -. وصدق إذ قال: (إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون) والذكر هنا القرآن والسنة بنص الإجماع! وذلك لأن السنة الصحيحة أيضاً وحي أوحاه الله لرسوله – صلى الله عليه وسلم – كما أوحاه القرآن! وإذن فكل كتاب آخر عُرضة لأن يرد الخطأ فيه سهواً أو نقص علم ودراية من صاحبه! إذ لم يحط صاحب فن بكل أسرار ودقائق وخفايا فنه! والشاعر أحد هؤلاء! فإن علم شيئاً فقد خفيت عنه أشياء! وإذا كان أصحاب الملكة والسليقة في العربية يرد عليهم الخطأ فما بالنا اليوم بنا؟ لا ملكة ولا تحدث ولا سليقة! بالعكس إذا تكلمت اليوم في ملأ ما باللغة العربية فلربما أمسك أحد محدثيك بجبينك وقال ثلاثاً: (اخرج يا عدو الله!) زاعماً أن رئياً من الجن قد أصابك أو مسك! فالرحمة الرحمة بالشعراء خاصة شعراء الفصحى الذين يسيرون عكس دفة الحياة وتيارها! ينبغي التلطف بهم والتماس الأعذار لهم! والله الذي بعث محمداً – صلى الله عليه وسلم – بالحق رسولاً نبياً لو كان الأمر بيدي لكنت رحيماً ودوداً براً بشعراء الفصحى في زماني ، ولسهلتُ عليهمُ الأمر ، ولبذلتُ لهم الغالي والنفيس تشجيعاً لهم وتأييداً ، ولساعدتهم بما أستطيعه من النصح والإرشاد ما داموا يسخرون شعرهم في سبيل الذود عن القيم والمبادئ والأخلاق! ولكنتُ لهم ظهيراً ومعيناً في رسالتهم وأشعارهم حسبة لله تعالى وابتغاء مرضاته! ومن باب قول الله تعالى: (وتعاونوا على البر والتقوى) ومن باب قول النبي – صلى الله عليه وسلم كما في الصحيح: (من استطاع أن ينفع أخاه فلينفعه!) وإنني لأشكر لله أن يمسك مهندس ما في بقعة ما في زماننا هذا بقلمه ويكتب شعراً موزوناً قفى ولو فيه أخطاء! كما أشكر لله أن تفعل الشيء ذاته طبيبة توليد أو أسنان أو باطنة وتنافح عن قيم الإسلام بشعر موزون مقفى ولو فيه أخطاء! أرشدها إلى الأخطاء ولا أكسر قلها! أنبهها إلى الأغلاط ولا أدمرها! أضع يدها على المزالق والعثرات ولا أحطمها! ودوري هذا لا يقوم به إلا العظماء الكبار! لأن أفعال العظماء عظيمة وكذلك أفعال الكبار! فرقٌ بين بيان الحق والتشفي والتشهير والتدمير والتحطيم! ولا يكون ذلك على ملأ أبداً بل بيني وبين هذا الشاعر أو تلك الشاعرة! والحمد لله الوسائل الآن مُيسرة ومزللة من: (إيميل أو هاتف أو فيس بوك أو واتس آب أو ما شابه ذلك)! وذلك من باب الدين النصيحة! وأفرح أن الله تعالى سخر قلماً يذود عن الإسلام ، فأقوّمه وأقوّم صاحبه أو صاحبته مبتغياً الأجر من الله وحده! وكم جاءني أحد طلابي بنص كتبه فإن كان قد سرقه وعظته وقلت: لا تكون هذه بدايتك وحاول لتكتب أفضل منه! وإن كان النص له أظهرت له سعادتي الغامرة بمحاولته الجميلة وبينت له خمس ميزات حلوة فيها ، ثم وضحت له بعض الخلل في النحو أو الصرف أو العروض أو ما شابه! فلا أتعمد النيل منه ، ولا انتقاصه ولا السخرية منه ولا الاستهزاء به! بل أقوم بواجبي وأمانتي من النصح والإرشاد والتوجيه! وأتذكر قول الله تعالى: (كذلك كنتم من قبل فمن الله عليكم)! لقد كنت يوماً مثله وربما أقل منه! وكنت ساعتئذٍ بحاجةٍ ماسةٍ لمن يأخذ بيدي ويعلمني ويرشدني! إن الشاعر أخ لنا في الإسلام ، والستر عليه من باب الأولى ، والنصح له ينبغي أن يكون برفق وبإحساس وبشعور وبعاطفة لأن هذه الأشياء مجتمعة هي مادة الشاعر في صياغة نصه! ومن أقوال السَّلف والعلماء في الحثِّ على السَّتْر: قال أبو بكر الصِّديق رضي الله عنه: (لو أخذت سارقًا لأحببت أن يَسْتُره الله عزَّ وجلَّ ، ولو أخذت شاربًا ، لأحببت أن يَسْتُره الله عزَّ وجلَّ)! - وعن أبي الشَّعثاء قال: (كان

شُرَحْبِيل بن السِّمْط على جيشٍ ، فقال لجيشه: إنَّكم نزلتم أرضًا كثيرة النِّساء والشَّراب - يعني الخمر - فمن أصاب منكم حدًّا فليأتنا ، فنطهِّره ، فأتاه ناس ، فبلغ ذلك عمر بن الخطَّاب ، فكتب إليه: أنت - لا أمَّ لك - الذي يأمر النَّاس أن يهتكوا سِتْر الله الذي سَتَرَهم به)! - وعن المعْرُور بن سُوَيْد قال: (أُتي عمر بامرأة راعية زنت ، فقال عمر: ويح المرِّيَّة ، أفسدت حَسَبَها ، اذهبا بالمرِّيَّة فاجلداها ، ولا تخرقا عليها جلدها ، إنَّما جعل الله أربعة شهداء سترًا ستركم به دون فواحشكم ، ولو شاء لجعله رجلًا صادقًا أو كاذبًا ، فلا يطَّلعنَّ سِتْر الله منكم أحد)! - وعن الشَّعبي: أنَّ رجلًا أتى عمر بن الخطَّاب ، قال: (إنَّ ابنة لي أصابت حدًّا ، فعَمَدت إلى الشَّفْرة ، فذبَحَت نفسها ، فأدركتُها ، وقد قطعت بعض أوداجها ، فداويتها فبرأت ، ثم أنَّها نَسَكت ، فأقبلت على القرآن ، فهي تُخْطب إليَّ ، فأخبر من شأنها بالذي كان ، فقال له عمر: تعمد إلى سِتْر سَتَره الله فتكشفه؟ لئن بلغني أنَّك ذكرت شيئًا من أمرها ، لأجعلنَّك نَكالًا لأهل الأمصار ، بل أنكِحها نكاح العفيفة المسلمة)! - وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: (ثلاث أحلف عليهنَّ ، والرَّابعة لو حلفت لبَررْت: لا يجعل الله من له سهم في الإسلام كمن لا سهم له ، ولا يتولَّى اللهَ عبدٌ في الدُّنيا فولَّاه غيره يوم القيامة ، ولا يحبُّ رجل قومًا ، إلا جاء معهم يوم القيامة ، والرَّابعة التي لو حلفت عليها لبَررْت: لا يَسْتُر الله على عبد في الدُّنيا ، إلَّا سَتَر عليه في الآخرة)! - وعن مريم بنت طارق: (أنَّ امرأة قالت لعائشة - رضي الله عنها -: يا أمَّ المؤمنين ، إنَّ كَرِيًّا أخذ بساقي وأنا مُحْرِمَة ، فقالت - رضي الله عنها-: حِجْرًا حِجْرًا حِجْرًا ، وأعرضت بوجهها ، وقالت بكفِّها ، وقالت: يا نساء المؤمنين ، إذا أذنبت إحداكنَّ ذنبًا ، فلا تخبرنَّ به النَّاس ، ولتستغفر الله تعالى ، ولتتب إليه ؛ فإنَّ العباد يُعَيِّرُون ولا يُغَيِّرُون ، والله تعالى يُغَيِّر ولا يُعَيِّر)! - وعن أبي عثمان النَّهدي ، قال: (إنَّ المؤمن ليُعطى كتابه في سِتْرٍ من الله تعالى ، فيقرأ سيِّئاته فيتغيَّر لونه ، ثمَّ يقرأ حسناته فيرجع إليه لونه ، ثمَّ ينظر ، وإذا سيِّئاته قد بُدِّلت حسنات ، فعند ذلك يقول: (هَاؤُمُ اقْرَؤُوا كِتَابِيهْ)! - وقال الحسن البصري: (من كان بينه وبين أخيه سِتْر فلا يكشفه)! - وعن إبراهيم بن أدهم ، قال: (بلغني أنَّ عمر بن عبد العزيز قال لخالد ابن صفوان: عِظْني وأوجز. قال: فقال خالد: يا أمير المؤمنين، إنَّ أقوامًا غرَّهم سِتْر الله عزَّ وجلَّ ، وفتنهم حُسْن الثَّناء ، فلا يغلبنَّ جهل غيرك بك علمك بنفسك ، أعاذنا الله وإياك أن نكون بالسِّتْر مغرورين ، وبثناء النَّاس مسرورين ، وعمَّا افترض الله متخلِّفين مقصرين ، وإلى الأهواء مائلين. قال: فبكى ، ثم قال: أعاذنا الله وإياك من اتِّباع الهوى)! - وقال العلاء بن بدر: (لا يعذِّب الله عزَّ وجلَّ قومًا يسترون الذُّنوب)! - وعن محمود بن آدم قال: سمعت سفيان بن عيينة ، يقول: (لولا ستْر الله عزَّ وجلَّ ما جالسَنا أحدٌ)! - وعن شُبَيْل بن عوف الأَحْمَسِي ، قال: (كان يقال: من سمع بفاحشة ، فأفشاها ، كان فيها كالذي بدأها)! - وعن عبد الله بن المبارك ، قال: (كان الرَّجل إذا رأى من أخيه ما يكره ، أمره في سِتْر ، ونهاه في سِتْر ، فيُؤجر في سِتْره ، ويُؤجر في نهيه ، فأمَّا اليوم فإذا رأى أحدٌ من أحدٍ ما يكره ، استغضب أخاه ، وهتك سِتْره)! - وقال الفضيل بن عياض: (المؤمن يَسْتر وينصح ، والفاجر يهتِك ويُعيِّر)! - وعن عبيد الله بن عبد الكريم الجِيْلِي ، قال: (من رأيته يطلب العثرات على النَّاس ، فاعلم أنَّه معيوب ، ومن ذكر عَورات المؤمنين ، فقد هتك سِتْر الله المرخَى على عباده)! - وقال ابن رجب: (رُوي عن بعض السَّلف أنَّه قال: أدركت قومًا لم يكن لهم عيوب ، فذكروا عيوب النَّاس ، فذكر النَّاس عيوبهم. وأدركت أقوامًا، كانت لهم عيوب فكَفُّوا عن عيوب النَّاس فنُسيت عيوبهم)! وقال ابن القيِّم: (وأمَّا اكتفاؤه في القتل بشاهدين دون الزِّنا ، ففي غاية الحِكْمة والمصلحة ؛ فإنَّ الشَّارع

احتاط للقصاص والدِّماء ، واحتاط لحدِّ الزِّنا ، فلو لم يقبل في القتل إلَّا أربعة لضاعت الدِّماء ، وتواثب العادون ، وتجرؤوا على القتل ؛ وأمَّا الزِّنا فإنَّه بَالَغَ في سِتْره ، كما قدَّر الله سِتْره ، فاجتمع على ستْره شرع الله وقدره ، فلم يقبل فيه إلَّا أربعة يصِفُون الفِعْل وصف مشاهدة ، ينتفي معها الاحتمال ؛ وكذلك في الإقرار ، لم يكتف بأقلَّ من أربع مرَّات ، حرصًا على سِتْر ما قدَّر الله ستْره ، وكَرِه إظهاره ، والتَّكلُّم به ، وتوعَّد من يحبُّ إشاعته في المؤمنين بالعذاب الأليم ، في الدُّنيا والآخرة)! وقال أيضًا: (للعبد سِتْرٌ بينه وبين الله ، وسِتْرٌ بينه وبين النَّاس ، فمن هتك السِّتْر الذي بينه وبين الله ، هتك الله السِّتْر الذي بينه وبين النَّاس)! وقال أيضًا: (ومن النَّاس من طبعه طبع خنزير: يمرُّ بالطَّيِّبات فلا يلوي عليها ، فإذا قام الإنسان عن رجيعه قَمَّه ، وهكذا كثير من النَّاس ، يسمع منك ، ويرى من المحاسن أضعاف أضعاف المساوئ ، فلا يحفظها ، ولا ينقلها ، ولا تناسبه ، فإذا رأى سقطة ، أو كلمة عَوْراء ، وجد بغيته ، وما يناسبها ، فجعلها فاكهته ونقله)! وقال أبو البركات الغزي العامري في كلامه عن آداب العِشْرة بين المسلمين: (ومنها: الاجتهاد في سِتْر عَورَات الإخوان وقبائحهم ، وإظهار مناقبهم ، وكونهم يدًا واحدةً في جميع الأوقات)! قال العلماء: إنه يجب على المسلم أن يستر أخاه المسلم إذا سأله عنه إنسان ظالم يريد قتله أو أخذ ماله ظلمًا ، وكذا لو كان عنده أو عند غيره وديعة وسأل عنها ظالم يريد أخذها ، يجب عليه سترها وإخفاؤها ، ويجب عليه الكذب بإخفاء ذلك ، ولو استحلَفَه عليها لزمه أن يحلف ، ولكن الأحوط في هذا كله أن يورِّي ، ولو ترَك التورية وأطلق عبارة الكذب ، فليس بحرامٍ في هذه الحال. "الأذكار" ؛ للإمام النووي (ص 580). واستدلوا بجواز الكذب في هذه الحال بحديث أم كلثوم - رضي الله عنها -: أنها سمعت رسول الله - صلَّى الله عليْه وسلَّم - يقول: ليس الكذَّاب الذي يُصلِح بين الناس فينمي خيرًا أو يقول خيرًا. أخرجه البخاري (2/ 958، رقم 2546) ، ومسلم (4/ 2011 ، رقم 2605). أجمع العلماء على أن مَن اطَّلع على عيبٍ أو ذنبٍ أو فجورٍ لمؤمن من ذوي الهيئات أو نحوهم ممَّن لم يُعرَف بالشر والأذى ولم يشتهر بالفساد، ولم يكن داعيًا إليه ؛ كأن يشرب مسكرًا أو يزني أو يفجر متخوفًا متخفيًا غير متهتِّك ولا مجاهر - يُندَب له أن يستره ، ولا يكشفه للعامة أو الخاصة ، ولا للحاكم أو غير الحاكم. الموسوعة الفقهية الكويتية\" (24/ 169). وخصوصًا إذا كان ممَّن يُنسَب لأهل الدين ، والطعنُ فيه طعنٌ في الإسلام ، والعيبُ عليه عيبٌ في أهل الإسلام ، عَنْ عَائِشَةَ ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم: اقِيلُوا ذَوِي الْهَيْئَاتِ عَثَرَاتِهِمْ ، إلا الْحُدُودَ. أخرجه أحمد 181/6 والبخاري في (الأدب المفرد) (465). وفي قصة ماعزُ بن مالكٍ الأسلمي ما يؤكد حث الإسلام على الستر على العصاة ، فقد كان ماعز الأسلمي أحدُ الأصحاب الأخيار ممن وقر الإيمانُ في قلبه ، فآمن بربه ، وصدَّق برسالة نبيِّه ، وعاش في مدينة رسول الله يَحمل بين جنبَيه نورَ الإيمان ، وضياء التَّقوى ، بَيْدَ أنَّه لم ينفك عن بشريَّته ، ولم ينسلخ من ضعفه الآدمي ؛ {وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا}. فزيَّن له الشيطانُ فعلَ الحرام ، وأزَّته نفسُه الأمَّارة نحوَ الفاحشة أزًّا ، وفي ساعة الغفلة وسكرة الشَّهوة وقع في الإثم ، وكان من أمره ما كان. عصى ماعزٌ ربَّه ، وأيقن أنَّ ذاك من عَمَلِ الشيطان ؛ إنه عدو مضل مبين ، فاحترق قلبه ، وتلوَّعت نفسُه ندمًا وأسفًا ، وعاش أيامًا عدة في بُؤس وغمٍّ ، وحسرةٍ وهمٍّ. وعندها قرر ماعز أنْ يبوحَ بأمره ذاك إلى أحد بني عشيرته ، وهو هزَّال بن يزيد الأسلمي ، الذي أشار عليه أن يعترفَ ويقرَّ أمام النبي - صلَّى الله عليه وسلم - بخطيئته. مشى المذنب التائب تجرُّه رِجلاه نحوَ الرَّحمة المُهداة ، فوقف في حياءٍ واستحياء ، ونطق بجُرمه ومَعصيته ، فأعرض عنه النبي -

صلى الله عليه وسلم - فكرر ماعز اعترافَه ، وأقرَّ أربعًا ، وألح على النبي - صلى الله عليه وسلم - أنْ يُقيمَ حدَّ الله ، فلم يكُن بدٌّ من إقامة الحد، حدِّ الرجم ، فرجمه الصحابة حتَّى فاضت روحُه إلى بارئها ، ثم صلَّى عليه النبي - صلى الله عليه وسلم - ودعا له ، واستغفر ، وأثنى على توبته وصدقه مع ربِّه. فلما بلغ النبي - صلى الله عليه وسلم - أنَّ هزَّالاً الأسلميَّ هو الذي أشار عليه بالاعتراف ، دعاه ثم قال: "يا هزَّالُ ، لو سترته بثَوْبك ، كان خيرًا لك مما صنعت به" . أخرجه أحمد 216/5(22235) و"أبو داود\"4377 و"النَّسائي\" في "الكبرى"7167 ، الألباني: الصحيحة 29/2. والستر على الناس فضله عظيم وثوابه عميم ، فعَنْ دُخَيْنٍ ، كَاتِبِ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ ، قَالَ: قُلْتُ لِعُقْبَةَ: إِنَّ لَنَا جِيرَانًا يَشْرَبُونَ الْخَمْرَ ، وَأَنَا دَاعٍ لَهُمُ الشُّرَطَ فَيَأْخُذُوهُمْ ، فَقَالَ: لاَ تَفْعَلْ ، وَلَكِنْ عِظْهُمْ وَتَهَدَّدْهُمْ ، قَالَ: فَفَعَلَ ، فَلَمْ يَنْتَهُوا ، قَالَ: فَجَاءَهُ دُخَيْنٌ ، فَقَالَ: إِنِّي نَهَيْتُهُمْ ، فَلَمْ يَنْتَهُوا ، وَأَنَا دَاعٍ لَهُمُ الشُّرَطَ ، فَقَالَ عُقْبَةُ : وَيْحَكَ ، لاَ تَفْعَلْ ، فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: مَنْ سَتَرَ عَوْرَةَ مُؤْمِنٍ ، فَكَأَنَّمَا اسْتَحْيَا مَوْؤُدَةً مِنْ قَبْرِهَا. أخرجه أحمد 153/4(17530) و"أبو داود"4892 . ولقد استثنى الإسلام من جملة الستر على العصاة: أولاً: الحدود فإنها تستر على صاحبها وفق الضوابط ، ما لم تبلغ السلطان فإنها لا تستر حينئذ، ودليله ما روي عَنْ عُرْوَةَ ، عَنْ عَائِشَةَ ؛ انَّ قُرَيْشا اهَمَّهُمْ شَانُ المرأة الْمَخْزُومِيَّةِ التي سَرَقَتْ. فَقَالُوا: مَنْ يُكَلِّمُ فِيهَا رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم؟ فَقَالُوا: وَمَنْ يَجْتَرِئُ عَلَيْهِ إلا أُسامة ، حِبُّ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم . فَكَلَّمَهُ أُسامة. فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: أتشفع في حَدٍّ مِنْ حُدُودِ اللهِ؟ ثُمَّ قَامَ فَاخْتَطَبَ. فَقَالَ: أَيُّهَا النَّاسُ إنما هْلَكَ الَّذِينَ قَبْلَكُمْ أنهم كَانُوا إذا سَرَقَ فِيهِمُ الشَّرِيفُ ، تَرَكُوهُ وإذا سَرَقَ فِيهِمُ الضَّعِيفُ ، أقاموا عَلَيْهِ الْحَدَّ ، وَايْمُ اللهِ ، لَوْ أن فَاطِمَةَ بِنْتَ مُحَمَّدٍ سَرَقَتْ لَقَطَعْتُ يَدَهَا. أخرجه أحمد 41/6 و\"البُخَارِي\" 213/4 و29/5 و\"مسلم\" 114/5. وعن ابن مسعود موقوفاً: ادرأوا الحدود بالشبهات وأقيلوا الكرام عثراتهم إلا في حد من حدود الله تعالى. ولما جاء رجل إلى عبد الله بن مسعود فقال له: إن فلان تقطر لحيته خمراً فرد عليه بن مسعود: إن نهينا عن التجسس ولكن إن يظهر لنا شيء نأخذ به. ثانياً: الشخص الذي يجاهر بالمعصية ، والي يستخف بحدود الله وبالناس ، فليس لهذا الشخص ستر وليس أهلاً له ، فالستر لا يتناول من كان منكره يلحق الضرر بالمجتمع عامة ، وتهريب المخدرات ، أو يتعاطى السحر والكهانة ، ومن أراد التفريق بين المسلمين وتشتيت كلمتهم. وقد رُوِي عن بعض السلف أنه قال: أدركت قومًا لم يكن لهم عيوب ، فذكروا عيوب الناس ، فذكر الناس عيوبهم ، وأدركت قومًا كانت لهم عيوب ، فكفُّوا عن عيوب الناس فنُسِيت عيوبهم. وعن بهز بن حكيم عن أبيه عن جده قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أترعون عن ذكر الفاجر اذكروه بما فيه كي يعرفه الناس ويحذره الناس. رواه الطبراني (418/19 ، رقم 1010) الألباني: (ضعيف) انظر حديث رقم: 104 في ضعيف الجامع. وقال محمد بن داود الحدائى ، قلت لسفيان بن عيينة: إن هذا يتكلم في القدر – يعنى إبراهيم بن يحيى فقال سفيان: عرفوا الناس أمره ، وسلوا الله لي العافية. ابن الجوزي: تلبيس إبليس ص 83. - الله تعالى ستير يحب الستر: من صفات الله تعالى أنه ستير يحب الستر على عباده ، وهذا من كمال رحمته سبحانه ومن تمام فضله ، قال تعالى: "وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ، وقال: "وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ". وعَنْ عَطَاءٍ عَنْ يَعْلَى أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَأَى رَجُلًا يَغْتَسِلُ بِالْبَرَازِ فَصَعِدَ الْمِنْبَرَ فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ وَقَالَ إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ حَلِيمٌ حَيِيٌّ سِتِّيرٌ يُحِبُّ الْحَيَاءَ وَالسَّتْرَ

فَإِذَا اغْتَسَلَ أَحَدُكُمْ فَلْيَسْتَتِرْ. أخرجه أحمد (4/ 224 ، رقم 17999) ، وأبو داود (4/ 39، رقم 4012) ، والنسائي (1/ 200 ، رقم 406). والبيهقي (1/ 198 ، رقم 908) الألباني :صحيح النسائي (406). وعَنْ صَفْوَانَ بْنِ مُحْرِزٍ الْمَازِنِيِّ قَالَ: بَيْنَمَا أَنَا أَمْشِي مَعَ ابْنِ عُمَرَ رضى الله عنهما آخِذٌ بِيَدِهِ إِذْ عَرَضَ رَجُلٌ ، فَقَالَ: كَيْفَ سَمِعْتَ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم في النَّجْوَى؟ فَقَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: إِنَّ اللَّهَ يُدْنِي الْمُؤْمِنَ فَيَضَعُ عَلَيْهِ كَنَفَهُ وَيَسْتُرُهُ فَيَقُولُ: أَتَعْرِفُ ذَنْبَ كَذَا؟ أَتَعْرِفُ ذَنْبَ كَذَا؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ أي رَبِّ. حَتَّى إِذَا قَرَّرَهُ بِذُنُوبِهِ وَرَأَى فِي نَفْسِهِ أَنَّهُ هَلَكَ قَالَ سَتَرْتُهَا عَلَيْكَ فِي الدُّنْيَا ، وَأَنَا أَغْفِرُهَا لَكَ الْيَوْمَ فَيُعْطَى كِتَابَ حَسَنَاتِهِ وَأَمَّا الْكَافِرُ وَالْمُنَافِقُونَ فَيَقُولُ الأَشْهَادُ: (هَؤُلاَءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى رَبِّهِمْ أَلاَ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ). أَخْرَجَهُ أحمد 74/2(5436) و"البُخَارِي" 168/3(2441) و"مسلم" 105/8(7115). يروى أنه في عهد سيدنا موسى عليه السلام جف المطر وطلب منه قومه أن يدعو ربه بالغيث وينزل عليهم المطر فصعد سيدنا موسى الجبل ودعا ربه بأن ينزل عليهم المطر فقال له ربه عز وجل: يا موسى كيف انزل المطر و بينكم عاص فرجع موسى إلى قومه وبلغهم بأن بينهم عاص ولم ينزل الله المطر إلا إذا خرج فلم يخرج أحد ثم أنزل الله المطر فصعد موسى الجبل وقال لربه يا رب جمعت القوم و أبلغتهم بأن بيننا عاص فليخرج ولم يخرج أحد وقد أنزلت المطر يا رب فقال سبحانه وتعالى: يا موسى أني أنزلت المطر بعد ما تاب العاصي توبة نصوحة فقال موسى لربه من هو يا رب حتى نعرفه قال الله عز و جل لموسى يا موسى سترته وهو عاص فكيف لا أستره وقد تاب إلى؟! ابن قدامة: كتاب التوابين 82. قال شقيق بن إبراهيم: استتمام صلاح عمل العبد بستِّ خصال: تضرُّع دائم وخوف من وعيده ، والثاني: حسن ظنِّه بالمسلمين ، والثالث: اشتغاله بعيبه ولا يتفرَّغ لعيوب الناس ، والرابع: يستر على أخيه عيبه ولا يُفشي في الناس عيبه ؛ رجاء رجوعه عن المعصية واستصلاح ما أفسده من قبل ، والخامس: ما اطَّلع عليه من خسَّة عملها استعظمها ؛ رجاء أن يرغب في الاستزادة منها! والسادسة: أن يكون صاحبه عنده مصيبًا. حلية الأولياء" (8/ 66). ولكي ينال العبد رحمة الله تعالى وعفوه بالستر عليه ، فلا بد له من شروط وأخلاقيات منها: أ- الإخلاص وترك الرياء: قال تعالى: "هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ" ، وقال: "وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ". عَنِ ابن عَبَّاسٍ ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ، صلى الله عليه وسلم: مَنْ سَمَّعَ سَمَّعَ الله بِهِ ، وَمَنْ رَاءَى ، رَاءَى الله بِهِ. أخرجه مسلم 223/8(7585). كان بشر الحافي يقول: اللَّهُمَّ إِنَّكَ تَعلَمُ أَنَّ الذُّلَّ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنَ العِزِّ ، وَأَنَّ الفَقْرَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنَ الغِنَى ، وَأَنَّ المَوْتَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنَ البَقَاءِ. وقَالَ: قَدْ يَكُوْن الرَّجُلُ مُرَائِياً بَعْدَ مَوْتِه ، يُحِبُّ أَنْ يَكْثُرَ الخَلْقُ فِي جِنَازَتِهِ. لاَ تَجِدُ حَلاَوَةَ العِبَادَةِ حَتَّى تَجعَلَ بَينَكَ وَبَيْنَ الشَّهَوَاتِ سُدّاً. السير 466/19. ب- التوبة والإنابة: فالله تعالى من شأنه حبُّ الستر والصون لعباده ، والتجاوز عن هفواتهم والعفو عن زلاتهم ، وقبول التوبة ممن تاب ، قال تعالى: "وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ". وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ، قَالَ: كُنْتُ عِنْدَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم ، فَجَاءَهُ رَجُلٌ ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ ، إِنِّي أَصَبْتُ حَدًّا فَأَقِمْهُ عَلَيَّ ، قَالَ: وَلَمْ يَسْأَلْهُ عَنْهُ ، قَالَ: وَحَضَرَتِ الصَّلاَةُ ، فَصَلَّى مَعَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم ، فَلَمَّا قَضَى النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم الصَّلاَةَ ، قَامَ إِلَيْهِ الرَّجُلُ ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ ، إِنِّي أَصَبْتُ حَدًّا ، فَأَقِمْ فِيَّ كِتَابَ اللهِ ، قَالَ: أَلَيْسَ قَدْ صَلَّيْتَ مَعَنَا؟ قَالَ: نَعَمْ ، قَالَ: فَإِنَّ اللهَ قَدْ غَفَرَ لَكَ ذَنْبَكَ ، أَوْ قَالَ: حَدَّكَ. أخرجه البُخَارِي 206/8(6823) و"مسلم" 102/8

(7106). ج- الستر على النفس وعدم المجاهرة بالمعصية: يستحب لمن وقع في معصية وندم أن يبادر إلى التوبة منها ولا يخبر أحداً ، عَنْ سَالِمِ بْنِ عَبْدِ اللهِ قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا هُرَيْرَةَ يَقُولُ سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: "كُلُّ أَمَّتِي مُعَافًى إِلاَّ الْمُجَاهِرِينَ ، وَإِنَّ مِنَ الْمَجَانَةِ أَنْ يَعْمَلَ الرَّجُلُ بِاللَّيْلِ عَمَلاً ، ثُمَّ يُصْبِحَ وَقَدْ سَتَرَهُ اللَّهُ ، فَيَقُولَ يَا فُلاَنُ عَمِلْتُ الْبَارِحَةَ كَذَا وَكَذَا ، وَقَدْ بَاتَ يَسْتُرُهُ رَبُّهُ وَيُصْبِحُ يَكْشِفُ سِتْرَ اللهِ عَنْهُ". أخرجه البخاري 24/8(6069) و"مسلم" 224/8. وعن ابن عمر رضي الله عنه: قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : "اجتنبوا هذه القاذورات التي نهى الله تعالى عنها فمن ألم بشيء منها فليستتر بستر الله و ليتب إلى الله فإنه من يبد لنا صفحته نقم عليه كتاب الله. رواه الحاكم والبيهقي ، تحقيق الألباني (صحيح) انظر حديث رقم: 149 في صحيح الجامع. قالَ ابن بَطّال: فِي الجَهر بِالمَعصِيَةِ استِخفاف بِحَقِّ الله ورَسُوله وبِصالِحِي المُؤمِنِينَ ، وفِيهِ ضَرب مِنَ العِناد لَهُم ، وفِي السِّتر بِها السَّلامَة مِنَ الاستِخفاف ، لأَنَّ المَعاصِي تُذِلّ أَهلها ، ومِن إِقامَة الحَدّ عَلَيهِ إِن كانَ فِيهِ حَدّ ومَن التَّعزِير إِن لَم يُوجِب حَدًّا ، وإِذا تَمَحَّضَ حَقّ الله فَهُو أَكرَم الأَكرَمِينَ ورَحمَته سَبَقَت غَضَبه ، فَلِذَلِكَ إِذا سَتَرَهُ فِي الدُّنيا لَم يَفضَحهُ فِي الآخِرَة ، والَّذِي يُجاهِر يَفُوتهُ جَمِيع ذَلِكَ. فتح الباري 10:487. وعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: اسْتَحْيُوا مِنَ اللهِ حَقَّ الْحَيَاءِ ، قَالَ: قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ ، إِنَّا نَسْتَحْيِي وَالْحَمْدُ لِلهِ ، قَالَ: لَيْسَ ذَاكَ ، وَلَكِنَّ الاِسْتِحْيَاءَ مِنَ اللهِ حَقَّ الْحَيَاءِ: أَنْ تَحْفَظَ الرَّأْسَ وَمَا وَعَى ، وَالْبَطْنَ وَمَا حَوَى ، وَلْتَذْكُرِ الْمَوْتَ وَالْبِلَى ، وَمَنْ أَرَادَ الآخِرَةَ تَرَكَ زِينَةَ الدُّنْيَا ، فَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ ، فَقَدِ اسْتَحْيَا مِنَ اللهِ حَقَّ الْحَيَاءِ. أخرجه أحمد 387/1(3671). عَنْ مَيْمُوْنٍ قَالَ: "مَنْ أَسَاءَ سِرّاً ، فَلْيَتُبْ سِرّاً ، وَمَنْ أَسَاءَ عَلاَنِيَةً ، فَلْيَتُبْ عَلاَنِيَةً فَإِنَّ النَّاسَ يُعَيِّرُوْنَ وَلاَ يَغْفِرُوْنَ ، وَاللهُ يَغْفِرُ وَلاَ يُعَيِّرُ. سير أعلام النبلاء 9:81. وقال ابن القيم رحمه الله: "الذنوبُ جراحاتٌ ، ورُبَّ جرحٍ وقع في مقْتَلٍ ، وما ضُرب عبدٌ بعقوبةٍ أعظمَ من قسوةِ القلبِ والبعدِ عن اللهِ ، وأبعدُ القلوبِ عن اللهِ القلبُ القاسي "ورحم الله أبا العتاهية حين تخيل لو أن للذنوب رائحة كريهة تفوح فتفضح المذنب كيف يكون حالنا؟ وكيف أن الله قد أحسن بنا إذ جعل الذنوب بلا رائحة. يروى أنهم أتوا إلى عمر رضي الله عنه برجل قد سرق فقال هذا السارق: أستحلفك بالله أن تعفو عني فإنها أول مرة ، فقال عمر رضي الله عنه: كذبت ليست هي المرة الأولى فأراد الرجل أن تثار الظنون حول عمر فقال له: أكنت تعلم الغيب؟ فقال عمر رضي الله عنه: لا ، ولكني علمت أن الله لا يفضح عبده من أول مرة ، فقطعت يد الرجل فتبعه علي بن أبي طالب رضي الله عنه فقال: أستحلفك بالله أهي أول مرة؟ فقال: والله إنها هي الحادية والعشرون. ثانياً: الستر على العاصي من صفات المؤمن الصالح: الستر على أهل المعاصي وعدم تتبع سقطاتهم من صفات المؤمنين الصالحين ، ومن حقوق الأخوة الإسلامية ، قال تعالى: "إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ". وعَنْ سَالِمٍ ، عَنْ أَبِيهِ ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ لاَ يَظْلِمُهُ وَلاَ يُسْلِمُهُ مَنْ كَانَ فِي حَاجَةِ أَخِيهِ كَانَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي حَاجَتِهِ وَمَنْ فَرَّجَ عَنْ مُسْلِمٍ كُرْبَةً فَرَّجَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَنْهُ بِهَا كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ. أَخْرَجَهُ أحمد 91/2(5646) و"البُخَارِي"! 168/3(2442) و"مسلم" 18/8(6670). قال ابن حجر رحمه الله: "أي: رآه على قبيحٍ فلم يُظهِره ؛ أي: للناس ، وليس في هذا ما يقتضي ترك الإنكار عليه فيما بينه وبينه ، ويحمل الأمر في جواز الشهادة عليه بذلك على ما إذا أنكر عليه ونصحه فلم ينتهِ عن قبيحِ فعلِه ثم جاهَر به ، كما أنه مأمور بأن يستتر إذا وقع

منه شيء ، فلو توجَّه إلى الحاكم وأقرَّ لم يمتنع ذلك ، والذي يظهر أن الستر محله في معصية قد انقضَتْ ، والإنكار في معصية قد حصل التلبُّس بها ، فيجب الإنكار عليه ، وإلا رفَعَه إلى الحاكم ، وليس من الغيبة المحرمة ، بل من النصيحة الواجبة. فتح الباري" (5/ 97). وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم ، أَنَّهُ قَالَ: لاَ يَسْتُرُ عَبْدٌ عَبْدًا فِي الدُّنْيَا ، إِلاَّ سَتَرَهُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ. أخرجه أحمد 388/2(9033) و"مسلم" 6686. ومعنى الستر هنا عامٌّ لا يتقيَّد بالستر البدني فقط ، أو الستر المعنوي فقط ، بل يشملهما جميعًا ، فمَن ستَر مسلمًا ستَرَه الله في الدنيا والآخرة ؛ ستَر بدنه كأن رأى منه عورة مكشوفة فستَرَها ، أو رأت امرأة شيئًا من جسد أختها مكشوفًا غير منتبهة إليه فغطَّته ، وستره معنويًّا فلم يظهر عيبه، فلم يسمح لأحدٍ أن يغتابه ولا أن يذمَّه، مَن فعل ذلك ستَرَه الله في الدنيا والآخرة، فلم يفضحه بإظهار عيوبه وذنوبه. عَنْ نَافِعٍ عَنِ ابْنِ عُمَرَ قَالَ: صَعِدَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم الْمِنْبَرَ فَنَادَى بِصَوْتٍ رَفِيعٍ فَقَالَ يَا مَعْشَرَ مَنْ قَدْ أَسْلَمَ بِلِسَانِهِ وَلَمْ يُفْضِ الإِيمَانُ إِلَى قَلْبِهِ لاَ تُؤْذُوا الْمُسْلِمِينَ وَلاَ تُعَيِّرُوهُمْ وَلاَ تَتَّبِعُوا عَوْرَاتِهِمْ فَإِنَّهُ مَنْ تَتَبَّعَ عَوْرَةَ أَخِيهِ الْمُسْلِمِ تَتَبَّعَ اللَّهُ عَوْرَتَهُ وَمَنْ تَتَبَّعَ اللَّهُ عَوْرَتَهُ يَفْضَحْهُ وَلَوْ فِي جَوْفِ رَحْلِهِ. قَالَ وَنَظَرَ ابْنُ عُمَرَ يَوْمًا إِلَى الْبَيْتِ أَوْ إِلَى الْكَعْبَةِ فَقَالَ مَا أَعْظَمَكِ وَأَعْظَمَ حُرْمَتَكِ وَالْمُؤْمِنُ أَعْظَمُ حُرْمَةً عِنْدَ اللَّهِ مِنْكِ. أَخْرَجَهُ الترمذي (2032) الألباني: رقم: 7984 في صحيح الجامع. ولقد ضرب لنا النبي صلى الله عليه وسلم النموذج الأعلى في الستر على الناس وعدم تعييرهم بأخطائهم وهفواتهم ، قال زَيْدَ بن أَسْلَمَ قال خَوَّاتَ بن جُبَيْرٍ ، قَالَ: نَزَلْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَرَّ الظَّهْرَانِ ، قَالَ: فَخَرَجْتُ مِنْ خِبَائِي فَإِذَا أَنَا بنسْوَةٍ يَتَحَدَّثْنَ ، فَأَعْجَبْنَنِي ، فَرَجَعْتُ فَاسْتَخْرَجْتُ عَيْبَتِي ، فَاسْتَخْرَجْتُ مِنْهَا حُلَّةً فَلَبِسْتُهَا وَجِئْتُ فَجَلَسْتُ مَعَهُنَّ ، وَخَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ قُبَّتِهِ ، فَقَالَ: أَبَا عَبْدِ اللَّهِ مَا يُجْلِسُكَ مَعَهُنَّ؟ ، فَلَمَّا رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هِبْتُهُ واخْتَلَطْتُ ، قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ جَمَلٌ لِي شَرَدَ ، فَأَنَا أَبْتَغِي لَهُ قَيْدًا فَمَضَى وَاتَّبَعْتُهُ ، فَأَلْقَى إِلَيَّ رِدَاءَهُ وَدَخَلَ الأَرَاكَ كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى بَيَاضِ مَتْنِهِ فِي خَضِرَةِ الأَرَاكِ ، فَقَضَى حَاجَتَهُ وَتَوَضَّأَ ، فَأَقْبَلَ وَالْمَاءُ يَسِيلُ مِنْ لِحْيَتِهِ عَلَى صَدْرِهِ ، أَوْ قَالَ : يَقْطُرُ مِنْ لِحْيَتِهِ عَلَى صَدْرِهِ ، فَقَالَ: أَبَا عَبْدِ اللَّهِ مَا فَعَلَ شِرَادُ جَمَلِكَ؟ ، ثُمَّ ارْتَحَلْنَا فَجَعَلَ لا يَلْحَقُنِي فِي الْمَسِيرِ ، إلا قَالَ: السَّلامُ عَلَيْكَ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ مَا فَعَلَ شِرَادُ ذَلِكَ الْجَمَلِ؟ فَلَمَّا رَأَيْتُ ذَلِكَ تَعَجَّلْتُ إِلَى الْمَدِينَةِ ، واجْتَنَبْتُ الْمَسْجِدَ وَالْمُجَالَسَةَ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَلَمَّا طَالَ ذَلِكَ تَحَيَّنْتُ سَاعَةَ خَلْوَةِ الْمَسْجِدِ ، فَأَتَيْتُ الْمَسْجِدَ فَقُمْتُ أُصَلِّي ، وَخَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ بَعْضِ حِجْرِهِ فَجْأَةً فَصَلَّى رَكْعَتَيْنِ خَفِيفَتَيْنِ وطَوَّلْتُ رَجَاءَ أَنْ يَذْهَبَ ويَدَعُنِي ، فَقَالَ: طَوِّلْ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ مَا شِئْتَ أَنْ تُطَوِّلَ فَلَسْتُ قَائِمًا حَتَّى تَنْصَرِفَ ، ، فَقُلْتُ فِي نَفْسِي : وَاللَّهِ لأَعْتَذِرَنَّ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ولأُبْرِئَنَّ صَدْرَهُ ، فَلَمَّا قَالَ : السَّلامُ عَلَيْكَ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ مَا فَعَلَ شِرَادُ ذَلِكَ الْجَمَلِ؟ ، فَقُلْتُ: وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ مَا شَرَدَ ذَلِكَ الْجَمَلُ مُنْذُ أَسْلَمَ ، فَقَالَ: رَحِمَكَ اللَّهُ ثَلاثًا ، ثُمَّ لَمْ يُعِدْ لِشَيْءٍ مِمَّا كَانَ. أخرجه الطبرانى (203/4 ، رقم 4146) قال الهيثمى (401/9) رواه الطبرانى من طريقين ورجال أحدهما رجال الصحيح غير الجراح بن مخلد وهو ثقة. قال بعض العلماء: اجتهِد أن تستر العصاة ؛ فإن ظهور معاصيهم عيبٌ في أهل الإسلام ، وأولى الأمور ستر العيوب ، وقال الفضيل بن عياض ـ رحمه الله ـ: "المؤمن يستر وينصح ، والفاجر يهتك ويعير. جامع العلوم والحكم" (1/ 82). لمّا ركب ابن سيرين الدّين وحبس به ، قال: إني أعرف الذنب الذي أصابني يا هذا ، عيّرتُ رجلاً منذُ أربعين سنة ، فقلت له: يا مفلس. وحكى أن عقبة بن عامر ـ رضي الله عنه ـ كان له كاتب ، وكان

جيران هذا الكاتب يشربون الخمر؛ فقال يومًا لعقبة: إنَّ لنا جيرانًا يشربون الخمر ، وسأبلغ الشرَط ليأخذوهم ، فقال له عقبة: لا تفعل وعِظْهُمْ. فقال الكاتب: إني نهيتهم فلم ينتهوا ، وأنا داعٍ لهم الشرَط ليأخذوهم ، فهذا أفضل عقاب لهم. فقال له عقبة: ويحك. لا تفعل ؛ فإني سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (من رأى عورة فسترها كان كمن أحيا موءودة). حكى الشعبي أن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - جلس بين مجموعة من أصحابه ، وفيهم جرير بن عبد الله - رضي الله عنه - وبينما هم جالسون أخرج أحد الحاضرين ريحًا ، وأراد عمر أن يأمر صاحب ذلك الريح أن يقوم فيتوضأ ، فقال جرير لعمر: يا أمير المؤمنين ، أو يتوضأ القوم جميعًا. فسُرَّ عمر بن الخطاب من رأيه وقال له: رحمك الله. نِعْمَ السيد كنت في الجاهلية ، ونعم السيد أنت في الإسلام. البداية والنهاية 61/8. قال سفيان بن حسين: ذكرت رجلاً بسوء عند إياس بن معاوية فنظر في وجهي ، وقال: أغزوت الروم؟ قلت: لا قال: أغزوت الهند أو السند أو الترك؟ قلت: لا قال: أفسلم منك الروم ، والهند ، والسند ، والترك؟! ولم يسلم منك أخوك المسلم! كان معروف الكرخي قاعداً يوم على دجلة ببغداد فمر به صبيان في زورق يضربون بالملاهي ويشربون فقال له أصحابه: أما ترى هؤلاء يعصون الله تعالى على هذا الماء؟ ادع عليهم فرفع يديه إلى السماء وقال: الهي وسيدي كما فرحتهم في الدنيا أسألك أن تفرحهم في الآخرة. فقال له صاحبه: إنما سألناك أن تدعو عليهم ولم نقل ادع لهم ، فقال: إذا فرحهم في الآخرة تاب عليهم في الدنيا ولم يضركم هذا. ابن المُلقِن: طبقات الأولياء 47/1. وعَنْ أَبِي قِلَابَةَ ، أَنَّ أَبَا الدَّرْدَاءِ مَرَّ عَلَى رَجُلٍ قَدْ أَصَابَ ذَنْبًا وَكَانُوا يَسُبُّونَهُ ، فَقَالَ: "أَرَأَيْتُمْ لَوْ وَجَدْتُمُوهُ فِي قَلِيبٍ أَلَمْ تَكُونُوا تَسْتَخْرِجُونَهُ؟" قَالُوا: بَلَى . قَالَ: "فَلَا تَسُبُّوا أَخَاكُمْ ، وَاحْمَدُوا اللهَ الَّذِي عَافَاكُمْ" ، قَالُوا: أَفَلَا نَبْغَضُهُ؟ قَالَ: "إِنَّمَا أَبْغَضُ عَمَلَهُ فَإِذَا تَرَكَ فَهُوَ أَخِي". البيهقي: شعب الإيمان 63/9. ثالثاً: الستر على العصاة ضوابط وحدود: الستر على العصاة في الإسلام له حدوده وضوابطه ، فلطالما لم يجاهر العاصي بالمعصية ويتجرأ بها على الله ويحاول إفساد المجتمع بها ، فإنه يعذر ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، قَالَ: وَلاَ أَعْلَمُهُ إِلاَّ عَنِ النَّبِي صلى الله عليه وسلم ، قَالَ: رَأَى عِيسَى عَلَيْهِ السَّلاَمُ رَجُلاً يَسْرِقُ ، فَقَالَ لَهُ: يَا فُلاَنُ أَسَرَقْتَ؟ قَالَ: لاَ وَاللهِ مَا سَرَقْتُ ، قَالَ: آمَنْتُ بِاللهِ ، وَكَذَّبْتُ بَصَرِي. أخرجه أحمد 383/2(8961). ثم تقدم له النصيحة الخالصة التي لا تفضح ولا تجرح! وأن لا يحاول المرء الاشتغال بعيوب الناس سببٌ في فضح عيوب المشتغِل ، والسكوت عن عيوب الناس سببٌ في ستر الله للعبد ، ومَن نظَر لعيوب نفسه شغلتْه عن عيوب الناس ؛ قال - صلَّى الله عليْه وسلَّم -: يبصر أحدكم القَذَى في عين أخيه وينسى الجذع في عينه. (صحيح) انظر حديث رقم: 8013 في صحيح الجامع. قال المباركفوري: "وأما الستر المندوب إليه فالمراد به الستر على ذوي الهيئات ونحوهم ممن ليس هو معروفا بالأذى والفساد. فأما المعروف بذلك فيستحب أن لا يستر عليه ؛ بل يرفع قضيته إلى ولي الأمر إن لم يخف من ذلك مفسدة ؛ لأن الستر على هذا يُطمعه في الإيذاء والفساد وانتهاك الحرمات وجسارة غيره على مثل فعله ؛ هذا كله في ستر معصية وقعت وانقضت. أما معصية رآه عليها وهو بعد متلبس بها فتجب المبادرة بإنكارها عليه ، ومنعه منها على من قدر على ذلك ؛ ولا يحل تأخيرها ؛ فإن عجز لزم رفعها إلى ولي الأمر إذا لم تترتب على ذلك مفسدة". انظر: تحفة الأحوذي 215/8. أخرج عبد الرازق بن حميد والخرائطي عن المسور بن مخرمة عن عبد الرحمن بن عوف ، أنه حرس مع عمر بن الخطاب ليلة المدينة ؛ فبينما هم يمشون إذ رأوا سراجًا متقدًا في بيت ، فانطلقوا يؤمونه ، فلما دنوا منه إذا باب مجاف "مغلق" على قوم لهم

فيه أصوات عالية ولغط ، فقال عمر ؛ وأخذ بيد عبد الرحمن بن عوف: أتدري بيت مَن هذا؟ قال: هذا بيت ربيعة بن أمية بن خلف وهم الآن شُرب "أي يشربون الخمر جماعةً" فماذا ترى؟ قال عمر: أرى أن قد أتينا ما نهى الله عنه قال الله تعالى (وَلا تَجَسَّسُوا) فقد تجسسنا ، فانصرف عنهم وتركهم. البيهقي في سننه الكبرى رقم: 17403 والدر المنثور (7/ 567). ولقد حث الإسلام على الستر لجميع الذنوب والمعاصي ولكن وفق الضوابط الشرعية ، يقول ابن حجر "في شرح قول النبي صلى الله عليه وسلم "ومَن سَتَرَ مُسلِمًا" ؛ أَي رَآهُ عَلَى قَبِيحٍ فَلَم يُظهِرهُ أَي لِلنّاسِ ، ولَيسَ فِي هَذا ما يَقتَضِي تَرك الإِنكار عَلَيهِ فِيما بَينَهُ وبَينَهُ ، ويُحمَلُ الأَمرُ فِي جَوازِ الشَّهادَةِ عَلَيهِ بِذَلِكَ عَلَى ما إِذا أَنكَرَ عَلَيهِ ونَصَحَهُ فَلَم يَنتَهِ عَن قَبِيحِ فِعلِهُ ثُمَّ جاهَرَ بِهِ. كَما أَنَّهُ مَأمُورٌ بِأَن يَستَتِرَ إِذا وقَعَ مِنهُ شَيء ، فَلَو تَوجَّهَ إِلَى الحاكِمِ وأَقَرَّ لَم يَمتَنِع ذَلِكَ والَّذِي يَظهَرُ أَنَّ السَّترَ مَحَلّه فِي مَعصِيَةٍ قَد انقَضَت ، والإِنكارَ فِي مَعصِيَةٍ قَد حَصَلَ التَّلَبُّس بِها فَيَجِبُ الإِنكارُ عَلَيهِ وإِلاَّ رَفَعَهُ إِلَى الحاكِمِ ، ولَيسَ مِنَ الغِيبَةِ المُحَرَّمَةِ بَل مِنَ النَّصِيحَةِ الواجِبَةِ ، وفِيهِ إِشارَةٌ إِلَى تَركِ الغِيبَةِ لأَنَّ مَن أَظهَرَ مَساوِئَ أَخِيهِ لَم يَستُرهُ. فتح الباري (97:5). إنه لينبغي الستر على المسلم ، ويكون الستر على المسلم الشاعر أكثر وأكثر ، خاصة إن كان قد سخر قلمه وشعره وأدبه في الذود عن القيم والمبادئ والمثل العليا! وتحت عنوان: (المؤمن يستر وينصح ، والفاجر يهتك ويفضح!) يقول الأستاذ موسى الأسود ما نصه بتصرف: (الستر على الناس مطلب شرعي ، وخلق اسلامي نبيل ، وعلى المسلم أن يكون محباً للستر على الآخرين ، لكي يستره الله تعالى في الدنيا والآخرة ، فما من أحدٍ إلا وله ذنوبه وأخطاؤه ومعايبه ، يقول أحد السلف: لو كان للذنوب ريح لما استطاع أحد أن يجلس إلى أحد. وقد روي: لو تكاشفتم ما تدافنتم. يَقُولُ صلى الله عليه وسلم: «مَنْ سَتَرَ مُؤْمِنًا فِي الدُّنْيَا عَلَى خِزْيَةٍ سَتَرَهُ الله يَوْمَ الْقِيَامَةِ». ويقول عليه السلام: «إنك إن اتبعت عورات الناس أفسدتهم أو كدت أن تفسدهم». وقال صلى الله عليه وسلم: «مَن قال في مؤمن ما ليس فيه أسكنه الله ردغة الخبال حتى يخرج مما قال ، وليس بخارج». وردغة الخبال: عُصارة أهل النار. وكل إنسان بحاجةٍ إلى ستر الله تعالى عليه. إن التشهير بالناس من الأمراض الخطيرة التي يتعدى شرها إلى كل فئات المجتمع ؛ فتطال أعراض الناس وحُرماتهم ، خاصة في ظل تطور مواقع التواصل الذي يشهده العالم ، حيث يتخذ المشهِّر التقنية سبيلاً للنيل من الآخرين والطعن فيهم وتشويه سمعتهم. والإسلام يدعو الى الستر وصيانة الأعراض وعدم تتبع عورات الناس والتشهير بهم ، فالله عز وجل ستير يحب الستر ، ويأمر عباده به. وقد جعل الله عز وجل الجزاء من جنس العمل. فمن ستر عورة أخيه ستر الله عورته يوم القيامة ، ومن كشف عورة أخيه كشف الله عورته ، حتى يفضحه بها في بيته. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (يا معشر من آمن بلسانه ولم يدخل الإيمان إلى قلبه ، لا تغتابوا المسلمين ، ولا تتبعوا عوراتهم. فإنه من اتبع عوراتهم تتبع الله عورته ، ومن تتبع الله عورته يفضحه في بيته). وكان النبي صلى الله عليه وسلم حريصاً على ستر العاصين ، فحينما زنى ماعز ، أمره رجل يسمى هزال بأن يذهب للنبي صلى الله عليه وسلم ، ويعترف أمامه بالزنى ، فقال صلى الله عليه وسلم لهزال: «لو سترته بثوبك كان خيراً لك». وهذا يفرض على كل مسلم ، إذا سمع عن أخيه ما يسوؤه أن يبادر بحسن الظن به ، ويرد غيبته حتى لا يشارك في الإثم. قال صلى الله عليه وسلم: من رد عن عرض أخيه رد الله عن وجهه النار يوم القيامة. وإذا شاهد خطيئة تتعلق بعرض أخيه المسلم ولم يجاهر بها فعليه أن يبادر بالستر وألا يفضح أمره أمام الناس ، ولا يتناقل الكلام. فالإنسان مطالب بالستر على

من ليس معروفاً بالأذى والفساد. فلا ينبغي فضح امرئ ستر نفسه. فالإنسان الذي غلبته نفسه فعصى الله في السر ولم يجهر بمعصيته لا يجوز أن نفضحه ، وننشر خطأه بين الناس. ورد عن دُخين كاتب عقبة بن عامر (رضي الله عنه) قال: قلت لعقبة إن لنا جيراناً يشربون الخمر ، وأنا داع لهم الشرطة فيأخذونهم. فقال: لا تفعل ، ولكن عظهم وتهددهم. قال: ففعل فلم ينتهوا. قال: فجاءه دُخين فقال: إني نهيتهم فلم ينتهوا ، وأنا داع لهم الشرط. فقال عقبة: ويحك لا تفعل فإني سمعت رسول الله يقول: من ستر عورة مؤمن فكأنما استحيا موءودة من قبرها. وحذّر الرسول (صلى الله عليه وسلم) من تعيير الناس بالذنوب فقال: من عيّر أخاه بذنب لم يمت حتى يفعله. وقال (صلى الله عليه وسلم): أيما رجل أشاع على رجل مسلم كلمة وهو منها بريء ، يرى أن يشينه بها في الدنيا ، كان حقاً على الله تعالى أن يرميه بها في النار ؛ ثم تلا مصداقه من كتاب الله تعالى: «إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ..». كذلك يمكننا اتباع النصيحة للمسلم بدلاً من التشهير بالأخطاء! وإذا كان الإسلام يدعو للستر على المخطئ فهذا ليس معناه أن نكون سلبيين معه ، أو أن نقف مكتوفي الأيدي أمام ما يرتكبه من أخطاء. ولكن يجب علينا أن ننصحه بالحكمة والموعظة. فالستر لا ينافي النصح بل يتطلبه. قال رسول (صلى الله عليه وسلم): «من رأي منكم منكرا فليغيّره بيده. فإن لم يستطع فبلسانه ، فإن لم يستطع فبقلبه ، وذلك أضعف الإيمان». فإذا رأينا شخصا وقع في الخطأ يجب علينا أن نساعده في الإقلاع عن هذا الذنب ، ونفتح له باب الأمل في التوبة ، ونقدم له النصيحة بالرفق واللين. فالمؤمن يستر وينصح والفاجر يهتك ويعيّر. ويجب أن تكون في السر لأن النصيحة على الملأ فضيحة. قال الإمام الشافعي: «من وعظ أخاه سرّا فقد نصحه وزانه ، ومن وعظه علانية فقد فضحه وخانه»).هـ. وإذن فكل ابن آدم خطاء ، وليس من أحدٍ إلاَّ وله خطأ لا يحب أن يَطَّلِع عليه أحد من الناس ، ولذلك كان السَّتْر على الناس خلق وهدي نبوي ، لما فيه من حفظ عورات الْمسلمين وسترهم ، والإمساك عما يسوؤهم ، فتزداد المحبة وتُحفظ الأخوة بينهم ، فالمؤمن يستُر وينصَح ، ولا يهتك ويفضح . ومن صفات الله عز وجل أنه ستِّير ، يستر الذنوب والعيوب ، وفي حديث النبي صلى الله عليه وسلم: (إن الله عز وجل حَيِيٌّ سِتِّيرٌ ، يحب الحياء والسِّتْر) رواه أبو داود وصححه الألباني ، أي: يحب السترَ لعباده المؤمنين ، ستر عوراتهم ، وستر ذنوبهم ، فيأمرهم أن يستروا عوراتهم ، وأن لا يجاهروا بمعاصيهم في الدنيا ، وهو يسترها عليهم في الآخرة ، ومما لا شك فيه أن العاصي والمخطئ له حق على مجتمعه ، يتمثل في نصحه بأفضل الطرق وأحسنها مع الستر عليه ، والأصل فيمن رأى منكراً أو خطأً أن يقوم - برفق وحكمة - بالإنكار على فاعله ونصحه مع الستر عليه وعدم التشهير به ، ومن ثم كان صلوات الله وسلامه عليه إذا رأى شيئًا يُنكره ويكرهُه من أحد ، عرَّض وألمح ، ولم يُصَرِّح باسم فاعله ، فعن عائشة رضي الله عنها: (كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا بلغه ما يكرهه لم يقل: ما بال فلان يقول كذا ، ولكن يقول: ما بال أقوام يصنعون أو يقولون كذا ، يُكنى عنه ولا يسمى فاعله). رواه أبو داود وصححه الألباني. والسيرة النبوية مليئة بالمواقف والأحاديث في أمر النبي صلى الله عليه وسلم بالستر على المخطئ وعدم فضحه والتشهير به ، ومن ذلك: - عن عبد الله بن عباس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (من ستر عورة أخيه المسلم ستر الله عورته يوم القيامة ، ومن كشف عورة أخيه المسلم كشف الله عورته ، حتى يفضحه بها في بيته). رواه ابن ماجه وصححه الألباني. قال المنذري: "ستر المسلم هو تغطية عيوبه وإخفاء هنَّاته (زلاته وهفواته وقبائحه)". - وروى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه

أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (لا يستر عبد عبداً في الدّنيا إلّا ستره الله يوم القيامة). ـ وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (من ستر مسلما ستره الله في الدنيا والآخرة). رواه ابن ماجه وصححه الألباني. قال ابن حجر: قوله: (ومن ستر مسلماً) أي: رآه على قبيح فلم يظهره ـ أي للناس ـ ، وليس في هذا ما يقتضي ترك الإنكار عليه فيما بينه وبينه". وقال المناوي: "(من ستر أخاه المسلم في الدنيا) في قبيح فعله ، وقوله: (فلم يفضحه) بأنِ اطَّلع منه على ما يشينه (يعيبه) في دينه أو عِرْضِه أو ماله أو أهله فلم يهتكه ولم يكشفه بالتحدث ، (ستره الله يوم القيامة) أي: لم يفضحه على رؤوس الخلائق بإظهار عيوبه وذنوبه ، بل يسهل حسابه ويترك عقابه ، لأن الله حَيي كريم ، وستر العورة من الحياء والكرم". ـ وروى مسلم عن عبد الله بن عمر رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (المسلم أخو المسلم ، لا يظلِمه ولا يُسلِمُه ، من كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته ، ومن فرَّج عن مسلم كُرْبةً ، فرَّج اللهُ عنه بها كُرْبة من كُرَب يوم لقيامة ، ومن ستر مسلماً ، ستره الله يوم القيامة). وفي قصَّة ماعز بن مالك الأسلمي عندما جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم واعترف على نفسه بالزِّنى ، قال النبي صلى الله عليه وسلم للرجل الذي أشار عليه أن يأتي إليه ويقر على نفسه بالزنى: (يا هَزَّال ، لو سَتَرْته بردائك كان خيراً لك). رواه أحمد وصححه الألباني. قال أبو الوليد الباجي: "وقوله صلى الله عليه وسلم لـهَزَّال: (يا هَزَّال ، لو سَتَـرْته بردائك كان خيراً لك) ، يريد: ممَّا أظهرته من إظهار أمره ، فكان ستْره بأن يأمره بالتَّوبة ، وكتمان خطيئته ، وإنَّما ذكر فيه الرِّداء على وجه المبالغة ، بمعنى أنَّه لو لم تجد السَّبيل إلى سِتْره إلَّا بأن تَسْتُره بردائك ممَّن يشهد عليه ، لكان أفضل ممَّا أتاه ، وتسبَّب إلى إقامة الحدِّ عليه". وقال ابن الأثير: "(أَلا سَتَرْته بثوبك يا هَزَّال) ، إنما قال ذلك حُبّاً لإخفاء الفضيحة ، وكراهيةً لإشاعتها". وفي مصنف عبد الرزاق عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه أنه قال: "لوْ لمْ أجِدْ للسارق والزاني وشارب الخمر إلا ثوبي لأحببت أن أستره عليه" ، وفي تفسير الطبري: "عن عامر قال: أتى رجل عمر فقال: إن ابنةً لي كانت وُئِدت في الجاهلية فاستخرجْتُها قبل أن تموت ، فأدْركَت الإسلام ، فلما أسلمت أصابت حداً من حدود الله ، فعمدتْ إلى الشفرة لتذبح بها نفسها ، فأدركتُها وقد قطعت بعض أوداجها (عروقها) ، فداويتُها حتى برِئت ، ثم إنها أقبلت بتوبةٍ حسنةٍ ، فهي تُخْطَبُ إليّ يا أمير المؤمنين ، أفأخبر من شأنها بالذي كان؟ فقال عمر: أتُخْبِرُ بشأنها؟! تعْمَد إلى ما ستره الله فتبديه؟ والله لئن أخبرتَ بشأنها أحداً من الناس لأجعلنك نكالاً لأهل الأمصار ، بل أنكحها (زَوِّجْها) بنكاح العفيفة المسلمة". أمرنا نبينا صلى الله عليه وسلم بالستر عامة والستر على ذوي العثرات من أصحاب الفضل والخير خاصة فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (ومن ستر مسلماً ستره الله في الدنيا والآخرة) رواه مسلم ، قال النووي: "وأما الستر المندوب إليه هنا فالمراد به الستر على ذوي الهيئات ونحوهم ممن ليس هو معروفاً بالأذى والفساد" ، وعن عائشة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (أقيلوا ذوي الهيئات عثراتهم إلا الحدود). رواه أبو داود وصححه الألباني ، قال ابن القيم في قوله صلى الله عليه وسلم: (ذوي الهيئات): "الظاهر أنهم ذوو الأقدار بين الناس من الجاه والشرف والسؤدد ، فإن الله تعالى خصّهم بنوع تكريم وتفضيل على بني جنسهم ، فمن كان منهم مستوراً مشهوراً بالخير حتى كبا به جواده ، وأديل عليه شيطانه فلا نسارع إلى تأنيبه وعقوبته ، بل تُقال عثرته ما لم يكن حداً من حدود الله فإنه يتعيّن استيفاؤه من الشريف كما يتعيّن أخذه من الوضيع ، فإن النبي صلى الله عليه وسلم قال:

(إنما أهلك الذين قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد ، وأيم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها). متفق على صحته ، وهذا باب عظيم من أبواب محاسن هذه الشريعة الكاملة ، وسياستها للعالم ، وانتظامها لمصالح العباد في المعاش والمعاد". وقال الذهبي: "إن الكبير من أئمة العلم إذا كثر صوابه ، وعُلِم تحريه للحق ، واتسع علمه ، وظهر ذكاؤه ، وعُرِف صلاحه وورعه واتباعه ، يُغفر له زلته ، ولا نضلله ونطرحه وننسى محاسنه ، نعم ، ولا نقتدي به في بدعته وخطئه ، ونرجو له التوبة من ذلك". الأخطاء والذنوب إذا اقتصرت على صاحبها وفاعلها، ولم يتحصل منها ضرر على الناس ، فإن باب النصيحة هو المتعَيَّن ، وباب الستر مؤكد ، وأمر المذنب والمخطئ إلى ربه ، إن شاء عاقبه وإن شاء عفا عنه ، وقال ابن عثيمين: "فالستر قد يكون مأموراً به محموداً ، وقد يكون حراماً ، فإذا رأينا شخصاً على معصية ، وهو رجلٌ شرير منهمك في المعاصي ، لا يزيده الستر إلا طغياناً ، فإننا لا نستره ، بل نبلغ عنه حتى يُردع ردعاً يحصل به المقصود". والستر على المخطئ هدي وخلق نبوي ، وهو لا يعني إقراراً لخطأ المخطئ ، ولا تهويناً من زلته ، ولكنه ـ مع الإنكار عليه ومناصحته ـ يأخذ بيده ليستمر في سيره إلى الله ، ويفتح له باب التوبة وتصحيح الخطأ ، إذ ربما يفقد الإنسانُ حياءه عندما تُكْشَف أخطاؤه ، فيتجرَّأ على المزيد من الخطأ ، وقد حثّنا النبي صلى الله عليه وسلم على الستر بفعله وقوله ، وبين لنا أجره وفضله الكبير ، فقال صلى الله عليه وسلم: (من ستر مسلماً ستره الله في الدنيا والآخرة).هـ. وتحت عنوان: (الستر على العاصي أخلاق وضوابط) يقول الدكتور بدر عبد الحميد هميسه: دعانا الشارع الحكيم إلى التجاوز عن العورات والستر على أصحاب المعاصي والسيئات ، وجعل ذلك من الأخلاقيات الطيبة التي ينبغي أن يتحلى بها المسلم ، فالله تعالى لا يحب أن يجاهر الإنسان بكلام السوء ولا بإشاعة السوء ، قال تعالى: "لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَنْ ظُلِمَ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا إِنْ تُبْدُوا خَيْرًا أَوْ تُخْفُوهُ أَوْ تَعْفُوا عَنْ سُوءٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا. عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم ، قَالَ: إِيَّاكُمْ وَالظَّنَّ ، فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الْحَدِيثِ ، وَلاَ تَحَسَّسُوا ، وَلاَ تَجَسَّسُوا ، وَلاَ تَحَاسَدُوا ، وَلاَ تَدَابَرُوا ، وَلاَ تَبَاغَضُوا ، وَكُونُوا عِبَادَ اللهِ إِخْوَانًا. أخرجه أحمد و"البُخاري". فكل ما كان سيئًا من القول ، فالجهر به لا يحبُّه الله عزَّ وجلَّ ، والتفتيش عن عيوب الناس وتتبع عوراتهم وسوء الظن بهم ليس من أخلاقيات المؤمن ، قال تعالى: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا". قال المُفسِّرون: التجسسُ: البحثُ عن عيبِ المسلمين وعورتهم ، أمَّا خَيْر الخلق وأَعْرفُ الخلق بما يُرضي الله ـ تعالى ـ فقد كان عظيمَ الحياء ، عفيفَ اللِّسان ، بعيدًا عن كشف العورات ، حريصًا على كَتْم المعائب والزلاَّت ، كان إذا رأى شيئًا يُنكره ويكرهُه ، عرَّض بأصحابه وألمح ، كم من مرَّة قال للناس: (ما بال أقوام يقولون كذا وكذا) ، (ما بال أقوام يفعلون كذا وكذا). ففي تتبع عورات الناس وفضحهم نشر للرذيلة بين العباد ، وحباً لإشاعة الفاحشة بينهم ، وهو ما حذرنا الله تعالى منه ، قال سبحانه: "إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ". لذا فقد اهتم علماء الإسلام بهذا الباب المهم من أبواب الأدب ، فقد بوب البخاري رحمه الله في كتاب الأدب من صحيحه (باب ستر المؤمن على نفسه) ثم ذكر الأحاديث الدالة على ذلك ، وبوب أيضاً في كتابه الأدب المفرد (باب من ستر مسلماً). وبوب الإمام النووي رحمه الله في كتابه شرح صحيح مسلم: (باب النهي عن هتك الإنسان ستر نفسه). ثم ساق الأحاديث ، وبوب ابن

ماجة في سننه في كتاب الحدود (باب الستر على المؤمن ودفع الحدود بالشبهات) ، أما الفقهاء وأصحاب السلوك فقد بوب البغوي رحمه الله) باب النهي عن تتبع عورات المسلمين ، وباب الستر) ، وفصل في ذلك ابن مفلح الحنبلي في كتابه الآداب الشرعية. وكذلك المفسرون عنو بهذا الموضوع عند ذكر الآيات الدالة كابن كثير في تفسيره. والستر معناه: تغطية المسلم عيوبه وإخفاء هناته ، وعدم كشفها للناس مع طلب التوبة والندم عليها ، وتيقنه بأن الله تعالى يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات ، عَنْ أَبِي مُوسَى ، عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قال: إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ يَبْسُطُ يَدَهُ بِاللَّيْلِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ النهارِ، وَيبْسُطُ يَدَهُ بِالنهارِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ اللَّيْلِ ، حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا. أخرجه أحمد ومسلم. وها هي أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها جاءتْها امرأةٌ ، فأخبرتها أنَّ رجلاً قد أخذ بساقها وهي مُحرمة - أي: حاول كشف عورتها - فقاطعتها عائشةُ ، وأعرضت بوجهها وقالت: "يا نساءَ المؤمنين ، إذا أذنبتْ إحداكُنَّ ذنبًا ، فلا تخبرن به النَّاس ، ولتستغفر الله ، ولتتب إليه ؛ فإنَّ العباد يُعيِّرونَ ولا يُغيِّرون ، والله يُغَيِّر ولا يُعيِّر. مكارم الأخلاق للخرائطي).هـ. وجاء في الدرر السنية ما نصه: (الستر أنواع: أولها: - ستر المسلم نفسه: (المسلم عليه أن يستر نفسه ، فلا يُشْهر خطاياه أمام الخَلْق ، ولا يذكر زلَّاته أمام النَّاس ، ولو كانوا أصدقاءه ، إلَّا على وجه السُّؤال والفتيا ، دون تحديد أنَّه الفاعل ، سيَّما عند من يعرفه)! فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (كلُّ أمَّتي معافى إلا المجَاهرين ، وإنَّ من المجَاهرة أن يعمل الرَّجل بالليل عملًا ، ثم يصبح وقد ستره الله عليه، فيقول: يا فلان، عملتُ البارحة كذا وكذا ، وقد بات يَسْتُره ربُّه ، ويصبح يكشف سِتْر الله عنه)! وقال صلى الله عليه وسلم: (أيُّها النَّاس قد آن لكم أن تنتهوا عن حدود الله، من أصاب من هذه القاذورات شيئًا، فليَسْتَتر بسِتْر الله)! ثانياً: ستْر المسلم لإخوانه المسلمين: وكما يَسْتُر المسلم نفسه ، عليه أن يَسْتُر إخوانه المسلمين ، إذا رأى منهم عيبًا أو خطأً ، قال صلى الله عليه وسلم: (من نفَّس عن مؤمن كُرْبةً من كُرَب الدُّنيا ، نفَّس الله عنه كُرْبةً من كُرَب الآخرة ، ومن سَتَر على مسلم ، سَتَره الله في الدُّنيا والآخرة ، والله في عون العبد ، ما كان العبد في عون أخيه)! ستْر الميِّت: إذا غسَّل المسلم ميِّتًا ، فرأى فيه شيئًا معيبًا ، فعليه أن يَسْتره ، ويكتم أمره ، قال صلى الله عليه وسلم: (من غسَّل ميِّتًا، فكتم عليه، غَفَر الله له أربعين مرَّةً)! والوسائل المعينة على اكتساب صفة السَّتْر: أولاً: أن تعلم فضل السَّتْر، وأنَّ من سَتَر أخاه المسلم، سَتَره الله في الدُّنيا والآخرة. ثانياً: أن تستشعر معنى أخوة الإيمان ، فقد قال الله عزَّ وجلَّ: "إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ" ، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (مثل المؤمنين في تَوَادِّهِم ، وتراحمهم ، وتعاطفهم مثل الجسد ، إذا اشتكى منه عُضْو ، تداعى له سائر الجسد بالسَّهر والحمَّى)! ثالثاً: أن تضع نفسك مكان أخيك الذي أخطأ وزلَّ ، فهل تحبُّ أن تُفْضَح أم تُسْتَر؟ فعن أنس بن مالك رضي الله عنه ، عن النَّبي صلى الله عليه وسلم قال: (لا يؤمن أحدكم، حتَّى يحبَّ لأخيه ما يحبُّ لنفسه) ، وعن عكرمة أنَّ ابن عبَّاس ، وعمَّارًا ، والزُّبير - رضي الله عنهم جميعًا - أخذوا سارقًا ، فخلوا سبيله ، فقلت لابن عبَّاس: (بئسما صنعتم حين خلَّيتم سبيله ، قال: لا أمَّ لك ، أما لو كنت أنت ، لسرَّك أن يُخَلَّى سبيلك)! رابعاً: أن ينشغل العبد بإصلاح نفسه: قال الحسن البصري: (يا ابن آدم ، لن تنال حقيقة الإيمان حتَّى لا تعيب النَّاس بعيب هو فيك ، وتبدأ بذلك العيب من نفسك ، فتصلحه ، فما تصلح عيبًا إلَّا ترى عيبًا آخر ، فيكون شغلك في خاصَّة نفسك). وقيل لربيع بن خُثَيْم: ما نراك تعيب أحدًا ، ولا تذمُّه! فقال: ما أنا على نفسي براضٍ ، فأتفرَّغ من عيبها إلى غيرها)!).هـ. وإذن فالهدف من

إيراد هذه الآيات وتلك الأحاديث وهاتيكم الطائفة العطرة من أقوال سلفنا الكرام لندلل أن عرض المسلم لا يجوز النيل منه بدون وجه حق! والشاعر قبل أن يكون شاعراً هو أخ لنا في الإسلام ينبغي معاملته برفق وحسن ظن! ولا يزال الشعراء يخطئون ويصيبون من قبل امرؤ القيس إلى يومنا هذا وإلى أن يرث الله الأرض بما عليها! ولا يزال الكل يستدرك عليهم ويصحح لهم! وتحت عنوان: (أخطاء الشعراء الكبار) يقول الأديب الأستاذ بداح السبيعي ما نصه: (تأثر الشاعر المبتدئ بشعراء أكبر سنّاً منه وأسبق في نظم الشعر عملية طبيعية يمر بها جميع الشعراء أو معظمهم ، ويأتي التأثر في الغالب بعد مرحلة الإعجاب بشاعر معين ، فيحرص الشاعر المبتدئ على تتبع خطواته والنظم على مِنواله ، وبعد ذلك تكون مرحلة التحرر التي يحاول فيها الشاعر التفوق على نموذجه الشعري وإبداع شيءٍ مختلفٍ لا يُحيل المتلقي على نموذج سابق بصورةٍ صريحة. ومن الأمور السيئة التي ترتبط بمرحلة التأثر ـ وقد تستمر طويلاً ـ إعجاب الشاعر الشاب بكل ما نظمه الشاعر الكبير أو المشهور وتقليده تقليدًا أعمى ، واستبعاده لمسألة وقوع شاعره المفضل في أي أخطاء ، وينتج عن هذا الإعجاب والتقليد تكرار نفس الأخطاء التي يقع فيها أستاذه والدفاع عن تلك الأخطاء باستماته. والمشكلة الواضحة في تعاملنا مع أخطاء الشعراء هي أن الناقد يمتلك جرأة كبيرة في نقد أصغر أخطاء الشعراء المبتدئين أو المغمورين ، أمّا عندما يتعلق الأمر بنقد أخطاء الشعراء الكبار والمعروفين فإن الجرأة تتلاشى كليًا ، وقد نجد الناقد يغض الطرف عن أخطاء الشاعر الصريحة أو يقوم بمحاولة إيجاد تأويلات هزيلة يلتمس فيها الأعذار له ، لتصبح تلك الأخطاء مع مرور الأيام حُجة يحتج بها الشاعر المبتدئ لتبرير خطئه حين يقع في نفس الخطأ. وفي عصور أدبية ماضية رأينا جرأة كبيرة من بعض المتلقين في نقد أخطاء الشعراء الكبار بشفافية ، ومن دون خوف من عواقب النقد ، ومن ذلك على سبيل المثال نقد محمد بن موسى الملقب بـ "سيبويه الموسوس" لبيت المتنبي الشهير الذي يقول فيه:

ومـــن نكـــد الـــدنيا علـــى الحـــر أن يـــرى عـــدوًا لـــه مـــا مِـــن صـــداقته بُـــدُ

فقد رأى بأن هناك ألفاظًا أكثر صحة ودقّة في الاستخدام من لفظ "صداقته" في هذا السياق ، وعندما قابله المتنبي وخاطبه مُستفهمًا: "بلغني أنك أنكرت عليَّ قولي: عدوًا ما من صداقته بُد ، فما كان الصواب عندك؟" ، لم يتردد في توضيح رأيه والقول: "إنّ الصداقة مشتقة من الصدق والمودة ، ولا يسمى الصديق صديقًا وهو كاذب في مودته ، فالصداقة إذن ضد العداوة ، ولا موقع لها في هذا الموضع ، ولو قلت مداراته أو مداجاته لأصبت". وهذا نموذج من نماذج كثيرةٍ جدًا ، ينتقد فيها المتلقي خطأ الشاعر المعروف ، ولا يتردّد في تقديم اقتراحات أو خياراتٍ أفضل تزيد من جودة القصيدة ، وعملية نقد أخطاء الشعراء المعروفين على مستوى الألفاظ أو الصور الشعرية أو المعاني عملية ضرورية تساهم في إيقاف الأخطاء التي يتكرّر من الشعراء الشباب الوقوعُ فيها والدفاعُ عنها بحجة وجودها في أشعار السابقين).هـ. وتحت عنوان: (لماذا يجوز للشاعر ما لا يجوز للكاتب؟!) يقول أستاذنا فهد عامر الأحمدي ما نصه: (اتفقت العرب قديماً وحديثاً على أنه "يجوز للشاعر مالا يجوز لغيره". بمعنى أنه يجوز له كل شيء وفعل أي شيء ـ من مخالفة اللغة وكسر القواعد ، إلى هجاء السادة والتغزل بالحرائر! وبصفتي عضواً في رابطة "الكتاب في الأرض" تتملكني الغيرة ويأكلني الغيظ من هذا التهاون

وسعة البال تجاه الشعراء. أتمنى لو يتبنى المجتمع ـ والنقاد من باب أولى ـ قانوناً موازياً وبنداً مشابهاً مفاده: "يجوز للكاتب مالا يجوز لغيره"! فمن حيث اللغة ؛ يجوز للشاعر ليّ القوافي ومخالفة القواعد واللجوء إلى الضعيف والواهي حتى وصل الأمر حداً خطيراً من التكسير والتجاوز (هذه الأيام) مع ما ندعوه بالشعر النبطي. حتى المتنبي لم يسلم من مواطن الزلل بدليل الأخطاء اللغوية والنحوية والإملائية في كتاب "الوساطة بين المتنبي وخصومة" للجرجاني. ولم يكن للجرجاني من عذر وحجةٍ حيال أخطاء المتنبي سوى العذر القديم (حسناً ، يجوز للشاعر مالا يجوز لغيره). وحين يتسع الفتق على الراقع يلجأ لتبرئة ساحة المتنبي من خلال إيراد أخطاء أكثر شناعة وقع فيها شعراء فطاحل من العصر الجاهلي وهذا في نظري مجرد تبرير الخطأ بالخطأ! ولو كنت مؤلف الكتاب لما سلمت بدوري من التحيز للمتنبي ، ولكنني كنت سأسلك طريقاً أكثر عقلانية وسلامة وإقناعاً للناس. سأقول: إن المتنبي رجلٌ مبدعٌ خلق بمخالفاته اللغوية قواعد لغوية جديدة وأساليب مبتكرة في النحو والإملاء. علمنا أشكالاً جديدة من التراكيب النحوية والتوافيق اللغوية والبدائل الإملائية. وإن لم يرق هذا الرأي لحُماة اللغة العربية والقواعد الحجرية سأسألهم بلا تردد: لماذا إذاً تطالبون الكتّاب بالكمال ، وتتغاضون عمن يتبعهم الغاوون! لماذا تتم محاسبة كتّاب ومفكرين لا يسعون لاستعراض مهاراتهم اللغوية (بقدر إيصال رسالتهم من خلال لغة يفهمها الناس) في حين يتم التجاوز عن شعراء تعد "اللغة المتقنة" عماد بضاعتهم وصميم عملهم بصرف النظر عن فهم الناس أو كما قال البحتري:

علـــيّ نحـــت القـــوافي مـــن معادنهـــا ومـــا علـــيّ إذا لـــم تفهـــم البقـــرُ!

ولست من دعاة العامية ، ولكنني على قناعةٍ بأن الوظيفة الأساسية لأي لغة هي إيصال المعاني بدقة ووضوح وفهم كاملين. وهذان المطلبان لا يتحققان إذا تقيدنا بكل الكلمات والتعابير القديمة واعتبرنا كل الكلمات والتعابير الجديدة أخطاء! وتجاوزاً لقواعد النحو! على أي حال ؛ لاحظوا أننا مازلنا نتحدث عما ندعوه لغة فصحى. فالشق الثاني من الموضوع هو الازدواجية والتساهل مع الشعراء في قضايا (يفترض) أنها حساسة ودقيقة في أعرافنا العربية. فالعرب قديماً ـ كما هو حديثاً ـ كانوا يتقاتلون على "التمرة" ويختلفون على "النواة" وعلى من سبق الآخر "داحس" أم الغبراء". ومع ذلك كانت أشرس القبائل تتساهل ـ وبل تستأنس ـ حين يتغزل الشاعر ببناتها ويصف محاسنهن وطيب السمر معهن خارج مضارب القبيلة. ولو عدنا لسير التابعين والصالحين لوجدنا لبعضهم أبياتاً في الشعر والغزل لم تهز مكانتهم أو تقلل من قدرهم أو تثير حفيظة العامة ضدهم. وحتى وقت قريب كان لدينا في المدينة شيخ جليل (أتحفظ على اسمه) له دروس منتظمة في الحرم يحرص الناس على حضورها وتسجيلها. وذات يوم لاحظ أحد طلابه أنه ـ كلما انصرف من حوله الناس ـ سحب كتيباً (من داخل المشلح) يقرأ فيه ثم يخفيه حين يقدم عليه أحد. فسأله الطالب ما هذا يا شيخ؟ فقال هامساً: "مصارع العشاق" نروح بها القلوب كي لا تصدأ! ومرة أخرى أطالب بأن يكون للكتّاب ـ أسوة بالشعراء ـ نصيبٌ من سعة البال وافتراض حسن النية. ويا حبذا لو تبدأ أقسام التصحيح في مؤسساتنا الصحفية بتبني هذا المبدأ!).هـ. وأشكر للأديب الأستاذ فهد عامر الأحمدي هذه النفحات التي استعنا بها هنا في هذا التقديم للقصيدة لندلل أن الشعراء ليسوا أنبياء لتكون

قصائدهم وحياً منزلاً لا سبيل إلى إيراد الخطأ فيه ولا الاستدراك عليها! ولقد يفهم من كلامي أنني لا أفرق بين الضرورات الشعرية التي كتبها وحددها علماء العروش والقافية لكل شاعر ، وبين الأخطاء التي يقع فيها الشاعر إن بقصد أو بغير قصد! إن الفرق بينهما كالفرق بين السماء والأرض! وتحت عنوان: (الضرورة الشعرية والخطأ اللغوي) يقول الأديب الأستاذ رمزي العبيدي ما نصه: (إنَّ الضرورة الشعرية هي: ما اعتاد النحاة القدامى أنْ يطلقوه على ما ورد في شواهدهم الشعرية ـ التي يريدونَ منها إثبات صحَّة قاعدةٍ نحوية أو فرعٍ منها قد يكون نادراً أو شاذاً ـ من الشواذ والنوادر التي وردَتْ في شعر العرب الأقدمينَ من الجاهلية حتى بشار بن برد (65 - 167هـ) - (713 - 783م) ، فقد كان آخر الشعراء الذين استشهد سيبويه بشعره ، ذلك بعد أنْ هدَّده بشار بأنَّه سيهجوه شعراً وينال منه إذا لم يستشهد بأشعاره ، ففعل سيبويه مرغماً ، ولأنَّ سيبويه فعل ، فقد استشهد غيره بشعرٍ لبعض شعراءٍ غير ابن برد من الذين سبقوه ، وانتهى الاستشهاد الشعري به ، وكانتْ نيَّة سيبويه أنْ يوقف الاستشهاد حتى بشعراء النقائض ـ جرير والفرزدق والأخطل والراعي النميري ـ لذا فلا ضرورة لشاعر بعد بشار بن برد ، وما ورد في أشعار مَن توفي بعد عام (167هـ ـ 738م) فإنَّه يقع في باب الخطأ اللغوي. فقد عاب النقاد على أبي نواس قوله في بيت من بحر مجزوء الكامل العروضي:

نبِّـــهْ نَـــدِيْمَكَ قَـــد نَعـــسْ يَسْـــقِيْكَ كَأسَـــاً فِـــي الغَلَـــس

والصحيح أنْ يقول: (يَسْقِكَ) بجزم جواب الأمر بحذف حرف العلة الذي هو الياء ؛ وعابوا عليه قوله:

كَمَـــنَ الشَّـــنْآنُ فِيـــهِ لَنَـــا كَكُمُـــونِ النـــار فِـــي حَجَـــرِه

والصواب أنْ يقول: (حجرها) ، لأنَّ النار مؤنَّثة ، وقد أخطأ في رأيي غير المتواضع مَن أوَّله على وجهٍ لا ضرورة فيه ، بأنْ قال بأنَّ أبا نواس يقصد أو يريد أنْ يقول: (كَكُمُون النارِ في حَجَر الكمون) باعتبار أنَّ (الكمون) هو مذكر مضاف إلى النار ، وقد كذب أبو نواس على نفسه وعلى الناس عندما فسَّر هذا البيت على وجهٍ ليس فيه ضرورة ، بأنْ قال: (ردَدْتُ التذكير إلى النور) بمعنى أنَّه قصد ما يلزم من النار والذي هو نورها ، فقد أخطأ ورفض الاعتراف بخطئه واستخدم ذكاءه في التأويل والتبرير ؛ وتسألني لمَ ترفض التأويلينِ اللذين يبدوان للوهلةِ الأولى مقنعينِ؟ ، أقول: لقد حكمته القافية فالبيت من قصيدةٍ له مطلعها:

أيُّهـــا المُنْتَـــابُ عَـــن عُفْـــرِه لَسْـــتَ مِـــن لَيْلِـــي ولا سَـــمَرِه

لاحظوا أنَّ أبا نواس لزم في هذا المطلع ما لا يلزم في التقفية ؛ وعابوا عليه في نفس القصيدة ، قوله:

كَيْـــفَ لا يُـــدنِيْكَ مِـــن أمَـــلٍ مَـــن رَسُـــولُ اللهِ مِـــن نَفَـــرِه

وما نقدوه إلا لأنَّه قلب المعنى بسبب القافية التي حكمته وتحكَّمَتْ به ، فالمعنى الأصلي هو: (مَن هو من نفر رسول الله) ، ودافع عن أبي نواس بعض النقاد بأنْ توهَّموا أو حاولوا إيهامنا بأنْ قولته هنا ليس فيها خلل ، بأنْ ادَّعوا أنَّه مَن كان من نفر رسول الله فرسول الله من نفره! ، ففي هذا عندي مغالطة كبيرة وقلبٌ للمعاني أيضاً ، ولا أريد التفصيل وأكتفي بالإشارة إلى هذه المغالطة وأصفها بالكبيرة ، حتى لا يكفِّرونني! ؛ والأبيات من بحر عروضي هو مجزوء الكامل. وعابوا عليه في البحر الطويل قوله:

شُـــمولاً تَخَطّتهـــا المَنُـــونُ فَقَـــد أتَـــتْ سِـــنُونٌ لَهَـــا فِـــي دَنِّهَـــا وَسِـــنُونُ

تُـــرَاثُ أنَـــاسٍ عَـــن أنَـــاسٍ تخَرَّمُـــوا تَوارَثَهَـــا بَعـــدَ البَنِـــينِ بَنُـــونُ

قالوا رفع نون الجمع ، وقد أجاز النحاة لغيره من الشعراء ذلك في الضرورة الشعرية ، وليس لأبي نواس ضرورة شعرية كما شرحْتُ وبيَّنْتُ ، لكنَّ بعض العرب يجرونَ النون الزائدة مجرى الأصلية فيعربونها في الشعر وغيره ، ويجعلونها بمثابة كلمة واحدة مع ما اتصلتْ به ، فإذا كان أبو نواس من هؤلاء فلا خطأ عنده ، وهذا الموضوع ـ موضوع النون الزائدة ـ فيه خلاف وفيه نظر ؛ وعندي: إنَّ أبا نواس أخطأ وتمادى في الخطأ. كما عابَ نقاد الشعر على أبي تمَّام قوله:

مِـــن كُـــلِّ أظمَـــى الثَـــرَى وَالأرضُ قَـــد نَهِلَـــتْ وَمُقشَـــعِرّ الرُبَـــا وَالشَـــمسُ فِـــي الحَمَـــلِ

البيت من بحر البسيط العروضي ، والصحيح أنْ يقول: (ظمآن الثرى) لا (أظمى الثرى) ، لأنَّ الواحدة (ظمأى) كـ (عطشان وعطشى) ، ولا ضرورة فيه إذا قصد أبو تمَّام بـ (أظمى) معنى آخر هو: (أسود) ، فكأنَّه أراد سواد التراب أو سماره ، فقد قالتِ العرب: (رمحٌ أظمى) إذا كان أسمر ، و (فتاة ظمياء) إذا كانت كذلك. وعابوا عليه قوله:

أظَـــنُّ دُموعَهـــا سَـــنَنَ الفَريـــدِ وَهِـــي سِـــلكَاهُ مِـــن نَحـــرٍ وَجيـــدِ

فقد أراد أنْ يقول: (أظُنُّ سَنَنَ دُموعَها سَنَنَ الفَريدِ) ، فـ (السَنَن: الطريق) ، فهو يشبِّه تتابع الدموع بتتابع الفريد النادر ، وكان الصحيح أنْ يقول: (أظنُّ دموعها الفريد) لأنَّه هو الذي يشبه الدموع لا طريقه ، ولو قال ذلك لاختلَّ عنده البحر العروضي الذي هو الوافر. أمَّا المتنبي ـ مالئ الدنيا وشاغل الناس ـ فقد عابوا عليه قوله:

خَلَـــتِ الـــبِلادُ مِـــنَ الغَزَالَـــةِ لَيلَهَـــا فَأَعَاضَـــهَاكَ اللّهُ كَـــي لا تَحزَنَـــا

هذا البيت من البحر الكامل ، وهو آخر بيتٍ من قصيدةٍ للمتنبي مطلعها:

الحُـــبُّ مَـــا مَنَـــعَ الكَـــلامَ الألسُـــنَا وَألَـــذُ شَـــكوَى عَاشِـــق مَـــا أعلَنَـــا

ختم المتنبي هذه المطولة الرائعة ببيت فيه ضعفٌ في التأليف ، فقد وصل الضميرينِ اللذينِ كان يجب عليه فصلهما في قوله: (فَأَعَاضَهَاكَ) ، ليس هذا فقط بلْ قدَّم فيهما الواجب تأخيره ، وهو الهاء ، فالصواب أنْ يقول: (فأعاضكَ الله إيَّاها) ، ولو قال كذلك لتهدَّم عنده بحر الكامل العروضي. ومن نفس البحر عابوا عليه في قصيدةٍ أخرى قوله مكرِّراً الضمير:

جَفَخَتْ وَهُم لا يَجفَخُونَ بِهَا بِهِم شِيَمٌ عَلى الحَسَبِ الأَغَرِّ دَلائِلُ

فقد لجأ المتنبي إلى التعقيد اللفظي ليُسَوِّي أو يستوي عنده البحر العروضي ، فقد كان كلامه خفيَّ الدلالة على المعنى المراد ، فالألفاظ غير مرتبة وفق ترتيب المعاني ، والسبب تكرار الضمير ، فقصده أو أصل الكلام عنده: (جفخَتْ بهم شيم دلائلٌ على الحسب الأغرِّ ، وهم لا يجفخونَ بها) ، وبهذا البيت شوَّه رائعته التي ورد فيها ومطلعها:

لَكِ يا مَنازِلُ في القُلوبِ مَنازِلُ أَقفَرْتِ أَنتِ وَهُنَّ مِنكِ أَواهِلُ

ومن بحر الكامل أيضاً عابوا عليه قوله:

هَذي بَرَزْتِ لَنا فَهُجْتِ رَسِيْسَا ثَمَّ اِنثَنَيْتِ وَمَا شَفَيْتِ نَسِيْسَا

فقد أخطأ بأن أسقط حرف النداء (يا) مع المبهم الذي هو (هذي) ، فالصحيح أنْ يقول: (يا هذي ، أو يا هذه). وعابوا عليه من بحر الكامل كذلك قوله:

جَلَلاً كَمَا بِيَ فَليَكُ التَبرِيحُ أَغِذَاءُ ذَا الرَشَأِ الأَغَنِّ الشِيحُ

فالصحيح أنْ يقول: (فليكنْ التبريحُ) ، فنون (كان) المحذوفة عند الجزمِ يجب إعادتها إذا لاقَتْ الألف واللام ، وهنا أخطأ المتنبي خطأ نحوياً شنيعاً. وعابوا عليه أيضاً قوله:

أَحَادٌ أَم سُداسٌ فِي أَحَادِ لُلَيْلَتِنَا المَنوطَةَ بِالتَنَادِ

فقد أخطأ في هذا البيت الذي هو من بحر الوافر في ثلاثة مواضع ، أولها: أنَّه صرَّف (أحاد) الممنوع من الصرف ، وثانيها : قوله (سداس) والعرب لم تجاوز في العدد (رباع) ، وآخرها : إنَّه حذف الياء من آخر تصغيره لـ (ليلة) ، فقد قال: (لُيَيلَتُنَا) ، والصحيح أنْ يقول: (لُيَيلَيتُنا) ؛ هذا ما قاله عنه نقاد الشعر ، وفيه أقول: إنَّه أخطأ في صرف (أحاد) الممنوع من الصرف في موضعينِ ، وأخطأ في تصغير (ليلة) ، لكنَّه لم يخطأ في قوله (سداس) لأنَّ القياس لا يمنع ، ولا يعتدُّ بأنَّ العدد (رباع) هو أعلى ما ورد في قرآن المسلمينَ ، لأنَّه ورد في تحديد أعلى عدد للزوجات التي يحقُّ للمسلم الواحد أنْ يجمعها على ذمَّته في وقتٍ واحد ، والقياس لا يمنع كما

قلنا ، جاء في شعر الكميت بن زيد الأسدي ما لمْ يعترضْ عليه النحاة ، أو يعتبروه من الضرورات الشعرية ـ باعتبار أنَّ للكميتِ ضرورة ـ قوله في بيت من بحر المتقارب:

فَلَـــمْ يِتَريثَـــوكَ حَتَّـــى رَمَيْـــ ـــتَ فَـــوقَ الرِجَـــالِ خِصَـــالاً عُشَـــارَا

وعابوا على المتنبي أيضاً قوله:

واحَـــرَّ قَلبَـــاهُ مِمَّـــن قَلبُـــهُ شَـــبِمُ وَمَـــن بِجِســـمِي وَحَـــالِي عِنـــدَهُ سَـــقَمُ

البيت من بحر البسيط العروضي ، أخطأ فيه المتنبي بأنْ وصل المندوب وحرَّك الهاء الساكنة التي تدخل في الوقف ، كما أنَّه أسقط الياء من المضاف إليه ، فالصحيح أنْ يقول (واحرَّ قلباه). وعابوا عليه من بحر البسيط نفسه قوله:

ابعِـــدْ بَعِـــدْتَ بَياضـــاً لا بَيَـــاضَ لَـــهُ لأنـــتَ أســـوَدُ فِـــي عَينِـــي مِـــنَ الظُلَـــمِ

الصحيح أنْ يقول: (أشدُّ سواداً) ، فلا يصحُّ لغة أنْ تقول: (هذا أسود من هذا) ، بل: (هو أشدُّ سواداً) ، وفي التعجب لا يصحُّ قولك: (ما أسودَه) ، بلْ تقول: (ما أشدَّ سواده) ، وقد استغرب نقاد الشعر من المتنبي وأنكروا عليه قوله هذا وهو في معنى التعجُّب. ومن البحر الطويل عابوا عليه قوله:

حَمَلْـــتُ إِلَيـــهِ مِـــن لِسَـــانِي حَدِيقَـــةً سَـــقَاها الحِجَـــى سَـــقيَ الرِيَـــاضَ السَـــحَائِبِ

فقد فرَّق المتنبي بين المضاف والمضاف إليه وخفضه ـ أي أبقاه مجروراً ـ فالصحيح والصواب أنْ يقول: (سقيَ السحائبِ الرياضَ) أو (سقيَ الرياضَ السحائبُ) ، والأمران لا يتناسبان ولا يلاءمانِ البحر العروضي وقافيته. لمْ يقتصر نقد نقاد الشعر العربي القدامى على هؤلاء الشعراء الثلاثة ـ (أبو نواس وأبو تمَّام والمتنبي) ـ الذينَ مثَّلْتُ لهم ، لكنَّني اخترتهم لأنَّ كلَّ واحدٍ منهم يمثِّل قامة شاخصة من قامات الشعر العربي ، فأبو نواس (146 - 198هـ ، 763 - 813م) هو أوَّل مَن خصَّ الخمرة بقصيدة منفردة ولم يسبقه إلى ذلك غيره ، وأبو تمَّام (188 - 231هـ ، 803 - 845م) هو رأس الشعراء المولِّدِينَ أو هو الأبرع في توليد المعاني ، أمَّا المتنبي (303 - 354هـ ، 915- 965م) فهو مالِئ الدنيا وشاغل الناس بأشعاره ومعانيها ؛ وربَّما اقتصر اختياري لهم أو عليهم لأنَّني وجدْتُ معظم شواهدهم التي نقلتها مجموعة في كتاب واحد هو: (ما يجوز للشاعر في الضرورة) لأبي عبد الله محمد بن جعفر التميمي النحوي المعروف بالقزاز القيراوني ، وبإمكان القارئ الكريم أنْ يكتشف بعد أنْ يضع هذا الكتاب بين يديه أنَّني ردَدْتُ رواية الأبيات إلى صيغتها التي جاءَتْ بها في دواوين شعرائها ـ (أبو نواس ، وأبو تمام ، والمتنبي) ـ وكتبْتُ عليها تعليقاتي ورأيي الذي هو خاصٌ بي ، والذي ليس بالضرورة أنْ يتطابق مع رأي المصنِّف ورأيي والمحققينِ ، وقد كثر الاختلاف معهم أو قلَّ توافقي معهم جميعاً ، وقد أضفْتُ على تلك الشواهد شاهدينِ للمتنبي أحفظهما في ذاكرتي

وتحققتُ منهما لدى مراجعتي لديوانه ، وأعرف غيرهما لكنَّني لا أريد الإطناب والإطالة أكثر ممَّا أطنبْتُ وأطلْتُ. وقد برع نقاد الشعر في جانبٍ آخر هو نقدهم للمعاني ، وبرع الشعراء كذلك في التأويل والتبرير والأمثلة على ذلك كثيرة وعديدة أكتفي بسوق بعضٍ منها: * قال أحدهم لبشار بن برد: إنَّك لتجيء بالشعر المتفاوت ، قال بشار: وما ذاك؟ ، قال: (تقول شعراً ثير به النقع) ـ أي الغبار ـ في قولك:

كَـــأَنَّ مُثَـــارَ النَقـــعِ فَـــوقَ رُؤُوسِـــنَا وَأَســـيافَنا لَيـــلٌ تَهَـــاوَى كَوَاكِبُـــه

وتخلع به القلوب ، مثل قولك:

إِذا مَـــا غَضِـــبْنَا غَضـــبَةً مُضَـــرِيَّةً هَتَكْنَـــا حِجَـــابَ الشَـــمسِ أو تُمطِـــرَ الـــدَمَا

إِذا مَـــا أَعَرْنَـــا سَـــيِّداً مِـــن قَبيلَـــةٍ ذُرَا مِنبَـــرٍ صَـــلّى عَلَينـــا وَسَـــلّما

إلى أنْ تقول:

رَبابَـــــــةَ رَبَّـــــــةَ البَيـــــــتِ تَصُـــــبُّ الخَـــــلَّ فـــــي الزَيـــــتِ

لَهـــــا عَشـــــرُ دَجاجـــــاتٍ وَديـــــكٌ حَسَـــــنُ الصَـــــوتِ

فقال بشار: لكلِّ شيءٍ وجهٌ وموضع ، فالقولان الأوَّلان جِدٌ ، وهذا الأخير قلته في جاريتي ربابة ، لأنَّني لا آكل البيض من السوق ، وربابة هذه لها عشرُ دجاجاتٍ وديك ، وهي تجمع البيض منها وتحفظه لي ، وهذا القول عندها أحسنُ من قول: (قِفَا نَبْكِ مِن ذِكرَى حبيبٍ ومنزلِ) عندك. * واجتمع الفرزدق وجرير عند عبد الملك بن مروان في مجلسه ، فقال الفرزدق: النوار بنتُ مجاشع ـ زوجته ـ طالقٌ ثلاثاً إنْ لم أقلْ قولاً لا يستطيع ابن المراغة ـ لقب أم جرير ، لقبها به الفرزدق ، والمراغة: الأتان ، أو أنثى الحِمار العادي والوحشي ـ أنْ ينقضه أبداً ولا يجد في الزيادة عليه مذهباً ، فقال عبد الملك ما هو:

فَهَـــل أَحَـــدٌ يَـــا ابـــنَ المرَاغَـــةِ هَـــارِبٌ مِـــنَ المَـــوتِ؟ ، إِنَّ المَـــوتَ لا بُـــدَّ نائِلُـــه

فَـــإِنِّي أَنَـــا المَـــوتُ الّـــذي هُـــوَ ذاهِـــبٌ بِنَفسِـــكَ ، فَـــانظُر كَيـــفَ أَنـــتَ مُحاوِلُـــه ؟

سكت جرير قليلاً ، ثمَّ قال: أمُّ حرزة ـ زوجته ـ طالقٌ ثلاثاً إنْ لم أكن نقضته وزدْتُ عليه ، فقال عبد الملك: هاتِ فقد والله طلَّق أحدكما لا محالة ، فأنشد:

أَنـــا البَـــدرُ يُعشِـــي طَـــرفَ عَينَيـــكَ فَـــالتَمِسْ بِكَفَّيْـــكَ يَـــا ابـــنَ القَـــيْنِ هَـــلْ أَنـــتَ نَائِلُـــه ؟

أنـــا الـــدَهرُ يُفنِـــي المَـــوتَ وَالـــدَهرُ خَالِـــدٌ فَجِئْنِـــي بِمِثْـــلِ الـــدَهرِ شَـــيئاً يُطَاوِلُـــه

بين بيتي جرير ثلاثة أبيات أخرى حذفتهما لأركِّز على المعنى المنشود ؛ وابن القين هو: الفرزدق لا غيره ، والقينُ هو الحداد ، وكان جرير لصعصعة جدِّ الفرزدق قيون ، منهم: جبير ووقبان وديسم ، فلذلك جعل جرير قوم الفرزدق قيوناً ، وكان جرير أيضاً ينسب غالب بن صعصعة والد همام الفرزدق إلى جبير القين. فقال عبد الملك للفرزدق: فضلك والله وطلَّق عليك ، فقال الفرزدق: فما يرى أميرُ المؤمنينَ ، فقال الخليفة: وأيم الله لا تريم ـ يقصد: لن أدعك والله تربح المكان ـ حتى تكتب إلى النوار بطلاقها ، فتأنَّى الفرزدق وحاول التهرُّب ، فزجره عبد الملك ، فكتب بطلاقها! وعابوا على الأحوص قوله لعمر بن عبد العزيز:

وأَرَاكَ تَفعَـــلُ مَـــا تقـــولُ وَبَعضُـــهم مَـــذَقُ الحـــديثِ يَقُـــولُ مَـــا لا يَفعَـــلُ

لأنّ َالملوك لا يُمدحونَ بما يلزم عليها فعله أو القيام به ، بل تمدحُ بالإغراق والتفضيل بما لا يستطيع غيره فعله. * وعاب نفرٌ من النقاد على كثيِّر عزَّة قوله:

أريْـــدُ لأنسَـــى ذِكرَهَـــا فَكأنّمـــا تَمَثَّـــلُ لِـــي لَيلَـــى بِكُـــلِّ سَـــبِيلِ

فقالوا: إذا كان يحبُّها لماذا يريد أنْ ينسى ذكرها؟ * وعابوا على يزيد بن مالك الغامدي قوله:

أكُـــفُّ الجَهـــلَ عَـــن حُلَمَـــاءِ قَـــومِي وأعْـــرِضُ عَـــن كَـــلامِ الجَاهِلِينَـــا

إذا رَجُـــلٌ تَعَـــرَّضَ مُسْـــتَخِفّاً لنَـــا بِالجَهـــلِ أوشَـــكَ أنْ يَحِيْنَـــا

لأنَّه أوجب لنفسه في البيت الأوَّل الحلم والإعراض عن الجُهَّال ، ونفى ذلك بعينه في البيت الثاني بتماديه في معاقبة الجاهل بأقصى عقوبة وهي القتل. * وقف أبو نواس بين يدي الفضل بن يحيى البرمكي ، مادحاً إيَّاه وآله ـ آل برمك ـ بقصيدة مطلعها:

أرَبْـــعَ البَلَـــى إنَّ الخُشُـــوعَ لَبَـــادِي عَلَيـــكَ وَإنِّـــي لَـــمْ أخُنْـــكَ وِدَادِي

ولمَّا وصل إلى قوله في آخرها:

سَـــلامٌ عَلَـــى الـــدُنيَا إذا مَـــا فَقِـــدْتُمُ بَنِـــي بَرمَـــكٍ مِـــن رائِحِـــينَ وَغَـــادِي

اشمأزَّ منه الفضل وكشَّر في وجهه واغتاظ منه وكرهه ، ثم أطرق قائلاً له: ويحك نعيْتَ إلينا أنفسنا يا أبا نواس! * واستهجنوا قول أبي محجن الثقفي في وصف جاريةٍ مغنية:

وتَرْفَعُ الصَوتَ أحيَانَاً وَتخفضُهُ كَمَا يَطِنُّ ذبَابُ الروضَةِ الهَزِجُ

فقالوا أيُّ قينةٍ هذه التي تحبُّ أنْ تُشبَّه بالذباب ؛ وقالوا بأنَّه سرق بيت عنترة بن شداد العبسي في وصف ذباب الرياض فقلبه مفسداً المعنى ، وهذا البيت المسروق هو:

وَخَلا الذُبَابُ بِهَا فَلَيسَ بِبَارِحٍ غَرِداً كَفِعلِ الشَارِبِ المُتَرَنِّمِ

* كذلك استهجنوا قول محمد بن أحمد بن حمدان المعروف بالخباز البلدي ـ نسبة إلى مدينة (بلد) العراقية ـ ذلك الشاعر الأميُّ المتوفى سنة (380هـ ـ 990م) ، والذي قال عنه أبو منصور الثعالبي صاحب كتاب (يتيمة الدهر): (كان أمياً وكان حافظاً للقرآن يقتبس منه ، ..... ، ومن عجيب شأنه أنَّه كان أميَّاً وشعره كلُّه مُلحٌ وتحفٌ ، وغررٌ ولُطف ، لا تخلو مقطوعة له من معنىً أو مثلٍ سائر) ، قلتُ: ومع ذلك استهجنوا قوله:

كَأنَّ شَقَائِقَ النُعمَانِ فِيهِ ثِيَابٌ قَد رُوِيْنَ مِن الدِمَاءِ

كَأنَّ شَقَائِقَ النُعمَانِ فِيهِ ثِيَابٌ قَد رُوِيْنَ مِن الدِمَاءِ

مع أنَّ تشبيه الشاعر هنا هو تشبيه مصيب ، إلا إنَّ فيه بشاعة في ذكر الدماء. * واستقبح قول الداهية بشار بن برد:

وَجَدَّت رِقَابُ الوَصلِ أسيَافَ هَجرِنَا وَقَدَّت لِرجْلِ البَينِ نَعلَينِ مِن خَدِّي

فقالوا: ما أهجن (رجل البين) وأقبح استعارتها ولو كانتْ الفصاحة بأسرها فيها ، وكذلك قالوا عن (رقاب الوصل). * أمَّا أبو تمام فقد نال نصيبه من استقباح النقاد واستهجانهم وتعييبهم شعره ، ومن ذلك قوله:

فَلَوَيْتَ بِالمَوعُودِ أعنَاقَ الوَرَى وَحَطَمْتَ بِالإنجَازِ ظَهْرَ المَوعِدِ

فالمعنى في غاية الرداءة ، وفي (حَطْم ظهر الموعد) استعارة قبيحة جداً ، فالإخلاف هو الذي يحطم ظهر الموعد لا الإنجاز. وقوله:

تَحَمَّلتَ ما لَو حُمِّلَ الدَهرُ شَطرَهُ لَفَكَّرَ دَهراً أيُّ عِبأَيهِ أثقَلُ

قالوا: ليس هناكَ معنىً أبعد من الصواب من هذه الاستعارة المَكنيَّة ، بأنْ جعل للدهر عقلاً وجعله مفكِّراً في أيِّ العِبأينِ أثقل. ومثله قوله السابق في نفس القصيدة:

بِيَـومٍ كَطَـولِ الـدَهرِ فِـي عـرضِ مِثلِـهِ وَوَجـدِيَ مِـن هَـذا وَهَـذاكَ أَطـوَلُ

فمن المحال أنْ يكون للدهر عرضٌ. كذلك استهجنوا إلباسه الزمان صوفاً بعد أنْ كانوا رداءً له ، في قوله:

كَـانُوا بُـرُودَ زَمَـانِهِم فَتَصَـدَّعُوا فَكَأَنّمَـا لَـبِسَ الزَمَـانُ الصُـوفَا

ولم يستحسنوا تشبيهه الظُلم بالبعير ووصفه له بأنَّه بارك ، في قوله:

كُلُـوا الصَـبرَ غَضَّـاً وَأشـرَبُوهُ فَـإِنّكُم أَثَـرْتُم بَعِيْـرَ الظَلَـمِ وَالظَلـمُ بَـارِكُ

* وكان الآمدي صاحب كتاب (الموازنة بين الطائيينِ) قد استهجن واستقبح قول أبي عبادة البحتري في مدح الخليفة المعتزِّ بالله:

لا العَـذْلُ يَردَعُـهُ وَلا الـ تَعْنِيفُ عَـن كَـرَمٍ يَصُـدُّهُ

فقال : وهذا عندي من أهجن ما مُدِح به خليفة وأقبحه ، مَن ذا يعنِّف الخليفة أو يصدُّه ؟ ، إنْ هذا بالهجو أولى منه بالمدح. وهناك نوع أخيرٌ من نقد الشعر العربي لن أتطرَّق إلى نماذجه حتى لا تطول هذه المقالة أكثر ممَّا طالتْ ، وهو ما استحسنوه منه وأثنوا عليه ، علماً أنَّ عندي منه شواهد كثيرة ، كما أنَّ عندي شواهد أخرى كثيرة ممَّا عابوه واستهجنوه واستقبحوه غير التي ذكرتها لم أتطرَّق إليها لنفس السبب. لم يبقَ لي في هذه الأكتوبة إلا أنْ أشير إلى أنَّها رسالة إلى كلِّ مَن يتصدَّونَ لكتابة الشعر ويضمِّنونه أخطاءً لغوية بادِّعاءٍ باطل أنَّها ضرورات شعرية ، فلا علاقة للخطأ اللغوي بالضرورة الشعرية التي توقفتْ عند بشار بن برد المتوفى سنة (167هـ - 783م) ، كما شرحتُ وبيَّنتُ قبلاً. أمَّا شويعري ما يسمُّونها أو يطلقونَ عليها (قصيدة النثر) ، فأقول لهم: أنا لا أعرف أنَّ للنثر قصيدة ، وقد كتبْتُ عن ذلك في مقالة سابقة لي ، وعندي عن النثر وقصيدته المزعومة بحثٌ طويلٌ ضافٍ سأنشره يوماً ما على صفحات جريدة (الزمان) إذا راق القائمينَ على النشر فيها واستحسنوه ، وسأناقش فيه بالتفصيل المُمِلِّ موضوعَ ترجمة أشعار الشعراء الغربيينَ الذين قلَّدهم شويعرونا ولبسوا ثوبهم ، ومنهم ابتدعوا بدعتهم التي سمَّوْها (قصيدة النثر) ، وخلطوا بينها وبين الشعر الحرِّ ، من دون معرفةٍ ودرايةٍ ، وللأسف ساعدهم بعض نقَّادنا على ذلك كلِّه بأنْ أثنوا عليهم ومدحوهم أو سكتوا ، حتى لا يُتَّهمونَ - أو لا يتهمونهم - بالرجعيَّة والانغلاق ؛ وسأبتعد فيه عن ذكر أسمائهم حتى لا أجرح مشاعرهم ، وربَّما أبتدع لهم نصوصاً قريبة من كتاباتهم بتغيير بعض المفردات أو إضافة أخرى من عندي ، حتى لا أقتبس نصوصهم التي سأسفِّه عباراتها وأطعن ببيانها وأفكِّك تراكيبها المفكَّكة أصلاً ، فأحزنهم على أنفسهم ، وأغضبهم منِّي. وأخيراً وليس آخراً : هذا ما

عنَّ لي اليوم من ملاحظاتٍ ، آملاً أنْ ألتقيكم في مناسباتٍ أخرى أعرض لكم فيها نماذج نقدية أخرى عن نقد شعر العرب ونثرهم).هـ. إنه درسٌ لكل شاعر وأديب أن يعلم: (وفوق كل ذي علم عليم). وعلى أن الخنساء صحابية شاعرة قديرة ، أحبُها وأجلها ، ولا أنتقص قدرها أبداً – رضي الله عنها وأرضاها –. إلا أنني أذهب إلى أن حسان بن ثابت كان أشعر منها ومن النابغة الذبياني. وقد قرأتُ ودرستُ ديوان كلٍّ منهم فألفيت حساناً شاعراً لا يعاب ، وسطرت فيه قراءتي الأسلوبية التحليلية المعروفة ، انتصاراً لمكانته بين شعراء الصحابة (تلك القراءة الأسلوبية التي تقع في ثلاثمائة صفحة من القطع الوسط. وهي عبارة عن مجموعة مقالات أدبية نشرت جميعها في جريدة الوحدة العربية ما بين 1993م وحتى 1996م في التسعينات من القرن المنصرم). في ص 135 من كتاب (الأجوبة المسكتة) لإبراهيم عبد الله الحازمي ، يقول: (عرضت الخنساء شيئاً من شعرها في معرض الشعر في عكاظ على النابغة الذبياني رئيس الموسم ، فقال لها: اذهبي فأنت أشعر من كل ذات ثديين ، ولولا أن الأعمي (يعنى الأعشى الشاعر) أنشدني قبلك لفضلتك على شعراء هذا الموسم. وكان ممن عرض شعره حسان بن ثابت الشاعر المعروف ، فغضب وقال للنابغة: أنا أشعر منك ومنها. فقال النابغة الذبياني: أجيبيه يا خنساء. فقالت الخنساء مُعقبة ، وبكل ثقةٍ من الفوز والانتصار الساحق: يا حسان ، ما هو أجود بيت في قصيدتك هذه التي عرضتها الآن؟ فقال حسان – رضي الله عنه - بكل ثقةٍ ويقين وعزةٍ كذلك: أجوده قولي:

لنـــا الـجـفـــنات الـغـــرّ يـلـــمعن بالـضـــحى وأسـيـافـنـــا يقطـــرن مِـــن نجـــدةٍ دمـــا

فقالت الخنساء: والله يا حسان لقد ضعف افتخارك في ستة مواضع: * أولا: قلت: (الجفنات) وهي ما دون العشر ، ولو قلت: (الجفان) لكان أكثر. * ثانياً: قلت: (الغر) ، والغرة: البياض في الجبهة. ولو قلت: (البيض) لكان أكثر اتساعاً. * ثالثاً: قلت: (يلمعن) ، واللمع شيء يأتي بعد شيء ، ولو قلت: (يشرقن) لكان أكثر ، لأن الإشراق أدوم من اللمعان. * رابعاً: قلت: (بالضحى) ، ولو قلت: (بالدجى) لكان أكثر للطارقين. * خامساً: قلت: (أسياف) وهي ما دون العشرة ، ولو قلت: (سيوف) لكان أكثر. * سادساً قلت: (دماً) ، والدماء أكثر من الدم. فسكت حسان ولم يحر جواباً).هـ. إن كثيراً من النقاد العرب وغير العرب في القديم والحديث يدندنون على هذا الشاهد ليثبتوا بأن الخنساء – رضي الله عنها – بذلك تكون أكثر شاعرية ودقة في فهم ونقد الشعر من حسان بن ثابت. وهم لا يقولون ذلك إحقاقاً للحق ، بل للنيل من حسان فقط. على منهج الأصمعي عندما ذهب إلى أن شعر حسان قد لان بعد دخوله الإسلام ، الأمر الذي لو كانت الخنساء حية ما أقرته على حسان بعد إسلامه. إن هذه المغالطات يعرفها كل من له خبرة وعلم بالشعر العربي تأليفاً ونقداً. والحقيقة أنني حللتُ هذا الخبر ، ووقفت عنده وتأملته طويلاً. ثم درستُ أقوال النقاد وآراءهم فيه. وكانت النتيجة أن حسان بن ثابت أشعر منها بمراحل. إذ الشاعر لا يُحكمُ عليه من بيت أو بيتين ولا من قصيدة بأكملها أو قصيدتين. إنما العُمدة على مُجمل شعره. والذي يطالع ديوان حسان كاملاً ، ويُحلل مادته الشعرية يمكن بسهولة ويسر أن يدرك ما لحسان من المكانة بين شعراء العربية في زمانه وفي زماننا هذا. وعلى النقيض من ذلك فالذي يطالع ديوان الخنساء يدرك أن المادة الشعرية فيه قد تغلب جانب فيها على آخر. فأصبحت الخنساء بهذا الديوان رائدة الرثاء بين شواعر العرب. على حين كان ديوان حسان

روضاً مئنافاً يشتمل على كل فنون وأغراض الشعر من الوصف والغزل والفخر والرثاء والمدح والانتصار للحق وأهله. ومن هنا جاز القول عندي بدون تحفظ بأن حسان أشعر منها. وفي كلٍّ خير. هذه صحابية مباركة ، وهذا صحابي مبارك. وكان رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يعجبه شعر كل منهما ، ويتذوقه ويطلب الاستزادة منه ، والشواهد على هذا كثيرة ولله الحمد والفضل والمنة. والحقيقة أن حسان منذ أسلم ضمّن شعره كثيراً من النصوص القرآنية والنبوية. وتابع الدكتور أسامة عطية عثمان رسالة علمية تثبتُ صدق الذي نقول! حيث نوقشت بقاعة الواحة بكلية الآداب رسالة الماجستير التي تقدم بها الطالب محمد بن حامد الشمري وعنوانها: "التناص في ديوان حسان بن ثابت". وقد عرض البحث ما انتهت إليه جوليا كريستيفا من نتائج بحوثها الإجرائية في هذا المجال بعد أن استفادت من الإرث النظري ، الذي حدد معالمه ميخائيل باختين في دراساته العميقة في مفهوم الحوارية ، حيث طورت جوليا كريستيفا النتائج البحثية التي انتهى إليها باختين وقسمت مفهومها للتناص إلى ثلاثة مستويات هي: * الاجترار: هو أخذ النص السابق بمعناه ومبناه. * الامتصاص: هو الاكتفاء بأخذ معنى النص السابق دون المبنى. * التجاوز: هو إذابة النص السابق في النص اللاحق إذابة يتعذر معها الوقوف على النص الأصلي ومعرفته لدى القارئ المتعجل. وقد كشفتْ دراسة ديوان حسان بن ثابت في ضوء ظاهرة التناصّ عن طبقات النصوص التي يستخدمها الشاعر ولا يصرح بها في أغلب الأحيان في إنشاء نصوصه الشعرية التي تتميز بالانفعال الكامل بالإسلام والتأثر الواضح بالقرآن الكريم ، والتركيز الجلي على صفات الرسول صلى الله عليه وسلم والقيم الأخلاقية التي يدعو إليها ، وصناعة هذه الأشعار صناعة فنية تتخذ من التناص سمة بارزة لشعره ، ولقد توصل البحث إلى نتائج منها: أنّ حسان بن ثابت أنشأ أشعاره وهو متمثّل النصّ القرآني والأحاديث النبوية والأحداث التاريخية تمثّلاً جيّداً. وهو ما يؤشّر على مدى إعجاب الشاعر بهذه النصوص الدينية التي قامت عليها الدعوة الإسلامية من جهة ، وبالنصوص التاريخية التي وثّق البحث لها ، من جهة ثانية. إذا لم يعلن الشاعر عن النصّ المصدر الذي يبنى عليه نصّه اللاحق ، فإنّ القارئ لا يجد صعوبة في العثور على نسق التناصّ الذي هو بصدده ، إذ غالباً ما يرد التّناصّ في ديوان حسّان بن ثابت النسق الاجتراري ، يليه النسق الامتصاصي ، فالنسق التجاوزي ، وهو ما يثبت ولع الشاعر بهذه النصوص واتجاهه الواضح نحو الاقتباس منها اقتباساً مباشراً. كما أظهر البحث تشكّل شعر حسّان من نسيج علاقات تناصّية جعلته ملتقى نصوص وقيم عاضد بعضها وعارض بعضها الآخر ، فكشف بآلية التناصّ عن تحوّلات عقائدية وتاريخية واجتماعية أعادت النظر في أبرز الثوابت والقيم الجاهلية).هـ. والذي يقرأ القصة السابقة يتوهم أن النابغة عندما أيد الخنساء في ردها على حسان محق في نقده! ثم رد قدامة بن جعفر (المتوفى سنة 337 هـ) في كتابه نقد الشعر على النابغة وبين أنه أجحف في نقده ، يقول قدامة بن جعفر: فإن النابغة على ما حكي عنه لم يرد من حسان إلا الإفراط والغلو ، وعلى أن من أنعم النظر علم أن هذا الرد على حسان من النابغة خطأ بين ، وأن حسان مصيب ، فمن ذلك أن حسان لم يُرد بقوله الغر أن يجعل الجفان بيضاً وإنما أراد بقوله الغر: المشهورات ، كما يقال يوم أغر ، وليس يراد البياض في شيء من ذلك ، بل تراد الشهرة . وأما قول الخنساء في : يلمعن بالضحى ، أنه لو قال: بالدجى ، لكان أحسن من قوله: بالضحى ، إذ كل شيء يلمع بالضحى ، فهو خلاف الحق وعكس الواجب ، لأنه ليس يكاد يلمع بالنهار من الأشياء إلا الساطع النور الشديد الضياء ، فأما الليل فأكثر الأشياء مما له

أدنى نور وأيسر بصيص يلمع فيه ، فمن ذلك الكواكب ، وهي بارزة لنا مقابلة لأبصارنا دائما تلمع بالليل ويقل لمعانها بالنهار حتى تختفي ، وكذلك المصابيح ينقص نورها كلما أضحى النهار ، والليل تلمع فيه عيون السباع بشدة بصيصها. أما قول الخنساء ، إن قوله في السيوف يجرين خير من يقطرن لأن الجري أكثر من القطر ، فلم يرد حسان الكثرة ، وإنما ذهب إلى ما يلفظ به الناس ، ويعتادونه من وصف الشجاع الباسل والبطل الفاتك بأن يقولوا سيفه يقطر دما ، ولم يسمع: سيفه يجري دماً ، ولعله لو قال يجرين دما لعدل عن المألوف المعروف من وصف الشجاع إلى ما لم تجرِ عادة العرب به (انتهى كلام قدامة بن جعفر). وإنما انصب كلامي على: (من الأشعر منهما حسان أم الخنساء؟) وخلصتُ إلى أن حسان هو الأشعر. ورحتُ أنشد في الإشادة بحسان – رضي الله عنه – هذه القصيدة!) ، وتحت عنوان: (أخطاء الشعراء) يقول الأستاذ الأديب صالح الشايجي ما نصه بتصرف: (ما أجمل عالم الشعر وما أجمل السباحة في بحوره والغوص في معانيه وصوره وأخيلته! إنه أجمل العوالم الإبداعية قاطبة وأشدها جاذبية للناس وأكثرها تأثيراً في النفس البشرية. وما سأكتبه اليوم في هذه المقالة لا يحمل تنقيصاً من مكانة الشعر العلية، ولكنه مجرد تساؤل واستغراب. وقد قال العرب قديما «الشعر ديوان العرب» لإعلاء شأنه ومكانته. وقالوا أيضاً «يحق للشاعر ما لا يحق لغيره» وهذا القول الأخير هو مربط فرس مقالتي هذي وهنا مناخها أو منصة إطلاقها. لا أدري ما هو القصد من القول «يحق للشاعر ما لا يحق لغيره» ، هل القصد بلاغي أدبي بمعنى أن يجنح في الخيال والمبالغة ويهيم في أجواء متخيلة لا علاقة لها بالواقع ، أم أن من حقه الخروج عن القواعد والمبادئ الأدبية المعروفة. وسأورد أمثلة لما أثار استغرابي مما ورد في أشعار كبار الشعراء لا صغارهم. يقول أمير الشعراء أحمد شوقي:

فـــــإذا رحمـــــت فأنـــــت أمٌ أو أبٌ هــذان فــي الــدنيا همــا «الرحمــاءُ»!

والشاهد هنا أن يكون الوصف جمعاً والموصوف مثنى فهو يصف «هذان» بـ «الرحماء» بدل «الرحيمان». وهذا مخالف لقواعد النحو العربي. ويقول «شوقي» أيضاً: «أنا من بدّل بالكتب الصحابا» وهو أخطأ هنا في إدخاله حرف الباء على المبقى عليه لا على المتروك ، والباء تدخل على المتروك المستبدّل لا على المبقى عليه. والأصوب أن يقول: «أنا من بدّل بالصحب الكتابا». وثمة بيتان من الشعر مشهوران جداً ويرددان في خِتام كثير من أصواتنا الغنائية:

يـــا أم عمـــرو جـــزاك الله مكرمـــةً ردي علـــيّ فـــؤادي أينمـــا كانـــا

«لا تأخـــذين» فـــؤادي تلعبـــين بـــه وكيـــف يلعـــب بالإنســـان «إنســـانا»

أما البيت الأول فهو سليم وخال من الشوائب ولكن البيت الثاني حوى خطأين ، حيث أخطأ الشاعر بإلغائه مفعول لا الناهية الجازمة والموجبة حذف النون في فعل «تأخذين» ، وكان عليه أن يقول «لا تأخذي» ، أما الخطأ الآخر ففي نصبه للفاعل وقوله: «إنسانا» وكان يجب أن يقول «وكيف يلعب بالإنسان إنسانُ» بدلاً من «إنسانا». فهل كل تلك الخروجات من حق الشاعر حتى يستقيم الوزن وتتناسق القافية! وبعض الشعر يتضاد مع القوانين الكونية. (كم

تذكرتُ سويعات الأصيل ### وصدى الهمسات ما بين النخيل). أليس المكان المليء بالأشجار لا صدى للصوت المنطلق فيه. وأيضاً يقول نزار قباني في واحدة من أشهر قصائده:

«الحب في الأرض بعض من تخيلنا لو لم نجده عليها لاخترعناه»

أي: إن الحب في الأرض مجرد تخيل وغير موجود ، ثم يعود ليقول: لو لم نجده على الأرض لاخترعناه. تناقض واضح مفضوح ، ولكنه مر مرور الكرام عليه وعلى محمد عبد الوهاب ملحن القصيدة وأيضا على من غنتها وهي نجاة. ويقول شاعر قديم:

قلت قراطيسكم أم جف حبركم أم كاتب مات أم أقلامكم (كسرا)

أم المطايا التي من بيننا ضلعت أم الطريق الذي من بيننا (خطرا)

ويحتوي البيتان بالنظر إليهما من الزاوية النحوية على خطأين متمثلين في كلمة «كسرا» في ختام البيت الأول و«خطرا» ختام البيت الثاني. فنحن نقول عادة الأقلام كسرت بالتأنيث أما الشاعر فذكرها بقوله «كسرا». أما خطؤه في كلمة «خطرا» في البيت الثاني فلأن الكلمة مرفوعة بالضمة لكونها خبرا للمبتدأ وهو كلمة «الطريق» ويجوز فيها الرفع فقط ولا يجوز النصب كما وردت في البيت المذكور. لا أظن أن هؤلاء الشعراء يجهلون القاعدة ، ولكن هذا مما يسمى بالضرورة الشعرية ، فهل تصل الرخصة التي أعطيت للشعراء إلى حد التكسير البين لقواعد اللغة؟! وفي قصيدة شهيرة تنسب للإمام الشافعي بيت يقول فيه:

سلام على الدنيا إذا لم يكن بها صديق صدوق صادق الوعد منصفا

وحسب قواعد النحو المعروفة فإن الصفة تتبع الموصوف ، ولقد طبقها الإمام فوصف كلمة الصديق والتي جاءت مرفوعة بالضمة بالصدوق وصادق الوعد ، وهما صفتان مرفوعتان تتبعان موصوفهما ، ولكنه في الصفة الثالثة وهي «منصفا» نراه قد شذ عن القاعدة فنصب صفة لموصوف مرفوع. لا يمكن أن يقع الإمام الشافعي في مثل هذا الخطأ ، وبالتأكيد هناك مبررات ومسعفات لغوية لجأ إليها الإمام فكتب بمثل هذه الصورة ، وكذلك بقية الشعراء الذين ترصدت بعض أشعارهم).هـ. وتحت عنوان: (خطأ لغوي في ديوان شوقي) يقول الأستاذ محمد جمعة الدربي ما نصه: (قد يتبادر إلى الذهن أنني أشير إلى قول شوقي:

أنا مَن بدَّلَ بالكُتْب الصِّحابا لم أجدْ لي وافيًا إلا الكِتابَا

حيث يدَّعي كثيرٌ من الباحثين أن الباء لا تدخل إلا على المتروك ، مستدلين بالاستعمال القرآني ؛ مثل قول الله تعالى: (أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ) ، وقوله تعالى: (وَمَنْ يَتَبَدَّلِ الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ) ، ولكننا نطمئنُّ إلى أن ما جاء به النص القرآني يصلُح

للإثبات ، ولا يصلح للنفي ، بمعنى أنه يصلُح دليلًا على صحة الاستعمال المعيَّن ، لكن لا يصلُح دليلًا على خطأ ما عداه ، فالقرآن لم يجمَع اللغة العربية جميعها ، والقرآن ليس هو المصدر الوحيد للصحة اللغوية ، وربَّ عبارة لم يأتِ بها القرآنُ ، جاء بها غيرُه من النصوص الموثقة ، فارتفَع الحرَجُ عن استعمالها) ، وقد كان في إمكان أمير الشعراء أن يقول: (أنا مَن بدَّل بالصَّحْبِ الكِتابا ....)! ولكنه أدخَل الباء على المأخوذ غيرَ مضطرٍّ ، موافقًا لصحة ـ بل فصاحة ـ ذلك الاستعمال ؛ فقد جاء في شعر الطفيل بن عمرو الدوسي ـ لَمَّا أسلَم ـ في وصف النبي صلى الله عليه وسلم:

فـــــألْهَمَني هُـــــداي اللّهُ عنـــــه وَبَـــدَّلَ طـــالعيْ نَحْســـي بسَـــعْدِي

على الرغم من قدرته على أن يقول: (..... .... وَبَدَّلَ طَالِعَيْ سعدي بنحسي)! وقد كان في إمكان الطفيل أن يقول أيضًا محافظًا على القافية: (.... .... وبدَّل طالعي سعدي بنَكْدِ)! ونقل ثعلب عن الفراء أنه يقال: أبدلتُ الخاتم بالحَلْقة: إذا نحَّيتَ هذا وجعلتَ هذه مكانه ، وبدَّلتُ الخاتم بالحلقة: إذا أذبتَه وسوَّيتَه حلقةً ، وبدَّلتُ الحلْقة بالخاتم: إذا أذبتَها وجعلتَها خاتمًا) ، وجاء في المصباح المنير: وأبدلتُه بكذا إبدالًا: نحَّيتُ الأول وجعلتُ الثاني مكانه)]. ولم يكن غريبًا أن تتخذ لجنةُ الأصول بمجمع اللغة العربية بالقاهرة قرارًا بجواز إدخال الباء على غير المتروك ، وأن تجعل المدار في تعيين ذلك على السياق. أما الخطأ الذي نودُّ الإشارة إليه ، فهو كلمة مَناه) في قول شوقي:

كشَّـــــافةَ مصـــــر وصِـــــبيتُها ومَنـــــاهُ الـــــدار ومُنيتُهـــــا

فقد ضُبِطت الكلمة في إحدى الطبعات بالتاء المضمومة ، وإهمال حركة الميم ، وكذلك فعلت وزارة التربية والتعليم المصرية في مقرر الصف الأول الإعدادي على مدار عدة أعوام ، وفسَّرتها بالأمل ، وسألتْ الطلاب في بعض الأنشطة والتدريبات عن مفرد الكلمة! وضُبِطت في طبعات أخرى بالتاء المضمومة مع فتح الميم ، في حين ضبطتْها مكتبة الآداب بضم الميم والتاء. وفي نقاش بين الباحثين ، زعَم بعضُهم أن الكلمة محرَّفة عن بُناه ، وهذا زعمٌ لا دليلَ عليه ؛ لأنه يعني أن بالكلمة تحريفين ، وإذا كان من السهل تحريف التاء المربوطة إلى هاء ، فمن الصعب تحريف الباء إلى ميم في الدواوين الحديثة ، فضلًا عن ضَعف المعنى الذي يُسبِّبه هذا الزعم! أليس وصفُ الكشَّافة بأنهم شرفُ الدار وسُمُوُّها في المستقبل ، أبلغَ من وصفهم بأنهم بناةٌ فقط؟! ورأى آخرون أنها جمع مانٍ ؛ مثل: قاضٍ ، وهذا يُوقع أمير الشعراء في حرَج لغوي وديني ؛ حيث إن لفظ الماني يَرِدُ بمعنى المُقدِّر ؛ كما في قول أبي قلابة الهذلي:

ولا تَقـــولَنْ لشـــيءٍ ســـوفَ أفْعَلُـــه حتـــى تبـــيَّنَ مـــا يَمنـــي لـــك المـــاني

أي: يقدِّر لك القادرُ. والذي أَطمئنُّ إليه أن أمير الشعراء أراد مَناهُ بفتح الميم وبالهاء المضمومة ، وهي مصدر ميمي من: ناهَ الشيءُ ينوه: إذا علا وارتفع أو قوِي ، فمَناهُ الدار: شرفُها وسُمُوُّها ، أو قوَّتُها. وقد فطِن إلى هذا الأستاذ إبراهيم الإبياري ، وإن لم يفطَن إلى

صحة - وربما فصاحة - إدخال الباء على المأخوذ).هـ. ويقول الأستاذ بلال أحمد ما نصه: (عرف العرب الشعر موزوناً قبل أن يضع الخليل بن أحمد أوزانه وكان شعرهم فصيحا قبل أن يضع أبو الأسود الدؤلي قواعد النحو ثم فصل الخليل العروض على مقاس أشعارهم ووضع الدؤلي القواعد على مجرى كلامهم وأما ما خرج من شعرهم عن الوزن والقواعد فهو خطأ أو ضرورة شعرية أو إقواء. "الإقواء في الشعر العربي" كتيب للدكتور مزيد اسماعيل نعيم يفصل فيه أخطاء الشعر وزناً وقواعد منذ الجاهلية مروراً بالعصور الذهبية للشعر في العصرين الأموي والعباسي. واختلف العلماء على معنى الإقواء كما ورد في الكتاب فمنهم من أرجعه لزحاف في موسيقا الشعر ومنهم من أرجعه لخطأ في النحو ومع ذلك فقد اعتبر ما وقع فيه الشعراء من أخطاء مقصودة أضرتهم عليها الموسيقا أو القافية ضرورات شعرية جائزة في الشعر ممنوعة في غيره وهذه الضرورات وان لم يتم حصرها في كتاب أو دراسة فهي معدودة من صرف الممنوع من الصرف وإطلاق القافية وزيادة حروف المد في بعض الكلمات لاستقامة الوزن وترخيم الأسماء في النداء وسواها. ويبين نعيم كيف وقع معظم شعراء العصر الجاهلي في الإقواء على صعيد الوزن والإعراب فالنابغة الذبياني في معلقته التي تنتهي بحرف الروي الدال المكسورة يقول فيها "وبذاك خبرنا الغراب الأسود" ليجيء حرف الروي مضموماً دون أن ينتبه الشاعر حيث يروي الكتاب أن النابغة لم يقتنع بخطئه حين حدثه بعضهم عنه حتى سمعه مغنى فلم يعد إلى ذلك ثانية. كما يورد الإقواء في قصائد عمرو بن كلثوم وامرئ القيس وأبي ذؤيب الهذلي وسواهم من فحول الشعر الجاهلي ومن ذاك معلقة الحارث بن حلزة التي تنتهي بروي مضموم حيث قال فيها بيتا ينتهي بروي مكسور في قوله: "فملكنا بذلك الناس حتى *** ملك المنذر بن ماء السماء". كما وقع في الإقواء شعراء العصر الأموي كالفرزدق وعبد الله بن مسلم الهذلي ومن العصر العباسي كالبحتري واستمرت ظاهرة الإقواء ثم اضمحلت حتى لا نكاد نرى لها أثراً. يقع الكتيب الصادر عن الهيئة العامة السورية للكتاب في 80 صفحة من القطع الصغير ويذكر أن مؤلفه الدكتور مزيد اسماعيل نعيم له العديد من المؤلفات في البلاغة والنحو والصرف منها أساس البلاغة للزمخشري وتصريف الأفعال وعلم المعاني والنحو ومسائله).هـ. وقال الأستاذ فيصل سليم التلاوي: (ليس الشاعر نحوياً) ما نصه: (ليس الشاعر نحوياً ولا ينبغي له أن يكون كذلك ، وإلا فارقه إلهام الشعر الذي لا يرتضي (ضرة) ، ولا يقبل المنافسة مع سائر الفنون الأدبية. وعندها يستبدل دفقاته الغزيرة الصافية الصادقة بنتاج صانع محترف ، كأنما ينحت كلماته بإزميل نحات ماهر ، فتأتي بديعة الشكل والقوام ، لكنها جسد خالٍ من الروح ، و من النفس المتوهجة الوثابة. وقد اختلف الشعراء منذ القدم في طريقة معاودتهم النظر في قصائدهم بعد فراغهم منها ، و ذلك منذ البدايات الأولى للشعر ، فقد وجدت فئة قليلة من شعراء العصر الجاهلي تعاود النظر مدققة فاحصة لقصائدها ، مطيلة التأمل والمراجعة حتى سُمّوا (عبيد الشعر) ، و منهم من كان يمضي حولاً كاملاً في مراجعة قصيدته ، حتى سميت قصائدهم بالحوليات ، و من أبرز هؤلاء زهير بن أبي سلمى. ومن الشعراء من يعاود النظر بعد الفراغ من البيت الواحد أو من القصيدة كلها ، مدققاً في سلامة كلماتها ، وفي مطابقتها للقواعد النحوية خاصة رويّها ، ويكتفي بهذه المراجعة السريعة. ومنهم من لا يلقي بالاً لذلك ، ويترك الأمر على عواهنه ، وعلى الصورة التي تفتقت عنها قريحته ، وتدفقت على لسانه للوهلة الأولى. وتبعاً لذلك ولأن الغيث لا يخلو من العيث ، فإن المتتبع المدقق لا بد وأنه ملتقط لدى كبار الشعراء قبل صغارهم هفوات نحوية

ولغوية أحياناً ، مَرَدُّ بعضها للغفلة والتسرع وعدم الانتباه ، وذلك وارد حتى عند شعراء المعلقات في العصر الجاهلي. فقد روي في كتب تاريخ الأدب أن النابغة الذبياني لما أنشد قصيدته (المتجردة) ، التي وصف فيها زوجة الملك النعمان بن المنذر ، والتي مطلعها:

مـــن آل ميـــةَ رائـــحٌ أو مغتـــدي عجـــلان ذا زادٍ وغيـــر مُـــزوَّدِ

مضى فيها إلى قوله:

زعـــم البـــوارحُ أن موعـــدنا غـــدا وبـــذاك خبرنـــا الغـــرابُ الأســـودُ

ولم ينتبه إلى ما في ذلك من إقواءٍ برفع الدال في كلمة الأسودُ على عكس سائر القصيدة ، التي رويها دال مكسورة (مُزودِ) ، لاحظ سامعوه ذلك و تهيبوا أن يُخَطِئوه مباشرة ، فأوعزوا إلى جارية أن تتغنى بالقصيدة على مسامعه ، وتطيل المد في كلمة (الأسودُ) حتى انتبه لخطئه ، واستدرك هفوته فقال:

زعـــم البـــوارح أن موعـــدنا غـــدا وبـــذاك تنعـــابُ الغـــرابِ الأســـودِ

ومثله في ذلك مثل بشر بن أبي خازم الذي نبهه أخوه سوادة: إنك تقوي. قال: وما الإقواء؟ قال: قولك:

ألـــم تـــرَ أن طـــول الـــدهر يُســـلي ويُنســـي مثلمـــا نســـيت جـــذامُ

ثم قلت:

وكـــانوا قومنـــا فبغـــوا علينـــا فســـقناهم إلـــى البلـــد الشـــآمِ

فلم يعد بعد للإقواء. وذكر أن بعض شعراء العصر الأموي كان يلحن ، ومنهم الفرزدق الذي هجا عبد الله بن يزيد الحضرمي البصري ، الذي كان ينتقده ويتعقب لحنه ، فقال:

فلـــو كـــان عبـــد الله مـــولى هجوتـــه ولكـــن عبـــد الله مـــولى مواليـــا

فقال له الحضرمي: لحنت. ينبغي أن تقول مولى موالٍ. وذلك بحذف ياء الاسم المنقوص عند تنوينه رفعاً أو جراً. وبعض قمم الشعراء يخطئون في استخدام بعض المفردات ، لا تدري أكان الباعث على ذلك سهواً و زلة ، أم أن قيد القافية يرغمهم على اختيار الكلمة ولو كانت غير مناسبة ، فتأمل قول المتنبي في مطلع إحدى مدائحه لسيف الدولة وهو مطلع ذائع الصيت ، حيث يقول: (لكل امرئٍ من دهره ما تعودا)! وفي ذلك حكمة جرت مجرى الأمثال ، لأنها مطابقة لطبائع البشر ، حيث أن كل إنسان يسير على ما اعتاد عليه ، و من الصعب تغيير

عادات المرء التي ألفها و تعايش معها ، لكنه في شطره الثاني الذي أراد فيه أن يخص سيف الدولة بعادة مُشرِّفة ، تتسم بدوام الشجاعة والبطولة ، و مواصلة مقارعة الأعداء ، اختار أن يكمل قائلاً: (وعادة سيف الدولة الطعن في العدا)! فإذا عدنا إلى معنى طعن في (معجم المعاني الجامع) فإننا نجد: طعن بالرمح ونحوه: وخز به بغرض القتل! طعنه بلسانه: عابه ، شتمه ، أساء إليه بالكلام! وفي التنزيل الحكيم (وإن نكثوا أيمانهم من بعد عهدهم وطعنوا في دينكم فقاتلوا أئمة الكفر). وطعنوا في دينكم: أي عابوه وانتقصوه. طعن فيه أو في حكمه أو نسبه: عابه وذمه ، ويقال: طعن في الانتخابات بالتزوير. طعن في الشاهد: اعترض على شهادته! طعن في الأمر: اعترض عليه ، وأثار حوله الشبهات. طعن في السن: هرم و شاخ. فهل كان سيف الدولة يطعن في الروم بمثل هذه المعاني التي تقدمت لكلمة طعن في؟ الصواب أن يقال طعن سيف الدولة العدا دون حرف الجر في ، أما قولنا طعن في ، فلا تستخدم إلا للسان ، بمعنى ذمه و ذكره بسوء ، ونحو ذلك طعن في عرضه ، و طعن في شرفه ، و طعن في صدق حديثه. فهل هذا ما أراده المتنبي؟ و هل كان سيف الدولة يطعن في أعراض الروم و أحاديثهم بلسانه ، أم كان يطعنهم برمحه وسيفه؟ كيف كان صدر البيت يمثل افتتاحية مدوية ، و كيف انتهى عجزه ركيكاً هزيلاً حتى عند شاعر كل العصور ، الذي ملأ الدنيا وشغل الناس؟ إنها الزلات التي لا يفلت منها حتى الكبار. وما سقناه من أمثلة ليس سوى غيض من فيض ، و إذا كانت هذه الهنات قد صدرت عن عمالقة الشعراء في مختلف العصور ، فما بالك بغيرهم من سائر الشعراء؟ ومن يتتبع شعراء المهجر مثلاً ، يجد عندهم ما لا يحصى عده من الأخطاء النحوية والعروضية. وشفيعهم أنهم شعراء فقط و ليسوا نحويين ، وأنهم قدموا لنا شعراً يتدفق عاطفة بفعل التشوق والحنين إلى الوطن ، الذي أكسبتهم إياه غربتهم الطويلة في الأمريكتين ، وتلك الروح الإنسانية والنظرات المتفائلة التي تحملها قصائدهم ، بفضل اطلاعهم على الآداب الأجنبية وتأثرهم بها ، وشفيعهم أنهم لم يحرزوا قسطاً وافراً من الدرس والتحصيل ، بل اغتربوا مكافحين وراء لقمة العيش ، فرققت الغربة و المهاجر أحاسيسهم، فأنطقتهم بالشعر العذب. وعندنا شوقي يقول متناولاً حبه لوطنه:-

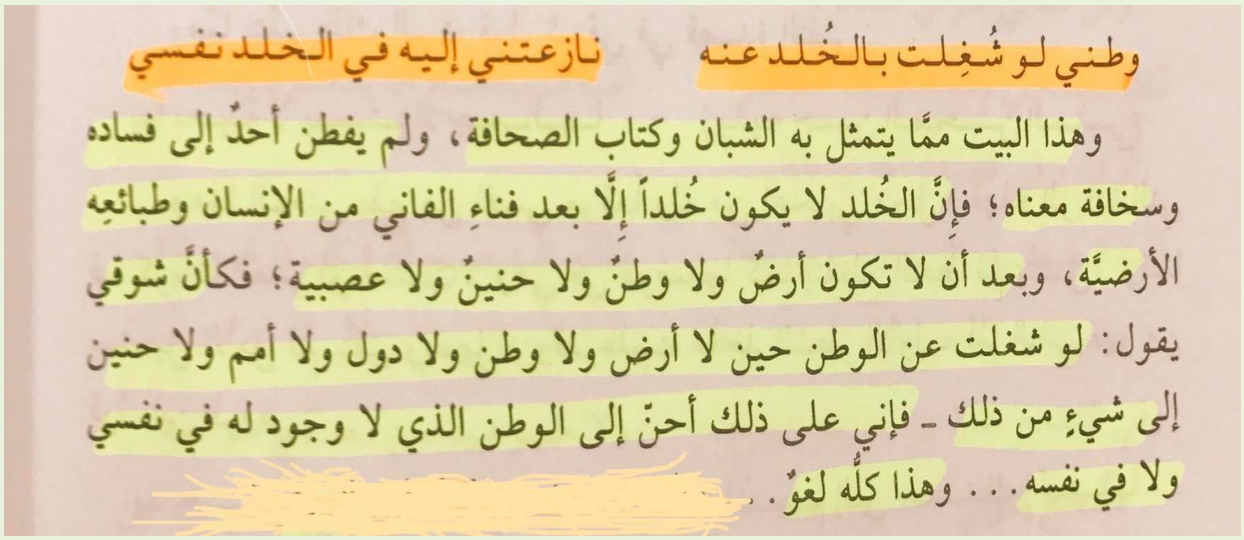
وطني لو شُغِلت بالخُلد عنه نازعتني إليه في الخلد نفسي

وهذا البيت ممَّا يتمثل به الشبان وكتاب الصحافة، ولم يفطن أحدٌ إلى فساده وسخافة معناه؛ فإنَّ الخُلد لا يكون خُلداً إلَّا بعد فناءِ الفاني من الإنسان وطبائعِه الأرضيَّة، وبعد أن لا تكون أرضٌ ولا وطنٌ ولا حنينٌ ولا عصبية؛ فكأنَّ شوقي يقول: لو شغلت عن الوطن حين لا أرض ولا وطن ولا دول ولا أمم ولا حنين إلى شيءٍ من ذلك ـ فإني على ذلك أحنّ إلى الوطن الذي لا وجود له في نفسي ولا في نفسه. . . وهذا كلُّه لغوٌ. .

وفي جريدة: (الرياض) الصادرة في الخميس 28 رجب 1429هـ -31 يوليو2008م - العدد 14647 ، يقول الأستاذ علي بن حسن العبَّادي في معرض كلامه عن أخطاء شوقي في شعره

ما نصه: (وإذا نظرتَ الى أوزان الشعر التي ابتكرها الشعراء ، وأهملها الخليل بن أحمد (رحمه الله) وهي ستة أبحر: (المستطيل والممتد ، والمتوفر ، والمتئد ، والمنسرد ، والمطرد) ، وكل بحر من هذه الأبحر الستة ، له شاهد من الشعر معروف لدى العروضيين ، ونظرت الى الوزن الذي أطلق عليه الشاعر عبد الله الفيفي ، اسم (المسحوب) يأتي هذا الوزن في القمة وزناً وإيقاعاً ، وهو وزن نعدّه من المحاولات الجديدة التي ابتكرها الدكتور الفيفي وله الفضل فيها الذي لا ينكر. وإذن فأمير الشعراء الشاعر الكبير أحمد شوقي قد كتب ابياتاً من الشعر ، قرأناها في مسرحية (مجنون ليلى) وسمّى أحد العروضيين المعاصرين وزنها: وزن (أحمد شوقي) وأبيات الشاعر الكبير (أحمد شوقي) هي:

زيـــادُ مـــا ذاق قـــيسٌ ولا همـــا طـــبخُ يـــد الأمّ يـــا قـــيسُ ذق ممـــا

الأمّ يا قـيسُ لا تـطبـخ السّـمـا

وانظر الأبيات في مسرحية (مجنون ليلى) صفحة (34) طبعة شركة الطباعة بمصر سنة 1954واقطع أبيات أحمد شوقي هكذا! وإذا نظرنا إلى أبيات أحمد شوقي نرى الزحاف قد لحق الأبيات الثلاثة فأصبحت الأبيات ركيكة ، لا تستسيغها الأذن (فزيادُ ما) ، دخل القبض التفعيلة الأصلية (مفاعيلن) فأصبحت (مفاعلن) و(طبخ يدل) دخل الخبن التفعيلة الأصلية (مُستفعلن) فأصبحت (متفعلن) ونقلت الى (مفتعلن) ، فلو وضعنا ما جاء به شوقي في إطار علم العروض لكانت الأبيات الثلاثة من وزن يتكون من: (مستفعلن/فاعلاتن/مفاعيلن) ، وهو وزن يخلو من الإيقاع والموسيقى).هـ. وتحت عنوان: (أخطاء القصيدة) يقول الأستاذ بداح السبيعي ما نصه: (من المؤلفات النقدية الجميلة والممتعة كتاب (أكثر 38 خطأ في الكتابة القصصية وكيف يُمكن تحاشيها) ، ويمتاز هذا الكتاب بأن مؤلفه مُتخصص في الفن الذي يكتب عنه ، ويمتلك خبرة طويلة ساعدته على تتبع ورصد أبرز الأخطاء التي يقع في الكُتاب الشباب باستمرار ، ويُمكن أن يستفيد منه كُتاب القصة والرواية جميعًا بغض النظر عن خبرة الكاتب في ممارسة الكتابة. وكم نحن في حاجة لمثل هذه النوعية من المؤلفات في مجال الشعر أيضًا لتكون مرجعًا يستعين به الشعراء الشباب ، فوجود مثل هذا النمط من الكتب سيكون له أثر كبير في اختصار الطريق على الشاعر وتجنيبه مغبة الوقوع في أخطاء فنية وقع فيها الشعراء الذين سبقوه في كتابة الشعر ، وقد أدّى غياب – أو ندرة - مثل هذه المؤلفات النقدية ، وميل بعض النقاد للتوسع في تبرير أخطاء الشعراء وإدراجها تحت مفهوم "الضرورات الشعرية" و"يجوز للشاعر ما لا يجوز لغيره" ، أدى إلى استمرار ارتكاب الشعراء لأخطاء بسيطة وصريحة في كتابة القصيدة. وفي كتاب (ذم الخطأ في الشعر) يعترض ابن فارس على مساحة الحرية التي تُمنح للشاعر تحت مُسمى "الضرورات الشعرية" ويتساءل: "ما الوجه في إجازة ما لا يجوز إذا قاله شاعر؟ وما الفرق بين الشاعر والخطيب والكاتب؟ فإن قالوا: إن الشعراء أُمراء الكلام. قيل: ولِمَ لا يكون الخطباء أمراء الكلام ، لِمَ أجزنا لهؤلاء أن يخطئوا ويقولوا ما لم يقله غيرهم؟". ويستمر في طرح تساؤلات منطقية تُعبّر عن رفضه لترك الحبل على الغارب عند التعامل مع أخطاء الشعراء اللغوية. وقد رأينا في حالات عديدة استهتار بعض الشعراء وعنادهم في مسألة قبول نقد أخطائهم كما فعل النابغة الذبياني الذي لم يأبه بما لوحظ في قصيدته الشهيرة في المتجردة من "إقواء" ، وكما فعل الفرزدق الذي هجا نقاده وخاطبهم بثقة: "علينا أن نقول

وعليكم أن تتأولوا"! وهناك مؤلفات أخرى توجهت عناية مؤلفيها بشكل مُباشر نحو رصد أخطاء الشعراء وتسليط الضوء النقدي عليها ، ككتاب (الموشح في مآخذ العلماء على الشعراء) للمرزباني ، و(أوهام شعراء العرب في المعاني) لأحمد تيمور باشا وغيرها ، لكن التأليف عن أخطاء الشعراء لا يستهوي النقاد لصعوبته البالغة ، ولأن الذي يخوض تجربة الكتابة عن أخطاء الأدباء بجرأة لا يسلم من تُهمة "تصيُّد الأخطاء" و"الاصطياد في الماء العكر"!).هـ. ومن الأخطاء اللغوية الشائعة: (مُغْلَقٌ لاَ مَغْلُوقٌ) قال أبو الأسود الدُّؤَلِيّ من البسيط:

وَلاَ أَقُولُ لِقِدْرِ القَوْمِ قَدْ غَلِيَتْ وَلاَ أَقُولُ لِبَابِ الدَّارِ مَغْلُوقُ

لَكِنْ أَقُولُ لِبَابي مُغْلَقٌ وَغَلَتْ قِدْرِي وَقَابَلَهَا دَنٌّ وَإِبْرِيقُ

أي إنّه فصيحٌ لا يَلحَنُ. وهو كلامُ العرب ، قال الفرزدق:

مَا زِلْتُ أَفْتَحُ أَبْوَاباً وَأُغْلِقُهَا حَتَّى أَتَيْتُ أَبَا عَمْرِو بنَ عَمَّارِ

وقال أيضًا:

فَتَحْنَا بِإِذْنِ اللهِ كُلَّ مَدِينَةٍ مِنَ الهِنْدِ أَوْ بَابٍ مِنَ الرُّومِ مُغْلَقِ

وقال جرير:

نَحْنُ الحُمَاةُ بِكُلِّ ثَغْرٍ يُتَّقَى وَبِنَا يُفَرَّجُ كُلُّ بَابٍ مُغْلَقِ

وقال الشّافعيّ:

الجَدُّ يُدْنِي كُلَّ أَمْرٍ شَاسِعٍ وَالجَدُّ يَفْتَحُ كُلَّ بَابٍ مُغْلَقِ

فلا تقلْ: غَلِيَت القِدْرُ ، ولا بابٌ مَغْلُوقٌ وإنْ حكاها ابنُ دُرَيْد عن أبي زيد ؛ لأنّه مِن لحنِ العامّة ، وهو قبيحٌ كما في المزهر (1/ 252) ، ولُثْغَة أو لُغَيَّة رديئة في أغلقه كما في القاموس المحيط (ص915 فصل الغين) ، ونادرة... ورديئة متروكة كما في اللّسان (10/ 291) ، والصّحاح (4/ 1538 غلق) ، ومختاره (ص479) ، ولغةٌ قليلةٌ كما في المصباح المنير (ص269 غ ل ق) ، ولثغة أو لغيّة رديئة متروكة...أو نادرة كما في تاج العروس (26 /258). بل تقولُ: غَلَتِ القِدرُ، وأغلقَ البابَ فهو مُغْلَقٌ. لقد منعَ منه الفُحول من علماء العربيّة ، والعُدول من نَقَلَة اللّغة. قالَ ابنُ السِّكِّيت في إصلاح المنطق (1 /188، 190): (بابُ ما جاءَ على فَعَلْتُ بالفتح ممّا تَكسِرُهُ العامّة أو تَضُمُّهُ وقد يَجيءُ بعضُه لغة إلاّ أنّ الفصيح الفتح...ويقالُ: قد غَلَتِ القِدْرُ تَغْلِي

غَلْيًا وغَلَيَانًا [بفتحتين] ولا يقالُ: غَلِيَتْ". وقالَ في باب ما يُتَكَلَّمُ بأفْعَلْتُ ممّا يَتَكَلَّمُ فيه العامّة بِفَعَلْتُ (1 /227): "... وقد أَغْلَقْتُ البابَ فهو مُغْلَقٌ ولا يُقالُ: مَغْلُوقٌ ، وقد أَقْفَلْتُهُ فهو مُقْفَلٌ ولا يُقالُ: مَقْفُولٌ". وقال ثعلبٌ في الفَصيح (ص79): " باب أَفْعَل: .... وأَغْلَقْتُ البابَ فهو مُغْلَقٌ ، وأَقْفَلْتُهُ فهو مُقْفَلٌ". وفي أدب الكاتب (ص284، 286): (بابُ ما يُهمَزُ من الأفعال والأسماء والعوامُّ تُبْدِلُ الهمزةَ فيه أو تُسْقطها .... وأَغْلَقْتُ البابَ ، وأَقْفَلْتُهُ ، ولا يُقالُ: غَلَقْتُهُ ، ولا قَفَلْتُهُ".)

8 ـ تحية للشاعر الشهيد / هاشم الرفاعي

(أحيي الشاعر الشهيد / هاشم الرفاعي ، بهذه القصيدة المتواضعة ، حيث أعجبتُ بشعره منذ عقدين مضيا. وإنما يصدق الشاعر عندما يضمخ شعره بالحبر والدم! وأحسب الشاعر الرفاعي واحداً من هذا الطراز. وديوانه الفخم الضخم خير دليل على ما أقول. وعلى صغر سنه وقلة تجربته إلا أن شعره يأخذ طريقه إلى القلوب بطريقة مباشرة. ولا يزال الشعراء يعضد بعضهم بعضاً ويأخذ بعضهم من بعض ، ولا يقدّر الشاعر حق قدره مثل أخيه الشاعر. وحبذا لو كان الشاعران صادقين في التجربة والشعور والهم والقضايا. وأحسب الرفاعي الشاعر كان يحمل هم الأمة المؤمنة ، ومن هنا جند شعره ، وسخر قلمه لقضاياها. فاستحق – رحمه الله ـ التحية والتقدير! في محاضرة له بعنوان: (الشعر وموقف الإسلام منه) ، قال الدكتور محمد بن سعد الدبل ما نصه بتصرف يسير: (إن الأدب من منظور إسلامي هو أدب العقيدة الإسلامية التي تحثُّ الفرد والمجتمع على اتباع الحق ، وقول الحق ، والشهادة بالحق في كل شيء ، والأدب هو فنُّ العبارة ذات الكلمة الصادقة ، ولذا كان لزامًا على المسلم أن يَلتزم في سلوكه ومُعاملاته وأفعاله وأقواله بما هو خير ، والنقد الأدبي مِن منظور إسلامي يُعنى عناية تامَّة باستجلاء النصوص الأدبية ليضعها تحت المِجهَر النقدي فيُخرج صالحَها مِن خبثِها. ولقد لازم النُّقاد الإسلاميون إدامة النظر في العطاء الأدبي الإسلامي حين أدركوا ـ عن قناعة تامة ـ أن الإسلام هو الكفيل بإصلاح الناس مِن خلال معتقداتهم وأخلاقهم وعطائهم الأدبي! ومن خلال هذا المنهج في النقد الأدبي الإسلامي يتعيَّن على كل ناقد واعٍ بصير مُنصِف أن يقول: إن أول مصادر هذا الأدب هو القرآن الكريم ، ذلك الكتاب السماوي الذي غيَّر العقلية العربية ، ورفع النظر مِن الأرض إلى السماء ، وعلَّم الناس أن يَقرأوا كتاب الطبيعة في فصوله المختلفة مِن إنسان ونبات وجبال ونجوم وأرض وسماء ، وأن يقرأوا ما بعد الطبيعة مِن إلهٍ فوق العالَمين هو نور السموات والأرض. وبذلك كشف القرآن عن العيون غطاءها فأصبح بصرها حديدًا فنظرت إلى العالم مِن أعلى ، ورأته وحدة مُتناسِقة الأجزاء تخضَع كلها لإرادة الله ـ تعالى ـ وأعلنَ القرآن الكريم الثورة على النظرة المادية الأرضية التي كان يَنظر بها الجاهِلون وغيرهم مِن أمم الأرض ، فكانت ضربة المعول في الأصنام دعوةً إلى النظر الجديد فدوَّت كلمة "لا إله إلا الله" في جزيرة العرب مُعلنةً ضياع الوثنية وعبادة المادية ، كان هذا في القرآن وأكثر مِن هذا ، وكان لزامًا أن تتغيَّر نظرة الأدب ، وخاصة نظرة الشِّعر والشعراء ، ليرتفع نظر الشاعر الإسلامي ارتفاعه في عقيدته ، وأن يكون له جانب روحي ـ كجانبه المادي ـ يرى القرآن يدعو إلى العزة ، ليكف الشاعر عن المبالغة في المدح ، ويدعو إلى عفَّة اللسان ، ليكفَّ الشاعر ويتحرَّج عن الإقذاع في الهجاء ، ويرفع القرآن من شأن المرأة لتعظم في قصيدة الشاعر ، فيتسامى في الكلام عن جسدها إلى الكلام عن رُوحها أمانة وعفَّة وخُلُقًا. ولكن الشعر الإسلامي

في الحقبة الزمنية من تاريخ الأدب في العصر الأموي لم يتخذ له إمامًا غير الشعر الجاهلي ؛ فقالبه قالبه ، وموضوعاته هي ذات الموضوعات ، ومادته مادته ، وإن كان هناك جديد فجدة في العَرض لا في الجوهر ، في الشكل لا في المضمون ، جدة لا تتجاوَز رقَّة اللفظ بدل خشونته وتحوير المعنى بدل ابتكاره ، وهذا الحكم حكم ليس عامًّا ، وإنما يخصُّ الكثير مِن شعراء العصر الأموي ؛ لأن واقع ذلك العصر يشهد بوجود عدد من الشعراء ، انفردوا باتجاه جديد نحو العقيدة الإسلامية يُعبِّر عن شِعر الجهاد الإسلامي ، فيُصوِّر معارك الفتوح الإسلامية ، ويزن الفضائل الإسلامية بميزان الإسلام ، داعيًا إلى الفداء بكل غالٍ ونفيس ، داعيًا إلى كريم الأخلاق وسموِّ الروح ، وعفَّة النسيب ، وسماحة الأريحية ، وسخاء اليد ، ولنقف على كل شيء مِن هذه الخصائص في هذه المقطوعة مِن الشعر الإسلامي المعاصر الذي وَرِث الفضائل الإسلامية مِن إلهامات الشعراء في مختلف العصور الإسلامية التي اتخذت القرآن والسنة محرابًا لشِعرها وشُعورها).هـ. والآن نواصل الحديث شعراً عن الشاعر الشهيد – إن شاء الله – هاشم الرفاعي.)

9 ـ الشافعي مناظراً

(في كتاب قصص الصالحين للأستاذ الدكتور مراد ص 172 ، أن الشافعي ناظر بعض الحاقدين عليه بحضرة الرشيد فسألوه عشرة أسئلة فأجابها ثم سألهم سؤالاً واحداً فعجزوا: (يُحكى أن بعض العلماء في العراق كانوا يحقدون على الإمام الشافعي لأنه تربّع على قلوب طلاب العلم ، ولذلك اتفقوا على تحضير بعض الأسئلة الفذة المعقدة ليختبروا ذكائه ، امام الخليفة الرشيد ، وهذه الأسئلة هي: * السؤال الأول: ما قولك في رجل ذبح شاة في منزله ، ثم خرج لحاجةٍ وعاد ، فقال لأهله: كلوا أنتم الشاة ، فقد حرمت عليّ؟ فقال أهله: ونحن حرمت علينا كذلك. إجابة السؤال: إن هذا الرجل كان مشركاً ، فذبح الشاة على اسم الأنصاب وخرج من منزله لبعض المهمات فهداه الله تعالى إلى الإسلام وأسلم فحرمت عليه الشاة ، وعندما علم أهله بإسلامه أسلموا هم أيضاً فحرمت عليهمُ الشاة كما حرمتْ عليه. * السؤال الثاني: ما قولك في رجل له غلام ، فقال: هو حر إن أكلت الطعام حتى أجده فكيف المخرج له عما قال؟ إجابة السؤال الثاني: يهب الغلام لبعض أولاده ثم يأكل! ثم بعد ذلك يسترد ما وهب. * السؤال الثالث: شرب مسلمان عاقلان خُران الخمر يحد أحدهما ولا يحد الأخر. إجابة السؤال الثالث: إن أحدهما كان بالغاً والأخر صبياً. * السؤال الرابع: لقيت امرأتان غلامين فقالتا: مرحباً يا ابنيا وزوجينا ، وابني زوجينا. إجابة السؤال الربع: إن الغلامين كانا ابني امرأتين فتزوجت كل واحدة منهن بابن صاحبتها ، فكانا الغلامين ابنيهما وزوجيهما وابني زوجيهما. *السؤال الخامس: أخذ رجل قدح ماء ليشرب فشرب نصفه حلالاً ، وحرم عليه بقية ما في القدح. إجابة السؤال الخامس: إن الرجل شرب نصف القدح ورعف (أي تساقط الدم الأسود من أنفه) في الماء الباقي من القدح فاختلط الدم بالماء فصار مُحَرّماً عليه. * السؤال السادس: زنى خمسة نفر بامرأة ، فوجب على أولهم القتل ، وثانيهم الرجم ، وثالثهم الجلد ، ورابعهم نصف الحد وخامسهم لا شيء عليه. إجابة السؤال السادس: استحل الأول الزنا فصار مرتداً فوجب عليه القتل! والثاني كان محصناً متزوجاً ، والثالث غير محصن ، والرابع كان عبداً ، والخامس كان مجنوناً. *السؤال السابع: رجل صلى ولما سلم عن يمينه طلقت زوجته ، ولما سلم عن يساره بطلت صلاته ولما نظر إلى السماء وجب عليه دفع ألف درهم. إجابة السؤال السابع: لما سلم

الرجل عن يمينه رأى زوج امرأته التي تزوجها في غيابه ، فلما رآه حضر طلقت منه! ولما نظر عن شماله رأى نجاسة في ثوبه فبطلت صلاته ، ولما نظر إلى السماء رأى الهلال وقد ظهر في السماء وكان عليه دين ألف درهم يستحق سداده في أول الشهر من ظهور الهلال. * السؤال الثامن: ما تقول في إمام كان يصلي مع أربعة نفر في مسجد فدخل عليهم رجل ، ولما سلم الإمام وجب على الإمام القتل ، وعلى المصلين الأربعة الجلد ووجب هدم المسجد على أساسه؟ إجابة السؤال الثامن: إن الرجل كانت له زوجة وسافر وتركها في بيت أخيه فقتل الإمام هذا الرجل وادعى أن المرأة كانت زوجة المقتول ، فتزوج منها وشهد على ذلك الأربعة المصلون ، وأن المسجد كان بيتاً للمقتول ، فجعله الإمام مسجداً. * السؤال التاسع: أعطى رجل لامرأته كيساً مملوءاً مختوماً وطلب إليها أن تفرغ ما فيه بشرط أن لا تفتحه ، أو تفتقه ، أو تكسر ختمه ، أو تحرقه ، وهي إن فعلت شيئاً من ذلك فهي طالق. إجابة السؤال التاسع: إن الكيس كان مملوءاً بالسكر أو الملح ، وما على المرأة إلا أن تضعه في الماء فيذوب ما فيه. * السؤال العاشر: رأى رجل امرأة غلامين في الطريق فقبّلهما ولما سئل عن ذلك قال الرجل: أبي جدهما ، وأخي عمهما ، وزوجتي امرأة أبيها ، وقالت المرأة: أمي جدتهما وأختي خالتهما؟ إجابة السؤال العاشر: إن الرجل كان أبا الغلامين ، والمرأة أمهما. فأعجب الرشيد بالشافعي ، وقال: لله در بني عبد مناف ، فقد بيّنت فأحسنت ، وفسّرت فأبلغت ، وعبّرت فأفصحت. فقال الشافعي: أطال الله عمر أمير المؤمنين ، إني سائل هؤلاء العلماء في مسألة واحدة ، فإن أجابوا عليها فالحمد لله ، وإلا فأرجو أمير المؤمنين أن يكفّ عني شرهم ، فقال الرشيد: لك ذلك وسلهم ما تريد يا شافعي! فقال لهم: مات رجل عن 600 درهم فلم تنل أخته من هذه التركة إلا درهماً واحداً فكيف كان النظر في توزيع التركة؟ فنظر بعضهم إلى بعض ، ولم يستطيعوا الجواب ، فقال الرشيد: قل لهمُ الجواب يا شافعي. فقال الشافعي: مات هذا الرجل عن ابنتين ، وأم ، وزوجة ، واثني عشر أخاً وأختاً ، فأخذتِ البنتان الثلثين أي 400 درهم وأخذت الزوجة الثمُن ، وهو 75 درهما ، وأخذت الأم السدس وهو 100 درهم ، وأخذ الأخوة الاثنا عشر 24 درهماً ، فبقي درهم واحد أخذته الأخت. فبتسم الرشيد ، وقال: أكثر الله في أهلي منك ، وأمر بألفي دينار فتسلمها الشافعي ووزعها على خدم القصر وحاشيته. وكانت للشافعي فراسة احتار فيها من شهدوه! فهذا إبو نعيم في كتابه (حلية الأولياء) ينقل عن الشافعي أنه لما انتهى من تعلم الفراسة في اليمن مرّ على رجل في الطريق استضافه في بيته وأكرمه كرما شديداً. لكن الشافعي رحمه الله تعالى كان قد تفرّس في طبائع الرجل وعلم منها أنه ذو طبع خبيث ولئيم. فجعل يتقلب رحمه الله في فراشه طوال الليل وهو يقول: ما أصنع بهذه الكتب لو خابت فراستي في الرجل؟ لكنه لما أصبح وعزم على الرحيل قال الشافعي للرجل من باب رد الجميل: إذا قدمت مكة ومررت بذي طوى فاسأل عن الشافعي ، فقال له الرجل وقد بانت حقيقته: وهل أنا مولى لأبيك؟ وقدم له فاتورة استضافته: الطعام بدرهمين ، وعطر بثلاثة دراهم ، وعلفاً لدابتك بدرهمين...وهكذا! وختم كلامه بشتم الشافعي رحمه الله تعالى. فقال الشافعي لغلامه أعطه ما يريد ، وفرح رحمه الله تعالى بكتب الفراسة التي جمعها وعرف أنه لم تخب فراسته. وكان من أقواله المأثورة رحمه الله تعالى في علم فراسة الأبدان: احذر الأعور والأحول والأعرج والأحدب والأشقر والكوسج ، وكل من به عاهة (خاصة من ولد بها) في بدنه. وقد جاءه رجل مرة ليسأله عن مسألة شرعية ، فقال له الشافعي رحمه الله: هل أنت نسّاج؟ فأجابه الرجل قائلاً: نعم وعندي أجراء. وجاءه مرة رجل يسأله مسألة فقال له الشافعي:

من أهل صنعاء أنت؟ فقال: نعم. قال الشافعي: فلعلك حداد؟ قال: نعم! والحقيقة أن المناظرة تعتمد على مؤهلات منها الفراسة! فلو لم تكن عنده فراسة وحدس وتخمين لما كان يسيراً عليه أن يُناظِر!)

10 - الشعر حنينٌ ورنينٌ وأنين

(الشعراء في نظري على ضربين متناقضين ، وكلاهما يصوغ الشعر. ولكن شتان بين شعر وشعر ، وشاعر وشاعر! فأما الفريق الأول من الشعراء فهم شعراء كتبوا واجتهدوا ونشطوا وأرادوا بشعرهم الدنيا! فلم يحرمهم الله إياها. فمنهم من أعطِيَ المال لأنه كتب للدرهم والدينار ، ومنهم من أعطي الدور والقصور لأنه اجتهد وكتب للدور والقصور ، ومنهم من أعطي الشهرة والصيت الذائع لأنه من البداية كتب لهما ، ومنهم من أعطِيَ المال والدار والشهرة والأضواء والصيت ، نعم أعطيها جميها لأنه عمل لكل هذه الأشياء فنالها. ولعل هذا الفريق قد اتسم بالسمت العام الغالب على جُل الشعراء على كرّ الدهور وتوالي الأعوام وتعاقب العصور والأجيال ، منذ فجر التاريخ وإلى يومنا هذا ، وإلى أن يرث الله تعالى الأرض بما عليها وبمن عليها. مما أزرى بالشعر عند كثير من العامة والدهماء. وهذا الفريق له نصيب كبير من وصف القرآن للشعراء: (والشعراء يتبعهمُ الغاوون ألم تر أنهم في كل واد يهيمون وأنهم يقولون ما لا يفعلون). وأما الفريق الثاني من الشعراء فهمُ الذين أرادوا بالشعر وجه الله والدار الآخرة (وقليلٌ ما هم) ، وأتباع هذا الفريق لحِكمة من الله تعالى قد حُرموا الأضواء والشهرة والمال والدار والثراء ، لأنهم منذ كتبوا لم يقبلوا هذه الأشياء على حساب العقيدة ، أو بمعنى آخر لم يرتزقوا بقصائدهم. لم يأكلوا ولم يشربوا لتكون فاتورة الدفع - لمن خوّلهم المال والشهرة والدار والقصر والسمعة والصيت – العقيدة والتوحيد. إن هذا النوع من الشعراء قد حسِب المسألة حساباً آخر يختلف عن شعراء الفهلوة والنفاق والرياء والارتزاق. ومن هنا فلم يفتهم أن يوقنوا بأنه لا بد من البلاء على طريق الكتابة والتأليف. أيقنوا بأنه لا بد من المحن والفتن والاختبارات على درب الشعر. وشعرهم نابض حي يمثل الحقيقة والقيم على كل حال. إن سبّحوا في شعرهم فبحمد الله وحده لا بحمد غيره. وإن ألهوا لم يؤلهوا إلا الله ربهم الحق – عز وجل – ولم يعترفوا بألوهية سواه معه أو من دونه. ودفعوا لذلك المبدأ الثمن وهم شجعان أشاوس أماجد. وعموماً هذا الفريق له نصيب في الاستثناء القرآني في وصف القرآن للشعراء: (إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيراً وانتصروا من بعد ما ظلموا). إنها الملهاة والمأساة معا ، عندما يجوب شعر - قد صبّه شاعره في ديوانين رطيبين كريمين – أصقاع الدار شرقاً وغرباً ، طولاً وعرضاً ، يَمنة ويَسرة ، شمالاً وجنوباً ، فما ترك قرطاسية ولا مكتبة ولا محطة وقود أو تشحيم أو تزييت ولا سوقاً ولا محلاً يبيع أي شيء إلا وكان منه نسخ مرخصة جاهزة للتداول والبيع أمام جماهير المارة والسابلة والزبائن والعملاء الذين يفر أغلبهم من العلم والأدب والثقافة والقيم فراره من الجذام والأسد الحرِب! ويفرون أكثر من الشعر المتأدب بأدب العقيدة والتوحيد. بل لقد كنتُ أراهم ينظرون إلى مثل هذا الشعر نظر المغشي عليه من الموت! وإذا أقبل عليه البعض فهو إقبال قوم يُساقون إلى الموت وهم ينظرون! وبعد قرابة السنتين عاد أغلب الشعر لصاحبه ، الذي يعلم الله تعالى وحده مقدار ما عانى ذلك الشاعر تأليفاً وصياغة وترخيصاً وكذلك طباعة وتوزيعاً وتصحيحاً وتحقيقاً إلى آخر ما يتطلبه الديوان الشعري في زمان كهذا من التكاليف والمجهودات! زمان ليس من الشعر الحق المحترم في

شيء. وليس من عيب في الشعر حتى نقول بأن القوم وصلوا إلى مرحلة من الإجادة لا يقبلون معها إلا الشعر الجيد الناضج الجزل في مضمونه وصياغته ، ذلك أن أغلب ما يطالعه الأقوام اليوم هُراء في هراء ، وضلال في ضلال وحماقات في حماقات ، وعهريات في عهريات ، ناهيك عن البذاءات المكشوفة العارية المصنوعة على عيون الماسون وأذنابهمُ الرطبة من الجاهليين والكفرة والفجرة والملاحدة والغدرة والعهرة وأتباعهم من المنافقين الذين يدّعون الحنيفية السمحة وهي منهم براء وذيول الحداثيين الذين صُنعوا في المزابل العُهرية التي نخر في أذهان أربابها ومن تبعهم سوسُ الإلحاد في آيات الله وشرعه. وأعجب من قوم يُقبلون على اقتناء مثل هذا العفن والدنس في بيوتهم ، يُطالعه أبناؤهم وبناتهم وزوجاتهم على اختلاف مراحل العمر ومستويات الثقافة والفكر. وأعجب أكثر من قوم يَطربون وهم يشترون كتباً أو مجلات أو دوريات لو كانت أم جميل زوج أبي لهب على قيد الحياة ما دار بخلدها ولو مرة أن تفكّر في شراء شيء منها ، ولمنعها حياؤها العربي الأصيل والتقاليد البدوية العريقة في العرب أن تشتري مجلة أو جريدة عربية أو أجنبية تعرض المرأة إما عارية وإما شبه عارية كما هو محسوس ملموس اليوم في جُل المجلات والدوريات والجرائد والصحف والإعلانات! وأنا إذ أقول ذلك لا أمدح أم جميل فلقد أبدلنا الله خيرا منها أمهات المؤمنين والصحابيات الجليلات والتابعيات الفضليات – رضوان الله على الجميع -. ولكنني أقوله لأنصف أم جميل أنها وإن كانت مشركة فلا تقبل هذا التدني الموجود في المتمسلمات - لا أقول المسلمات - اليوم! وأعجب أكثر وأكثر وأنا أرى أكثر أهل زماني ممن ينتسبون إلى الإسلام زوراً وبهتاناً وهم يرحّبون بزبالات قبائح عواهر أوروبا وقمامات العم سام وقاذورات هوليود وأوساخ الماسون السينمائية في الشرق والغرب ، ونفايات الفنانين والفنانات والمطربين والمطربات والراقصين والراقصات في كل صُقع من أصقاع الأرض اليوم. على حين لا يُرحبون بالشعر العربي الذي نسج على وتيرة القيم وصُهر في بوتقة الحياء والخوف من الله تعالى. ويرحم الله زمان الأسواق الأدبية والشعرية على وجه الخصوص يوم كان العرب على شركهم وجاهليتهم ووثنيتهم يُدركون ما للكلمة من وقع وإيقاع وتأثير ووحي وإيحاء ، رحم الله زمان عكاظ وذي المجاز ومجنة وغيرها. والحقيقة التي يجب الإيمان بها اليوم وأمس وغداً أن اللغة تعز بعزة مُعتقدها ، ولما كان الصليب اليوم عالياً في الأرض بغير الحق علتْ معه لغته وعاداتُ قومه وفنونه وأعرافه وتقاليده وقوانينه وقرصنته وتجارته في الأموال والأعراض والأنفس والثمرات بغير الحق. ولما كان الإسلام بكتابه العربي القرآن وسنته النبوية العربية لهم السيادة والعلو في الأرض يوماً ما علت القيم والأخلاق والكلمة والعادات والتقاليد واللغة العربية ، واعتاد هؤلاء الغربيون أن يرسلوا أبناءهم إلى الديار العربية ليتعلموا اللغة العربية وآدابها. واليوم يحدث العكس فإن كثيراً من العرب يرسلون أبناءهم ليتعلموا اللغات الأجنبية في ديار الغرب! ونسأل الله أن يعز الإسلام والمسلمين لترتفع بعزته وعزة أهله اللغة العربية التي ما أهينت – فيما أعلم – في زمان مثلما أهينت في زماننا هذا. وإن رعية أغلبها يُقبل على إشباع شهوتي البطن والفرج ولا يُشبع حاجة الروح والقلب والعقل والوجدان والخاطر والنفس والعاطفة والذات والإحساس والشعور من الكلمة الصادقة الحية والنصيحة المزجاة في قالب نثري أو شعري ، إن رعية هذا شأن أغلبها لتدق مسامير تدميرها بأيديها. إذ الأمم تسود بعقيدتها وثقافاتها وحضارتها. وحضارة الرجل الأبيض أو العم سام قد أفلستْ منذ زمن بعيد فلم تعد وما كانت ولن تكون قادرة على إشباع القلب والروح والوجدان والعاطفة والإحساس

والشعور! إذ إنها لا تقدم سوى الشهوات والنزوات والشحنات الإلحادية أو الخلاعية ، وكثير من كُتابها فضلاً عن القائمين على ترويجها وإشاعتها في العالم قد أدركوا ذلك وفطنوا إليه جيداً! فطنوا إلى أن حضارتهم عبثٌ وتخييلٌ وسرابٌ خادعٌ أمام العيون لا يزيد. وقد آن الأوان لأن تتفضل حضارة التوحيد والموحدين وتتكرم على البشرية الضائعة اليوم بالبلسم الشافي والدواء الناجع الناجح لكافة الأمراض العقدية والسلوكية في شتى بقاع الأرض وفي كافة الأعصار والأمصار والأصقاع ، وهذا البلسم الشافي هو الإسلام بحضارته التقنية والسلوكية والروحية القائمة ابتداء على عبادة الله وحده لا شريك له ، وجزء من عبادة الله لا يختلف عن الصلاة والزكاة والصيام والحج هو عمارة الأرض بمنهج الله الإسلام! وإن قوماً – العلة والغاية من خلق الله لهم في هذه الدنيا هي العمل بدين الله والعلم به ونشره والدعوة إليه والجهاد في سبيله - لقوم عظماء في الدنيا والآخرة إنْ هم حققوا ذلك بإخلاص! وإنها لعِلة سامية وغاية مرموقة وهدفٌ سام عال باسقٌ سامق! لكن عندما ينحرفون عن هذه الغاية ويحيدون عن تلك العلة ويتنكرون لذلك الهدف فما أهونهم على الله تعالى! وإن جيلاً تخطف عيونه وتثيره عواهرُ التلفاز والسينما والقنوات الفضائية الجاهلية بكافة أنواعها وأماكن بثها ، ولا تثيره وتستجيش عواطفه وتخطف أحاسيسه نكبات الموحدين المؤمنين في أصقاع المعمورة اليوم في كشمير وبورما وسراييفو وكوسوفو وفلسطين والبوسنة والصومال والهند وميانمار وغيرها ، إن جيلاً هذا شأنه لجيلٌ منكود شقي تافه حقير ذليل من أجيال التاريخ! ولا كنتُ حتى عشتُ في جيل كهذا وانتسبتُ إلى قوم هم هؤلاء! وإن رجلاً يسمح لنفسه أو لزوجه أو لابنه أو لابنته أن يشاهد أو تشاهد مثل هذا الدنس أو ذلك العفن أو هاذاك العهر تحت مسمى الفن أو الرياضة مسموعاً أو مقروءاً أو مرئياً عبر شاشات الأصنام أو على صفحات المجلات والجرائد والدوريات لرجل منهزمٌ أمام حِيل يهود ومستسلم لمكائد أعدائه من النصارى الصليبيين والمنافقين والمرتدين. وإن كان يزعم أنهم من ألد أعدائه وأنه لا يحبهم ولا يواليهم! فلا اعتبار بهذا كله مادام يفعل ما يفعلون ، فيكون ادّعاءُ كونهم أعداء ألداء ادّعاءً أجوف باللسان لا يزيد وزعمٌ مجرد زعم. (ومن يتولهم منكم فإنه منهم). ومن توليهم متابعة برامجهم والاستسلام الذليل لثقافاتهم وعهرهم وأفلامهم ومسلسلاتهم. إنه التمزيق المعنوي لوحي السماء يا قوم! وإنها الهزيمة الروحية والنفسية والشعورية والقلبية والوجدانية والذاتية والعاطفية والكلية أمام مكر الخبثاء ممن يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا. استسلام مطلق للضالين في الأرض على اختلاف مِللهم ونِحلهم وأفكارهم. ومن هنا يشقى الشعر الموحد والشعراء الموحدون في زمان هذا شأنه وفي أقوام هذا شأن أغلبهم. وإنني إذ أكتب قصيدة: (الشعر حنين ورنين وأنين) فإنني أعزي بها كل شاعر مؤمن موحد إن هو لم يستطع أن يوصّل شعره للناس نظرا للتضييق وضيق ذات اليد! فعليه بالصبر حتى يأتي الله بأمره. وأجعل بين يديه أبيات أبي العتاهية في التصبر والصبر:-

اصـــبرْ لكـــل مصـــيبةٍ وتجلـــدِ واعلـــم بـــأن المـــرء غيـــر مخلـــدِ

أومـــا تـــرى أن المصـــائب جمـــة وتـــرى المنيـــة للعِبـــاد بمرصـــد؟

مـن لـم يُصَـب ممـن تـرى بمصـيبةٍ؟ هـــذا ســـبيلٌ لســـت فيـــه بأوحـــد

فـــإذا ذكـــرت مصـــيبة بـــك أنزلـــتْ فـــاذكر مصـــابك بـــالنبي محمـــد

وفي رواية أخرى للبيت الرابع ، وجدتها في أكثر من مرجع ووقفتُ عليها في أكثر من مصدر:-

فـــإذا دهتـــك بليـــة فـــي مقتـــل فـــاذكرْ مصـــابك فـــي النبـــي محمـــد!

ألا وإنني من هذا الديوان ، لأرفع صوتي عالياً لكل كاتب موحد ، ولكل شاعر مؤمن بالله رباً ، وبمحمد – صلى الله عليه وسلم – نبياً ورسولاً ، وبالإسلام ديناً ، أن يصبر ويحتسب ، فإنها أيام قليلة في حساب الزمن ويفرّج الله عنك إلى جنة عرضها السماوات والأرض أعدت للمتقين! وعلى كل شاعر مسلم مؤمن موحد أن يعلم أن كتابته واستمراره فيها عبادة لله! فلا يجب أن يتوقف أو ينهزم مقراً بأن الظروف كلها ضده! لا ، بل يستمر قدر الإمكان ولو بكتابة وتنقيح وتدقيق وتحقيق النصوص ، ريثما ينصلح الحال وتنقشع الغمة وتزول الكربة وتنتهي المهزلة ، ويأتي زمان وعالم وقوم ، وهنا يمكن وقتها الطباعة والنشر والتوزيع!)

11 - الشعر رحمٌ بين أهله

(هذه القصيدة أقدمُها للشاعر النبطي الكبير سلطان الهاجري بمناسبة نشره لقصيدتي: (القاتل البطيء) الذي هو التدخين على حسابه الخاص إعجاباً بها! وكنتُ قد استمعتُ إلى بعض أشعاره النبطية الجميلة الأخرى ، فأعجبتني بما حَوتْ من عُذوبة وتناغم وحلاوةٍ وطلاوةٍ! وإذن فهناك أزمة كبيرة تعرقل مسيرة الشعر ، فمن جانب آخر يقول الشاعر والمترجم عاطف عبد المجيد ما نصه: (لا نختلف كثيرًا حين نقول: إن الشعر يمر في اللحظة الراهنة بأزمة كبيرة تتشابك أسبابها معًا للوقوف في طريق الشعر وعرقلة مسيرته ، ويتفق بعض الشعراء مع كثير من النقاد ، مع عدد من أصحاب دور النشر ، في هدم آخر لَبِنات جدار الشعر. ويوضح أن الشعراء باتجاههم إلى نوع من الكتابات التي غالبًا ما تُنفر المتلقي من الشعر ، والنقاد بتلميعهم للنماذج الشعرية المتواضعة والرديئة أحيانًا ، وأصحاب دور النشر بمساندتهم لكُتَّابِ النثر وتحمسهم للرواية ورفضهم –إلا نادرًا– طباعة دواوين الشعر لأنها – من وجهة نظرهم – لا تباع ، كل ذلك يُفاقم من أزمة الشعر).هـ. ويرى أن تأثير الشعر تناقص بعد أن ظهر من يروجون لمقولة: إن الرواية هي ديوان العرب ، وبعد أن تنافست دور النشر في نشر السرد ، وظهرت جوائز جرى تخصيصها للرواية والقصة القصيرة. لقد شارك الجميع في الهجوم على الشعر: شعراء ، ونقاد ، وقراء ، وناشرون ، ومخصصو جوائز ، وهذا ضيق الخناق على الشعر، وجعل الجماهير تبتعد منه ولا تتفاعل معه. الآن يمر الشعر بأزمة حقيقية ، غير أن بعض الشعراء لا يزالون يكابرون وهم جالسون في أبراجهم العاجية التي لن يعود للشعر دوره وتأثيره إلا بعد أن يغادروها ، ويمتزجوا بجماهير القراء ، معبّرين عن أحاسيسهم ومشكلاتهم وقضاياهم. إنه لا أحد يرحب بشاعر ينتصر للعدالة. هكذا يرى الأستاذ عاطف عبدالمجيد: هناك شعراء ، ونقاد ، وقراء ، وناشرون ، ومخصصو جوائز ، ضيقوا الخناق على الشعر! والذي أراه من خلال قصيدتي هذه أن الشعر رحم بين أهله! ولا يزال الشعراء يتطفل بعضهم على موائد بعض ، وعارض بعضهم بعضاً من عهد امرؤ القيس إلى يومنا هذا وإلى الأبد!)

الشقيقتان

(عاشوا إخوة وأخوات أشقاء من أب واحد وأم واحدة ، في بيت واحد! لهم ذات الآمال ونفس الطموحات وعين الأمنيات! ووحّد الفقر بينهم ، فكانوا عُصبة على من سواهم. وكان الناس يعجبون من أين يأتي أبو الأطفال الستة في مختلف مراحل العمر بالطعام والشراب والغطاء والدواء والإيجار والماء والكهرباء والدروس الخصوصية والتعليم والترفيه؟! وإنها إرادة الله تعالى أنه ذات يوم يسافر أحد الأبناء ، وفيما يبدو كان أخلصهم وأوفاهم ، ولم يكن أخسّهم ولا أحقرهم ولا أنذلهم! وكان فاتحة خير عليهم جميعاً! وما زال يذكر وصية أبيه على محطة القطار: (لا تتركني ، لا تنسني ، إخوتك لا يزالون صغاراً ، وخصّ بالذكر الشقيقتين اللتين هما موضوع القصيدة). فبدأ الابن المسافر في انتشال هؤلاء الأبناء جميعاً ، وأخذ على عاتقه كسر فقر العائلة المنكوبة البائسة في فترة وجيزة ، وكان ذلك كله على حسابه هو! وضحّى بالكثير الكثير من ماله وجهده ووقته ومزاجه وحقوق أسرته (زوجه وولده)! وتغير حال الأسرة فأصبحت تتكلم في البنايات والعقارات التي كانت ترى صورها في الجرائد والمجلات فقط! أو تراها في أيدي مُلاكٍ آخرين من أهل القرية! وبدأ الجميع بأخذ الثأر من رجل هو ابن من أبنائهم وأخ من إخوتهم: فمن سارق لأرضه بالحِيلة ومدلس في عقد الشراء الذي كان ينبغي أن يكون باسمه ، فإذا هو محرر باسم سواه! وتلك أمانة يُسأل فيها وعنها الأب حيث كان كل شيء قد عُهد إليه فيه ، وأخذت مشورته كذلك فيه ، وبوصفه طرفاً وشاهداً ومتعهداً في نفس الوقت بإرجاع المال لصاحبه أو صيانته على الوجه الأمثل! وأخ آخر كان قد سرق كتب أخيه ومراجعه وأشرطته جميعاً ، كأن أخاه هذا قد مات وورثه ذلك الأخ فقط! علماً بأنها كانت أمانة عند الجميع! وتشمت العائلة بأسرها في ذلك المحسن الشهم ، كأنهم يقولون له: لم أحسنت إلينا؟ لم اهتممت بنا؟ لم أصلحت شأننا؟ لماذا كنت شهماً محسناً معنا؟ أما كان الأحرى بك أن تكون نذلاً أنانياً تعيش لنفسك فقط؟ أما كان أولى بك أن تكون وبشاً منحطاً وضيعاً لا يمتد خيره إلى غيره؟ والحمد لله أنه كان ينتظر الأجر من الله أولاً وآخراً! ولكنه كان يتوقع أنهم عندما يُغنيهمُ الله من فضله ، فسوف يعودون عليه بشيء من ردّ الجميل ، إن لم يكن كأخ لهم يحمل اسمهم وينتسب إليهم ، فكغريب سخره الله تعالى لهم ، فاهتم بهم ، واعتنى بشؤونهم ، حتى أدركوا ما هم فيه! وتناقش الشهم المحسن معهم ، وحذرهم من سوء العاقبة وشر المآل ، ولكن كل فرد فيهم صغيراً كان أم كبيراً كان يُناصبه العداء ، وكأن الرؤوس قد تساوت! وكأن المقادير قد سقطت! وبالطبع لم تكن أوراق تثبت هذه الحقوق ، فضاع كل شيء! وإذا بقطار الأخوة والقرابة يتجاوزهم جميعاً ، فما هؤلاء بالإخوة ولا هم بالقرابة ولا بالمعارف فضلاً عن أن يكونوا أصدقاء! وبرئتْ منهم الأخوة والقرابة كما برئت المعرفة والرفقة والصداقة! واتسع الخرق على الراقع ، حيث أنكر كل طرف الحق ، وتنكر للحقيقة التي إن ضاعت عند الناس ، فلن تضيع عند الله تعالى رب الناس! إن الحال الذي وصل إليه هؤلاء الأشقاء مع شقيقهم أنهم من غير أصحاب المروءة والنبل! كما أنهم من غير أصحاب الاجتهاد في الدين! إن المروءة وحدها حَريّة بأن تقيم مجتمع الكفاية والعدل! فإذا وجد معها التوحيد والعقيدة ، كان ذلك المجتمع مجتمعاً إيمانياً متكافلاً متضامناً متكاملاً! وكان طبيعياً أن تصل العلاقة إلى هذه النهاية بينهم ، لأنهم للأسف يجمعون إلى صفات الخسة والنذالة كراهية الالتزام بالإسلام كما أسلفنا ، فالدين عندهم حفنة من المناسك وليس له علاقة بالحياة ولا الأحياء بعد ذلك! والتوحيد عندهم هو الربوبية فقط! وإذن فليس لهم لون اجتهاد في الإسلام! وهذا الذي أجهز على العلاقة من

طرف أخيهم الشهم ذي المروءة! فالعلاقة من طرفهم انقطعت لأن أخاهم ليس على ما هم عليه من جاهلية وانحراف وبُعد عن الدين وجهل بأحكامه المعلوم منها بالضرورة وغير المعلوم! ويضاف إلى ذلك ثافية الأثافي أنهم يقيسون أخاهم بما يملك! لأنهم يملكون وقد أغناهمُ الله من فضله! وذلك بالقدر الذي أصبح أخاهم فيه أدنى درجة: مالاً وجاهاً وعقاراً وبنايات! وإذن فطبقته لم تعد مثل طبقتهم! وزاد حبات الطين بلة أنهم ربّوا أبناءهم وبناتهم على ذلك! فشب الأبناء والبنات يكرهون عمّهم! أما من ناحيته فليس يرى شيئاً من ذلك! فقط يريد التوحيد والعقيدة ويصالح ويسامح ويعطي ويمنع ويكره ويحب على أساسهما! ذلك لأن المؤمن قد يكون جباناً ، فليس عنده من الشجاعة القدر الذي يستطيع معه نصرة أخيه! وقد يكون المؤمن بخيلاً ، فليس عنده من المروءة والشهامة والنجدة ما يجعله يتجاوز بأخيه فقره وعوزه وحاجته ابتغاء مرضاة الله! ولكن هل يكون المؤمن جاهلياً معرضاً لا يعرف الفرق بين الإسلام والإيمان؟ ولا بين الإله والرب؟ ولا بين الدين والعبادة؟ ولا يعرف من لا إله إلا الله إلا الحروف ، ولا يحقق مضمونها ولا يطبق شروطها فضلاً عن أن يعرفها؟ هذا ليس وارداً على المؤمن أبداً! هل يستوفي المؤمن حياة الجاهلية ويعجب بها ويسترسل في عبادتها من دون الله! ويخاصم ويصالح ويحب ويكره على أساسها؟ ماذا بقي له من الإسلام سوى الانتساب الأجوف الباهت الهزيل الذي ليس له رصيد من الواقع! إنه لا خير في رجل كان جُهال المشركين الأوائل أعلم منه بلا إله إلا الله ولذلك أبوا أن يقولوها! فلا عقيدة وتوحيد وإسلام وإيمان ، بمروءة ونجدة ، فنقول: إخوة مؤمنون أجاويد ذوو شهامة ومروءة ونجدة! ولا عقيدة وتوحيد وإسلام وإيمان ، بدون مروءة ونجدة ، فنقول: إخوة مؤمنون موحدون بخلاء جبناء ، فهم مقبولون لإيمانهم وتوحيدهم وعقيدتهم أساساً! ولا هم بعد ذلك إخوة ذوو معايير إنسانية بصرف النظر عن التوحيد والعقيدة ، فهم مقبولون في مضمار البر العام والإقساط العام الذي أمر الإسلام بهما مع غير المسلمين! أما إخوة بلا توحيد ولا عقيدة ولا لون اجتهاد في الإسلام ، وبخلاء أشحة أنذال أوباش أنانيون ، فعلى أي منهج نلتقي؟ وفي أي مضمار يمكن أن نتآذر؟ إنها علاقة وئدتْ يوم ولدتْ! كالتي كان الواحد من أصحاب محمد – صلى الله عليه وسلم - يجهر بها لقرابته من غير مِلته: (إليك عني يا أبتاه – إليك عني يا زوجتاه – إليكم عني يا إخوتاه ، فرّق بيني وبينكم دين محمد – صلى الله عليه وسلم -!) يقول الدكتور / خالد الغامدي متحدثاً عن المروءة وأصحابها: (إن مِن أعظم مقاصِدِ بِعثة المُصطفى – صلى الله عليه وآله وأصحابه جميعاً وسلم – أن يُتمِّمَ مكارِمَ الأخلاق وصالِحَ الآداب ، ويُنشِئَ في الأمة النماذِجَ الأخلاقية الراقِيَة ، والمُثُل والآداب السامِيَة التي تَكفَلُ الحياةَ الكريمةَ والسعادةَ ، والعزَّةَ للفرد والجماعة. وإن فروعَ هذه الأخلاق الإسلامية الراقِيَة كثيرةٌ ومُتشعِّبة ، ولكنها تجتمِعُ كلها في أصولٍ عظيمةٍ ، وأركانٍ متينةٍ ، تلتَقِي فيها كلُّ الآداب النبوية والأخلاق المُصطفوية ، وما تعارَفَت عليه العقولُ الصحيحةُ والعاداتُ الحسنة. هذا وإن مِن أعظم هذه الأصول الجامِعة المانِعة: أصلًا عظيمًا يجتمِعُ تحتَه ما تفرَّق ، وينتَظِمُ في سِلكِه ما تشعَّب ، ألا وهو: المُروءةُ. وما أدراكُم ما المُروءة؟! إنها منبَعُ الخيرات ، ومُلتَقَى الآداب ، وعِمادُ الحياة الشريفة الحُرَّة ، وجِماعُ المحاسِنِ والكمالاتِ ، وأساسُ الإنسانية ، وكمالُ الرجولية. بها يتفاضَلُ الرجالُ والنساءُ ، حتى عُدَّ ألفٌ بواحدٍ ، والناسُ كمعادنِ الذهبِ والفضَّة ، وكإبلٍ مائةٍ لا تكادُ تجِدُ فيها راحِلةً إلا مَن كمَّلَ نفسَه بأخلاق المروءة التي تُحِبُّها النفوسُ الكِبارُ ، ويَهِيمُ بها العُظماءُ والنُّبلاءُ ، ويرتفِعُ بها العبدُ في قلوبِ الناسِ وإن كان أقلَّ منهم مالًا وجاهًا. وتلك فِطرةُ الله تعالى التي فطَرَ الناسَ

على حبِّ المُروءة ، والاتِّصاف بها ، ورِفعة شأن المُتحَلِّين بها ، لا تبديلَ لخلقِ الله. فِطرةٌ مركوزةٌ في الخليقة والبشرية ، حتى إن النفسَ لتنتَشِي فرَحًا حينما تُوصَفُ بأنها مِن أهل المُروءات ، أو ترى أفعالَهم. وقال – عليه الصلاة والسلام -: «إن الله يرضَى لكم ثلاثًا ويكرَهُ لكم ثلاثًا ؛ فيرضَى لكم: أن تعبُدُوه ولا تُشرِكُوا به شيئًا ، وأن تعتصِمُوا بحبلِ الله جميعًا ولا تفرَّقُوا ، وأن تُناصِحُوا مَن ولَّاه اللهُ أمرَكم ، ويكرَهُ لكم: قِيلَ وقالَ ، وكثرةَ السُّؤال ، وإضاعةَ المال» ؛ أخرجه أحمد ومسلم عن أبي هريرة. وقد لزِمَ هذا السَّنَنَ النبويَّ الرفيعَ صحابتُه الكرامُ – رضي الله عنهم – والتابِعُون لهم ، وأورَثُوه إلى مَن بعدَهم مِن العُلماء والفُضلاء والنُّبلاء الذين كتَبُوا في ذلك الرسائل والكُتُب التي تُبيِّنُ للناسِ آدابَ المُروءة وخِصالَها ، حتى إنهم جعلُوا مِن أهم صِفاتِ راوِي الحديث ومَن تُطلَبُ مِنه الشهادةُ في الأُقضِيات أن يكون مُتحلِّيًا بآداب المُروءة ، مُجتنِبًا خوارِمَها ومُفسِداتها. بل قد حثَّ النبيُّ – صلى الله عليه وآله وسلم – على التسامُح مع أهل المُروءات ، والعفوِ عن خطئِهم وعثَرَات أقدامِهم ؛ لمُروءتِهم ونُبلِهم ، فقال – عليه الصلاة والسلام -: «تجافَوا عن عُقوبةِ ذوِي المُروءةِ» ؛ أخرجه الطبرانيُّ عن ابن عُمر بسندٍ صحيحٍ. وقال أيضًا – عليه الصلاة والسلام -: «أقِيلُوا ذوِي الهيئاتِ عثَرَاتهم إلا الحُدود» ؛ أخرجه أحمد وأبو داود عن عائشة – رضي الله عنها-. فأهلُ المُروءات مِن العُلماء والفُضلاء وصالِحي المُسلمين ، لهم فضلُهم ومكانتُهم ومنزلتُهم ، ولا يجوزُ أبدًا أن تُهدَرَ فضائِلُهم ، أو تُطمَسَ مناقِبُهم لزلَّةِ قدَمٍ أو كَبوَةِ جَوادٍ ؛ وما ذاك إلا لشرفِ المُروءة وعلُوِّ كعبِها ، والتي تحمِلُ صاحِبَها وترفعُه وتُزكِّيه ، وإذا بلغَ الماءُ قُلَّتَين لم يحمِلِ الخبَثَ. والله – سبحانه وتعالى – قد احتمَلَ لكليمِهِ مُوسَى – عليه وعلى نبيِّنا الصلاة والسلام – احتمَلَ له إلقاءَه ألواحَ التوراة ، وأخذَه بلِحيةِ أخيهِ هارُون – عليه السلام – يجُرُّه إليه وهو نبيٌّ. وإن المروءةَ خُلُقٌ عظيمٌ ، وإذا نزلَت في جَذرِ قلوبِ الرجالِ والنساءِ أثمَرَت وطابَت بها الحياة ، وسعِدَت الأرواح وهذَّبَت ما في النفوسِ مِن آفات الشُّحِّ المُطاع ، والهوَى المُتَّبَع ، وإعجابِ كلِّ ذي رأيٍ برأيِه. ولا تكادُ تجِدُ امرأً قد تمكَّنَت المُروءةُ مِن قلبِه ورسَخَت إلا كان لله عامِلًا عابِدًا مُطيعًا ؛ لأنه يعلَمُ أن ارتِكابَ المُحرَّمات ، والتساهُلَ في المُنكرات والرِّضا بها مِن أخطر خوارِمِ المُروءة ومُفسِداتها. ثم إن أهل المُروءات أصحابُ هِممٍ عالِية ، وإراداتٍ حازِمة ؛ فإنه لم يُرَ أقعَدَ عن المكرُمات مِن صِغَر الهِمَم ، فلذلك تجِدُهم يضرِبُون في كل خيرٍ بسَهمٍ ، ويُسابِقُون في وجوهِ الإحسان ، وهم يستعمِلُون مع الناسِ كلِّهم حُسنَ الأدبِ والخُلُقَ الحسنَ في القولِ والفعلِ ، في الجِدِّ والمِزاحِ ، في السرَّاء والضرَّاء ، في السفَر والحضَر ، في الحبِّ والكُرهِ ، فلا يصدُرُ منهم إلا جميلُ القول والفعل ، كما قال – سبحانه-: (وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا). ومِن نُبلِهم ومُروءتهم: أنهم يقومون بحوائِجِهم وحوائِجِ أهلِيهم ومَن يعُولُون ، فليس مِن المُروءة أن يُضيِّعَ المرءُ نفسَه وأهلَه وعِيالَه ، ولا أن يجعلَهم عالةً يتكفَّفُون الناسَ ويسألُونَهم. ولذلك فهم يحرِصُون على إصلاح أموالِهم ، ويَنوُون في ذلك نيَّةً طيبةً مِن العفافِ والاستِغناءِ عن الناس ، ونِعمَ المالُ الصالِحُ للرجلِ الصالِح. ومِن أجمل صِفاتِ أهل المُروءات: الحِلمُ والرَّزانة ، والتثبُّت والتأنِّي والهُدوء ، والبُعد عن الطَّيش والعجَلَة والنَّزَق والتهوُّر ، وخِفَّة العقل عند حُلول الحوادِثِ والنَّوائِب. وإن مِن خوارِمِ المُروءة: أن يكون المرءُ داعِيةَ شرٍّ وإرهابٍ وفوضَى وفساد ، أو يكون مِن الهَمَجِ الرَّعاع أتباعَ كلِّ ناعِقٍ ، يَمِيلُون مع كل رِيحٍ ، لم يستضِيئُوا بنُور العلمِ والحكمةِ ، ولم يلجَأوا إلى رُكنٍ وثيقٍ مِن الحُكماء الحُلماء ، مِن العُلماء الذين أمرَنا ربُّنا – سبحانه – أن نرُدَّ إليهم الأمرَ مِن الأمن أو الخوف. ولذلك كان مِن صِفات أهل المُروءات:

مُجالسةُ الصالِحين ذوِي المُروءة والنُّبل والعقل والحِكمة والبُعد عن مُجالسة الخُبثاء الأشرار الذين سقَطَت مُروءاتُهم في توجُّهاتٍ مُنحرِفةٍ. ومِن أنبَلِ خِلالِ أهل المُروءات: أنهم يُعامِلُون الناسَ بصِدقِ قلبٍ ، وصفاءِ نفسٍ ، بَعِيدُون عن النِّفاقِ والتلوُّن ، يُحبُّون للمُسلمين ما يُحبُّون لأنفسِهم ، ولا يحمِلُون غِلًّا ولا حسدًا ولا حقدًا للذين آمنوا ، فلذلك يُوفِّقهم الله – سبحانه - ، فيُنجِّيهم مِن مواطِنِ الذمِّ والعيبِ واللَّومِ. والمُروءةُ تحمِلُ صاحبَها على صِيانة نفسِه وحِمايتِها مِن كل ما يَعيبُها ، ويُزرِي بها عند الله وعند خلقِه في كل زمانٍ ومكانٍ فتعلُو هِمَّتُه ، ويصلُبُ عزمُه وحزمُه ، ويبتعِدُ عن كل ما يخدِشُ الإيمانَ والحياءَ مِن الدَّنايا والرَّزايا. وإن مِن أدبِ أهل المُروءات: أنهم يُراعُون الأعرافَ والعادات الطيبة الحسنة عند الناسِ ، ولا يُشهِرُون أنفسَهم بلِباسٍ أو مظهرٍ أو أمرٍ يُخالِفُون به أعرافَ الناسِ الطيبةَ التي تُخالِفُ الشرعَ ؛ لأن مُجاراةَ العُرف الحسَن مِن الأمور المُعتبَرَة شرعًا ، خاصَّةً إذا ترتَّبَ على المُخالفَة مفاسِد ، فإنهم – أعني: أهلَ المُروءات – مِن أحرصِ الناسِ على تأليفِ القلوبِ ، وتطييبِ النفوسِ ، ومَدِّ بِساطِ الأُخُوَّة والمحبَّة ، وتلك شِيَمُ الكِرام أهل المُروءات والنُّبل).هـ. ولا شك في أن الناس يحبون أصحاب المروءات لكرمهم عليهم ورفقهم بهم وإحسانهم إليهم! إن أهل المروءة قد غزوا قلوب الناس بهذه المروءة وبذلك الإحسان! ولا يدرك ذلك ولا شيئاً من ذلك الأراذل الأوباش الوضعاء الأنذال الأنانيون ، الذين شعارهم نفسي نفسي! أو نفسي ومن بعدي الطوفان! تعساً لهم ولما ارتأوْا من القيم الوضيعة الهزيلة التي تُزري بأصحابها إن كان عند الواحد منهم دمٌ أو شعور! والشيخ الدكتور خالد بن عثمان السبت يقول في المروءة: (إن المسلمين قد اختلطوا بغيرهم من الأمم ، وتداخل الناس حتى صاروا إلى ما صاروا إليه ، مما أثر سلباً على كثير من أخلاق المسلمين ، وجعل كثيراً منهم يتحللون ويتخففون من كثير من المؤن التي من شأنها أن يرتفع بها الإنسان ويسمو ، ويكون على حالة مرضية من الأخلاق ، ومقومات الإنسانية ، فهم قد اختلطوا بأقوام لا خلاق لهم ، ولا يرفعون للمروءة رأساً ، ولا شك أن هذه الخلطة تؤثر أبلغ تأثير. والأمر الآخر: وهو ما حصل من غلبة المادة على كثير من المسلمين ، فصار هم كثير منهم أن يحصل بغيته ومطامعه ، ولو كان ذلك على حساب الأخلاق ، ولو كان ذلك على حساب كرامته وشيمته ومرتبته عند الله - عز وجل - وعند خلقه ، فإذا تهافت الناس على هذه المادة ، وصارت شغلاً لهم ، وصارت هي غاية مطلوبهم ، فإنهم بعد ذلك قد لا يرفعون رأساً لمكارم الأخلاق ومحاسن العادات. وهناك أمر ثالث: وهو أن الإنسان مدني بطبعه ، فلا بد له من مخالطة ، وهذه المخالطة تقتضي أموراً يجب عليه أن يفعلها ، من إكرام الضيف ومن الإحسان إلى الأهل والجيران والقرابات ، إلى غير ذلك من الحقوق والواجبات التي يتعين عليه أن يؤديها ، وأن يقوم بها على الوجه المطلوب ، ثم أيضاً لا يخلو الإنسان من أضداد ، ولا يخلو الإنسان ممن يسيء إليه بكلمة أو بفعل أو بغمز أو همز أو لمز أو بغير ذلك. الإنسان مدني جداً بطبعه ، فلا بد له من مخالطة ، وهذه المخالطة تقتضي أموراً يجب عليه أن يفعلها ، من إكرام الضيف ومن الإحسان إلى الأهل والجيران والقرابات ، إلى غير ذلك من الحقوق والواجبات التي يتعين عليه أن يؤديها ، وأن يقوم بها على الوجه المطلوب ، ثم أيضاً لا يخلو الإنسان من أضداد ، ولا يخلو الإنسان ممن يسيء إليه بكلمة أو بفعل أو بغمز أو همز أو لمز أو بغير ذلك. وأنت تسير في الطريق لربما ألقى عليك إنسان لا يحسب حساباً للكلام لا تليق ، فماذا تصنع؟ هل تنزل فتكون مساوياً لهذا الإنسان في أخلاقه ودناءته وتقاصره عن المطالب العالية ، وبالتالي تكون قد ساويته. وأنت تتحدث في الهاتف لربما أخطأت الرقم المطلوب ، وابتليت بمن

لا خلاق له فسمعت منه ما لا يرضيك ، فهل تتطاول مع هذا الإنسان بالسباب والمشاتمة؟ تكون إذن قد ساويته. لربما ترتبط مع إنسان في عقود ، أو في عهود أو في مبايعات ومعاملات أو شراكة أو غير ذلك ، فترى من ألوان المطل والظلم وأكل حقوق الناس والكذب وإخلاف المواعيد ، فكيف تستخلص حقك؟ وكيف تحرز نفسك من ظلم هؤلاء الذين لا يعبأون بحق ، ولا يرعون ذمة ولا عهداً ، فهل تبقى معهم في حال من المهارشة تنـزل فيها عن مستواك الرفيع فتصل إلى دركات هابطة من أجل أن تستخلص هذا الحق ولو كان حقيراً؟ فأقول: الإنسان بحاجة إلى أن يضبط نفسه في مثل هذه المقامات جميعاً ، فهذا أمر لا بد من معالجته. نحن نرى في كثير من الأحيان والأحوال ، خللاً في مظاهر المروءة في حياة الناس ، في اجتماعاتهم ، وفي معاملاتهم ، وفي مناسباتهم وفي غير ذلك مما يتعاطونه ، فإذا ترك الناس ولم تصوب أفعالهم ، ولم يحصل التواصي الذي أمر الله ـ عز وجل – به ، فإن الناس يسرق بعضهم أخلاق بعض ويتأثرون ، شعروا بذلك أم لم يشعروا ، وكما قيل: الطبع سراق ، والناس كأسراب القطا جبلوا على تشبه بعضهم ببعض ، فإذا تركت هذه المظاهر من غير معالجة ، فإن ذلك لا يلبث أن يتحول إلى خلق لعامة الناس ، ويصير فيه أصحاب المروءات غرباء كالشعرة البيضاء في جلد ثور أسود. والمروءة: مأخوذة من لفظ المرء كما تقول: الفتوة من الفتى ، والإنسانية من الإنسان ، والرجولة من الرجل. وحقيقة هذه المروءة هي أن يتصف الإنسان بصفات الإنسان الحقيقية ، التي يفترق بها عن الحيوان وعن الشيطان ، إذ أن النفس تشتمل على دواع شتى ، في النفس ما يدعو إلى أخلاق الشيطان ، والشيطان يدعو إلى ذلك من الكبر والحسد والعلو والبغي والشر والأذى والفساد والغش وفي النفس ما يدعو إلى الأخلاق البهيمية بالجري خلف الغرائز البهيمية ، والبحث عن اللذات ، كما أن في النفس ما يدعوها إلى أخلاق الملك من العلم والإحسان والنصح والبر والطاعة. فإذا استطاع الإنسان أن يتجرد من داعي الهواء والشيطان والنفس الأمارة بالسوء ، وأن يتخلق بالأخلاق الفاضلة التي تتلاءم مع إنسانيته فينـزع إلى أخلاق الملك ، كما قال بعض السلف ـ رضي الله تعالى عنهم ـ فإنه يكون بذلك أسمى وأعلى. وهذا السمو الذي حصله والعلو الذي حققه هو حقيقة المروءة ، ولذا فعلى الإنسان أن يسمو عن الأخلاق الهابطة المشينة ، التي لا تليق بالإنسان ؛ ولذا قيل: المروءة هي غلبة العقل على الشهوة ، أي: أن تزم الشهوة بزمام العقل. إن المروءة هي كمال الإنسانية ، وهي الرجولة الكاملة ، وهي ما يسميه العامة في عصرنا الحاضر وبلغتهم الدارجة هي المراجل ، هي ما يقولون عنه ويعبرون حينما ينشئون الصغار ، هي درب الطيب ، هي المكارم ، هي السمو والرفعة والعلو ، في الأخلاق ، هي أن يترفع الإنسان ويتكرم وأن يعلو بنفسه عن أخلاق السفلة ، وعن أخلاق البهائم حيث تتهارش على شهواتها ورغباتها. البهائم جعلها الله ـ عز وجل ـ بشهوات من غير عقول ، وجعل الله ـ عز وجل ـ الملائكة موصوفين بالعلم من غير غرائز ولا شهوات ، وركب الله ـ عز وجل ـ الإنسان فجعل فيه ما ينـزع إلى الشهوات وما ينـزع إلى العلم والضبط والعقل والإدراك والمعرفة ، فهو بحسب ما غلب عليه. المروءة هي جماع مكارم الأخلاق ومحاسن الآداب ، هي كمال النفس بصونها عما يوجب ذمها عرفاً ، ولو مباحاً ، مما يستقبح ويستهجن من أمثاله. المروءة: أن تستعمل ما يجملك ويزينك وأن تجتنب ما يدنسك ويشينك ، فهي كيفية نفسانية تحمل المرء على ملازمة التقوى وترك الرذائل. هي آداب نفسانية تحمل مراعاتها على الوقوف عند محاسن الأخلاق وجميل العادات ، إنها رعيٌ لمساعي البر ورفع لدواعي الضر ، وهي طهارة من جميع الأدناس والأرجاس ، وكل شيء

يحمل على صلاح الدين والدنيا ويبعث عن شرف الممات والمحيا ، يدخل تحت هذه المروءة التي تحدثنا عنها. قيل لسفيان بن عيينة - رحمه الله - وهو من السلف الأكابر - رضي الله تعالى عنهم وأرضاهم -: قد استنبطت من القرآن كل شيء ، فهل وجدت المروءة فيه؟ فقال: "نعم ، في قوله تعالى: (خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ) ، يقول: ففيه المروءة وحسن الأدب ومكارم الأخلاق ، فجمع في قوله: خُذِ الْعَفْوَ صلة القاطعين والعفو عن المذنبين ، والرفق بالمؤمنين ، وغير ذلك من أخلاق المطيعين ، وذلك في قوله: خُذِ الْعَفْوَ ، ودخل في قوله: وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ صلة الأرحام ، وتقوى الله في الحلال والحرام ، وغض الأبصار ، والاستعداد لدار القرار ، ودخل في قوله: وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ الحظ عن التخلق بالحلم والإعراض عن أهل الظلم والتنـزه عن منازعة السفهاء ومساواة الجهلة والأغبياء وغير ذلك من الأخلاق الحميدة والأفعال الرشيدة. وأما صاحب المروءة فهو من صان نفسه عن الأدناس ، وما شانها عند الناس ، فحملها على ما يجمل من مكارم الأخلاق ، وأدى حقوق الله - عز وجل - وحقوق المخلوقين ، واجتنب ما يدنس عرضه وشرفه من كل قول وفعل ومقام ، وغير ذلك مما يهبط بالإنسان عن المراتب العالية).هـ. وكنت قد تأخرت في الكتابة عن هذا الموضوع ثلاثة عقود لشيء يريده الله تعالى! وقلتُ: لعل كل واحد منهم يتذكر أو يخشى! يتذكر الجميل والمعروف ، ويخشى سوء العاقبة التي إن لم تلحقه في الدنيا فوالله سوف تلحقه في القيامة! يوم يقول الله للمظلوم تقدم ويقول للظالم: لا تتكلم! وإنهم يرونه بعيداً ، ونراه قريباً! ومن مات فقد قامت قيامته ، والقبر أول منزل من منازل الآخرة! وعند الله الجبار المنتقم القهار الغالب القدير العزيز القادر تجتمع الخصوم! ولكن لمّا بلغ الأمر منتهاه ، وبلغ السيل الزبى ، ولم أعد أحتمل تطاول أبناء الأبناء الذين لم يشهدوا شيئاً ، فإذا بهم يقطعون بأشياء وأشياء! وكنت أعذرهم صغاراً لأنهم لا يدركون! أما وقد أصبحوا كباراً راشدين يعقلون ويدركون ، فإن الأمر يحتاج إلى مُعلقة عصماء تعيد الحق إلى نصابه ، وتعطي القوس لباريها! وعنونتُ لها بـ: (الشقيقتان) فكأني خصصت ولم أعمم! وهذا لأنني وجدت الشقيقتين أشد ضراوة في الحرب الملعونة الشعواء! فلقد قادتا حرباً ضد أخيهما الأكبر للأسف ، استمرت ثلاثة عقود! وعندهما من الأسرار والكلام والأباطيل والخطط والتلفيقات ما الله به عليم! ولا شأن لنا بشيء من ذلك! إنما العبرة بالأفعال الظاهرة والمآلات الواضحة! والأنثى جبلها الله على الرحمة والشفقة والعطف والحنان واللين ، إلا هاتين الشقيقتين! حيث كانتا في الخصومة ألد ، وفي العداء أشد ، وفي الحرب أعتى ، وفي الانتقام أنكى! وأسأل: لماذا؟ أما كان أحرى بكما التلطيف وبعث روح التفاهم والصلح؟ وأسأل أين حق أخيكما الذي آثركما عن نفسه يوماً ما؟ والعجيب في الأمر أنه كما يقول المثل العربي: (الطيور على أشكالها تقع)! حيث تزوجت كل شقيقةٍ نذلاً لا يساوي في سوق الرجال قميصاً يلبسه أو لباساً يستر به عورته! والأصل أن يقوم زوج البنت بإصلاح ما يتدهور من العلاقات بينها وبين أهلها! هذا إذا كان ابن ناس بالمعنى الشائع المتداول! أما إذا كان وبشاً نما وترعرع في أسرةٍ وضيعة ساقطة من سوق الأسر ، والقيم والأخلاق منها بريئة براءة الذئب من دم يوسف بن يعقوب عليه صلوات الله وتسليماته – فإن الأمر يختلف! حيث يجد ذلك النذل الوضيع الحقير في الخلافات فرصة سانحة ليستأثر بها فريسة وضيعة حقيرة مثله! على أن المثل السيار يقول: (الذي ليس له كبير فليشتر له كبيراً)! إلا أننا نجد الحال قد اختلف مع هاتين الشقيقتين العجيبتين! الكبير موجود فلن يُشترى ومع ذلك كانت البراءة منه! الله أكبر! فأنشدتُ هذه القصيدة حكاية على لسان ذلك الشقيق الأكبر المظلوم ظلماً بيناً لا سبيل

لإنكاره! وأعلم أنها لن تؤتي ثمارها عند قساة القلوب الأجلاف غلاظ الطباع من الآباء والأمهات! ولكن ربما كان الأمر على العكس ، عند الأبناء والبنات ممن يريدون الحق! ولربما استفاد منها الآخرون ، حيث تحمل هذه القصيدة من الدروس والعبر والمواعظ الشيء الكثير! وعموماً بذل المعروف من شيم الكرام! والاعتراف بالحق والإشادة بأهل الخير من طبائع ذوي القيم! والأستاذ الفاضل منقذ بن محمود السقار يتحدث عن: (معنى المعروف وأهمية هذه العبادة) فيقول ما نصه: (المعروف المقصود هنا هو فعل الخير وإسداؤه للعباد ، سواء كان هذا الخير مالاً كالصدقة والإطعام وسقاية الماء وسداد الديون ، أو جاهاً كما في الإصلاح بين المتهاجرين والشفعة وبذل الجاه ، أو علماً ، أو سائر المصالح التي يحتاجها الناس ، كحسن المعاملة وإماطة الأذى وإغاثة الملهوف وعيادة المرضى. أما أدلة صناعة المعروف من القرآن الكريم: يقول الله تعالى: (يا أيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم وافعلوا الخير لعلكم تفلحون). فقوله: {وافعلوا الخير} أمر يشمل كل خير ، لأنها نكرة في سياق العموم كما يقول النحاة ، وقال تعالى{لا خير في كثير من نجواهم إلا من أمر بصدقة أو معروف أو إصلاح بين الناس} ، {وأحسنوا إن الله يحب المحسنين). وأما أدلة صناعة المعروف وتعدد صوره من السنة النبوية: فمن صور صناعته صلى الله عليه وسلم للمعروف ما جاء عن عبد الله بن جعفر قال: فدخل صلى الله عليه وسلم حائطاً لرجل من الأنصار فإذا جمل ، فلما رأى النبي صلى الله عليه وسلم حنّ وذرفت عيناه ، فأتاه النبي صلى الله عليه وسلم فمسح ذفراه فسكت فقال: (من رب هذا الجمل؟ لمن هذا الجمل؟ فجاء فتىً من الأنصار ، فقال: لي يا رسول الله. فقال: أفلا تتقي الله في هذه البهيمة التي ملكك الله إياها؟ فإنه شكا إليّ أنك تُجيعه وتُدْئبه). أبو داود. ومنه أيضاً شفاعته لمغيث عند زوجته السابقة بريرة ، كما روي عن ابن عباس رضي الله عنه ، وفيه أن زوج بريرة كان عبداً يقال له مغيث ، كأني أنظر إليه يطوف خلفها يبكي ودموعه تسيل على لحيته. فقال النبي صلى الله عليه وسلم لعباس: (يا عباس ألا تعجب من حب مغيث بريرة ، ومن بغض بريرة مغيثاً ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: لو راجعتِه قالت: يا رسول الله تأمرني؟ قال: إنما أنا أشفع. قالت: لا حاجة لي فيه). البخاري. وأما صناعة المعروف عند السلف: فلقد كان السلف رحمهم الله أسرع الناس في صناعة المعروف وبذله ، ومن ذلك ما ذكر من إنفاق الصديق وعثمان والزبير وأمهات المؤمنين وعبد الرحمن بن عوف ، وغيرهم ، وهذا يطول ذكره. ومنه أيضاً صنيع أبي بكر الصديق حين ولي الخلافة ، فكان في كل يوم يأتي بيتاً في عوالي المدينة تسكنه عجوز عمياء ، فينضج لها طعامها ، ويكنس لها بيتها ، وهي لا تعلم من هو ، فكان يستبق وعمر بن الخطاب إلى خدمتها. أُسد الغابة. ولما ولي عمر الخلافة خرج يتحسس أخبار المسلمين ، فوجد أرملة وأيتاماً عندها يبكون ، يتضاغون من الجوع ، فلم يلبث أن غدا إلى بيت مال المسلمين ، فحمل وقر طعام على ظهره وانطلق فأنضج لهم طعامهم ، فما زال بهم حتى أكلوا وضحكوا. الرياض النضرة. ومن صناعة المعروف أيضاً ما ذكر عن علي زين العابدين ، فقد كان أناس من أهل المدينة ، لا يدرون من أين معايشهم ، فلما مات فقدوا ذلك الذي كانوا يؤتون بالليل. ولما غسلوه رحمه الله وجدوا بظهره أثراً مما كان ينقله بالليل إلى بيوت الأرامل. سير أعلام النبلاء. وهذا عبد الله بن المبارك كان ينفق من ماله على الفقهاء ، وكان من أراد الحج من أهل مرو إنما يحج من نفقة ابن المبارك ، كما كان يؤدي عن المديون دينه ويشترط على الدائن أن لا يخبر مدينه باسمه. سير أعلام النبلاء).هـ. وعلى وجه العموم تعتبر خصال الخير من الأخلاق التي جاء رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ليتممها!

وكلنا يذكر قوله – صلى الله عليه وسلم -: (إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق). وتحت عنوان: (مكارم الاخلاق) يقول الأستاذ محمد مروان ما نصه: (تعتبر الأخلاق هي الضّامن الوحيد لاستمراريّة الحياة على سطح الكرة الأرضيّة بسلام ومودّة ومحبّة ، وهي الضّامن أيضاً لاستمرار النّهضة. فانعدامها يعني الدّمار والخيبة والخسران ، ليس على الإنسان فقط ، بل تنعكس آثارها السّلبية على المجتمع ، بل تؤدّي إلى تضرّر جميع المخلوقات والكائنات وأشكال الحياة أيضاً ، وهي عملية تراكميّة بامتياز ، متنوّعة مصادرها ، فقد يستمد النّاس أخلاقهم من العادات والتقاليد والأعراف المتّبعة ، وقد يقوّم الدّين أخلاق النّاس ، من خلال إضافة الأخلاق الحميدة ، ومحو الأخلاق السّيئة التي نشأوا عليها ، لهذا فالأديان ضرورية جداً للنواحي الأخلاقيّة ، إضافةً إلى وظيفتها الرّئيسية الأخرى ، والمتمحورة حول تعريف النّاس بخالقهم وربّهم المعبود ، وكذلك فإنّ التّفاوت الأخلاقي بين النّاس موجود ، نظراً لاختلاف البيئات التي ترعرعوا فيها ، ونظراً أيضاً لاختلاف أهمّيتها عند النّاس ، فبعض النّاس يضربون بها عرض الحائط ويعتبرونها معيقاً للطموح والتقدّم والنّجاح ، فهم بذلك يدوسون على إنسانيتهم وعلى من حولهم ، حتى يستطيعوا الوصول إلى أهدافهم وغاياتهم الدّنيئة الرّخيصة ، والتي ستسبّب لهم ولمن حولهم الهلاك والخسران. ولطالما عانت الحضارات والبشريّة والدّول والشّعوب من انعدام الأخلاق عند ساستها وقائديها ، ومن يتولون أمورها ويديرونها ، فقد أدّى ذلك إلى طحن العديد من البشر برحى الموت ، وآخرها ومن أكبرها ما حدث في الحربين العالميتين الأولى والثّانية ، من دمار وخراب اجتاح العالم أجمع ، وقضى بسببه ملايين النّاس والبشر).هـ. أيتها الشقيقتان الأنانيتان النذلتان ينبغي أن تعلما أن شقيقكما الأكبر قد بذل الكثير من أجل تربيتكما ، وضحى بالكثير من أجل راحتكما! ولا يصح أبداً أن تقولا: (إنما كان يساعد أباه!) لأن أباه لم يكن بحاجة إليه! إنما بكما كان ذا حاجة بسبب مطالبكما التي أثقلت كاهله! فكيف يدفع ذلك الأخ الأكبر ثمن مروءته اليوم خذلاناً؟ هل جزاء الإحسان إلا الإحسان؟ لقد حملكما في جملة من حمل بالأمس لتحملوه جميعاً اليوم! ولو كان الرجل يدري نذالتكم وخستكم جميعاً لانشغل بنفسه ومن يعول ، وأعد نفسه ومن يعول لذلك اليوم الذي يكون فيه بحاجة لكم! فهنيئاً للشقيقتين النذلتين الأنانيتين! وإنا لنرى انتصار الله منكما حيث تزوجتما بنذلين حقيرين لا أخلاق عند أحدهما! ولقد تسلط كل منهما على زوجته وأخذ ما أخذ وانتفع على حساب رد جميل الشقيق الأكبر! إن هذه القصيدة قد لا يكون لها صدى عند قلوب يعبد أصحابها المال من دون الله تعالى! كما لن يكون لها تأثير عند قوم آثروا الحياة الدنيا على الآخرة! يا ناس إن خلل التوحيد والعقيدة يؤدي لأكثر من هذا ، حيث لا يعرف المعرض - عن تعلم التوحيد والعقيدة – مولاه الحق! ومن هنا تنتكس الموازين عنده! ولذا فخلل المناسك التعبدية يجبره التوحيد الحق والعقيدة الصحيحة! بينما خلل التوحيد لا تجبره صحة المناسك التعبدية ولو أداها صاحبها على الوجه الأكمل! وقد أعذرنا إلى الله بالكتاب وبالشريط وبالقصيدة! وأهديناكم كل الشعر! ولكن لا حياة لمن تنادي ، لأن الوقار في قلوب هؤلاء المعرضين ليس لله ، بل للدرهم! نسأل الله العافية!)

13 - الشكاة الخجلى

(يتعجبُ كثير من زوَّاري في المستشفى القاسمي ، من كوني أعمد إلى الشعر بعض الوقت ، ويُعلنونها صراحة: الشعر للغزل والنساء ، والشاعر المبتلى لا يكتب ، وإنما يكتب الشاعر السعيد الهانئ. ونسى هؤلاء أن الشعر وليد المعاناة ، وأن سعادة الأدب في شقاء الأديب ، وأن شقاء الأدب في سعادة الأديب. أيها الناس ، إن الشاعر السعيد يأتي شعره في الغالب الأعم تكلفًا ، ولو لم يعان الشاعر ويتعذب لم يَخرج من قلبه الشعر ذا روح وجاذبية قط. وحاولتُ كثيرًا إقناع الزائرين بوجهة نظري ولكنني عَجزت. وفي حياة كل فرد صور وعبر

وألوان من المناسبات المتنوعة ما بين الفرح والترح وما بين الحزن والسرور وما بين البهجة والكآبة. إنني عانيتُ كثيرًا عندما نظَرْتُ إلى الحياة فوجدتُ لها صُورتيْن ، الأولى: واضحةُ المعالم بعيْن طبيعية ، وأما الثانية: فهي صورةٌ عليها غَبَشٌ كثيرٌ ودُخَانٌ كثيفٌ مُتَراكم وغِشَاوةٌ مطلاسمة كالكُثبان الرملية وسحابةٌ قاتمةٌ بعينٍ أثقلها المرضُ وأعياها الجُرح. وأنا في هذي القصيدة أُعاتبُ المقلةَ هذي البائسةَ الحزينةَ الثكلى ، وأرفعُ شكوايَ إلى الله سبحانه وتعالى. والحقيقة أن المسلم يجب أن يكون متفائلا في كل أحواله. إذ التشاؤم يودي بعزة النفس ، ويجعل الإنسان في حيرة واضطراب دائمين! والأستاذ أباي محمد محمود يحدثنا بعنوان: (التفاؤل وحسن الظن بالله) ، فيقول واصفاً حال الجزع المتشائم ، ما نصه: (ففي قاموس المتشائم الموت والسقم والهلاك والفشل والإحباط والسقوط. وذات مرة كان هناك شاعران ، أحدهما متفائل ، والآخر متشائم ، كَانَا في السجن ، فأخْرَجا رأسيهما من نافذة السجن ، أما المتفائل فنظر نظرة في النجوم فضحك ، وأما المتشائم فنظر إلى الطين والوحل فبكى ، ولو قُلت لأحد أولئك: هذه غُمة وستنجلي ، ومحنة ربما تكون في طياتها مِنَحٌ ، فسيقول: ما تعدني إلا غروراً ، ألا ترى ما نحن فيه؟ ألا ترى ما بلغنا؟ لقد تكالب على الأمة الأعداء كما تدعى الأكلة إلى قصعتها. وقد نسي المتشائم قوله تعالى: (إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْراً إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْراً). ولن يغلب عسر يسرين وقد قيل: اشتَدِّي أزمةُ تنفرجي ، وقد ينبت الورد في جفن الأعاصير. لو تذكرنا تَداعي جموعِ الأحزاب على المدينة ، والإسلام يومئذ كله بداخلها ، ليس دُولاً شتى ولا ملياراً من البشر كما هو اليوم ، وقد كان حال المسلمين في المدينة يومئذ ، كما وصفه المولى سبحانه وتعالى في كتابه: (إِذْ جَاؤُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ ، وَإِذْ زَاغَتْ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا ، هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالاً شَدِيداً). أقبل الشَّر بخيله ورجله ، فخرجت من الجنوب قريش وكنانة وأهل تهامة ، ووافاهم بنو سليم ، وخرجت من الشرق قبائل غطفان وكذلك خرجت بنو أسد ، واتجهت الأحزاب الكافرة صوب المدينة ، حتى تجمع حولها جيش عرمرم يبلغ عدده عشرة آلاف مقاتل! جيش يزيد عدده على سكان المدينة رجالاً ونساء ، صغاراً وكباراً! في جُوع منهم شديد ، وبرد وزمهرير ، وعدة قليلة ، وكان النبي صلى الله عليه وسلم في هذا الوقت العصيب يبشرهم بأمر عظيم! قال البراء: لما كان يوم الخندق عرضت لنا في بعض الخندق صخرة لا تأخذ منها المعاول ، فاشتكينا ذلك لرسول صلى الله عليه وسلم ، فجاء وأخذ المعول فقال: (بسم الله ، ثم ضرب ضربة ، وقال: الله أكبر ، أعطيت مفاتيح الشام! والله إني لأنظر إلى قصورها الحمر الساعة ، ثم ضرب الثانية فقطع آخر ، فقال: الله أكبر ، أعطيت فارس ، والله إني لأبصر قصر المدائن الآن ، ثم ضرب الثالثة فقال: بسم الله فقطع بقية الحجر ، فقال: الله أكبر ، أعطيت مفاتح اليمن والله إني لأبصر صنعاء من مكاني).هـ. إن للتفاؤل رونقاً وبهاءً وعزة فهل جربناه في المحن؟)

14 ـ الشكاة الشاعرة

(تزوج عليها زوجها موهماً الكل أن الثانية غاية في العلم والخلق زوراً وبهتاناً. ثم بانت الحقيقة واشتكت زوجته الأولى ليَ الحال باعتباري صديقه. فأنشدت ـ أحكي على لسانها مصابها ـ هذه الشكاة الشاعرة. والأصل أن تعدد الزوجات ليس حراماً ، بل هو شرع ربنا تبارك وتعالى. وإنما يكون للأمر ترتيبه وأسبابه وإمكانياته. وقد ناقشت الزوج وزوجه الأولى في الأمر ، واستمعت لكل. وألفيت حجتها عليه أقوى وأعمق. بينما هو راح يقنعني بأكثر من

مبرر: (فمرة يقول بأن الداعي للزواج من الثانية أنه قد فاتها قطار الزواج ، وأردت أن أكسب فيها الأجر فتزوجتها على حد قوله ، وتارة أخرى يقول إنما هي طالبة علم ورأيت الزواج منها لتقوّي من أزري في العلم الشرعي. وتارة ثالثة يقول: إنما هي ممرضة وأنا رجل مريض أتداوى ببعض الحقن ، ولا أريد لأحد أن يطلع على عورتي ولذلك تزوجتها!) فلما رأيت مبرراته التي لا تقنع طفلاً فضلاً عن رجل في مثل سني وقد جاوزت الثلاثين! أدركت أن المبررات الثلاثة كاذبة ، وإنما سر هذه الزيجة لا يعلمه إلا الله تعالى. أما الزوجة الأولى فراحت تكشف المستور وتبين المخفي من أمره ، فأطلعتني بقصد أو بدون قصد على حقائق ما كنت أعلمها ، وذلك في محاولة منها لأن تقنعني بأن أحمله على طلاق زوجه الجديدة نظير دريهمات يعطيها لها! فرفضت طبعاً. وقلت كلتاكما زوجتاه ، فتسابقا في مرضاته وكسب وده ، ولهذه يومها ولتلك يومها. إذ ما يكون لي أن أخبب رجلا على امرأته! ولقد روي في سُنن أبي داوود أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "ملعون من خبب امرأة على زوجها أو عبداً على سيده". وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ليس منا من خبب امرأة على زوجها أو عبدا على سيده". قال الألباني: صحيح. وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: من خبب خادماً على أهله فليس منا ، ومن أفسد امرأة على زوجها فليس منا. وعلق شعيب الأرناؤوط وقال: صحيح وهذا إسناد قوي رجاله رجال الصحيح. وفي صحيح ابن حبان عن ابن بريدة عن أبيه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (من خبب زوجة امرئ أو مملوكه فليس منا ، ومن حلف بالأمانة فليس منا). قال شعيب الأرناؤوط: إسناده صحيح. والتخبيب مأخوذ من خبب: أي إفساد المرأة ، بأن يزين إليها كراهة زوجها. من خبب - بمعجمه أي أفسد وخدع. والحقيقة أن تخبيب الزوجة على زوجها من الكبائر ، لأنه سعي لفراقها لزوجها وخروجها عن طاعته حتى يتزوجها ذلك الرجل الآخر ، فهذا من الكبائر وصاحبه لا يفلح أبداً ، والنكاح الذي جاء بعد التخبيب لا يمكن أن يكون نكاحاً صالحاً ولا يمكن أن تترتب عليه الذرية الصالحة ، وإذا عرفت هذه الزوجة أن ذلك الرجل خببها على زوجها وكان سبباً في مسألتها الطلاق له فعليها أن لا تجيبه إذا خطبها وأن لا تتزوج منه ، وإذا كان الزواج حصل فهو زواج صحيح ولكنه غير مبارك ، فعلى ذلك الرجل أن يذهب إلى الزوج الأول وأن يستسمحه ، وإذا طلب منه مقابلاً للسماح له والرضا عنه فليدفع إليه ذلك ، فإن هذا من الحقوق التي لا بد من قضائها قبل أن لا يكون دينار ولا درهم. إذ التخييب هو إفساد قلب المرأة على زوجها والعبد على سيده. والأصل العدل بين الزوجتين! قال البغوي: إذا كان عند الرجل أكثر من امرأة واحدة يجب عليه التسوية بينهن في القسم إن كُنَّ حرائر ، سواء كن مسلمات أو كتابيات. فإن ترك التسوية في فعل القسم: عصى الله سبحانه وتعالى ، وعليه القضاء للمظلومة. وروي عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "من كانت له امرأتان فمال إلى إحداهما جاء يوم القيامة وشقه مائل" وفي إسناده نظر. وأراد بهذا الميل: الميل بالفعل ، ولا يؤاخذ بميل القلب إذا سوى بينهن في فعل القسم . قال الله سبحانه وتعالى: {ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم فلا تميلوا كل الميل} معناه: لن تستطيعوا أن تعدلوا بما في القلوب ، فلا تميلوا كل الميل ، أي: لا تتبعوا أهواءكم أفعالكم. أ.هـ. "شرح السنة". وقال ابن حزم: والعدل بين الزوجات فرض ، وأكثر ذلك في قسمة الليالي .أ.هـ. "المحلى". فكانت هذه الشكاة الشاعرة من هذه المرأة! وما كان مني إلا أن ترجمتها شعراً ، حيث إنني لم أكن أتوقع وأنا أعيش قصتها أنني يمكن أن أكتب فيها شيئاً! ولكن الشعر شعور وانفعال ، وهو بعد ذلك ترجمة دقيقة وصادقة لما عاشه الشاعر في موقفٍ بعينه ، أو في تجربةٍ بعينها! فتخيلتها تشكو حالها لزوجها الذي لم يعدل إذ تزوج من الثانية ، بل أهل بيته وأسرته!)

15 - الشمس والظل والدموع

(إنها شمس الحياة والمستقبل ، يعرقلها ظل الماضي بما حواه من محن وإحن ، وأفراح وأتراح ، وألحان وأشجان ، فتكون الدموع تعبيراً عن الإفراط والتفريط في جنب الله ، والمرء بين شمس الحاضر وظل الماضي. ودموع العين حائرة كل الحيرة! يقول الأستاذ علي مصطفى الدنف واصفاً اختلال الموازين في مقال يحمل ذات العنوان ما نصه: (ها هو جَبَلة ابن الأيهم جاء مسلماً وهو ملك من ملوك العرب ، رحب به عمر بن الخطاب رضي الله عنه من باب (أنزلوا الناس منازلهم) ، وفي أثناء الطواف بينما كان يطوف جبلة فإذ بأعرابي من فزارة يدوس طرف ردائه دون قصد ، فانخلع الرداء من على كتف الملك ، فالتفت نحو الأعرابي ، وضربه ضربة على أنفه فهشمه ، ثم ذهب الأعرابي لأمير المؤمنين عمر شاكياً الملك ، فاستدعى عمر جبلة وقال له: أصحيح ما ادعى هذا الجريح ، قال جبلة: نعم ، أنا لست ممن ينكر شيئاً ، أنا أدبت الفتى أدركت حقي بيدي أنا ملك! عندها غضب عمر وقال له: أرض الفتى لا بد من إرضائه ، ما زال ظفرك عالقا بدمائه أو ليهشمن الآن أنفك. فصعق جبلة وقال: كيف ذاك يا أمير المؤمنين؟ هو سوقة - يعني إنسان من عامة الشعب لا يساوي شيئا - وأنا عرشٌ وتاج هذا من عامة الناس! كيف ترضى أن يخر النجم أرضا! قال له عمر: هذه نزوات الجاهلية ورياح العنجهية قد دفناها وأقمنا فوقها صرحاً جديداً ، وتساوى الناس أحراراً لدينا وعبيداً. قال جبلة: كان وهماً ما جرى في خلدي إنني عندك أقوى وأعز! أنا مرتد إن أكرهتني ، قال عمر: عنق المرتد بالسيف تحز عالم نبنيه كل صدع فيه بشبا السيف يداوى ، وأعز الناس بالعبد الصعلوك تساوى. بتحقيق هذه الموازين استطاع الرعيل الأول من الصحابة أن يسودوا الأمم ويخرجوها من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد ، تخيل تأمل تفكر. لو كانت هذه الحادثة في زمن انقلاب الموازين هذا كيف ستكون النتيجة؟!).هـ.

16 - الشمعة الباكية

(أيام كنت في الصف الأول الثانوي عام 1978م ، أطلعني صديق قديم من أصحابنا هو (محسن مأمون رسلان) من أهل تفتيش كفر سعد ، وكان يَكْبرني بعامين تقريباً ، أطلعني على قصيدة له بعنوان (الشمعة الباكية). ولم أكن أيامها أدرك من الشعر وفنه وقواعده وضوابطه وموازينه وأوزانه ما أدركه اليوم ، غير أنني كنت أحس بالشعر والشعراء ، وألمس الصدق فيما أقرأ من الشعر ، وأستقى الجمال من بين أبياته. فأذكر أنني أثنيتُ على قصيدة صاحبي محسن رسلان ، وقد نقشها بالقلم على ورقة من إحدى أوراق كراسات المدرسة. وكان من تعليقه على العنوان (الشمعة الباكية) أن الشمعة عنده رمز التفاني والعطاء. وليس أكثر من حرقها لنفسها لمادة حياتها لتنير الطريق للآخرين. واليوم أكتب على العنوان ذاته. روى الترمذي وصححه الألباني: عَنْ مُصْعَبِ بْنِ سَعْدٍ ، عَنْ أَبِيهِ ، قَالَ: "قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ ، أَيُّ النَّاسِ أَشَدُّ بَلَاءً؟ قَالَ: (الأَنْبِيَاءُ ثُمَّ الأَمْثَلُ فَالأَمْثَلُ ، فَيُبْتَلَى الرَّجُلُ عَلَى حَسَبِ دِينِهِ ، فَإِنْ كَانَ دِينُهُ صُلْبًا اشْتَدَّ بَلَاؤُهُ ، وَإِنْ كَانَ فِي دِينِهِ رِقَّةٌ ابْتُلِيَ عَلَى حَسَبِ دِينِهِ ، فَمَا يَبْرَحُ البَلَاءُ بِالعَبْدِ حَتَّى يَتْرُكَهُ يَمْشِي عَلَى الأَرْضِ مَا عَلَيْهِ خَطِيئَةٌ). وقد سمعتُ الشيخ ابن عثيمين رحمه الله في شرحه لهذا الحديث يقول درراً منها: (أشد الناس بلاءً الأنبياء) لأن الله سبحانه وتعالى ابتلاهم بالنبوة ، وابتلاهم بالدعوة إلى الله ، وابتلاهم بقوم ينكرون ويصفونهم بصفات القدح والذم ،

ولكن هذا الابتلاء هو في الواقع ؛ لأن كل ما أصابهم من جرائها فهو رفعة في درجاتهم ثم الأمثل فالأمثل) يعني: الأصلح فالأصلح ، كلما كان الإنسان أصلح ، وكلما كان أقوى دعوة إلى الله ، وكلما كان أشد تمسكاً في دين الله ، كان له أعداء أكثر، قال الله تعالى : (وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوّاً مِنَ الْمُجْرِمِينَ) ، وعداوة المجرمين للأنبياء ليس لأشخاصهم بل لما جاءوا به من الحق ، وعلى هذا فيكون كل من تسمك بما جاءوا به من الحق ناله من العداوة من المجرمين مثلما ينال الأنبياء أو أقل بحسب الحال ، والله عز وجل حكيم يبتلي بالنعم ويبتلي بالنقم ، فابتلاؤه بالنعم ليبلونا أنشكر أم نكفر ، وبالنقم ليبلونا أنكفر أم نصبر ، وهذا هو معنى الحديث". إن هذه الشمعة التي أعني رمز للقيم والفضائل التي تعرقلها الدنيا والرذائل ، وهذا في بوتقة الإفلاس ودار الهوان وهاجرة الذل وضيعة الصغار ، فلا تجد هذه الشمعة الباكية: أي القيم ، إلا البكاء سبيلاً للتعبير عن المعاناة. وسرعان ما يرق لها ضمير صاحبها ، فيهمس عندئذ في أذنيها أن تتصبر وهي تكابد ما تلاقي ، فتعود الشمعة تطارد وتلاحق تركيبة الخوف بداخلها ، وينطلق فيها صوت عميق الشجن ، مضمونه أن الشمعة تخاف أن تطفئ الدموع نورها! فأردت - بعد أن سبرت غور القصة وأدركت حقيقتها – أن أكتب صياغة تصورية لشمعة أخي (محسن مأمون رسلان) الباكية ، فكانت هذه القصة! ترجمة لهذا الشعور ولتلك الذكرى!)

17 - الشورى قِوامُ الإدارة

(كل إدارةٍ واعية ناجحة تجعل أول ركيزة لها الشورى. خاصة وإن كانت إدارة مدرسية. لأنها في مقام التعليم والتعلم. أما عندما تقوم الإدارة على مبدأ الظلم والاعتساف ورأي الفرد ، فلنتوقع الإحن والبلاءات والكوارث والعثرات. ولقد أشار ذلك المعلم على إدارته باتباع الشورى نهجاً ، ونصح الرجلُ بما فيه الكفاية. فلم يستمع إليه أحد وإن أبدت الإدارة إعجابها بكلامه. وادّعتْ بعد ذلك الإصلاح والتقويم! ولكنها لم تصل به إلى التنفيذ والتطبيق ، وكان من ضمن القرارات الاستبدادية قيام المدرسة برحلة لطلابها إلى مكان كله مسابح عارية قذرة لنساء وبنات ورجال وشباب هم للبهائم أقرب منهم للآدميين. فنصح المعلم وبيّن ووضّح! والإدارة على صلفها وغرورها ، وكأنها صمّاء بكماء ، تؤيد بالإشارة فقط دون التطرق إلى تنفيذ ما يقال لها. ولأن ذلك المعلم اختير للإشراف على هذه الرحلة السيئة المسيئة ، اختار المسجد الذي أقاموه في المسبح ذراً للرماد في العيون ، وأخذ الأستاذ يقرأ ما تيسر من القرآن ، ثم أخذه النوم العميق ، فما استيقظ إلا على صوت الهاتف إصر اتصال أمير الركب مشرف الرحلة الثاني وعاد معهم وقد عصم عينيه من البهائم الآدمية العارية! أورد البخاري في صحيحه عن محمد بن زيد بن عبد الله بن عمر أنَّ ناساً قالوا لجده عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: (إنَّا ندخل على سلاطيننا فنقول لهم خلاف ما نتكلَّم إذا خرجنا من عندهم. قال: كنا نعدها نفاقاً). يقول ابن عثيمين معقباً على قول ابن عمر: (وذلك لأنهم حدّثوا فكذبوا وخانوا ما نصحوا ، فالواجب على من دخل على السلاطين - من الأمراء والوزراء والرؤساء والملوك - أن يتكلم بالأمر على حقيقته ، ولا يجوز للإنسان أي إنسان أن يدخل على الأمير أو على الملك أو ما أشبه ذلك ثم يقول: الناس بخير الناس وأحوالهم مستقيمة ، الناس اقتصادياتهم جيدة ، الناس أمنهم جيد وما أشبه ذلك وهو كاذب. هذا حرام وخداع). شرح رياض الصالحين 1 / 1915. جاء في حكاية رمزيَّة عن سلطان سأل طبَّاخه: ما طبيخك لنا اليوم. صفه لنا؟ فأجابه: أمرك سيدي! فقال له: ماذا تقول في الباذنجان؟ قال الطبَّاخ: لله درك سيدي ، إنَّه طعام لذيذ المطعم ، مبهج للروح ، يزيد من الذكاء. وأكمل مسيرة التدبيج والمديح لفخامة

الباذنجان! فقال له السلطان: ولكنَّه حار ويسبب العطش ، فوقف الطبَّاخ يبين مساوئه ، ويقول: إنَّ فلاناً من الأطباء ذمَّه ، وقال: إنَّه يسبب التبلد! فقال له السلطان: يا لك من طبَّاخ متفنِّن! كنت سابقاً تقول لي: إنَّه يُسبب الذكاء ، وبعد أن ذممت لك الباذنجان قلت لي: إنَّه كيت وكيت ، وأنَّه يسبب التبلد! فأجابه: إنَّني خادمك أنت السلطان ، ولست خادماً للباذنجان! فأنشدتُ هذه القصيدة في ذم الاعتساف والقهر والاستبداد ورأي الفرد في العمل الإداري! وقد عملت مع ثمان إدارات على اختلاف الأمكنة والأزمنة ، كلها كانت ديكتاتورية باطشة ظالمة مركزية ، على اختلاف في الدرجة إلا إدارة واحدة هي إدارة الأستاذ عطية أحمد عبد العال في مدرسة أم القرى! وأما باقي الإدارات فالشورى بريئة منها براءة الذئب من دم يوسف ابن يعقوب عليه سلام الله! وكانت آخر هذه الإدارات امرأة! فقلنا: رحيمة تعيد الأمر إلى نصابه! فكانت أعتى وأظلم منهم مجتمعين! فلقد اجتمع فيها الشر كله: عجرفة وتبرج وصلف وغرور!)

18 - الصديقُ المخذول

(روى الترمذي (والحديث صحيح) من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (المسلم أخ المسلم لا يخونه ولا يكذبه ولا يخذله ، كل المسلم على المسلم حرام ، عرضُه وماله ودمُه ، التقوى ها هنا ، بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم). قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى» (رواه مسلم) ، فأخوة الإيمان فوق أخوة النسب ، وفوق أخوة القبيلة والعشيرة ، وفوق أخوة الوطن وفوق كل الأخوات الأرضية! تسمو على جميع الوشائج والعلائق. قال النبي صلى الله عليه وسلم «إِنَّ رَجُلًا زَارَ أَخًا لَهُ فِي قَرْيَةٍ أُخْرَى ، فَأَرْصَدَ اللَّهُ لَهُ عَلَى مَدْرَجَتِهِ مَلَكًا ، فَلَمَّا أَتَى عَلَيْهِ قَالَ: أَيْنَ تُرِيدُ؟ قَالَ: أُرِيدُ أَخًا لِي فِي هَذِهِ الْقَرْيَةِ. قَالَ: هَلْ لَكَ عَلَيْهِ مِنْ نِعْمَةٍ تَرُبُّهَا؟ قَالَ: لَا ، غَيْرَ أَنِّي أَحْبَبْتُهُ فِي اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ. قَالَ: فَإِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكَ بِأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَبَّكَ كَمَا أَحْبَبْتَهُ فِيهِ». (رواه مسلم. وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ مِنْ عِبَادِ اللَّهِ لَأُنَاسًا ، مَا هُمْ بِأَنْبِيَاءَ وَلَا شُهَدَاءَ يَغْبِطُهُمُ الْأَنْبِيَاءُ وَالشُّهَدَاءُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، بِمَكَانِهِمْ مِنْ اللَّهِ تَعَالَى ، قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ تُخْبِرُنَا مَنْ هُمْ؟ قَالَ: هُمْ قَوْمٌ تَحَابُّوا بِرُوحِ اللَّهِ عَلَى غَيْرِ أَرْحَامٍ بَيْنَهُمْ وَلَا أَمْوَالٍ يَتَعَاطَوْنَهَا ، فَوَاللَّهِ إِنَّ وُجُوهَهُمْ لَنُورٌ ، وَإِنَّهُمْ عَلَى نُورٍ ، لَا يَخَافُونَ إِذَا خَافَ النَّاسُ ، وَلَا يَحْزَنُونَ إِذَا حَزِنَ النَّاسُ ، وَقَرَأَ هَذِهِ الْآيَةَ: أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ». رواه أبو داود. إن مثل هذه الأقوال كان يجب أن يكون لها أكبر الأثر ، على سلوكيات مَن يعلمونها ، ويدعون الناس إليها ، ويحملونهم على العمل في الحياة بمقتضاها. ولكن للأسف الشديد ، إن أبعد الناس عن ذلك النور النبوي ، هم أغلب دعاة اليوم من الذين يحققون ويدققون ويخرجون هذه الأحاديث إلا من عصم الله. والسعيد من أسعده الله بطاعته وطاعة نبيه - صلى الله عليه وسلم. والشقي الغوي من أشقاه الله بمعصيته التي منها وأحد صورها خذلان المسلمين. والخذلان نقمة كبيرة ، لا يشعر بخطرها إلا من خذله صديقه ، ووجد منه ما كان يحذره من عدوه. والمال وراء أغلب شهوات الخذلان ودوافع النفاق وعذابات الرياء ومحن الخيانة. ولقد يقدم المنافق أحد أصفيائه لقمة سائغة لعدوهما بُغية أن يَسلم الأول من كيد من يشك في حدوثه مستقبلاً ، معطياً من هذا المنطلق الحقير المرذول لنفسه حق الاجتهاد ، وخاب وخسر! لأن المسلم أخ المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يسلمه.)

19 - الصعايدة وصلوا! 1

(كلمة (الصعايدة) تعتبر جمعاً عامياً دارجاً مصطباوياً يجري على ألسنة الناس ، والأصل أن كلمة صعيدي مفردة تجمع على (صعيديون) مثل كلمة (عميدي) التي تجمع على (عميديون). ولكنني تعمدت أن أجعل عنوان قصيدتي بهذا الجمع العامي ، لأثبت لصاحبه الضال المضل أن أهل الصعيد قد وصلوا منذ زمن بعيد للقمة في العلم وللذروة في الأدب وللذؤابة في كل خلق كريم. (أعني الغالب الأعم من أهل الصعيد). ثم أن هناك أعمالاً فنية جاهلية تحمل العنوان ذاته! والساخرون والمستهزئون يرددون ذات العنوان: (واحد صعيدي فعل كذا وكذا ، أو واحد من بلدياتنا فعل كذا أو ترك كذا)! إنني لم أكتب (الصعايدة وصلوا) من باب السخرية من أهل الصعيد الكرام الذين أنا ابن من أبنائهم فقط ، أكِنّ لهم كل الاحترام والاعتزاز والتقدير. إنني أكتب (الصعايدة وصلوا) لتكون شاهداً على هذا العصر الذي نعيش فيه. ولأفهم من يتطاولون على أهل الصعيد الشم المغاوير الصِّيد الأشاوس أن من يتطاول على مثل هؤلاء ليس له عندي إلا هذه القصيدة النجلاء الشافية الكافية التي لا أعلم لها في ظني واعتقادي واجتهادي نظيراً في الانتصار لقوم قد افتُرى عليهم ، وظلموا ظلماً كبيراً. إن الصعيد أرض كريمة مشرفة قد أنجبت المغاوير ولا يشك منصف محايد في هذا الكلام. وقد رجعتُ إلى التاريخ في أكثر من مرجع وبحث في القديم والحديث فألفيتُ أهلي أهل الصعيد أهل كرم وعلم ونجابة وعراقة وأدب. وقد أسهموا بكل ما آتاهم الله من علم وأدب وثقافة وأخلاق وقدرات ومواهب في هذه الحضارة الإنسانية التي يرفل الناس فيها. وكنت أظن أبي يُبالغ إذ يحكي لنا هذا الكلام عن قومه ، إذ هو رجلٌ صعيدي عندما كان يذكر من مناقب وعلم وثقافة أهل الصعيد ما يعجز القلم عن تصويره! وكنت أسمع منه هذا الكلام وأنا صغير فأقول في نفسي (لعل الوالد يفتخر بقومه وعشيرته وبلاد قد تربى فيها ، فله بكل هؤلاء القوم وتلك الديار تعلق ككل إنسان). فإذا بي أفاجأ بما لم أكن أحتسب بالمرة. إن كلامه عنهم كان أقل من حقيقتهم ، وأراه ما وفاهم حقهم من المدح والثناء. فقلتُ في نفسي: إنه لا بد من رد الصاع صاعين ، وإعادة القوس إلى باريها ووضع الأمر في نصابه ، والشروع في تسطير نص شعري صادق يكون فيه عاطفة صادقة مع الله ، حتى ننتصر لقوم قد بُغي عليهم ، وباتوا في كل صُقع من أصقاع المعمورة محط استهزاء وسخرية من جرّاء ما يحكيه متندرٌ سفيهٌ عنهم ، معرّضاً بهم ونائلاً منهم ، إنْ هو إلا واحدٌ من فريق الصادين عن سبيل الله. واللهِ العظيم إنني أبداً لم أشرع في كتابة قصيدة: (الصعايدة وصلوا) ومن ثم ديوان: (الصعايدة وصلوا) من باب القومية التي أنبذها من كل قلبي فقط. ولكن في المقام الأول لأبين أن انتقاص أهل الصعيد بهذا الوضع الذي نرى ، والنيْل منهم والاستهزاء بهم في كل صُقع ، وجعلهم أضحوكة للناس في المجالس والمسلسلات والمسرحيات والتمثيليات ، وحتى في الكتب (كتب النوادر والنكت والمُلح والفكاهة) ، إن هذه الأشياء وتلك الممارسات في غير محلها. إذ الغالب الأعم من أهل الصعيد هم الجديرون بالاحترام والتقدير والتبجيل. فمن الصعيد خرج الكثير من العلماءُ والأدباءُ والشعراءُ والقراءُ وروادُ الثقافة والفكر والأخلاق والمبادئ. وقد رجعتُ للتاريخ قديمه وحديثه فأدركتُ صدق الذي أذهب إليه. وسوف أدلل على صدق هذي المقولة. ألا وإنني أفتخر كل الافتخار ، وأعتز كل الاعتزاز بأنني واحد من أهل الصعيد. نعم فإنني منحدر منهم ومنتم إليهم. بل وأنتسب إليهم أباً وجداً لأب وعمومة. فوالدي من (سوهاج) وبالتحديد من (الكولة) مركز (أخميم) ومن بيت (خليفة). وإذن فليست نسبتي إليهم نسبة جوفاء ، كما أنها ليست من رجل يدّعي شرفاً ليس يّدركُ منه شيئاً. وإن

كانت أمي من (الدقهلية) من بيت سماحة (وهذه العائلة كذلك لها السؤدد وكرامة الأصل ونبله وسموه) ، في دقهلية مصر الغالية. ولكن لمّا كان المرءُ ينسب لأبيه ، كنتُ صعيدياً لأبي ، أم أننا في زمان عنترة ابن (زبيبة)! حتى ننادَى بالأمهات وننسب لهن؟! وولدتُ في (بورسعيد) (تلك المدينة التي لا أذكر أنني عشت فيها يوماً ، ولي فيها من مقومات الحياة أقلها بداهة: بيت!) بل كان شيء من التزاور للأهل هناك. والحقيقة أن أهل أبي متناثرون في صعيد مصر ، كما أن أهل أمي متناثرون في الوجه البحري. وكنتُ قد درستُ في كلية الآداب (جامعة المنصورة). وتزوجت امرأة من (الدقهلية) لأبيها كذلك والذي هو من (بلقاس). وظللتُ أنا وهي ننتسب إلى (دمياط) مقاماً وسكناً فقط. حيث يقيم والدُ كلٍّ منا! وإنني أقسم - غير حانثٍ - أنه لو لم تكن لي بأهل الصعيد الشم الكرام الأشراف نسبة لتمنيت من أعماق الفؤاد النسبة إليهم والانتماء إليهم. وهذا لما ألمسه منهم في التاريخ والحضارة من أيادٍ بيضاء ومساهماتٍ عظيمةٍ في رصيد الإنسانية ، من الثقافة والعلم والأدب والخلق والقيم. والحمد لله أن أبي كان قد قسم العرب عربين (كما يقول العامة في مصر): فجعل له بيتا هناك في مسقط رأسه (الكولة - أخميم – سوهاج) ، وفي هذا البيت زوجة وأولاد ، كما أنه جعل له في (كفر سعد – دمياط) بيتاً آخر فيه زوجة وأولاد. ومن هنا كانت نسبتي إلى الصعيد حقيقية وليست مدعاة مفتراة. ويؤسفني جداً أن يَنال من أهل الصعيد اليوم نائل ، وأن يسخر منهم ساخر ، وأن يستهزئ منهم مستهزئ. إلا أن أعلام الصعيد في الحقيقة كثيرون لا يحصوْن كثرة. وأنا هنا سوف أستشهد ببعضهم فقط لأدلل كما وعدت على فضلهم وأدبهم ومساهماتهم في رصيد الحضارة الإنسانية والفكر الرصين. فمن أعلام الصعيد: * (صاحب الظلال والمعالم) وأخوه (صاحب جاهلية القرن العشرين) من (موشا – أسيوط) وكفي به شرفاً. والحقيقة أن أرض الصعيد لو لم تنجب وتقدم للبشرية إلا هذين الأخوين لكفاها ذلك! ولا أزكيهما على الله ، وإن مثلي من الأقزام لا يجد من الكلمات ما يصف به هذين العملاقين! بل بات اسم كل منهما وصفاً لصاحبه! * مصطفي لطفي المنفلوطي ، الأديب العملاق من (منفلوط – أسيوط). * أنور الجندي ، الناقد الأدبي العظيم: من (ديروط – أسيوط). * عبد الباسط محمد عبد الصمد ، القارئ الجليل المحترم الذي هو غني عن التعريف. من (أرمنت - قنا) ، وكفي به شرفاً عظيماً يا صعيد مصر. * محمد صديق المنشاوي ، قارئ الصعيد الحبيب الذي قد ذاع صيته ، ليس في مصر فقط بل في العالم كله. من (المنشاة - سوهاج). وإنك حقاً لتستمع إلى القرآن غضاً طرياً نديا في أغلب إذاعات الدنيا وتليفزيوناتها بصوت هذين القارئين (عبد الباسط والمنشاوي) صباح مساء! * عباس محمود العقاد. الكاتب المعروف المشهور أيضاً من صعيد مصر والترجمة الثابتة له ، فهو من أحد أبناء أسوان إحدى مدن جنوب الصعيد. * إبراهيم بن إبراهيم الجناجي ، ذلك المفسر العظيم القدر من فقهاء المالكية المغاوير الكرام من (جناج - جرجا – سوهاج). * أحمد بن علي بن إبراهيم بن الزبير الأسواني ، ذلك الأديب الفقيه العارف بالهندسة والطب (أسوان وإليها ينسب). * أحمد بن محمد بن سلامة بن سلمة الأزدي الطحاوي (أبو جعفر) الفقيه الحنفي. من (طحا) ، يعني صعيدي أصيل. * عمر مكرم بن حسين السيوطي الزعيم الشعبي المعروف الذي قاوم الاستعمار ، وثار على الظلم. من أهل (أسيوط). * محمد عبد الجبار الأرمنتي ، المعروف بابن الدويّك ، وهو من أهل (أرمنت - قنا) برع في علم الفلك والنجوم. * محمد بن حسن المصري الجرجاوي المتفقه الأديب ، قاضي القضاه ، المتوفي 1877م ، من (جرجا - سوهاج). *محمد بن أحمد كمال الدين بن ضياء الدين بن القرطبي ، المؤرخ النحرير الدقيق

(قنا). * محمد بن أحمد بن الربيع بن سليمان بن أبي مريم والذي توفي 947م ، الأديب الفقيه الناظم (من أهل أسوان). * على بن أحمد مكرم الصعيدي العدوي ، فقيه مالكي كان شيخ الشيوخ في عصره. من (بني عدي - منفلوط – أسيوط). * على بن أحمد بن يوسف البلصفوري الحسيني ، من أكابر رجال الصحافة في مصر. ولد في بلصفورة - جرجا - سوهاج. * محمد بن محمد بن حامد الجرجاوي المراغي ، المؤرخ الذي فاق في دقتة ومهارته المؤرخين العظام ، والأديب الجليل ، وهو أحد فقهاء المالكية الأزاهرة (من أهل جرجا - سوهاج). * محمد بن مصطفي بن محمد بن عبد المنعم المراغي ، وهو باحث علامة عارف بالتفسير يعتبر من دعاة التجديد ، تولى مشيخة الأزهر. (ولد في المراغة - سوهاج). * الشيخ على يوسف ، الصحفي السياسي المعروف والمتوفي عام 1913م ، وكان قد أصدر جريدة (المؤيد) ودافع فيها عن الإسلام والقيم والأخلاق (من جرجا - سوهاج). * الشاعر المعروف محمد حافظ بن إبراهيم (شاعر النيل) ، من ديروط (أسيوط) توفي عام 1932 م. وإذا كان أمير الشعراء هو قطب الشعر الأول في مصر ، فإن حافظ إبراهيم يعتبر القطب الثاني ، بشهادة التاريخ والنقاد وشوقي نفسه! * الإمام جلال الدين السيوطي ، صاحب (حسن المحاضرة - الإتقان - لباب النقول - المزهر - لباب اللباب - نظم العقيان وغيرها) وهو أبو الفضل عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين الخضيري الشافعي (ولد في أسيوط وإليها نسب ، وعاش فيها). * شيخنا العلامة على أحمد عبد العال الطهطاوي (رئيس جماعة أهل القرآن والسنة) المولود في نجع حمد - سوهاج. * أحمد حسن الباقوري (وإن كان لا يشرف الصعيد كثيراً ، نظراً للمآخذ التي أخذها عليه علماء ثقات نحارير في زمانه!) ، ولد وعاش في قرية (باقور ، وهي من أعمال أسيوط). * أحمد عبد المجيد هريدي ، مفتي الديار المصرية ، القاضي اللغوي (من مركز ببا ، من أعمال بني سويف). *أحمد عيسى عاشور ، مؤسس مجلة الاعتصام - صاحب الفقه الميسر وغيره من المصنفات التي تشهد لصاحبها بالعلم والفقه (من الشنياب - الجيزة). * أحمد محمد بدوى ، مؤرخ الآثار اللغوي الأديب المعروف ، (من أبو جرج - بني مزار - من أعمال المنيا) صعيد. * جابر أبو حسين ، صاحب سيرة (أبو زيد الهلالي سلامة) وإن كنا لا نتابعه في المخالفات الشرعية من سرد القصة على أنغام الربابة كما هو معروف ، وما قد حوت سيرة (أبو زيد الهلالي) من المخالفات والمبالغات ، ولكن يُشكر للرجل محافظته بصورة أو بأخرى على السيرة الفلكلورية الشعبية كفنّ من الفنون. من (آبار الوقف - أخميم – سوهاج). * جمال الدين أحمد العطيفي ، الإعلامي والكاتب الصحفي الذي يعرفه القاصي والداني ، والرجل الذي سخّر قلمه وأدبه وكلمته للدعوة إلى تطبيق الشريعة في مصر (أبو تيج – أسيوط). * محمد سعاد جلال ، صاحب المجلدات في القياس والسنة وفي علوم الشريعة (من المنيا). * الأستاذ المؤرخ العظيم / محمد الصادق بن إبراهيم عرجون من (إدفو – أسوان) وهو صاحب المؤلفات العظيمة في السيرة والتاريخ ، وأيضاً صاحب المراجع والأسفار في التصور الإسلامي والحياة الأدبية في مصر. * محمد كامل حتة ، الصحفي والكاتب الإسلامي الغيور ، من (إسنا). * محمود حسن إسماعيل (الشاعر المعروف) صاحب الدوواين. ولد في النخيلة من أعمال محافظة أسيوط عام 1910م ، وتوفي عام 1977م في الكويت ، وعاد جثمانه ليدفن في مصر. * محمود عبد الرحمن الأبنودي (أبنود – قنا) وإليها ينسب وهو العالم اللغوي الفقيه صاحب منظومة المواهب في النحو والصرف ، وله قصائد كثيرة مشهورة ، وهو غير الأبنودي المعروف. * صالح شرف ، العالم الفقيه (فقيه المذاهب الأربعة كما كان يلقب) ،

وشيخ علماء الصعيد الذي فاق أقرانه في علمي التوحيد والمنطق ، وصاحب التآليف البديعة فيهما ، وهو من (بني عديات - منفلوط - أسيوط). * محمد أبو الفضل إبراهيم من (جزيرة شندويل - سوهاج) ، وهوالعلامة اللغوي والمؤرخ المحقق المدقق لكتابات التراث ، صاحب المؤلفات العظيمة والمحققه والمدققة والمنقحة. * عبد الرحمن بن محمد بن عوض الجزيري ، صاحب (الفقه على المذاهب الأربعة) ، ويكفيه هذا الكتاب العملاق ، العالم الأزهري النحرير المجدد المفرع على الأزهر من (جزيرة شندويل – وإليها ينسب – وهي من أعمال سوهاج). ومن كتبه: (توضيح العقائد في علم التوحيد والأخلاق الدينية والحكم والشرعية ، وكتاب أدلة اليقين في الرد على المبشرين ، وله ديوان عظيم في الخطب ، يعتبر مرجعاً هاماً. هذا ، وإن تجاوزنا أهل العلم والفضل والأدب هؤلاء ، إلى طبقة العوام والسوقة والدهماء والسواد الأعظم من عوام أهل الصعيد فهم إما بُناة حضارة وعمران ومدنية (بنوها بسواعدهم المباركة) ، وإما أهل زرع أو رعي أو صيد أو تجارة أو حرف يدوية. وأنا لا أنكر ما في أهل الوجه البحري من الخير والسبق والفضل والعلم والأدب .ولكن الأمر الذي أستهجنه أن ينظر إلى أهل الصعيد على أنهم مضرب المثل في السذاجة والدروشة وضيق الأفق والتخلف. الأمر الذي لا أساس له من الصحة بالدليل الذي أسلفت. وإن وجد عند فئة من أهل الصعيد فيها من هذه المثالب ، فهي فئة قليلة (شأن الصعيد في ذلك شأن كل المجتمعات الأرضية ، فإن كل أرض تحمل فوقها فيمن تحمل الأذكياء والبلهاء والعوان بين ذلك ، كما يشير إلى معنى قريب من ذلك ابن خلدون في مقدمته عند وصف المجتمعات) ، وأن كل ساقط مرذول يقول ليضحك الناس: (واحد من بلدياتنا أو واحد صعيدي فعل كذا ، أو قال كذا) ، ليبيت هذا حكماً عاماً يستغرق أهل الصعيد برُمّتهم ، إنما هذا عبث. ولقد أقسمت أن أسُل كرام أهل الصعيد من ألسنة هؤلاء سلاً كما تسل الشعرة من العجين. أقسمت قسماً لا يقل عن قسم حسان بن ثابت بين يدي رسول الله – صلى الله عليه وسلم – أن يسله من أشعار المشركين الجائرة الظالمة المغرضة كما تسل الشعرة من العجين! انتصاراً للحق وإعادة لشأن قوم ظلموا ، وأنا قادر بإذن ربي على إرجاعه ونصرتهم احتساباً للأجر عند ربي لا أريد سوى هذا. وأدعو شعراء الصعيد أن ينقبوا في كتب التراجم والتراث والرجال ليعرفوا عن أسلافهم وأجدادهم من أشاوس أهل الصعيد ، وبعد أن يعرفوا ذلك ، عليهم أن يؤلفوا المعلقات الصعيدية في الانتصار لأهل الصعيد الأماجد من العلماء والأدباء والسادة الفقهاء والقراء والكتاب الذين جادت بهم أرض الصعيد المباركة. وهو دَيْن في أعناقهم يسألهم الله عنه يوم القيامة. وعليهم أن يعتبروا قصيدتي (الصعايدة وصلوا!) نبراساً لهم ، أو نقطة البدء في الملاحم التي سوف يسطرونها ، أو يجب أن يسطروها عن الصعيد وكرام أهله. ولا أدعي لنفسي العصمة ولا الصدارة ، بل أعني أنني قد بدأت وعليهم أن يكملوا! وأحذر كل متندر ومنكت ومردّد للفكاهات عن الصعيد وأهله من خزي الدنيا وعذاب الآخرة بنص أحاديث الرسول الكريم - صلى الله عليه وسلم - وبنص آيات القرآن. ولن يشفع للقوم أنهم إنما قصدوا التندر والضحك واللعب. كما لن يشفع لهم أنهم لم يقصدوا إهانة كرام أهل الصعيد. يقول الله عن هذا الصنف من الناس: (ولئن سألتهم ليقولن إنما كنا نخوض ونلعب. قل: أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزئون؟ لا تعتذروا ، قد كفرتم بعد إيمانكم ، إن نعف عن طائفة منكم نعذب طائفة بأنهم كانوا مجرمين). وإذن فلا يضحك الشيطان على حسنِي النية والقصد ، ويوردهم موارد هؤلاء الذين سلكوا سبيل المنافقين في الكذب على الله وعلى الناس ليُضحكوا الناس وليُفكهوا المجالس بالنيْل من أهل الصعيد. روى أحمد والترمذي ، وصححه

الحاكم أن النبي – صلى الله عليه وسلم - قال: (ويلٌ للذي يُحدث القوم ثم يكذب ليُضحكهم. ويل له ، ويل له). وأيضا روى الإمام أحمد والترمذي ، وقال حسن صحيح أن الصحابة قالوا: يا رسول الله إنك تداعبنا. فقال النبي – صلى الله عليه وسلم – (نعم غير أني لا أقول إلا حقاً). وإذن فالضحك المعقول الذي له ما قد يبرره من المزاحات الصادقة والألغاز البريئة المفيدة والنكات الجادة والطرائف المسلية التي لا تسخر من الآخرين ولا تنقص من شأن كرام الناس ، أرجو أن لا يكون هناك مؤاخذة من الله به. ولقد كان للنبي – صلى الله عليه وسلم - مزاحات وطرائف وألغاز ليس في شيء منها إسفاف ولا سخرية ولا تنقص ولا استهزاء قط وحاشاه – عليه الصلاة والسلام – وكذلك كان أصحابه - رضى الله عنهم -! بل كل الذي نقل عنه وعنهم هو الطهارة والنقاء والصدق واحترام الآخرين. ولو كان الأمر على خلاف ما أدّعي لوجدنا نكات مأثورة عنهم مثل: (واحد بدوي فعل كذا أو عمل كذا) لانتقاص شأن البدو الذين هم من عظماء القوم وعليتهم. ولكن لما لم يؤثر ذلك عن الجيل الأول ، لم يكن مقبولاً قط من الجيل المعاصر! * إنني لا أعني بمدحى أهل الصعيد الكرام بعض ردئ العادات والتقاليد التي قد درج عليها بعض أهل الصعيد ، من رثيت العادات المخالفة للشريعة من ثأر أو كرهٍ للبنات أو فخر بالعصبيات والقبائل. إنني أعني المؤمنين الموحدين من أهل الصعيد ، الذين قد صاغهم الإيمان بالله صياغة توحيدية وعقدية جديدة. والله لو كان في زماننا هذا عمرو بن كلثوم ، وكان مسلماً وانتسب لأهل الصعيد لأنشد في قومه المؤمنين معلقة تفوق نونيته لأبي هند تلك. ولو كان السموأل بن عادياء حياً (وكان من أهل الصعيد) لأنشد في أهل الصعيد شعراً يفوق ما أنشد في لاميته في الفخر بقومه والتي منها:

إذا سيدٌ منا خلا ، قام سيدٌ قؤولٌ لما قال الكرامُ فعولُ

وما أخمدت نار لنا دون طارق ولا ذمّنا في النازلين نزيل

وأنا اليوم أولى ببيتيْ مهيار الديلمي مفتخراً بقومه ، فأقول: (مفتخراً بالصعيد):

قوميَ استولوا على الدهر فتىً ومشوْا فوق رؤوس الحقب

عمموا بالشمس هاماتهم وبنوا أبياتهم بالشهب

وأنا اليوم أولى ببيت المتنبي في الرد على أهل النكت من الذين يستهزئون بأهل الصعيد:

كم تطلبون لنا عيباً ، فيعجزكم! ويكره الله ما تأتون والكرمُ

وأنا اليوم أولى بما أنشد أبو فراس في قومه الرافضة إذ كان رافضياً خبيثاً مثلهم:

ونحن أناسٌ لا توسط عندنا لنا الصدرُ دون العالمين أو القبرُ

تهون علينا في المعالي نفوسُنا ومن خطب الحسناء لم يغلها المهر

أعز بني الدنيا وأعلى ذوي العُلا وأكرم مَن فوق التراب ، ولا فخر

وأنا اليوم أولى بما أنشد منصور بن الزبرقان بن بدر في قومه مفتخراً بما فيهم من مناقب:

يقولـــــون: بعـــــضُ التـــــذلل عـــــزة وعادتنـــــا أن نـــــدرك العـــــز بـــــالعز

أبـــى الله لـــي والأكرمـــون عشـــيرتي مقـامي علـى دحـض ، ونـومي علـى وخـز

وأنا أولى من عنترة بالدفاع عن أهل الصعيد إذا لم أسخر قلمي وأدبي وشعري في الذود عن عشيرتي:

ســـكتُّ ، فغـــر أعـــدائي الســـكوتْ وظنـــونـي لأهلـــي قـــد نســـيتُ

وكيـــف أنـــام عـــن ســـادات قـــوم أنـــا فـــي فضـــل نعمـــتهم رُبيـــت؟

وإن دارت بهـــم خيـــل الأعـــادي ونـــادوني أجبـــت متـــى دعيـــت

بســـيف حـــده مـــوجُ المنايـــا ورمـــح صـــدرُه الحتـــفُ المميـــت

وأنا اليوم أولى بما أنشد الفرزدق في قومه ، وهو يفتخر بهم غاية الفخر ويجعل الناس تبعا لهم فيقول:

تـــرى النـــاس إن ســـرنا يســـيرون خلفنـــا وإن نحـــن أومأنـــا إلـــى النـــاس وقّفـــوا

ولا عـــز إلا عزنـــا قـــاهر لـــه ويســـألنا النصـــف الـــذليل فننصـــف

ومـــا قـــام منـــا قـــائمٌ فـــي نـــدينا فينطـــق إلا بـــالتي هـــي أعـــرف

وإنني لأهمس في آذان المتندرين المتهكمين المستهزئين أن يتوقفوا عن مثل هذه الممارسات القذرة ، وأقول بقول الفضل بن العباس بن عتبه بن أبي لهب في النصح لبني عمومته:

مهـــلاً بنـــي عمنـــا ، مهـــلا موالينـــا لا تنبشـــوا بيننـــا مـــا كـــان مـــدفونا

لا تطمعـــوا أن تهينونـــا ونكـــرمكم وأن نكـــف الأذى عـــنكم وتؤذونـــا

مهـــلاً بنـــي عمنـــا مـــن نحـــت أثلتنـــا ســـيروا رويـــداً كمـــا كنـــتم تســـيرونا

الله يعلـــم أنـــا - لا نحـــبكمُ ولا نلـــومكمُ إن لـــم تحبونـــا

كـــل لـــه نيـــة فـــي بُغـــض صـــاحبه بنعمـــة الله نقلـــيكم وتقلونـــا

وأقول: إنه لعار من أخيس العار وأوقحه ، أن يعيب على أهل الصعيد إخوتهم أهل الشمال (أعني الوجه البحري). ويكون العار أعتى وأوقح وأرذل إن كان من يعيب أهل الصعيد من جلدتهم ومن بني عمومتهم (أمثال أحمد الحداد وفكري الجيزاوي ومسعد القص) فإن هؤلاء فيما أعلم صعايدة ، فيكونون بذلك قد ذموا قومهم وشجعوا الآخرين على ذلك. وصدق أبو نواس:

إذا أنـــت لـــم تعـــرف لنفســـك حقهـــا هوانـــاً بهـــا ، كانـــت علـــى النـــاس أهونـــا

نعم ، إذا لم يحترم أهل الصعيد بعضهم البعض ، وإذا لم يكفوا عن قول النكت القذرة عن بعضهم البعض ، فمن ذا الذي سيحترمهم في الأرض بعدما أهانوا أنفسهم بأنفسهم؟ ولهؤلاء من أهلينا وبني أعمامنا المنولوجستات (الصعايدة) أقول بقول أبي فراس الحارث بن سعيد محذراً قومه من التعدي على الحق:

أيـــا قومنـــا لا تشـــعلوا الحـــرب بيننـــا أيـــا قومنـــا لا تقطعـــوا اليـــد باليـــدِ

فجـــرح ذوي القربـــى أشـــد مضاضـــة علـــى الـــنفس مـــن وقـــع الحســـام المهنـــد

إنني أجعل قصيدتي (الصعايدة وصلوا!) حجراً ألقمه أفواه كل العابثين ، من الذين يهرفون بما لا يعرفون ، كما وأجعلها بادرة على الطريق وخطوة على الدرب لكي يتشجع الشعراء كلهم في الأرض للذود عن أهل الصعيد الكرام المظلومين الذين أصبحوا مسخة على ألسنة الهارفين الهازلين. لقد يكون لهذه القصيدة يوماً ما شأن ، فأقول: أسأل الله يومها أن لا يجعل الثناء والمدح من أهل الصعيد أو من غيرهم هو أجري إذ كتبت حتى يقال: شاعر ، وقد قيل. لا والله ما أردت ذلك طرفة عين ولا أقل من ذلك. إنني أنشد ما عند الله عز وجل من نصرة عبد سوف يقف بين يديه يوم العرض ، محتاج إلى نصرته وهو يومها أضعف ما يكون. فاللهم أيدني بالحق وأيد الحق بي وانصرني في الدنيا والأخرة. ولا تفتنّي بما سيكون للقصيدة من صدى في مستقبلات الأيام. إذ إنها عندي من أضعف وأوهى ما كتبت ، ولكنه شرف المحاولة يحدوني دائماً. وإنني قد أوردت في مقدمتي هذي الطويلة ما قد يغني القارئ عن أبيات للشعراء في الفخر بأقوامهم. ولولا أن الإسلام منعنا من الفخر بالأقوام لكتبت الكثير والكثير عن مناقب ومآثر أهل الصعيد الكرام. ولكنني أدخل إلى الموضوع من بوابة الدفاع عن المظلومين. وهذا مما قد يهون علي أبيات في قصيدتي قد يُتوهم أن فيها فخراً من فخر الجاهلية. وقد حرصتُ الحرص كله على أن أجتهد كل الاجتهاد في ديوان (الصعايدة وصلوا) مبتغياً في ذلك وجه الله تعالى والانتصار للحق الذي أدين الله به! من أجل ذلك ألحقت بعض القصائد التي تتعلق بالصعيد وأهله في هذا الديوان حتى لا يتفرق دم الصعيديين في القبائل والأمصار ، فلا يجد من ينتصر له مؤثراً ما عند الله من الأجر! كما حرصت على أن يكون التقديم والختام شعراً لا نثراً ليكون لوناً جديداً يُكافئ جميل أهل الصعيد عليّ فهم أهلي وعشيرتي. وإذا كان حسان بالأمس قد سل رسول الله من قريش كما تسل الشعرة من العجين ، فعليّ أن أسل أشاوس وأجاويد وعلماء وأدباء أهل الصعيد من المؤمنين بالله ورسوله من النكت القذرة وأقوال المنولوجستات

الحمقى المغفلين كما تسل الشعرة من العجين! طبعاً مع الفارق العظيم بين حسان وبيني ، وبين رسول الله وأهل الصعيد! والشعر في حقيقته شعور شكلته حقيقة واقعة أو موقف بعينه أو تأثر بحادث معين! ولم يزل الشعر - منذ عصر امرئ القيس إلى يوم الناس هذا وإلى أن يرث الله الأرض بما عليها ومن عليها – وسيلة من وسائل التعبير عن النفس وما يعتلج فيها من عواطف ومشاعر وأحاسيس! وتحت عنوان: (الشعر جلي غامض تخســـر البشرية فضائله) يقول الدكتور الأديب محمد سبيل والأستاذة الناقدة وفاء السويدي ما نصه: (عما قريب يحتفل العالم بيوم الشعر العالمي ، وفي ذلك ما فيه من الحنين العميق نحو زمان أشاع فيه الجلي الغامض فضائل المحبة والسلام والقيم النبيلة بين الناس ، والآن قد نزعم أن تخصيص يوم عالمي لأي شأن كان ، يعني بالضرورة أن ثمة مشكلة وأن هنالك دعوة ضمنية مفتوحة على مستوى العالم ، لتسليط الضوء من أجل التضامن لصالح هذا الكائن الرقيق الذي لا يلقى الاهتمام الكافي ، ويأتي تالياً على هذا التآزر الجماعي ، إظهار آيات التقدير والاحتفاء بإسهامات الذين كانوا - وما يزالون - يقدمون الدعم والترويج له والعناية به. إن تخصيص يوم عالمي للشعر يصادف الحادي والعشرين من مارس قد يعني الأخذ بيد الشعر الذي تحول من مركز الصدارة والعلامة الفارقة ، الدالة على حسن الثقافة والفصاحة والبلاغة ، إلى هذا الوضع الماثل بين ظهرانينا ، حيث يحتاج إلى الترويج والنصرة في ظل إهمال المجتمع له على نحو لم يسبق له مثيل في التاريخ ، ودون أن يدري أحد السبب بالتأكيد سيقول قائل إن شعر اليوم قد بدل صورته وسيرته التي جذبت الناس إليه طوال ما مضى من عمر الزمان جراء محاولات تطويره على نحوه أفقده النكهة والمذاق ، وبالتالي فإن الكرة في ملعب شعراء هذا العصر ، الذين يتعين عليهم الاهتمام بذائقة المتلقي واستعداداته أكثر من الميل نحو المغامرة بتجارب تطويرية لا تروق إلا لهم وحدهم. هذا طبعاً زعم ليس في محله ، بدليل أن انحسار الشعر بات سائداً في كل مكان ، وليس في عالمنا العربي وحده ، وبالتالي فالمسألة لا ترتبط بفقدان الوزن والقافية وجلاء المعاني والأغراض الشعرية مثلاً ، ثم إن الشعراء الذين ما برحوا مستمسكين بشروط الشعر التقليدي "الرصين إياه" هم أيضاً يستشعرون هذا الجحود والإهمال. بينما باتت الرواية مثلاً سيدة الموقف الأدبي ، في مشارق الأرض ومغاربها ، مع أننا في زمان السرعة والإيجاز ، والشعر وحده يضمن التعبير بكثافة ما قل ودل أكثر مما تفعل الرواية. ومن جهة أخرى فإن هيمنة الثقافة الرقمية وتكنولوجيا المعلومات ووسائل التواصل الاجتماعي التي تساق أحياناً تبريراً لأزمة الأدب عموماً ، لم تهزم الرواية ، بينما استطاعت أن تخلخل مكانة الشعر بين الناس. ولذلك يبقى السؤال على ما هو عليه: ما الذي صرف الناس جماعياً عن الشعر؟ ذلك الكائن الأثيري الواضح في تأثيره والغامض في تحديد كنهه ، ولطالما أسعد الناس وأبكاهم؟ لعل أهم المقاربات التي يمكن التعويل عليها بهذا الصدد هي التي تذهب إلى أننا في الحقيقية في عصر "الترفيه" والرواية والسينما والألعاب الذكية تعد مجالاً للإمتاع أكثر مما تفعل القصيدة ، خاصة حينما تجنح القصيدة نحو التعقيد الفلسفي والمقاصد المبهمة وأحياناً التقريرية المسطحة. ومما يعزز وجاهة هذا الطرح أن المسلسلات الرومانسية وبرامج الفكاهة والأغاني ذات الطابع الرومانسي ما تزال تحتفظ برصيد أوفر لجهة الجمهور الذي قد يصل حد الهوس بها بقدر ما يهتم ببرامج مايكروسوفت وألعاب البلاي استيشن وبوكيمون غو إلخ. نحن فعلاً في زمان الترفيه والاستمتاع الاستهلاكي ، وليس الأعمال الجادة ذات الرسائل الوطنية أو التربوية. أليس مناسباً البناء على مثل هذا التشخيص والتحليل تمهيداً لإيجاد حل

للمشكلة؟ أليس ممكناً كتابة قصيدة ممتعة وطريفة وفيها تحدٍ مثير أو دعابة تتضمن رسالة ما؟).هـ. وكنتُ - وأعتذر عن ذلك – قد نسيت أن أذكر أن الشيخ محمد محمود الطبلاوي صعيدي من ميت عقبة وهي من أعمال محافظة الجيزة بصعيد مصر! وكذلك العملاق الفذ فضيلة الشيخ جمعة سليم الجهمي القوصي (طبلاوي الصعيد) من صعيد مصر فهو من قوص وهي من أعمال محافظة قنا! وكم هو شرف للصعيد أن يخرج من بينهم ذلك القارئ المقرئ المبدع جمعة القوصي – حفظه الله - ، ولأنه انتهج مدرسة الشيخ الطبلاوي فأطلقت عليه الجماهير لقب (طبلاوي الصعيد)! وأراه جديراً بهذا اللقب! ومرة أخيرة أعتذر أنني نسيت أن أورد اسمه ضمن أعلام الصعيد الذين ينبغي أن نفاخر بهم!)

20 - (الصعايدة وصلوا 2)

(ليست هذه هي المرة الأولى التي أتشرف فيها بالكتابة عن أهل الصعيد. حيث إنني كنت قد كتبت (الصعايدة وصلوا - ديوان القوقعة الدامية1) وهذا منذ سنوات ، وأيضاً كتبت (وصول أهل الصعيد – ديوان ذل الجمال) وكتبت (امرأتان من صعيد مصر- ديوان ذل الجمال) وكتبت (الصعيدي عندما يعف – ديوان ماسحة الأحذية). وها أنذا أضرب على ذات الوتر ، منتصراً لأهل التوحيد والإيمان من أهل صعيد مصر ، ومتناولاً شيئاً من أخبارهم ونتفاً من سير أعلامهم. علني بهذا أجلي الصورة المثلى لنجباء أهل الصعيد وأشرافهم ، ولأثبت أنهم وصلوا للقمة في الحضارة الإنسانية المادية والمعنوية ، علماً وثقافة وبناءً وعمرانا. ولأخرس ألسنة المتندرين المتفكهين الثقلاء المرتزقة الذين يتطاولون على أهل الصعيد. وها أنذا أعنون لديواني هذا بذات العنوان (الصعايدة وصلوا). والسبب في ذلك أن المؤمنين الموحدين من أهل الصعيد مني وأنا منهم ، لأنني أحد أبنائهم من بيت (خليفة) بالكولة مركز أخميم سوهاج. وذلك لأؤدي بعض ما لهم علىَّ من جميل كأهل وعمومة وأجداد. وأخيراً لأدافع عن قضية طال عليها الأمد ، وثبت عكس حقيقتها في أذهان الناس. وكنت أتكلم مع مجموعة من الناس ، فتعجبوا من كلامي ، واستكثروا على الصعيد أن يخرج منه شعراء وأدباء ومفكرين وعلماء. فرُحتُ أقول لهم: من أي البلاد فلان وعلان وأذكر أعلاماً فى قمة الإبداع ، فأفاجأ بأن أصحابنا من كوكبة المثقفين لا يعرفون أن هؤلاء صعايدة وأبناء صعايدة وأبناء صعيديات. بل استبعد البعض عروبة أهل الصعيد ، فرحت أثبت لهم من واقع التاريخ أنهم عرب ، بل ومنحدرون من أصول ضاربة بجذورها فى العربية. وإنني إذ أنتصر لأهل الصعيد ، ليس من باب القومية ذلك الباب الضيق الفجّ المَقِيت ، ولكن من باب نصرة المظلوم والدفاع عن قضية هامة لم يتعرض لها أحد – على حد علمي - بدراسة موضوعية ، يمكن من خلالها الوقوف على حقيقة هذا الموضوع وحقيقة أهله من كرام أهل الصعيد وأجلتهم. ولسوف أعوّل على المراجع وكتب التراجم والموسوعات والتاريخ والسير ، ليكون الأمر أكثر وضوحاً بكل دليل أشعر أنه يصلح لهذه الترجمة. (الصعايدة وصلوا). ويكفي الصعيد شرفاً أن رجلاً صالحاً من أهل الصعيد ، وعرف بالحكمة وفصل الخطاب ، كان قد ذكر في القرآن ، وسمى الله السورة التي ذكر فيها باسمه تكريماً له ، إنه لقمان الحكيم. وهو من أهل النوبة ، بها عاش ، وتوفي أيضاً بها. ويكاد يكون هناك شبه إجماع من المفسرين على ذلك! كما يكفيه شرفاً أن القارئ العظيم الشيخ محمد محمود الطبلاوي من الجيزة من صعيد مصر. وكذلك الشيخ صلاح أبو إسماعيل من الجيزة بصعيد مصر. *في موسوعة قبائل العرب للأستاذ / عبد الحكيم الوائلي م3 ص1051 يقول

نصياً: (*الصعايدة: فخذ من زبيد الشيخ في خليص من الديار السعودية. *الصعايدة: إحدى العشائر الملحقة بالمساعيد الشيبانية الوائلية العدنانية ، يقال إنهم قدموا إلى فلسطين من صعيد مصر ، وأقاموا بوادي المالح شمال فلسطين. ومنهم قوم عواد والعُميريين ويتبعهم الدقيان. *الصعادا وهم بطن من الفقرا من المنابهة من عنزة من العدنانية ، يقيمون بالعلا من الديار المصرية. وبالصعيد قبائل عربية اتخذت بلاداً وسُميت باسمها مثل (جُهينة). والحقيقة أنني إذ رجعتُ إلى التاريخ الموثق أدركت أن لأهل هذا الجنوب المصري ما يؤيد كلامي. فاستغرقت الوقت الطويل في الوقوف على هذه الحقائق الدقيقة ، ودرست الشيء الكثير عن أهل أنا أنتسب إليهم ويفتري عليهم بالباطل اليوم أقوام أراذل أخسة حمقى. والأمر ليس بالادعاء ولا بالعاطفة ، وكان من النتائج أن أدركت بالدليل ما لهم من مكانة عظيمة فمثلاً: **الشيخ العالم الجليل علي أحمد الجرجاوي (داعية الإسلام في اليابان) ، والذي كتب كتاباً عن رحلته الدعوية إلى اليابان أسماه: (الرحلة اليابانية). إن هذا العالم الفاضل هو أحد أعلام الأزهر ، كان قد ذهب إلى اليابان على نفقته الخاصة بعد أن باع قطعة أرض ورثها عن أبيه ليكمل رحلته! ووصل الشيخ المبارك إلى طوكيو للدعوة إلى الإسلام. وذلك بعد أن نادى في علماء الأزهر أن تعالوا معي لنذهب للدعوة إلى الله في اليابان ، ولما لم تجد دعوته صدى ، أخذ على عاتقه أن يذهب وحده. ووصل إلى يوكوهاما ، ولقي من الأهوال والعقابيل ما الله به عليم. والتقى بأحد العلماء المسلمين الهنود من كلكتا من بلاد الهند ، كما التقى بوفد إسلامي كان السلطان عبد الحميد الثاني العثماني قد أرسله للدعوة إلى الله في اليابان. وبناء على طلب الإمبراطور الياباني أن يبين حاخام يهودي وقسيس نصراني وشيخ مسلم معالم دينهم كل على حدة! فلما انتصر الحق على يد الشيخ علي الجرجاوي أعطى الإمبراطور الحرية للدعوة الإسلامية ، فراح الشيخ علي الجرجاني يدعو إلى الله فأسلم على يديه الآلاف في بضعة أيام! **محمد محمد محمد أبو تريكة المولود في ناهيا – محافظة الجيزة سنة 1978م. ونشأ محمد أبو تريكة في أسرة متواضعة بقرية ناهيا بمحافظة الجيزة ، وتخرج في كلية الأداب قسم التاريخ بجامعة القاهرة ، والتحق بنادي الترسانة وعمره 12 سنة ، وتزوج من زميلته في الجامعة (سُمية) في عام 2002م ، ولديه طفلان توأم سيف وأحمد وطفلة (رقية). وعرف عن أبو تريكة الالتزام الديني ومساندة المسلمين في كل مكان واختير أبوتريكة سفيراً لبرنامج الأغذية العالمي للأمم المتحدة لمحاربة الفقر ، ويقول أبو تريكة "الإسلام يعالج الفقر من خلال الزكاة ، لأن الغني يشعر بمحنة الفقراء. ويجب علينا أن نساعد الفقراء بقدر الإمكان ، حتى لا يشعروا بالغربة في المجتمع." ومن هذا المنطلق ، في عام 2005 انضم أبو تريكه إلي اللاعب البرازيلي رونالدو واللاعب الفرنسي (الجزائري الأصل) زين الدين زيدان إضافة إلي 40 من نجوم الكرة العالمية في "مباراة ضد الفقر" من أجل جمع التبرعات والتوعية بمحاربة الفقر في شتي أنحاء العالم. والحقيقة أن معلوماتي عن الكرة ولا عبيها قليلة ومن هنا كان التقصي عنه! يتمتع أبو تريكة بشعبية عالية في مصر والعالم العربي حتى انتخبته مجلة شباب 20 الإماراتية أقوى شخصية مؤثرة في الوطن العربي في استفتاء شارك فيه مئات الإماراتيين والعرب. بدأ أبو تريكة ممارسة كرة القدم في شوارع ناهيا ، وشارك في العديد من الدورات الرمضانية ، حيث بدأت موهبته تظهر جلية للعيان. وفي سن 12 عام نصحه أحد أصدقائه المقربين بالتوجه لاختبارات نادي الترسانة ، حيث نجح وانضم للنادي الكائن في ميت عقبة ، لينتقل اللاعب إلى مرحلة أكثر تنظيماً وحِرَفية. وكانت مهارات أبو تريكه في دوري الناشئين

مع فريق الترسانة قد دفعت مسئولي الشواكيش إلى تصعيده وهو لم يبلغ الـ 17 عام إلي الفريق الأول (الذي كان يلعب في دوري الدرجة الأولي أنذاك) ، حيث أمضى أبو تريكة ثلاث سنوات مع الفريق في دوري المظاليم قبل أن يصعد بالفريق للدوري الممتاز بفضل أهدافه الحاسمة التي بلغت 23 هدفاً. في موسم 2001/2000م أول مواسم أبو تريكة في الدوري الممتاز أحرز أبو تريكة 6 أهداف مع الترسانة وساهم مع زملاؤه في الفريق في احتلال المركز الحادي عشر ليبقى الترسانة في دوري الأضواء بفارق نقطتين عن (مزارع دينا) ، وكان للفريق مباراة لا تنسى في هذا الموسم تعادل فيها مع الإسماعيلي بكوكبه نجومه في ذلك الوقت (بركات والشاطر والنحاس وأوتاكا) 3/3 في ملعب الترسانة بميت عقبة. وفي الموسم التالي 2002/2001 أستمر تألق أبو تريكة وأحرز سبعة أهداف ، وقاد الترسانة بنجاح للموسم الثاني للبقاء في الدوري الممتاز. وبرغم تواجد أبو تريكة في أغلب المباريات في مركز لاعب الوسط إلا أن توهجه أستمر في الموسم الثالث على التوالي للترسانة في دوري الأضواء موسم 2003/2002 وأحرز 11 هدفاً ، ساهمت بشكل كبير في استمرار بقاء الشواكيش في الدوري. شهد موسم 2004/2003 أكبر تحول في تاريخ محمد أبو تريكة ، حيث انضم في موسم الانتقالات الشتوية (يناير 2004) إلى النادي الأهلي ليبدأ رحلة نجاح منقطعة النظير مع الفريق. ولقد بدا أبو تريكة مسيرته مع الأهلي في نصف الموسم المتبقي 2004/2003 حيث أحرز 14 هدف حل بها ثانيا بعد عبد الحليم علي (لاعب الزمالك) الذي أحرز 21 هدف في ترتيب هدافي الدوري. ساهم أبو تريكة في الثلاث سنوات الماضية ومنذ انضمامه للأهلي في تحقيق الفريق للعديد من الإنجازات والألقاب كان أبرزها فوز الفريق ببطولتين متتاليتين للأندية الأفريقية أبطال الدوري موسم 2005 و 2006 ، كما ساهم بأهدافه في حصول الفريق على برونزية أندية العالم في اليابان 2006. ولعل هدف أبو تريكة في مرمى الصفاقسي التونسي في نهائي دوري أبطال أفريقيا 2006 في تونس، هو الهدف الأغلى في مشوار اللاعب كونه حول أتجاه كأس البطولة في آخر دقيقتين من سوسة إلى القاهرة. وعلى الصعيد الدولي انضم أبو تريكة للمنتخب الأولمبي والمنتخب العسكري في بداياته مع الكرة بنادي الترسانة لكن مشاركاته كانت قليلة نسبياً برغم الإشادة الدائمة بمستواه الفني وأخلاقياته. وبعد انتقاله للأهلي وتألقه اللافت كان من الطبيعي أن ينضم أبو تريكة للمنتخب الوطني الأول. وقد خاض أبو تريكة أول مبارياته بقميص المنتخب في 31 مارس 2004 في لقاء ودي أمام ترينداد وتوباجو أقيم علي استاد المقاولون العرب وفاز المنتخب 1/2. وقد تألق أبو تريكة في بطولتي كأس الأمم الأفريقية (2006) التي استضافتها مصر ، و(2008) التي أقيمت في غانا ، وساهم بشكل كبير جداً مع زملاؤه في حصول مصر على البطولتين لتنفرد بالرقم القياسي في مرات الحصول على اللقب برصيد 6 مرات. وسجل أبو تريكة في بطولة (2006) ضربة الجزاء الحاسمة في ساحل العاج ، ثم نجح أيضاً في (2008) في تسجيل هدف الفوز على الكاميرون. وأما أبو تريكة على المستوي الدولي (- اختير ضمن نخبة من لاعبي العالم لتشكيل ما يسمى بمنتخب العالم وذلك لأداء مباريات ودية يخصص دخلها للأعمال الخيرية تحت إشراف الأمم المتحدة. - أكثر لاعب شعبية في العالم حسب تصنيف الاتحاد العالمي لتاريخ وإحصاءات كرة القدم (IFFHS) مرتين علي التوالي عام 2007م وعام 2008م - تقدم أبو تريكة إلى المركز العاشر في قائمة هدافي العالم لعام 2008م التي يصدرها الاتحاد الدولي للتأريخ والإحصاء بعد أن كان في المركز الـ 22 وذلك بعد أن ارتفع رصيده إلى 11 هدفا دوليا خلال شهر نوفمبر

2008م. - كما حصل أبو تريكة في فبراير 2009 جائزة هيئة الإذاعة البريطانية (بي بي سي) لأفضل لاعب كرة قدم في أفريقيا لعام 2008م. - وقامت الفيفا باختياره أخيراً ضمن فريق منتخب القارات في بطولة كأس القارات 2009 التي انتهت في يونيو 2009م. فأبو تريكة صعيدي! ** الفقيه محمد بن محمود فرغلي ، ولد في بني زيد. أسيوط عام 1932م ، وتوفي 1994م. وهو فقيه متمكن له كتب منها على سبيل المثال (حجية الإجماع – النسخ بين الإثبات والنفي – بحوث في السنة – بحوث في القياس – بحوث فى الأصول). ** إبراهيم رفعت باشا بن الشريف سويفي. ولد في أسيوط عام 1857م ، وتوفي عام 1935م. كتب (مرآة الحرمين). ** المؤرخ إبراهيم رمزي بن محمد رمزي. ولد في الفيوم عام 1867م ، وتوفي 1924م ، له كتب أدبية وديوان شعر أيضاً. ** القاضي المفتي أحمد بن إدريس بن حسن بن بدوي. الذي توفي عام 1300هـ ، ذلك الفقيه الحنفي الذي ذاع صيته في زمانه. ولد في الفشن بصعيد مصر وعاش فيها. ** الأديب الفقيه أحمد زناتي بك بن سراج بن مدين. المولود في بلدة بني حسن بالمنيا عام 1870م ، والمتوفي عام 1929م ، ألف كتبا شرعية وأدبية منها (الدين القويم – الهداية إلى الدين المستقيم – وغيرها من الكتب الشرعية والرسائل والنصائح والمواعظ الطيبة السلسة الأسلوب). ** أحمد بن محمد رافع الطهطاوي المولود في طهطا عام 1859م ، والمتوفي عام 1936م. هو عالم فقيه له كتابات. ** الأديب الشاعر الشيخ أحمد بن مفتاح بن هارون بن أبي النعاس العماري ولد في 1857م في نزلة عمر بالصعيد . له مؤلفات كثيرة أدبية وشرعية ، وله ديوان شعر ، توفي في 1911م . **المفكر المبدع الكبير رشدي فكار ، ولد في الكرنك – قنا في 1928م ، وتوفي عام 2000م ، له 50 كتاب ودراسة وترجمة عن الإسلام والحركة الإسلامية المعاصرة. ** صلاح مخيمر ، من كبار علماء النفس المصريين ولد في عام 1922م في المنيا ، وتوفي 1988م. له مجلدات في مجال تخصصه الذي هو علم النفس والتحليل النفسي. ** عبد الكريم الخطيب ، ولد في قرية الصوامعة غرب طهطا التابعة لجرجا – سوهاج - ، وهو صاحب (التفسير القرآني للقرآن) ويقع في 6 مجلدات في 8000 صفحة ، وله أيضاً (سد باب الاجتهاد – القصص القرآني - الإعجاز القرآني العلمي – المسيح في التوراة والإنجيل والقرآن) وغيرها من الكتب الجيدة . ** أحمد محمد بدوي ، ذلك المؤرخ الآثاري اللغوي ولد في قرية (أبو جرج) – بنى مزار – المنيا. وكانت للأستاذ عناية كبيرة بالكتابة في الآثار واللغة العربية والتاريخ بكل عصوره. ** أحمد عبد المجيد هريدي ، الذي هو مفتي مصر ، القاضي اللغوي. ولد في بلدة النقاعي – بني سويف. من كتبه (تلخيص كتاب المقولات لابن رشد) وغيره من الكتب الشرعية والأدبية. **عدلى فهيم ، الذي هو من رواد الإخراج الفني الصحفى. ولد في محافظة المنيا. وكانت له إسهامات فى مجال الصحافة. طبعاً هؤلاء الأعلام على مستوى الفكر والثقافة. وأجعلهم ملحقاً في تقديمي هذا لمقدمة (الصعايدة وصلوا 1). وأفتح الآن صفحة أعلام شعراء الصعيد فأقول: إن الحديث عن شعراء الصعيد في القديم والحديث حديث ذو شجون وذو شؤون. إذ إن لهم بى ارتباطين: فأما الأول فكوني مثلهم من أبناء الصعيد. وأما الارتباط الثاني: فلأني مثلهم شاعر. وهذا الكلام عنهم جاء بعد دراسة وثائقية دقيقة ، استقصت أخبارهم من دوائر المعارف وكتب التراجم والتاريخ. فما من شاعر صعيدي ، في القديم أو الحديث سمعت به ، وقد وقفت عليه ، وانتهى إليه علمي ، إلا وأثبتّ هاهنا شيئاً عنه ، حتى أثبتَ للناس أجمعين أن أهل الصعيد قوم عندهم إحساس وشعور وعاطفة وذوق فني ، وقدرة على كتابة الشعر وصناعة الأدب وصياغة النثر! ومن هؤلاء

الأعلام الشعراء الأدباء على سبيل المثال: ** الشاعر محمد بن عبد الرحمن بن محمد النخعي المتوفى عام 1287م والملقب بخطيب قوص الفذ ، ولد في قوص – قنا. ** الشاعر محمد عبد الرحمن محمود صان الدين ، المولود في برديس – سوهاج عام 1923م له دواوين منها (أعاصير وأنام – شوارد وسوانح – في بحار الكون) وبها شعر جيد. **إبراهيم رمزي بك ، ولد في الفيوم وأنشأ مجلة (الفيوم) ، وألف (تاريخ الفيوم) ، وأصدر في فرنسا بعد ذلك مجلة (المرأة فى الإسلام) ، وسخر شعره كله في الذود عن الإسلام والعقيدة. ** إبراهيم بن محمد بن إبراهيم فخر الدولة الأسواني ، هو أول من كتب الإنشاء للملك الناصر صلاح الدين بن أيوب بن شاذي ، ثم لأخيه الملك العادل وهو بكل المقاييس شاعر قدير مطبوع. **الشاعر الدكتور أحمد ابراهيم درويش ، من الجيزة. له كثير من المحاولات في الشعر. عمل معيداً فأستاذاً بكلية دار العلوم وساهم في تكوين (الجمعية المصرية الأدبية للأدب المقارن). وقد حصل على جوائز كثيرة في مجالي الأدب بعامة والشعر بخاصة. **الشاعر أحمد بن إبراهيم الشريف. من أسوان له ديوان شعر (صور وعبر) ، وله دراسات في الشعر الإنساني وأدب العقاد. **الشاعر أحمد بخيت أحمد بخيت ، ولد في أسيوط. له ديوان (لا تسألي) ، وديوان (وطن بحجم عيوننا) ، ونقد أدبي حجل فيه واسعاً حول عدد من القضايا. **الشاعر عبد القادر الفيومي ، المتوفي 1613م شاعر فقيه فرضي حاسب. ذاع صيته في زمانه. وهو من أهل الفيوم. **عبد الملك بن أحمد بن عبد الملك الأنصاري الأرمنتي. ولد في أرمنت (قنا) عام 1234م وتوفي في قوص. له (نظم تاريخ مكة للأزرقي) ، وهذا على طريقة الرجز. وله أرجوزة في الحُلي. **الشاعر عبد الوهاب عزام ، ولد في الشوبك من قرى الجيزة عام1959م. له أشعار جيدة غنية عن أن يمتدحها مثلي. **الشاعر عز العرب عبد الحميد ثابت حسين ، ولد في قوص وهي من أعمال قنا ، عام 1947م. له شعر عظيم (اجتماعى). **الشاعر على بن السيد الجندي ، ولد في جزيرة شندويل – سوهاج عام 1900م ، وكان عميد جامعة القاهرة عام 1950م ، له 30 مؤلف في الأدب العربي . كما أن له دواوين شعرية: منها (أغاريد السحر – ألحان الأصيل – ترانيم الليل – شعر الحرب – فن التشبيه – أدب الربيع – خمسة أيام في دمشق الفيحاء). **الشاعر محمد عبد المطلب بن واصل ، من أسرة (أبي الخير) من جهينة – سوهاج ، ولد في باصونة (جرجا – سوهاج) عام 1871م وتوفي عام 1931م. له ديوان شعر كبير معروف. **الشاعر محمد عزت الطيري ، ولد في نجع حمادى بالصعيد عام 1953م . وله دواوين منها (تنويعات على مقام الدهشة – دع لي سلوى – الطريق السهل المقفل – عد لنا يا زمان القمر – فصول الحكاية – أحزان شاعر قروي) ، ويغلب عليها الواقعية. **الشاعر محمد فوزى بن محمد أحمد العنتيل ، ولد في علوان – أسيوط عام 1924م وتوفي عام 1981م . وله دواوين: (عبير الأرض – رحلة في أعماق الكلمات) وشعره واقعي. **الشاعر محمد قدري باشا ، ولد في ملوي – أسيوط 1821م وتوفي عام 1888م. وله ديوان كبير من الشعر الأصيل. **الشاعر حزين عمر محمد ، ولد في الفيوم عام 1963م . له (اليوم العاشر) ، وشارك في إنشاء (جماعة الجيل الجديد) الفكرية ، وهو عضو نقابة الصحفيين المصرية. وأشعاره ثورية تميل في أغلبها للطابع الحماسي وتهدف إلى إيقاظ همم الجماهير ومشاعرهم. **الشاعر خليل إبراهيم خليل إبراهيم فواز ، ولد في قرية العسيرات – سوهاج عام 1942م ، له دواوين (مصر الحرب والسلام – الغرفة الخالية – وجه الحب القديم – رفقاً بقلبي – قلبي أنا) ، ورواية (النسر الجسور). وشعره درامي جداً. **الشاعر درويش حنفي الأسيوطي ، ولد في 1964م في قرية الهمامية –

أسيوط. له دواوين (أغنية لسيناء – أغنية رمادية) ، وله أيضاً مسرحيات هادفة كثيرة في أدب الأطفال. **الشاعر ربيع عبدالعزيز أحمد ، ولد في الفيوم 1945م ، وله دواوين (سؤال في زمن السامري – خيمة على الورد) ، حصل على جائزة أحسن قصيدة من قصر ثقافة الحرية بالإسكندرية. **الشاعر سعد عبد الرحمن أحمد عمر ، ولد في أسيوط عام 1954م ، منح عدة جوائز في مسابقات وأمسيات شعرية ، له قصائد رائعة الفكرة تنحو صوب التجديد في قالب الشعر. **الشاعر محمد خلف الله أحمد ، ولد في قرية العمرة من أعمال سوهاج عام 1904م ، وله أشعار وأبحاث إسلامية هامة. **الشاعر محمد بن خليل الخطيب ، ولد في نيدة – سوهاج مركز أخميم ، له أبحاث وأشعار يغلب عليها التوحيد ، وأيضاً حارب في أشعاره وأبحاثه أهل التصوف والدروشة وأنكر عليهم ما يأتونه من مخالفات شرعية. **الشاعر الدكتور محمد السيد يسن أبو دومة ، ولد في 1944م بسوهاج. وهو عضو اتحاد أدباء مصر ، وعضو اتحاد كتاب آسيا وأفريقيا. من دواوينه (المآذن الواقعة على جبال الحزن – السفر في أنهار الظمأ – الوقوف على حد السكين – أتباعد عنكم ، فأسافر فيكم – تباريح أوراد الجوى) ، وأغلب شعره جيد. **الشاعر محمد الصادق عرجون ، ولد في أسوان عام 1903م ، وهو غني عن التعريف ، لما له من عظيم مشاركات ودراسات في التصور الإسلامي وواقع الإسلام المعاصر. كما أن له دراسة جيدة في السيرة النبوية. **الشاعر محمد صالح مجدي ، ولد في أبو رجوان – الجيزة – عام 1827م. وله ديوان شعرى احتوى على كل أشعاره. **الشاعر محمد عادل أحمد ، ولد في الأقصر عام 1933م له ، (المقعد الرخامي) ومسرحية شعرية بعنوان (الحساب). ** الشاعر جعفر بن تغلب بن جعفر الإدفوي أبو الفضل كمال الدين ، مؤرخ شاعر أديب فرضي فقيه. له (الطالع السعيد الجامع لأسماء نجباء الصعيد) وهو كتاب التراجم لرجال عصره (1347م) ، وله (البدر السافر وتحفة المسافر) وهو مجلدان. وله (فرائد الفوائد في علم الفرائض) وله أشعار عذبة. ** الشاعر جمال عطا أحمد ، ولد في منفلوط - أسيوط. كان قد نشر العديد من أشعاره في المجلات والدوريات والجرائد العربية ، له ديوان (وداعاً شاطئ الذكريات). ** الشاعر جميل بن محمود عبد الرحمن بن عيسى ، ولد في سوهاج عام 1948 م له (شواطئ المجهول - عذابات الميلاد الثاني – لماذا يحولون بيني وبينك؟ - أزهار من حديقة المنفى - تموت العصافير لكي تبوح – ابتسامة في زمن البكاء). أخذ العديد من الجوائز والميداليات في الشعر. ** الشاعر أحمد بن محمد بن عبد الحق القوصي المولود في قوص. وشعره أغلبه في الزجل ، وامتاز بالفكاهة المذهبة. ** الشاعر أحمد محمد علي جامع ، ولد في نجع حمادي ، ونشر العديد من القصائد في المجلات والجرائد المصرية. له دواوين شعرية (إنما أنت لي – أنا والمدينة) ، ومسرحية (من الذي قتل الإمام؟) وأشعاره ذات طابع اجتماعي درامي وواقعي. ** الشاعر الأديب أحمد بن محمد بن نجيب حسن ، ولد في الجيزة عام 1928م ، وله ديوان في أدب الأطفال أسماه: (ديوان أحمد نجيب للأطفال الناشئين) ، وله كتب كثيرة في أدب الأطفال والناشئة ، مثل (مغامرات عقلة الإصبع) وأيضاً (مغامرات حول العالم) ، وكذلك (دائرة المعارف العالمية في أدب الأطفال) وحصل على جائزة الملك فيصل في الأدب. ** الشاعر محمود سامي باشا بن حسن حسني بن عبد الله البارودي المصري ، ولد في إيتاي البارود عام 1839م ومات عام 1904م ، واشتهر باسم (البارودي رب السيف والقلم). ** الشاعر محمود عبد الوهاب الأبنودي المتوفي عام 1978م ولد في أبنود - قنا له أشعار جيدة يغلب عليها التدين. ** الشاعر محمود محمد بكر هلال ، ولد في

قرية الشيخ مكرم مركز سوهاج عام 1914م وله ثلاثة دواوين ، وله أربع تمثيليات شعرية مطبوعة هي (فلسطين - المولد النبوي الشريف - كتب عليكم الصيام – عيد الأم) ، ويغلب على شعره الطابع الإسلامي العف. ** الشاعر أحمد موسى بن موسى بن محمد عز الدين المعروف بابن قرصة ، وهو شاعر أديب ولد أديب ولد في الفيوم عام 1302 م ، كان ناظر الليوان بقوص والإسكندرية. له ديوان شعر يقع في أربع أجزاء ، وكتاب في الأدب سماه (نتف المذاكرة ونكت المحاضرة). ** الشاعر الشاب أسامة محمد محمود محمد العربي ، المولود في بني سويف والمتخرج من كلية دار العلوم عام 1381هـ له ديوان (غص بالسؤال) ، وأقام العديد من الندوات الشعرية. وأقام الأمسيات والمناقشات والمؤتمرات الأدبية. ونال العديد من الجوائز المالية في الإلقاء ، وحصل على عدد من النياشين والميداليات في الشعر من هنا وهناك. ** الشاعر صبري أبو علم عبد الله أحمد بدوي ، ولد في طهطا – سوهاج عام 1942م وهو عضو اتحاد كتاب مصر وعضو جماعة الطليعة وعضو جماعة أقلام الصحوة ، له عملان دراميان (باقة من الوفاء – باقة حب) ، وله أيضاً (عطر الأيام – البحر والرجال). والرجل ذائع الصيت والشهرة في أنحاء مصر. ** الشاعر نور سليمان أحمد ، ولد في أهناسيا المدينة - بني سويف عام 1959م. له أيضاً (أحياناً يغضبني النهار). ** الشاعر وصفي صادق مينا المولود عام 1940 م في بني مزار المنيا. له (المراهنة على جواد ميت - حق اللجوء إلى الجنون - البكاء في أرض منزوعة الدموع - بكائيات في المنفى). ** الشاعر يحيي بن محمد بن محمد بن أحمد المناوي. من منية بني خصيب بالصعيد وهو من كبار الشعراء 1467م. ** الشاعر أشرف بن عثمان بن عبد العال أبو جليل ولد في أطسا - الفيوم عام 1967م. نشر قصائده في عدد من المجلات والدوريات والجرائد العربية. له (شجرة البدايات) وحصل على المركز الأول بجامعة القاهرة لعدة أعوام 87 ، 88 ، 1989م ، وعلى المركز الثاني في الثقافة الجماهيرية ، وعلى المركز الأول من المجلس الثقافي البريطاني في مسابقة أفضل قصيدة. ** الشاعر ثابت بن فرج بن عبد الرؤوف بن علي الجرجاوي من أهل جرجا - سوهاج كان قد تخرج بالأزهر ، وترأس الجمعيات المناوئة للاحتلال عام 1919م ، أيام سعد زغلول. ونفي عنوة إلى مالطة ، وله (النبراس في تاريخ الخديوي عباس).** الشاعر محمد الأمين محمود سيد شرف الدين ، ولد في منيل السلطان أطفيح – الجيزة عام 1952م. له ديوان بعنوان: (مسافر في الكلمات) كتب الشعر العمودي والعامي والتفعيلة. ** الشاعر محمد بخيت الربيعي ولد في جهينة - سوهاج ، عام 1927م ، وله ديوان: (جراح وبلسم). ** الشاعر الدكتور محمد أبو الفضل بدران ولد في العويضات مركز قفط - قنا ، وله شعر جيد مستقى من الواقع المعاش. ** الشاعر محمد توفيق بن أحمد علي العسيري العباسي ولد في زاوية المصلوب من قرى بني سويف 1887م ، له شعر ممتاز ضمنه كله في ديوان كامل اسمه (ديوان توفيق). ** الشاعر الكبير محمد حافظ بن إبراهيم فهمي المهندس ، والشهير بحافظ إبراهيم - شاعر النيل. ولد في 1871 م في ديروط – أسيوط ، ومات 1932 م. وله ديوان (حافظ إبراهيم). ورثاه أمير الشعراء أحمد شوقي بقصيدة هي من عيون شعر العرب الجيد في العصر الحديث بشهادة النقاد. ** الشاعر محمد حامد أبو النصر ، ولد في منفلوط - أسيوط عام 1913 م وله شعر جيد يغلب عليه الطابع الإسلامي. ** الشاعر محمد حسن العمدة 1941م في الرقبة - دراو - أسوان ، له أشعار جيدة يغلب عليها الطابع الاجتماعي والواقعي. ** الشاعر أحمد رافع بن محمد بن عبد العزيز الطهطاوي ، ولد في طهطا من أعمال جرجا - سوهاج ، له كتب أدبية

بل وشعرية نقدية جليلة ، وله أيضاً في التراجم والسير والتاريخ. ** الشاعر أحمد سيد نبوي سليمان ، ولد في قرية الحريشي من أعمال الفيوم ، وله (شهادة حب) كما له إذاعيات. ** الشاعر احمد عبد الرحيم الطهطاوي من طهطا ، له ديوان كامل في المدائح النبوية ، وله كتب في العروض والقافية. ** الشاعر أحمد محمد حسن علي ، ولد في قوص- قنا وحصل على بكالوريوس العلوم الجيولوجية ، كتب القصة والقصيدة والمسرحية. له مسرحية (أبواب النصر) ، وديوان (من يكنز الحب) وأيضا ديوان (أغنيات جنونية) ، ولقد نال بجدارة جائزة الدولة في الآداب في أدب الأطفال عام 1991م. ** الشاعر محمد بن محمد بن حامد الجرجاوي المراغي من أهل جرجا - سوهاج ، ولدعام 1866م ، وتوفي عام 1936م. له شعر جيد. ** الشاعر أمين الديب ، واسمه الأصلي (محمد عبد الحسيب الديب) ، من قرية تكلا – بمنطقة إمبابة – الجيزة ، من مواليد 5- 4 – 1937م ، مؤهل متوسط. شاعر يعزف على أوتار الهم الوطني والوجع القومي. ويعرف بشاعر المصطبة. كتب أول قصيدة عام 1954م بعنوان (ملحمة). ومن عام2000م بدأ يكتب عن الانتفاضة الفلسطينية التي أثرت على كتابته بشكل ملحوظ. وهو عضو في اتحاد كتاب مصر. وعضو جمعية الأدباء وعضو اللجنة الشعبية لمقاومة المشروع الصهيوني الأمريكي وعضو رابطة الزجالين. وإن كنت أختلف مع الشاعر أمين الديب في العامية التي يكتب بها ، ولكنني أراه قمة في الإبداع والتأليف. رزقنا الله تعالى وإياه طول العمر وحسن العمل. ** الشاعر محمد مصطفى البسيوني المولود في الفيوم عام 1928م ، وله شعر جديد ذو طابع درامي ووجداني وعاطفي. ** الشاعر محمد بن ناصر الدين بن على البلْيَني من شعراء الريحانة ، ولد في البلْينا - سوهاج وتوفي عام 1961م. ** الشاعر محمود أحمد عمر ، ولد سنة 1919م في قرية العليقات – قوص - قنا ، له ديوان كامل من الشعر العربي ، وله مسرحية شعرية بعنوان (كفاح الشعوب في صد الاستعمار). ** الشاعر أحمد على سليمان عبد الرحيم ، ولد في بورسعيد ، في 15/ 10/ 1963م. تخرج من كلية الآداب – قسم اللغة الإنجليزية - جامعة المنصورة - دفعة مايو سنة 1985م. له اهتمام بالغ بالأدب الهادف الجاد: نثره وشعره ونقده. كانت له صفحة يومية بجريدة (الوحدة) الصادرة في (أبو ظبي) بدولة الإمارات العربية المتحدة عنوانها: دوحة الوحدة الأدبية ، (في الفترة من 1993م حتى 1996م ، نشر الشاعر عبرها جُل إنتاجه الأدبي والشعري) ، موضوعها هو الأدب العربى تراثه أصالته ونهضته وتطوره. صدر له ثلاثة عشر ديواناً: * الأول بعنوان (نهاية الطريق) ويقع في ثلاثمائة صفحة من القطع الوسط. وهو باقة من القصائد ذات الطابع الاجتماعي والنقدي البناء ، ويغلب على جُلها الإيقاع الوجداني ذو الخلفية الدامعة الباكية. والثاني: بعنوان (عزيز النفس – قصائد إلى عيني) ، وهو باقة من القصائد الجنائزية ذت الإيقاع الشجين ، حيث إنه كتبها على سرير المرض ، عقيب حادث سيارة أسفر عن إصابته في مقلته اليُسرى ، تلك التي أجريت لها أربع جراحات ، أودت بها في نهاية المطاف! وأحدث ذلك عنده ما يعرف بأنه قشعريرة الشعر ، فكتب على كل بحور الشعر العربي ، أصيلها وكذلك مولدها ، وما يسمى زوراً وبهتاناً بشعر التفعيلة أو تفعيلة الشعر أو الشعر الحر أو الشعر الحديث ، وكلها تسميات لهُراء دخيل على لغة العرب ، وإنما دعاناه لمحاكاتها ضرورة التصنيف الفني فقط. حتى يكون قد رثا عينه بكل بحور وأوزان شعر العرب ، حتى ما هو دخيل عليهم! فيكون قد رثا عينه - التي فقدت الإبصار من جرّاء ذلك الحادث – بكل أنواع الأوزان على حد ما صرح على غلاف الديوان في طبعته الأولى بالإمارات! والثالث بعنوان (سويعات

الغروب) ، ويقع في ثلاثمائة صفحة من القطع الوسط. والرابع بعنوان: (القوقعة الدامية) ، ويقع في ثلاثمائة صفحة من القطع الوسط. والخامس بعنوان: (ترنيمة على جدار الحب) ، ويقع في ستمائة صفحة من القطع الوسط. والسادس بعنوان: (الأمل الفواح) ، ويقع في ستمائة صفحة من القطع الوسط. والسابع قصيدة بعنوان: (من وحي الذكريات) وتقع في ثلاثمائة صفحة من القطع الوسط ، وهي قصيدة أخذت شكل الديوان لطولها ، فقد بلغت ألفا وستمائة بيت تقريباً ، في تأبين المفكر المظلوم والشاعر العملاق والأديب الكبير والصعيدي المفترى عليه صاحب المعالم والظلال. وطول مقدمتها الذي تجاوز المائتين من الصفحات ذات القطع الوسط! والثامن بعنوان: (الصعايدة وصلوا) ، ويقع في أربعمائة صفحة من القطع الوسط. والتاسع بعنوان: (ذل الجمال) ، ويقع في ثلاثمائة صفحة من القطع الوسط. والعاشر بعنوان: (ماسحة الأحذية) ، ويقع في ثلاثمائة صفحة من القطع الوسط. والحادي عشر بعنوان: (دموع التصبر) ، ويقع في ثلاثمائة صفحة من القطع الوسط. والثاني عشر بعنوان: (عتاب وشكوى) ، ويقع في ثلاثمائة صفحة من القطع الوسط. والثالث عشر والأخير بعنوان: (فأعضوه ، ولا تكنوا!) ويقع في ثلاثمائة صفحة من القطع الوسط. وصدرت له دراسات في النقد الأدبي منها: (قراءة أسلوبية في شعر عنترة بن شداد العبسي – قراءة أسلوبية في شعر حسان بن ثابت الأنصاري – قراءة أدبية في بعض الدواوين الشعرية). وما ينبغي لي أن أقدم نفسي! ولكن لما لم يكن الزمان زمان الشعر ولا الشعراء ، ولا المكان مكان الشعر ولا الشعراء فعلتُ ذلك. وتكفيني إشادة الشاعر الكبير والأديب العملاق الدكتور عدنان النحوي بي وإجازته لي كشاعر. وهذا كلام لا أفتريه على الرجل ، بل سجله في أكثر من ديوان له مثل (عبر وعبرات) و(إشراقة وأمل). وأيضاً إجازة الشاعر الكبير الأستاذ سالم محمد سالم النوبي ، من أهل أجا – دقهلية الكرام. ولقد انتقد كثيرون نسبتي إلى أهل الصعيد ، وأنا الذي ولدت في بورسعيد ، وعشت في الشمال المصري ودرست في المنصورة وهاجرت إلى الإمارات! إنني أقول لهؤلاء ، لئن كنا نعيش في زمان عنترة ، حيث نسب لأمه زبيبة ، فلكم ما تريدون ، وأمي من عائلة سماحة من أعيان الدقهلية ، أقول ذلك من باب التحدث بنعمة الله ، (وأما بنعمة ربك فحدث) ، لا من باب الفخر والخيلاء وتزكية النفس. وإنني لأحمد الله على ذلك. ولئن كنا ننسب إلى الآباء (فينسب الولد لأبيه الذي يحمل اسمه) ، فإن أبي من الكولة مركز أخميم – سوهاج ، ومن سوهاج أبوه سليمان وجده عبد الرحيم وجده حمد ، والكل منحدرون من بيت خليفة وإليه ينسبون. هكذا أخبرني أبي الذي كان يفتخر ويفاخر بهذا النسب أيضاً من ذات الباب الذي هو التحدث بنعمة الله عليه ، أن الله قد من عليه بنسب كريم لا وضيع وببيت جليل القدر شريف المنبت أصيل المحتد معلوم الهوية في صعيد مصر. وإذن فأنا صدقاً منتسب إلى أبي (صعيدي ابن صعيدي ابن صعيدي). وذات يوم من أيام شتاء عام 2000م كنت ضيفاً على مدير مدرسة أم القرى الأستاذ عطية أحمد عبد العال ، في مكتبه وإذا عنده الأستاذ إبراهيم الخرجي مدير منطقة أم القيوين التعليمية ، فلما قدّمه لي وقدمني له ، كان من جملة ترحيبي به أن قلت له: (يا هلا ومرحب بالعرب) ، فانتفض من مكانه ، وقال: (بل أنتم العرب! فقلت: وهل الانتساب إلى العرب سُبة؟ قال: لا ، ولكنني عنيتُ أنك كمصري عربي ابن عربي ابن عربي ربما إلى أن نصل إلى آدم عليه السلام ، هذا من ناحية الأب ، وكذلك من ناحية أمك فأنت ابن عربية بنت عربي ابن عربي ابن عربي إلى أن نصل إلى آدم كذلك! فإن عمدت إلى محاكاة ذلك على سواك فلربما انقطعت هذه السلسلة النسبية عند الجد الأول من ناحية الأب أو الأم أو كلاهما! **

ونختم بالشاعر القدير محمود حسن إسماعيل ، ولد في 1910م في النخيلة - أسيوط وتوفي عام 1977م. وله دواوين منها: (أغاني الكوخ - رياح المغيب - أين المفر؟ - نار وأصفاد - قاب قوسين - لا بد – التائهون – هدير البرزخ – صلاة ورفض – السلام الذي أعرف - نهر الحقيقة - موسيقى من السر). والحمد لله أن محافظتنا الحبيبة (سوهاج) قد قدمت الكثير والكثير من هؤلاء الشعراء والعلماء والأدباء! ولا يفوتني هنا أن أنبه هنا إلى أنني يمكن أن أكون قد أوردت هنا بعض الشعراء النصارى أو بعض الشعراء العاميين أو شعراء قد اختلف معهم في التصور والفهم ، فضلاً عن البناء الشعري ، ولذلك فليُعلم أن هذا مني كان من قبيل السهو أو الخطأ أو الجهل بحالهم أو ما غلب على الظن. وإنما أنا أنتصر لأهل الإيمان والتوحيد ، من أهل الصعيد الأجلاء ، كما أن غير المسلمين لهم أن يفتخروا بشعرائهم! فعلتُ ذلك لأثبت للعالم أجمع أن الصعايدة أو الصعيديين وصلوا إلى الذؤابة في العلم ، والقمة في الأدب والفكر والثقافة! وأعتذر لفضلاء أهل الصعيد من الذين لم أذكرهم لعدم تمكني ، فلربما في طبعة قادمة للديوان استدركنا فألحقنا فضلاء آخرين لتكون المقدمة مائة صفحة بدلاً من عشر صفحات ، حباً في أهل الصعيد وكرامة لهم! وأعتذر عن طول التقديم الذي كان الهدف منه التوثيق أكثر من التقديم للجو النفسي والمشاعري للنص. وكنت قد صممت على أن تكون المقدمة والإهداء والتمهيد والافتتاح والخاتمة شعراً لا نثراً! إمعاناً مني في تكريم أهل الصعيد والاحتفاء بهم. كما أنني اجتهدت أن يُصاغ هذا الديوان على كل بحور الشعر العربي الخليلية اكتشافاً والتي عددها ستة عشر بحراً! وأعتذر اعتذاراً قلبياً حاراً لطول المقدمة التي دعا إليها أهمية الموضوع وعظم شأنه!)

21 - الصعيدي عندما يعف

(القناعة يقول فيها الرسول صلى الله عليه وسلم: (قد أفلح من أسلم ، ورُزق كفافاً ، وقَنَّعه اللهُ بما آتاه). (مسلم). ولذلك قالوا: (القناعة كنز لا يفنى). قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم -: (ليس الغِنَى عن كثرة العَرَض ، ولكن الغنى غنى النفس). (متفق عليه). وقال: (وارْضَ بما قسم الله لك تكن أغنى الناس). (الترمذي وأحمد). ولقد أظهرت دراسة نشرتها صحيفة "ديلي اكسبريس" أن القناعة هي المفتاح إلى حياة سعيدة. ووجدت الدراسة أن القانعين بحياتهم هم أقل الناس احتمالاً للإصابة بأمراض القلب ، والسعداءُ يحمون أنفسهم من الأمراض المهلكة. وأضافت الدراسة التي أجرتها جامعة بريطانية أن القناعة في مجالات معينة من الحياة ، وخاصة الوظيفة والأسرة ، هي أصول صحية إيجابية. روى الدكتور خالد أبو شادي في سلسلته: (هبي يا رياح الإيمان) رسالة (حسن الحسنات) ص 16 عن صعيدي قنوع شهم ، فقال ما نصه: (يُروى أن طالب علم في الأزهر قدم من بلاد الصعيد ، فجلس في حلقة شيخه ، وكانت نفقته قد تأخرتْ من الصعيد ، ففارق حلقة الشيخ ، عساه أن يحصل على كِسراتٍ من الخبز ، فبينما هو يسير إذ دخل في شارع ضيق ، فوجد باباً مفتوحاً ، ووجد مأدبة طعام ، فمد يده إلى الطعام ، وكان من المحشي ، ثم بعد أن تناول قطعة ووضعها في فمه ، تذكّر أنه جاء ليطلب العلم ، والعلم نور ، وأبى أن يأكل شيئاً من هذا الطعام ، وعاد لحلقة شيخه ، وبه من الجوع ما الله به عليم. وبعد الدرس إذا بامرأة تأتي وتكلم الشيخ بكلام لم يفهمه الحاضرون ، ولمّا انصرفتْ قال الشيخ لهذا الطالب: ألك رغبة في الزواج؟! قال: أتهزأ بي؟! والله ما دخل جوفي طعام منذ ثلاثة أيام فكيف أتزوج؟! قال: المرأة توفي زوجها وترك لها ابنة صالحة ومالاً كثيراً ، وتريد رجلاً صالحاً يتزوج البنت ويرعى المال ، فقال الشاب: إن كان كذلك فلا بأس ،

فخرجوا جميعاً حتى وصلوا الدار ، فلما وُضع الطعام بكى هذا الشاب! فقال له الشيخ: لم تبكي؟ هل أكرهناك على الزواج؟! قال : لا ، ولكني من سُويعاتٍ دخلتُ هذا البيت لآكل الطعام الذي وُضع بين أيدينا فذكرتُ أنه حرام فتركته لله فأعاده الله لي ومعه عَروس بالحلال).هـ.)

22 - الصلح العقيم

(صالحَه بعد خلافٍ قام بينهما! وهو يشعر أنه لا فائدة ترجى من صلح هازل لا وزن له. لأن ذلك الصعلوك لا يبالي بالقيم ولا بالمبادئ ولا بأهلها! والأصل أن يبذل الطرفان المتصالحان معاً كل الجهود الرامية لإزالة الخلافات ، ليستمر الصلح وليثمر حَميمية وصِلة على الأيام. أما أن تكون الصحبة مبنية على الانتفاع الخسيس ، فإن عمرها قصير إذا ما قورنت بأخرى مبنية على تبادل المنفعة من الطرفين ، فلكل منهما حقوق وعليه واجبات! وإلا يكنْ ذلك كذلك فلا قيمة للصحبة ابتداءً ، فضلاً عن الصلح.)

23 - الضاد أم اللغات

(إن العجيب في لغتنا العربية – وكل أمرها عجيب – أن نجد الترادفات الكثيرة والمعاني المتعددة للمسمى الواحد أو للفظ الواحد! ولا أريد تكرار ما قلته في مقامات أخرى سبقتْ عن اللغة العربية! ولكنني فقط هنا أشير إلى مثال واحد وهو (أسماء المال) في اللغة العربية! إن المال تتعدد أسماؤه في اللغة العربية بتعدد الحالات التي يستخدم فيها! ففي المدرسة على سبيل المثال يسمى المال الذي ندفعه للمدرسة نظير تعليم أبنائنا وتربيتهم (رسوماً)! وعند الزواج يسمى (مهراً)! وعند الطلاق يسمى (نفقة)! وإذا أخذ من شخص إلى أجل مسمى يسمى (دَيْناً)! وإذا دفع للحكومة يسمى (ضريبة)! وإذا دفع للمحكمة يسمى (غرامة)! والمال الذي يدفع للمتقاعدين يسمى (معاشاً)! والمال الذي يدفع للموظفين الاعتياديين يسمى (راتباً)! والمال يعطى للعمال نظير عملهم يسمى (أجراً)! والمال يعطى للوسطاء التجاريين يسمى (عمولة)! والمال يعطى للمحامين نظير مرافعاتهم يسمى (أتعاباً) والمال يعطى للصائغ نظير تشكيله للمجوهرات يسمى (مصنعية)! والمال يخصص لمشروع ما يسمى (استثماراً) والمال يؤخذ من البنك ليسدد على الأيام يسمى (قرضاً)! والمال يؤخذ من المستدين أضعافاً مضاعفة يسمى (رباً)! والمال يودع في البنك يسمى (وديعة)! والمال يقدم دفعة واحدة بعد نهاية الخدمة في وظيفة ما يسمى (مكافأة نهاية الخدمة)! والمال يخطف وينهب بغير حق يسمى (فدية)! والمال يقدم لزيد أو عمر لأخذ حق الآخرين يسمى (رشوة)! والمال يقدم للفقراء كواجب شرعي بنصاب ومقدار محدد معين يسمى (زكاة)! والمال يقدم للفقراء على سبيل التطوع بأي نسبة وبأي مقدار كان يسمى (صدقة)! والمال يدفع لاستئجار عقار يسمى (إيجاراً أو كراءً)! والمال يدفع من قبل الأغنياء الأثرياء يسمى (مكرمة)! والمال يدفع بنسبة معينة وبمقدار محدد لتصفية الذنوب يسمى (كفارة)! والمال يدفع لذوي المتوفى ويقسم في أولاده وبناته وأهله بنسب محددة وأسهم معينة يسمى (ميراثاً)! والمال الذي لا يصل إليه العاجزون الكسالى يسمونه هم (وسخ الدنيا)! والمال الذي وصفه الله تعالى بصفة عامة في كتابه (زينة الحياة الدنيا)! والمال يدفع للبنك كتكلفة اقتراض يسمى (سعر الفائدة) بينما في الشريعة يسمى (ربا)! والمال يدفع لمتضرر من حادث ما يسمى (تعويض)! يؤخذ عنوة في كمين رسمي أو أهلي دون وجه حق يسمى (بلطجة)! والمال يعطى لمن عثر على شيء كان مفقوداً يسمى (حِلواناً)! والمال يعطى لامرأة بغي من فاجر ثمناً للزنا بها يسمى (كروة أو كراءً)! والمال يعطى للأبناء طواعية لا إجباراً يوم العيد يسمى (عيدية)! والمال يعطى مقدماً لشراء شيء لتصديق نية الشراء يسمى (عربوناً)! والمال يعطى لعامل يومي في أول قبض يومي له يسمى (استفتاحاً أو فألاً)! والمال يعطى عوضاً

عن التجاوز في حق أحد ما يسمى (رد اعتبار)! والمال يعطى لورثة إنسان عن قتله بوصفهم أولياء الدم يسمى (دية)! والمال يعطى لشركة لترده مضاعفاً على صاحبه إن مرض أو مات يسمى (تأميناً)! والمال ينثره الأثرياء على الراقصات في مواخير الفساد يسمى (فنجرة ملعونة)! والمال ينثره أهل العرس الأثرياء المؤمنون على المعازيم كلٌ في محفله: الرجال في محفل والنساء في محفل آخر دون اختلاط مستهتر أو غير مستهتر يوم العرس يسمى (فنجرة محمودة)! والمال يقبل عليه راغبه بشراهة أو بدون شراهة ، بحق أو بدون حق يسمى (فتنة)! والمال يعطى ظلماً بغير وجه حق للعروس يوم الاتفاق المبدئي لتصديق نية القبول يسمى (شبكة)! ويكون بحق إذا حُسب من المهر! والمال يعطى طواعية لا إجباراً لعامل أو أجير لإتمامه عملاً ما أو خدمة ما خلاف أجره الأصلي المتفق عليه يسمى (بقشيشاً)! والمال يعطى لعامل ما أو أجير ما مكافأة له لإتمامه عمله أو مهمته على أكمل وجه يسمى (إكرامية)! والمال يعطى طواعية واختياراً لا إجباراً للعريس أو للعروس والمختون يسمى (نقوطاً)! والمال يعطى في مستهل عمل ما أو ختامه لعمال الأجرة الذين يعملون بالمياومة يسمى (دخاناً)! والمال الذي يسرق من صاحبه ويحاز عند الشرط يسمى (حرزاً)! والمال يؤخذ من الكتابيين نظير حمايتهم ورعايتهم في دار الإسلام يسمى (جزية)! والمال إذا كان زيادة على رأس المال الأصلي في الاستثمار يسمى (ربحاً)! والمال يؤخذ من غير المسلمين على بضائعهم واستثمارهم في دار الإسلام يسمى (مُكوساً أو جمارك)! والمال يعطى للحاكم لإثبات الخضوع يسمى (إتارة)! والمال إذا وجد مدفوناً في الأرض نقداً كان أو ذهباً أو فضة يسمى (ركازاً)! والمال يؤخذ على الزرع الناتج من الأرض على وصف مخصوص يسمى (خراجاً)! وهكذا تتحفنا لغتنا الجميلة لغة الضاد بمترادفاتها العذبة وبمعانيها الحلوة! ومن هنا كان الأحرى والأليق بنا أن نعود إليها بأقصى سرعة ممكنة معتزين بها وبحلاوتها وبطلاوتها وبعذوبتها! وعلينا أن نكف عن رطانة الأعاجم إلا من ضرورة! وتحت عنوان: (لغتنا الجميلة هل نعود إليها؟) يقول الأستاذ محمد المنجد ما نصه: (إن الله ـ سبحانه وتعالى وعز وجل ـ أنزل علينا الكتاب باللغة العربية ، فقال ـ سبحانه وتعالى وعز وجل ـ: (كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ). أي: بينت معانيه ، وأحكمت أحكامه ، قرآناً عربياً بيناً واضحاً ، فمعانيه مفصلة ، وألفاظه واضحة غير مشكلة: (أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ) ، فهو معجز في لفظه ومعناه: (قُرآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ). نزل بلسان عربي مبين لا اعوجاج فيه ، ولا انحراف ، ولا لبس ، بل هو بيان ووضوح وبرهان: (وَكَذَلِكَ أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا) ، بلسان عربي مبين أنزل الله القرآن ، بلسان عربي فصيح لا لبس فيه ، ولا عي. (وَكَذَلِكَ أَنزَلْنَاهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا). محكماً معرباً واضحاً جلياً مبيناً ، (إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ). ، وذلك ؛ لأن لغة العرب أفصح اللغات وأبينها ، وأوسعها ، وأكثرها تأدية للمعاني التي تقوم بالنفوس. لا يضيق صدر العربي الفصيح أن يعبر عما فيه ، وأكثرها تأدية للمعاني التي تقوم بالنفوس ، فلهذا أُنزل أشرف الكتب بأشرف اللغات على أشرف الرسل بسفارة أشرف الملائكة ، وكان ذلك في أشرف بقاع الأرض ، وابتدئ إنزاله في أشرف شهور السنة ـ وهو رمضان ـ، في أشرف ليالي العام في ليلة القدر ، فكمل الكتاب من كل الوجوه: (وَإِنَّهُ لَتَنزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ۝ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ ۝ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ). تكلم الله بالقرآن بالعربية حرفاً وصوتاً ، تكلم الله بالقرآن باللغة العربية ، وأنزله سبحانه باللغة العربية ، وتكلم به إلى جبريل ، وأسمعه جبريل النبي محمداً ﷺ باللغة العربية. ولما اتهم الكفار محمداً ﷺ بأنه أتى بالقرآن من نجَّار رومي بمكة ، نصراني تعلم منه القرآن ، قال الله رداً على هذه الفرية: (وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ

مُّبِينٌ). ذلك النصراني رومي لسانه أعجمي ، وهذا لسان عربي مبين ، فكيف يخرج العربي المبين من فم رجل نصراني رومي؟! واللغة العربية كانت هي لغة الأقوام الأولى من العرب البائدة من عاد وثمود ، والعرب الباقية من جرهم وقحطان وحمير حتى ظهر إسماعيل – صلى الله عليه وسلم - ، فصارت نقلة في عالم اللغة العربية ، فقد جاء في الحديث الصحيح في قصة إسماعيل لما ضرب جبريل الأرض ، فنبع ماء زمزم ، وجاءت قبيلة جرهم ، ونزلوا عند أم إسماعيل ، قال في الحديث: وشب الغلام ، وفي رواية: ونشأ إسماعيل بين ولدانهم ، وتعلم العربية منهم ، تعلم العربية من جرهم ، ثم حدثت النقلة ، فجاء في الحديث: أول من فتق لسانه بالعربية الفصحى المبينة إسماعيل – عليه السلام -. وجاء في حديث ابن عباس: أول من نطق بالعربية إسماعيل – عليه السلام - ، قال ابن حجر رحمه الله تعالى: وروى الزبير بن بكار في النسب من حديث علي بإسناد حسن: أول من فتق الله لسانه بالعربية المبينة إسماعيل ، وبهذا القيد يجمع بين الخبرين ، فيكون بعد تعلمه أصل اللغة من جرهم ألهمه الله العربية الفصحى فنطق بها ، ومن هنا قال بعض العلماء: إن اللغة العربية وحي. فإذن تعلَّم إسماعيل أصل اللغة من جرهم ، ثم ألهمه الله النطق بالعربية الفصحى ، فقال أهل السير: إن عربية إسماعيل أفصح من عربية يعرب وقحطان وجرهم ، فصارت العربية على لسان إسماعيل العربية الفصحى بإلهام من الله تعالى ، ثم حدثت النقلة العظيمة بنزول القرآن باللغة العربية ، فبلغت اللغة أوج مجدها ، وقمة عزها حينما صارت لغة الإسلام ، ونزل بها القرآن. وتحدى الله فصحاء العرب أن يأتوا بمثله فعجزوا ، وبسورة فعجزوا ، وبآية فعجزوا ، فنادى عليهم بالعجز إلى يوم الدين: (لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَن يَأْتُواْ بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لاَ يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا). ووجد العرب في القرآن ألفاظاً ووجوهاً للغة لم يسمعوا بها من قبل ، ولم تُعرف إلا من القرآن ، تكلم الله بالعربية ، وأنزل القرآن بالعربية ، وصارت هذه اللغة مقوماً أساسياً من مقومات وجود الأمة ، صارت علامة فارقة ، وتمييزاً للأمة. قال شيخ الإسلام رحمه الله: "اللغة العربية من الدين ، ومعرفتها فرض واجب ، فإن فهم الكتاب والسنة فرض ، ولا يفهمان إلا بفهم اللغة العربية ، وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب. ثم منها ما هو واجب على الأعيان - على كل واحد بعينه - ، ومنها ما هو واجب على الكفاية ، على بعض الأمة دون الآخرين. وجاءت الآثار عن السلف بتعلم اللغة العربية ، وإعراب القرآن: أعربوا القرآن ، وأمرنا بتعلم اللغة العربية ، وأجمع العلماء على أن معرفة النحو من شروط الاجتهاد ، وحثوا على تعلمها. وقال بعض أهل العلم: من شروط المفتي أن يعرف من اللغة والنحو ما يعرف به مراد الله تعالى ، ومراد رسوله ﷺ في خطابهما. وقال بعض السلف: تعلموا النحو كما تعلَّمون الفرائض والسنن. وقال النووي رحمه الله: وعلى طالب الحديث أن يتعلم من النحو واللغة ما يسلم به من اللحن والتصحيف ، اللحن: أي الخطأ كنصب المرفوع ، ورفع المجرور ، ونحو ذلك. وقال الشعبي رحمه الله: النحو في العلم كالملح في الطعام لا يُستغنى به. وكره الإمام أحمد رحمه الله أشد الكراهة تسمية الشهور بالفارسية ، وهذا له وجهان كما قال شيخ الإسلام رحمه الله ، الأول: إذا لم يُعرف المعنى جاز أن يكون محرماً ، والآن يعرف الكثيرون أن أسماء بعض الشهور بلغة الأعاجم التي نستعملها في جميع الشركات ، وبعض الأيام ، لها علاقة بأسماء الآلهة التي يعبدها الكفار ، ومن هذا الباب منع العلماء الرقية بالأعجمية خوفاً أن يكون فيها شرك ، وما لا يجوز. والوجه الثاني: كراهية - لماذا نهى أحمد رحمه الله عن تسمية الشهور بغير العربية ، واستعمال الأسماء الأعجمية؟ كراهية أن يتعود الرجل النطق بغير العربية ، فإن اللسان العربي شعار الإسلام وأهله ، واللغات من أعظم شعائر الأمم التي بها يتميزون. إذن أمة الإسلام تتميز باللغة العربية ، هذه هي لغتها هذه لغة كتابها وشرحه ، هذه لغة كتابها وشرح الكتاب ، وهي السنة. وتكلم الفقهاء في حكم

الأذكار والأدعية في الصلاة بغير العربية ، وفرقوا بين القادر والعاجز. قال شيخ الإسلام رحمه الله: وأما الخطاب بالأعجمية من غير حاجة في أسماء الناس والشهور فهو منهي عنه مع الجهل بالمعنى بلا ريب. وكره الشافعي رحمه الله لمن يعرف العربية أن يسميَ بغيرها ، وأن يتكلم بها خالطاً لها بغيرها. وهذا الذي قاله الأئمة مأثور عن الصحابة والتابعين ، وقال عمر – رضي الله عنه -: إياكم ورطانة الأعاجم ، إياكم! عمر يحذر ، إياكم ورطانة الأعاجم ، وأن تدخلوا على المشركين يوم عيدهم في كنائسهم. وسمع محمد بن سعد بن أبي وقاص قوماً يتكلمون بالفارسية ، فقال: ما بال المجوسية بعد الحنيفية؟! جاء الله بالحنيفية ، وباللغة العربية ، فما بالكم تستعملون اللغة المجوسية الفارسية بدلاً من الحنيفية ، ولغتها اللغة العربية؟! وإسناده صحيح. هذا بيان لما يقع فيه كثير من الناس اليوم من الكلام في مدارسهم ومكاتبهم وبيوتهم من لغة الأعاجم ، والذين يتباهون بها ، والذين يظنون أنهم يكونون في تقدم وحضارة إذا تكلموا بها ، ثم إن المؤسف أن تجد هؤلاء يخلطون اللغة العربية باللغة الأعجمية خلطاً مقرفاً ، مقززاً مشوهاً للغة العربية. وقد يقول بعض الناس: إنها تصدر بغير قصد بعض كلمات ، قال شيخ الإسلام رحمه الله: جاء عن بعض السلف أنهم كانوا يتكلمون بالكلمة بعد الكلمة -أي: كلمات قليلة قد تدخل في عرض الكلام - ، جاء عن بعض السلف أنهم كانوا يتكلمون بالكلمة بعد الكلمة من العجمية ، وفي الجملة فالكلمة بعد الكلمة من العجمية - ليس المقصود الكلمة بعد الكلمة يعني كلمة عربية وكلمة أعجمية ، كلا ، الكلمة بعد الكلمة يعني: كلمات نادرة تأتي في عرض الحديث - ، قال شيخ الإسلام: فالكلمة بعد الكلمة من العجمية أمرها قريب ، وأكثر ما يفعلون ذلك إما لكون المخاطَب أعجمياً ، فيضطرون للإتيان ببعض الكلمات ليفهم ، أو قد اعتاد العجمية يريدون تقريب الأفهام عليه ، كما قال النبي ﷺ لأم خالد بنت خالد بن سعيد بن العاص ، وكانت صغيرة قد وُلدت بأرض الحبشة لما هاجر بها أبوها فكساها النبي ﷺ خميصة - أي فستاناً صغيراً - ، وقال: يا أم خالد ، هذا سنا ، وسنا بلغة الحبشة الحسن الجميل. ثم قال رحمه الله: وأما اعتياد الخطاب بغير اللغة العربية التي هي شعار الإسلام ولغة القرآن حتى يصير ذلك عادة للمصر وأهله ، أو لأهل الدار ، أو للرجل مع صاحبه ، أو لأهل السوق ، أو لأهل الديوان ، أو لأهل الفقه ، فلا ريب أن هذا مكروه ، فإنه من التشبه بالأعاجم ، وقد نهينا عن التشبه بالكفرة: ومن تشبه بقوم فهو منهم. قال رحمه الله: وأما اعتياد الخطاب بغير اللغة العربية التي هي شعار الإسلام حتى يصير ذلك عادة للمصر وأهله ، أو لأهل الدار ، أو للرجل مع صاحبه ، أو لأهل السوق ، أو لأهل الديوان ، فلا ريب أن هذا من التشبه بالأعاجم: ومن تشبه بقوم فهو منهم. قال رحمه الله: ولهذا كان المسلمون المتقدمون لما سكنوا أرض الشام ومصر - ولغة أهلها رومية - ، وأرض العراق وخراسان - ولغة أهلها فارسية - ، والمغرب - ولغة أهلها بربرية - ، عودوا أهل هذه البلاد العربية حتى غلبت على أهل هذه الأمصار مسلمهم وكافرهم ، حتى الكفار ، في البلاد التي فتحها المسلمون عودوهم العربية ، لتكون معبراً وقناة تدخل من خلالها الدعوة ، منفذ على القرآن والسنة ، بدون لغة لا يوجد فهم. وانظر الآن إلى حال المسلمين يفتحون الكتاب العزيز كثير من الكلمات لا يفهمونها فضلاً عن الأحاديث ، ولا مراد الله بها ، ولا المقصود منها ، ولا الأحكام التي تضمنتها ، لأي شيء؟ ما هو السبب؟ عدم فقه اللغة وعدم معرفة معانيها ، ضعف اللغة العربية أثَّر تأثيراً مباشراً وواضحاً في فهم الكتاب والسنة. ثم يقول شيخ الإسلام رحمه الله: إنهم -المسلمون المتأخرون الذين جاءوا من بعد - تساهلوا في أمر اللغة ، واعتادوا الخطاب بالفارسية حتى غلبت عليهم ، وصارت العربية مهجورة عند كثيراً منهم ، ولا ريب أن هذا مكروه ، وإنما الطريق الحسن اعتياد الخطاب بالعربية ، -اعتياد! كيف نعالج القضية؟ كيف نوجد الحل؟ اعتياد الخطاب بالعربية حتى يتلقنها الصغار في المكاتب - يعني مدارس الصبيان

- وفي الدور ؛ فيظهر شعار الإسلام وأهله. الآن بالعكس تماماً، تدريس اللغة الإنجليزية للأطفال في الروضة، ومفاصلة القائمين على المدارس: لماذا لا تزيدون حصص اللغة الإنجليزية؟ وبعض الآباء يتعمدون اليوم الخطاب مع أولادهم بلغة الكفرة داخل بيوتهم ، وفي السيارة ، وفي الطريق! يقولون: ليتعلم الولد اللغة مبكراً ، ويضرون لغته الأصلية ، ويضرون فهمه وعقله بازدواجية في اللغة ، أكد علماء التربية حتى من غير المسلمين على أنها ضارة ، ونصوا في دول الكفر على عدم السماح بتعلم الولد في المرحلة المبكرة في سن الطفولة ، على عدم تعلمه لغة أخرى غير اللغة القومية ، ولا يمكن أن تجد في فرنسا مثلاً روضة أطفال يتعلم مع الفرنسية اللغة العربية ، أو لغة أجنبية ؛ لأن القانون لحامية الثقافة الفرنسية والإنجليزية وغيرها لا يمكن أن يسمح بتعلم لغة أخرى ، ونحن نرحب ، ونأهل ونسهل ، ونهلل لأولادنا إذا نطقوا باللغة الإنجليزية ، وترى كلمات التشجيع تنطلق مرحبة مادحة للولد إذا رطن بالأعجمية. وبعض أولاد المبتعثين إلى الخارج رجعوا الآن لا يفقهون اللغة العربية ، وصرت تحتاج أن تترجم لولد عربي ابن عربي اللغة العربية. وفُتح الطريق لاقتباس ثقافات القوم الكفرة ، وعادات القوم الكفرة ، وفهم أغاني الكفرة ، وغير ذلك من أفلام الكفرة، ومجلات الكفرة، وكتب الكفرة ؛ لأن الأولاد صاروا يحسنون اللغة الإنجليزية ، لم نستفد الفائدة الصحيحة ، لم نعلم الأولاد اللغة الإنجليزية في السن الصحيح ولا بالكيفية الصحيحة ولا ليستفيدوا المعارف التي يحتاجها المسلمون ، وإنما فتحنا الباب على مصراعيه ، فصرنا نتباهى بأن الطفل يتكلم الإنجليزية بطلاقة ثم يتأتئ في اللغة العربة ، لا يحسنها ، ولا يحسن الكلام بها. قال رحمه الله في علاج المشكلة العظيمة: وإنما الطريق الحسن اعتياد الخطاب بالعربية حتى يتلقنها الصغار في المكاتب ، وفي الدور؛ فيظهر شعار الإسلام وأهله ، ويكون ذلك أسهل على أهل الإسلام في فقه معاني الكتاب والسنة ، وكلام السلف ، بخلاف من اعتاد لغة ، ثم أراد أن ينتقل إلى أخرى فإنه يصعب. ثم قال رحمه الله مبيناً أثر اللغة على الدين والخلق والعقل ، واعلم أن اعتياد اللغة يؤثر في العقل والخلق والدين تأثيراً قوياً بيناً ، ويؤثر أيضاً في مشابهة صدر هذه الأمة من الصحابة والتابعين - إذا كانوا يتعلمون العربية يتشبهون بالصحابة والتابعين - ، ومشابهتهم تزيد العقل والدين والخلق ولذلك ترى كثيراً من الذين يجيدون الإنجليزية ، ويتكلمون بها دائماً قد أثرت في أخلاقهم ، بل إنك ترى بعض العرب الذين يدرسون في الخارج إذا أرادوا أن يتحدثوا عن موضوع خسيس ، أو كلام فاحش قلبوا إلى اللغة الإنجليزية. إذن العلاج هو أنه لا بد من التعويد ، لا بد من اعتياد الكلام باللغة العربية ، واللغة العربية الفصحى. لقد كانت تربية السلف لأولادهم على النطق باللغة العربية وإتقانها أمراً عجيباً وذلك لأنهم كانوا يعرفون تمام المعرفة أن الولد لن يفهم كتاب ربه وسنة نبيه ﷺ إلا إذا أجاد اللغة العربية ، وكانوا يحاربون اللحن والخطأ في اللغة جداً ، وكان أمرهم شديداً في هذه المسألة. قرأ بعضهم يوماً قوله تعالى: (إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاء). "العلماءُ" فاعل ، هم الذين يخشون الله فقرأها: "إنما يخشى اللهُ من عباده العلماءَ" ، فقال له قائل: أتنطق بالكفر؟! جعلت الله يخشى العلماء! وسمع أعرابيٌ - وكانوا أهل اللغة - ، قارئاً يقرأ: (وَأَذَانٌ مِّنَ اللّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الأَكْبَرِ أَنَّ اللّهَ بَرِيءٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ). قال مكملاً الآية: "ورسولِه" ، لما جرها ، جر اللفظة: "ورسولِه" صارت معطوفة على المشركين ، صار الله بريئاً من المشركين ، وبريء من رسوله ، ومعاذ الله أن يتبرأ الله من رسوله! ومر أحدهم على قارئ يقرأ قوله تعالى: (وَلاَ تُنكِحُواْ الْمُشْرِكِينَ). "لا تُنكح" يعني لا تعط بنتك ، أو أختك ، لا تزوج مشركاً حتى يسلم ، لا يجوز أن تُجعل مسلمة تحت يهودي ، أو نصراني ، أو كافر: (وَلاَ تُنكِحُواْ الْمُشْرِكِينَ). فمن جهل القارئ قرأ: "ولا تَنكحوا المشركين" ، فقال: والله لن ننكحهم حتى ولو آمنوا ، كيف ينكح الذكرُ الذكرَ؟ فانظر إلى شناعة التغير الذي يحدث بتغيير ضمة ، أو فتحة أو

كسرة. وكان الوليد يخطب العيد فقرأ: (يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ). هذه جملة تامة: (يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ). هي كانت القاضيةَ ، كان واسمها وخبرها ، جملة تامة ، قال بدلاً من ذلك: "كانت القاضيةُ" ، صارت جملة ناقصة ، "كانت القاضيةُ"! وماذا بعد؟ على من القاضية؟ فقال عمر بن عبد العزيز: عليك ؛ فتريحنا منك. وقال شيخ الإسلام رحمه الله: وكان السلف يؤدبون أولادهم على اللحن ، فنحن مأمورون أمر إيجاب ، أو أمر استحباب أن نحفظ القانون العربي ، ونصلح الألسنة المائلة عنه ، فيحفظ لنا طريقة فهم الكتاب والسنة ، والاقتداء بالعرب في خطابها ، فلو تُرك الناس على لحنهم كان نقصاً وعيباً. ورأى أبو الأسود الدؤلي رحمه الله أحمالاً – أي بضائع - للتجار مكتوب عليها: "لأبو فلان" ، واللام حرف جر "لأبي فلان" الصحيح ، فقال: سبحان الله يلحنون ويربحون. لقد كان الأمر عندهم مهماً ، أما الأمر عندنا اليوم غير مهم ، لو قال واحد في مجلس: "I is" لنظر إليه شزراً من الحاضرين: كيف يخطئ في هذا الفعل؟! كيف يخطئ في الكلمة؟! يا متخلف ، يا جاهل ، تنظر إليه الأعين ، لكن لو أخطأ في آية ، أو حديث ، أو نصب مرفوعاً ، أو جر منصوباً ، أو غيَّر المعاني ، فمن ذا الذي ينكر عليه في المجلس؟ من ذا الذي ينكر عليه؟).هـ.)

24 - الضحية

(مات أبوه وهو في سن العاشرة. وتزوّجتْ أمه ذاتُ الأربعين ربيعاً من شاب في الرابعة والعشرين. فكان زواجاً لم يُرد به وجه الله. بل هي عملية مراهقة ليس إلا. فكان الابن البائس ضحية هذه الأسرة المنكوبة. فالكل يضربه: (أمه وزوجها الشاب وأخته وأخواه). وباتت الاستقامة صعبة. ولم يُحرز في التعليم قسطاً ولا حتى في الحياة. لأنه ضحية لمراهقة أم في الأربعين تتزوج من سفيه عاطل عن الدين والعمل في الرابعة والعشرين. فانحرف الابن في ظل هذه التداعيات بصورة لا يمكن تخيلها. واتسعتْ دائرة الانحراف لتشمل المخدرات. ناهيك عن شِلة الأنس من الرفاق الملعونين الذين لا يقيمون صلاة ولا يقرأون قرآناً ولا يؤمنون بالله ولا بيوم الحساب. رويَ عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه قال: (من وضع يده على رأس يتيم رحمة كتب الله له بكل شعرة مدت على يده حسنة). رواه الإمام أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: "أن رجلاً شكا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قسوة قلبه فقال له: إن أردت تليين قلبك ، فأطعم المسكين ، وامسح رأس اليتيم". روى أحمد عن مالك بن الحارث أنه سمع النبيّ صلى الله عليه وسلم يقول: "من ضم يتيماً بين أبوين مسلمين إلى طعامه وشرابه حتى يستغني عنه وجبتْ له الجنة البتة ، ومن أعتق امرأ مسلماً كان فكاكه من النار يُجزى بكل عضو منه عضواً من النار". روى أحمد عن أبي أمامة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "من مسح رأس يتيم لم يمسحه إلا لله كان له بكل شعرة مرّت عليها يده حسنات ، ومن أحسن إلى يتيمة أو يتيم عنده كنت أنا وهو في الجنة كهاتين ، وفرَّق بين أصبعيه السباحة والوسطى". وعن أبي سعيد الخدري قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إن هذا المال خضرة حلوة ، ونعم صاحب المسلم ، هو لمن أعطى منه اليتيم والمسكين وابن السبيل). وروى أحمد عن ابنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنه أَنَّ نبيَّ الله صلى الله عليه وسلم قالَ: "مَنْ قَبَضَ يَتِيماً مِنْ بَيْنَ المُسْلِمينَ إلىَ طَعَامِهِ وَشَرَابِهِ أَدْخَلَهُ الله الجَنَّةَ البَتَّةَ إلاَّ أَنْ يَعْمَلَ ذَنْباً لا يُغْفَرُ له". ورواه الترمذي. وعن سهل بن سعد رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (أنا وكافل اليتيم في الجنة هكذا وأشار بالسبابة والوسطى وفرّج بينهما). رواه البخاري. وقال الحافظ ابن حجر في شرح الحديث: [قال ابن بطال: حق على من سمع هذا الحديث أن يعمل به ليكون رفيق النبي صلى الله عليه وسلم في الجنة ، ولا منزلة في الآخرة أفضل من ذلك]. ثم قال

الحافظ ابن حجر: وفيه إشارة إلى أن بين درجة النبي صلى الله عليه وسلم ، وكافل اليتيم قدر تفاوت ما بين السبابة والوسطى. وقال الحافظ أيضاً: قال شيخنا في شرح الترمذي: لعل الحكمة في كون كافل اليتيم يشبه في دخول الجنة ، أو شبهت منزلته في الجنة بالقرب من النبي صلى الله عليه وسلم ، أو منزلة النبي صلى الله عليه وسلم لكون النبي صلى الله عليه وسلم شأنه أن يبعث إلى قوم لا يعقلون أمر دينهم فيكون كافلاً لهم ومعلماً ومرشداً. وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (الساعي على الأرملة والمسكين كالمجاهد في سبيل الله! وأحسبه قال: وكالقائم الذي لا يفتر وكالصائم الذي لا يُفطر). رواه البخاري ومسلم. عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (كافل اليتيم له أو لغيره أنا وهو كهاتين في الجنة.(رواه مسلم). قال النبي صلى الله عليه وسلم: من ضم يتيماً بين مسلمين في طعامه وشرابه حتى يستغني عنه وجبتْ له الجنة. روى أبو يعلى والطبراني وأحمد عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: (أتى النبي صلى الله عليه وسلم رجل يشكو قسوة قلبه؟ قال: أتحب أن يلين قلبك وتدرك حاجتك؟ ارحم اليتيم وامسح رأسه وأطعمه من طعامك يلن قلبك وتدرك حاجتك. (رواه الطبراني).)

25 - الطالع السعيد في مدح خالد بن الوليد

(لقد أعز الله الإسلام بسيف الله المسلول أبي سليمان خالد بن الوليد – رضي الله عنه -! وحاول أعداء الحنيفية السمحة تشويه سيرة خالد – رضي الله عنه -! ولكنهم فشلوا فشلاً ذريعاً لأن الحقيقة لا تموت ولا يحدها قبر! وتأتي هذه القصيدة في معرض الدفاع عنه وبيان مناقبه بإنصاف وموضوعية وحيدة! عن أبي هريرة قال: نَزَلْنا مع رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ مَنْزِلًا فَجعلَ الناسُ يَمُرُّونَ فيقولُ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ مَنْ هذا يا أبا هريرةَ فَأَقُولُ فلانٌ فيقولُ نِعْمَ عبدُ اللهِ هذا فيقولُ مَنْ هذا فَأَقُولُ فلانٌ فيقولُ بئسَ عبدُ اللهِ هذا حتى مَرَّ خالدُ بْنُ الوليدِ فقال مَنْ هذا قُلْتُ هذا خالدُ بْنُ الوليدِ فقال نِعْمَ عبدُ اللهِ خالدُ بْنُ الوليدِ سَيْفٌ من سُيُوفِ اللهِ. إنَّ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم لمَّا نعى أهلَ مُؤتةَ قال ثمَّ أخَذ الرَّايةَ سيفٌ مِن سيوفِ اللهِ خالدُ بنُ الوليدِ ففتَح اللهُ عليه. جُرِح خالدُ بنُ الوليدِ رضي اللهُ عنه يومَ حُنَينٍ فمرَّ بي رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم وأنا غلامٌ وهو يقولُ: مَن يدُلُّني على رحلِ خالدِ بنِ الوليدِ؟ فخرَجتُ أسعى بين يدَي رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم وأنا أقولُ: مَن يدُلُّ على رحلِ خالدِ بنِ الوليدِ؟ حتى أتاه رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم وهو مُستَنِدٌ إلى رحلٍ وقد أصابَتْه جراحةٌ فجلَس رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم عندَه ودَعا له قال: ورأى فيه ونفَث عليه. مُرَّ على خالدِ بن الوليدِ بزِقِّ خمرٍ فقالَ: أيُّ شيءٍ هذا؟ فقالوا: خلٌّ. فقالَ: جعَلهُ اللَّهُ خلًّا فنظروا فإذاَ هوَ خلٌّ وقد كانَ خمرًا. نزلَ خالدُ بنُ الوليدِ الحيرةَ فقالوا لهُ: احذرِ السُّمَّ لا يسقيكَهُ الأعاجِمُ! فقالَ: ائتوني بهِ فأُتِيَ بهِ فأخذهُ بيدِهِ ، ثمَّ اقتحمَهُ وقالَ بسمِ اللَّهِ. فلم يضرَّه. بَعَثَ النبيُّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ خَالِدَ بنَ الوَلِيدِ إلى بَنِي جَذِيمَةَ ، فَلَمْ يُحْسِنُوا أنْ يقولوا أسْلَمْنَا ، فَقالوا: صَبَأْنَا صَبَأْنَا ، فَجَعَلَ خَالِدٌ يَقْتُلُ ويَأْسِرُ ، ودَفَعَ إلى كُلِّ رَجُلٍ مِنَّا أسِيرَهُ ، فأمَرَ كُلَّ رَجُلٍ مِنَّا أنْ يَقْتُلَ أسِيرَهُ ، فَقُلْتُ: واللَّهِ لا أقْتُلُ أسِيرِي ، ولَا يَقْتُلُ رَجُلٌ مِن أصْحَابِي أسِيرَهُ ، فَذَكَرْنَا ذلكَ للنبيِّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ فَقالَ: اللَّهُمَّ إنِّي أبْرَأُ إلَيْكَ ممَّا صَنَعَ خَالِدُ بنُ الوَلِيدِ مَرَّتَيْنِ. قَتَلَ رَجُلٌ مِن حِمْيَرَ رَجُلًا مِنَ العَدُوِّ ، فأرَادَ سَلَبَهُ ، فَمَنَعَهُ خَالِدُ بنُ الوَلِيدِ ، وكانَ وَالِيًا عليهم ، فأتَى رَسولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ عَوْفُ بنُ مَالِكٍ ، فأخْبَرَهُ ، فَقالَ لِخَالِدٍ: ما مَنَعَكَ أنْ تُعْطِيَهُ سَلَبَهُ؟ قالَ: اسْتَكْثَرْتُهُ يا رَسولَ اللهِ ، قالَ:

ادْفَعْهُ إِلَيْهِ ، فَمَرَّ خَالِدٌ بعَوْفٍ ، فَجَرَّ بِرِدَائِهِ ، ثُمَّ قالَ: هلْ أَنْجَزْتُ لكَ ما ذَكَرْتُ لكَ مِن رَسولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ ، فَسَمِعَهُ رَسولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ فَاسْتُغْضِبَ ، فَقالَ: لا تُعْطِهِ يا خَالِدُ ، لا تُعْطِهِ يا خَالِدُ ، هلْ أَنْتُمْ تَارِكُونَ لي أُمَرَائِي؟ إنَّما مَثَلُكُمْ وَمَثَلُهُمْ كَمَثَلِ رَجُلٍ اسْتُرْعِيَ إبِلًا أَوْ غَنَمًا ، فَرَعَاهَا ، ثُمَّ تَحَيَّنَ سَقْيَهَا ، فأوْرَدَهَا حَوْضًا ، فَشَرَعَتْ فيه فَشَرِبَتْ صَفْوَهُ ، وَتَرَكَتْ كَدَرَهُ ، فَصَفْوُهُ لَكُمْ ، وَكَدَرُهُ عليهم. لطم ابنُ عمِّ خالدِ بنِ الوليدِ رجلًا منَّا ، فخاصمه عمُّه إلى خالدٍ فقال: يا معشرَ قريشٍ إن اللهَ عزَّ وجلَّ لم يجعلْ لوجوهِكم فضلًا على وجوهِنا ، إلا ما فضَّل اللهُ به نبيَّه صلَّى اللهُ عليه وسلَّم! فقال خالدُ بنُ الوليدِ: اقتصَّ! فقال الرجلُ لابنِ أخيه ، فلما رفع يدَه قال: دَعْها للهِ عزَّ وجلَّ. قال خالدُ بنُ الوليدِ لقد منَعَني كثيرًا مِنَ القراءةِ الجهادُ في سبيلِ اللهِ. فمن خالد بن الوليد وما قصته وما دوره في إظهار الإسلام والتمكين له؟ جاء في (الويكيبيديا) ما نصه بتصرف كبير: (أبو سليمان خالد بن الوليد بن المغيرة المخزومي القرشي (30 ق.هـ - 21 هـ / 592 - 642 م) ، هو صحابي وقائد عسكري مسلم ، لقّبه الرسول بسيف الله المسلول. اشتهر بعبقرية تخطيطه العسكري وبراعته في قيادة جيوش المسلمين في حروب الردة وفتح العراق والشام ، في عهد خليفتي الرسول أبي بكر وعمر في غضون عدة سنوات من عام 632 حتى عام 636. يعد أحد قادة الجيوش القلائل في التاريخ الذين لم يهزموا في معركة طوال حياتهم ، فهو لم يهزم في أكثر من مائة معركة أمام قوات متفوقة عدديًا من الإمبراطورية الرومانية البيزنطية والإمبراطورية الساسانية الفارسية وحلفائهم ، بالإضافة إلى العديد من القبائل العربية الأخرى. اشتهر خالد بانتصاراته الحاسمة في معارك اليمامة وأُلّيس والفراض ، وتكتيكاته التي استخدمها في معركتي الولجة واليرموك. لعب خالد بن الوليد دورًا حيويًا في انتصار قريش على قوات المسلمين في غزوة أحد قبل إسلامه ، كما شارك ضمن صفوف الأحزاب في غزوة الخندق. ومع ذلك ، اعتنق خالد الدين الإسلامي بعد صلح الحديبية ، شارك في حملات مختلفة في عهد الرسول ، أهمها غزوة مؤتة وفتح مكة. وفي عام 638 ، وهو في أوج انتصاراته العسكرية ، عزله الخليفة عمر بن الخطاب من قيادة الجيوش لأنه خاف أن يفتتن الناس به ، فصار خالد بن الوليد في جيش الصحابي أبو عبيدة عامر بن الجراح وأحد مقدميه ، ثم انتقل إلى حمص حيث عاش لأقل من أربع سنوات حتى وفاته ودفنه بها. فمن خالد؟ ومن أبوه؟ ومن أمه؟ ومن قومه؟ وما قبيلته؟ وماذا عن مسيرة حياته قبل وبعد إسلامه؟ إنه: خالد بن الوليد بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم بن يقظة بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن قريش بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان ، المكنّى بأبي سليمان ، وقيل: أبو الوليد. يلتقي في النسب مع الرسول في مُرة بن كعب الجد السادس للرسول. وأما أبوه: فهو الوليد بن المغيرة سيد بني مخزوم أحد بطون قريش ، رفيع النسب والمكانة حتى أنه كان يرفض أن توقد نارٌ غير ناره لإطعام الناس ، خاصة في مواسم الحج وسوق عكاظ ، وأحد أغنى أغنياء مكة في عصره ، حتى أنه سمّي "بالوحيد" و"بريحانة قريش" ، لأن قريشاً كانت تكسو الكعبة عامًا ويكسوها الوليد وحده عامًا. وأما أمه: فهي لبابة الصغرى بنت الحارث الهلالية من بني هلال بن عامر بن صعصعة من هوازن ، وهي تلتقي في النسب مع الرسول في مُضر بن نزار الجد السابع عشر للرسول. وإذن فخالد وأبوه وأمه يعتبرون أبناء عمومة بعيدة للنبي – صلى الله عليه وسلم -! وأما جده لأبيه: فهو المغيرة بن عبد الله سيد بني مخزوم ، الذي كان الرجل من بني مخزوم يؤثر الانتساب إليه تشرفًا ، والذي كان له من الأبناء الكثير ، أشهرهم الوليد أبو خالد. وأما جدته

لأمه: فهي فاختة بنت عامر بن مُعَتب بن مالك بن كعب بن عمرو بن سعد بن عوف بن ثقيف بن منبه بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خَصفة بن قيس عيلان بن مضر ، وعمها هو مسعود بن معتب قائد ثقيف وقيس عيلان في حرب الفجار ، وابن عمها هو الصحابي عروة بن مسعود الثقفي. وفيه نزلت: (وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ)! وأما إخوته: فهم ستة إخوة وقيل تسعة بين ذكور وإناث ، منهم الصحابيان الوليد بن الوليد وهشام بن الوليد ، إضافة إلى عمارة بن الوليد الذي عرضته قريش بدلاً على أبي طالب ليسلمهم محمدًا ، وهو ما رفضه أبو طالب. وأما قبيلته: فبنو مخزوم ، وهي البطن الذي كان له أمر القبة التي كانت تضرب ليجمع فيها ما يجهّز به الجيش ، وأعنة الخيل وهي قيادة الفرسان في حروب قريش. وكان لمخزوم عظيم الأثر في قريش ، فقد كانوا في ثروتهم وعدتهم وبأسهم من أقوى بطون قريش ، وهو ما كان له أثره في اضطلاعهم وحدهم ببناء ربع الكعبة بين الركنين الأسود واليماني ، واشتركت قريش كلها في بناء بقية الأركان ، وقد اشتهر منهم الكثير في الجاهلية والإسلام ، ومنهم الشاعر عمر بن أبي ربيعة والتابعي سعيد بن المسيب. ووفقًا لعادة أشراف قريش ، أرسل خالد إلى الصحراء ، ليربّى على يدي مرضعة ويشب صحيحًا في جو الصحراء. وهو ما حدث للنبي – صلى الله عليه وسلم عندما تربي في بادية بني سعد! وقد عاد لوالديه وهو في سن الخامسة أو السادسة. مرض خالد خلال طفولته مرضًا خفيفًا بالجدري ، لكنه ترك بعض الندبات على خده الأيسر. وتعلم خالد الفروسية كغيره من أبناء الأشراف ، ولكنه أبدى نبوغًا ومهارة في الفروسية منذ وقت مبكر ، وتميز على جميع أقرانه ، فكان خالد صاحب قوة مفرطة كما عُرف بالشجاعة والجَلَد والإقدام ، والمهارة وخفة الحركة في الكرّ والفرّ. واستطاع "خالد" أن يثبت وجوده في ميادين القتال ، وأظهر من فنون الفروسية والبراعة في القتال ما جعله من أفضل فرسان عصره. كان خالد طويلاً بائن الطول ، عظيم الجسم والهامة ، يميل إلى البياض ، كث اللحية ، شديد الشبه بعمر بن الخطاب ، حتى أن ضعاف النظر كانوا يخلطون بينهما. لا يعرف الكثير عن خالد خلال فترة الدعوة للإسلام في مكة. وبعد هجرة الرسول من مكة إلى المدينة المنورة ، دارت العديد من المعارك بين المسلمين وقريش. لم يخض خالد غزوة بدر أولى المعارك الكبرى بين الفريقين ، والتي وقع فيها شقيقه الوليد أسيرًا في أيدي المسلمين. وذهب خالد وشقيقه هشام لفداء الوليد في يثرب ، إلا أنه وبعد فترة قصيرة من فدائه ، أسلم الوليد وهرب إلى يثرب. كانت غزوة أحد أولى معارك خالد في الصراع بين القوتين ، والتي تولى فيها قيادة ميمنة القرشيين. لعب خالد دورًا حيويًا لصالح القرشيين ، فقد استطاع تحويل دفة المعركة ، بعدما استغل خطأ رماة المسلمين ، عندما تركوا جبل الرماة لجمع الغنائم بعد تفوق المسلمين في بداية المعركة. انتهز خالد ذلك الخطأ ليلتف حول جبل الرماة ويهاجم بفرسانه مؤخرة جيش المسلمين ، مما جعل الدائرة تدور على المسلمين ، وتحوّلت هزيمة القرشيين إلى نصر. شارك خالد أيضًا في صفوف الأحزاب في غزوة الخندق ، وقد تولى هو وعمرو بن العاص تأمين مؤخرة الجيش في مائتي فارس ، خوفًا من أن يتعقبهم المسلمون. كما كان على رأس فرسان قريش الذين أرادوا أن يحولوا بين المسلمين ومكة في غزوة الحديبية. بينما كان المسلمون في مكة لأداء عمرة القضاء في العام السابع الهجري ، وفقًا للاتفاق الذي أبرم في صلح الحديبية ، أرسل الرسول إلى الوليد بن الوليد ، وسأله عن خالد ، قائلاً له: «ما مثل خالد يجهل الإسلام ، ولو كان جعل نكايته وحده مع المسلمين على المشركين كان خيرًا له ، ولقدمناه على غيره.» أرسل الوليد إلى خالد برسالة

يدعوه فيها للإسلام إدراكاً لما فاته. وافق ذلك الأمر هوى خالد ، فعرض على صفوان بن أمية ثم على عكرمة بن أبي جهل الانضمام إليه في رحلته إلى يثرب ليعلن إسلامه ، إلا أنهما رفضا ذلك. ثم عرض الأمر على عثمان بن طلحة العبدري ، فوافقه إلى ذلك. وبينما هما في طريقهما إلى يثرب ، التقيا عمرو بن العاص مهاجرًا ليعلن إسلامه ، فدخل ثلاثتهم يثرب في صفر عام 8 هـ معلنين إسلامهم ، وحينها قال الرسول: "إن مكة قد ألقت إلينا أفلاذ كبدها". فلما وصل المدينة المنورة ، قصّ خالد على أبي بكر رؤيا رآها في منامه ، كأنه في بلاد ضيقة مجدبة ، فخرج إلى بلاد خضراء واسعة ، ففسرها له أبو بكر: "مخرجك الذي هداك الله للإسلام ، والضيق الذي كنت فيه من الشرك". وفي عام 8 هـ ، وجّه الرسول جيشًا لقتال الغساسنة ، بعد أن اعترض شرحبيل بن عمرو الغساني عامل قيصر الروم على البلقاء الحارث بن عمير الأزدي رسول الرسول محمد إلى صاحب بصرى ، وقتله. انضم خالد حديث العهد بالإسلام إلى ذلك الجيش ذي الثلاث آلاف مقاتل. اختار النبي زيد بن حارثة لقيادة الجيش ، على أن يخلفه جعفر بن أبي طالب إن قتل ، ثم عبد الله بن رواحة إن قتل جعفر ، وإن قتل الثلاثة يختار المسلمون قائدًا من بينهم. وعند وصول الجيش إلى مؤتة ، وجد المسلمون أنفسهم أمام جيش من مائتي ألف مقاتل نصفهم من الروم والنصف الآخر من الغساسنة. فوجئ المسلمون بالموقف ، وأقاموا لليلتين في معان يتشاورون أمرهم. أشار البعض بأن يرسلوا للرسول ليشرحوا له الموقف ، وينتظروا إما المدد أو الأوامر الجديدة. عارض ابن رواحة ذلك ، وأقنع المسلمين بالقتال. بدأت المعركة ، وواجه المسلمون موقفًا عصيبًا ، حيث قتل القادة الثلاثة على التوالي ، عندئذ اختار المسلمون خالدًا ليقودهم في المعركة. صمد الجيش بقية اليوم ، وفي الليل نقل خالد ميمنة جيشه إلى الميسرة ، والميسرة إلى الميمنة ، وجعل مقدمته موضع الساقة ، والساقة موضع المقدمة. ثم أمر طائفة بأن تثير الغبار ويكثرون الجلبة خلف الجيش حتى الصباح. وفي الصباح ، فوجئ جيش الروم والغساسنة بتغيّر الوجوه والأعلام عن تلك التي واجهوها بالأمس ، إضافة إلى الجلبة ، فظنوا أن مددًا قد جاء للمسلمين. عندئذ أمر بالانسحاب وخشي الروم أن يلاحقوهم ، خوفًاً من أن يكون الانسحاب مكيدة. وبذلك ، نجح خالد في أن يحفظ الجيش من إبادة شاملة. حارب خالد ببسالة في غزوة مؤتة ، وكسرت في يده يومئذ تسعة أسياف. وبعد أن عاد إلى يثرب ، أثنى عليه الرسول ولقّبه بسيف الله المسلول. وبعد شهور ، نقضت قريش أحد شروط الصلح ، عندما هاجم بكر بن مناة بن كنانة حلفاء قريش بني خزاعة حلفاء الرسول. عندئذ توجه الرسول في جيش من عشرة آلاف مقاتل إلى مكة ، وقسم الجيش إلى أربعة أقسام تولى بنفسه قيادة أحدها وأمّر الزبير بن العوام وسعد بن عبادة وخالد بن الوليد على الثلاثة الأخرى ، وأمرهم أن يدخلوا مكة كلٌ من باب. فدخلوها كل من الباب الموكل إليه ، ولم يلق أحدهم قتالاً إلا كتيبة خالد ، حيث قاتله عكرمة بن أبي جهل وسهيل بن عمرو وصفوان بن أمية في جند جمعوه لقتال المسلمين ، واستطاع خالد أن يظفر بهم ، وقتل منهم عددًا. ثم أرسله الرسول في سرية من ثلاثين فارسًا لهدم العزى صنم جميع بني كنانة ، فهدمها ثم رجع إلى الرسول ، فأخبره فسأله الرسول إن كان قد رأى شيئًا ، فرد بالنفي ، فطلب منه الرسول أن يعود لأنه لم يهدمها. فرجع خالد وهو متغيظ فجرد سيفه ، فخرجت إليه امرأة عريانة سوداء ناشرة الرأس ، فضربها خالد فشقها نصفين ورجع إلى الرسول. فأخبره فقال: "نعم تلك العزى ، وقد يئست أن تعبد ببلادكم أبدا!". وكان موضع العزى ومقر عبادتها في شِعب يعرف بشعب سُقام إلى الشمال الشرقي من مكة اتخذه

المشركون حمىً لها. وأما عن سرية خالد بن الوليد إلى بني جذيمة ، فإنه بعد الفتح ، أرسل الرسول السرايا لدعوة القبائل إلى الإسلام ، فأرسل خالد بن الوليد قائدًا على 350 من المهاجرين والأنصار وبني سليم في سرية إلى "بني جذيمة بن عامر بن عبد مناة بن كنانة" ، ولم يأمره بقتال. وهنا كانت أول زلّات خالد حيث قاتلهم ، وأصاب منهم ، رغم معارضة من كان معه من الصحابة ، ومنه سالم مولى أبي حذيفة وعبد الله بن عمر بن الخطاب ، فلما وصل الخبر إلى الرسول رفع يديه إلى السماء ثم قال: "اللهم إني أبرأ إليك مما صنع خالد بن الوليد". وأرسل الرسول عليًا إلى بني جذيمة ، لدفع ديّة قتلاهم. ورغم هذا الخطأ ، أشركه الرسول بعد ذلك في غزوة حنين ، حيث جعله الرسول يومئذ قائدًا على بني سليم ، وأصيب يومها إصابات بليغة. كما شارك خالد أيضًا في غزوة تبوك تحت قيادة الرسول ، ومن هناك أرسله الرسول في سرية إلى دومة الجندل ، فدخلها وأسر صاحبها أكيدر بن عبد الملك الذي صالحه الرسول على الجزية ، وهدم صنمهم "وُدّ". في عام 10 هـ ، بعث الرسول خالد بن الوليد في شهر ربيع الأول في سرية من أربعمائة مقاتل إلى بني الحارث بن كعب بنجران ، وأمره أن يدعوهم إلى الإسلام قبل أن يقاتلهم ثلاثًا ، فإن استجابوا له يقبل منهم ويقيم فيهم ويعلمهم دينهم ، وإن لم يفعلوا يقاتلهم. لبّى بنو الحارث بن كعب النداء وأسلموا ، فأقام خالد فيهم يعلمهم الإسلام. ثم كتب خالد إلى الرسول بذلك ، فأمره أن يقيم فيهم يعلمهم ، ثم ليقبل معه وفدهم ، فوفدوا عليه يعلنون إسلامهم. وبعد وفاة الرسول ، انتقضت معظم القبائل العربية عدا أهل مكة والطائف والقبائل المجاورة لمكة والمدينة والطائف على خلافة أبي بكر الخليفة الجديد للمسلمين. اختلفت أسباب الانتقاض ، فمنهم من ارتد عن الإسلام ، ومنهم من ظل على دين الإسلام مع رفضهم أداء فريضة الزكاة ، ومنهم من التف حول مدعي النبوة في القبائل العربية. استغل مانعو الزكاة من قبائل عبس وذبيان وغطفان خروج بعث أسامة بن زيد الذي كان قد أوصى به الرسول قبل وفاته ، وحاولوا مهاجمة المدينة. وبعد أن استطاع الخليفة أبو بكر الصديق صد الهجوم ، وإرساله من يطارد فلول المنهزمين ، عقد أبو بكر أحد عشر لواءً لمحاربة المرتدين ومانعي الزكاة في جميع أرجاء جزيرة العرب. أمّر أبو بكر خالد بن الوليد على أحد تلك الجيوش قوامه 4,000 مقاتل ، ووجهه إلى إخضاع طيئ ثم محاربة مدعي النبوة طليحة بن خويلد وقبيلته بني أسد ، ثم التوجه لإخضاع بني تميم. إلا أنه وقبل أن يتحرك الجيش ، وصل عدي بن حاتم الطائي بأموال زكاة طييء ، لتنضم بذلك طييء لجيش خالد. اجتمعت قبائل أسد وفزارة وسليم وفلول عبس وذبيان وبكر حول طليحة بن خويلد الذي ادعى النبوة. توجه إليهم خالد بجيشه ، واشتبك معهم في بُزاخة ، وهزمهم وفرّ طليحة إلى الشام. أمر خالد بعد ذلك بمطاردة فلول المنهزمين ، ثم أمر بإحراق الأسرى بالنيران ونكّل بهم ، وأرسل رؤساءهم مكبّلين بالأصفاد إلى الخليفة لينظر ماذا يفعل بهم ، لما ألحقوا بمن بقوا على دينهم من أذى ، وليكون ذلك ردعًا لمن سيلقاه بعد ذلك. التفت الفلول حول أم زمل التي كانت لها ثارات عند المسلمين ، فقد قتل زيد بن حارثة أمها أم قرفة في سريته إلى بني فزارة ، لتحريضها قومها على قتال المسلمين. فقاتلهم خالد في معركة كبيرة في ظفر ، وهزمهم وقتل أم زمل. وتوجه خالد بعد ذلك بجيشه إلى بني تميم. لم تكن بنو تميم على موقف واحد ، فمنهم بطون إيتاء الزكاة وإتباع خليفة رسول الله ، ومنهم من رأى عكس ذلك ، وبقي فريق ثالث في حيرة من أمرهم. فلما وصل جيش خالد البطاح وهي منزل بنو يربوع ، لم يجد بها أحدًا. كان سيدهم مالك بن نويرة ممن كانوا تحيروا في أمرهم ، وكان قد أمر قومه بأن يتفرقوا. بثّ خالد

السرايا ، وأمرهم بأن يأتوه بكل من لم يجب داعية الإسلام ، وإن امتنع أن يقتلوه. وكان قد أوصاهم أبو بكر أن يؤذّنوا إذا نزلوا منزلاً ، فإن أذن القوم فكفوا عنهم وإن لم يؤذنوا فاقتلوا ، وإن أجابوكم إلى داعية الإسلام فسائلوهم عن الزكاة ، فإن أقروا فاقبلوا منهم وإن أبوا فقاتلوهم. عندئذ ، جاءه الجند بمالك بن نويرة في جماعة من قومه ، اختلفت السرية فيهم ، فشهد أبو قتادة الأنصاري أنهم أقاموا الصلاة ، وقال آخرون: إنهم لم يؤذنوا ولم يصلوا. تم أسر مالك ابن النويرة وجيء به إلى خالد ، أمر خالد بقتل ابن نويرة ، واختلف الرواة في سبب قتل خالد مالكًا ، فمنهم من قال أن الأسرى قتلوا لأن الليلة كانت باردة ، وقد أمر خالد بأن يدفئوا الأسرى ، وكانت تعني في لغة كنانة القتل ، فقتلهم الحراس. ومنهم من قال أنه دارت بين خالد ومالك حوارًا استنتج منه خالد أن مالكًا ينكر الزكاة ، بعدما قال الأخير: "أنا آتي بالصلاة دون الزكاة" ، ليرد خالد ويقول: "أما علمت أن الصلاة والزكاة معاً؟ لا تُقبل واحدة دون الأخرى؟"، فقال له ابن النويرة: "قد كان صاحبكم يقول ذلك" ولم يقل نبي الله أو رسول الله ، فرد عليه خالد: "أوَما تراه صاحباً لك! والله لقد هممت أن أضرب عنقك بهذه الكلمة" ، فقال ابن النويرة: "أوَبذلك أمرك صاحبك؟" ليتضح لخالد بأن مالك ابن النويرة مرتد فعلاً ، وذلك بتحذيره عدة مرات قبل أن يقوم بقتله بأن يدفع الزكاة وبأن لا يسمي النبي بهذه الصيغة التي تبين ردته عن الإسلام ، إلى أن مالك أبى بكلا الأمرين ، فقتله ضرار ابن الأزور بأمر من خالد. وفي نفس ليلة مقتل مالك ، تزوج من أم تميم ليلى بنت المنهال زوجة مالك على أنها سبية ، والسبي كان من الأمور المتعارف عليها في الحروب عند المسلمين والكفار ، وهذا الزواج أنكره العديد من الصحابة ، حتى أن أبا قتادة ترك الجيش وعاد إلى المدينة بسبب خلاف مع خالد ، مقسمًا ألا يجمعه لواء مع خالد بن الوليد. استنكر الصحابة في المدينة فعل خالد ، وأرسل أبو بكر في طلب خالد. كان عمر بن الخطاب ممن أغضبه فعل خالد ، حتى أنه طلب من الخليفة أن يعزل هذا الأخير ، إلا أن أبا بكر رفض ذلك ، قائلاً: "ما كنت لأشيم سيفًا سلّه الله على الكافرين". عنّف أبو بكر خالدًا على فعله ، ثم صرفه إلى جيشه ، وودي مالكًا وردّ سبي بني يربوع. وكان شعار «يَا مُحمّدَاه» شعار المسلمين الذي جعل ينادي به خالد بن الوليد في معركة اليمامة. فلقد ادعى مسيلمة بن حبيب النبوة ، واستطاع أن يجمع حوله أربعين ألفًا من قومه بني حنيفة وغيرهم ، ممن أقروا بنبوته. وكان في شهادة "الرجَّال بن عنفوة" الذي كان الرسول قد بعثه مع وفد بني حنيفة ، حين وفدوا عليه ليعلنوا إسلامهم في عام الوفود ليعلمهم الدين ، بأن محمدًا قد أشركه في النبوة ، أكبر الدعم له في ادعائه ، مما زاد من خطورة فتنته على المسلمين. لذا ، فقد وجّه له أبو بكر لواءً بقيادة عكرمة بن أبي جهل ، ثم أردفه بلواء آخر بقيادة شرحبيل بن حسنة. تسرّع عكرمة في قراره بمواجهة جيش مسيلمة وحده قبل أن يدركه جيش شرحبيل بن حسنة ، مما عرّضه لهزيمة نكراء. حين وصل شرحبيل بجيشه ، أدرك صعوبة الموقف ، لذا أرسل للخليفة ليُعلمه بما كان. حينئذ ، كان خالد قد فرغ من أمر بني تميم فأمره أبو بكر بالتوجه من البطاح إلى اليمامة ، لقتال مسيلمة الكذاب متنبي بني حنيفة. حين وصل خالد بجيشه إلى ثنية اليمامة ، أدرك جيشه سرية من بني حنيفة ، فأمر بقتلهم واستبقى رئيسهم مجاعة بن مرارة ، لعله يخلُص منه بما ينفعه ، وقيّده بالحديد في خيمته ، وجعل على حراسته زوجته أم تميم. نزل مسيلمة بجيشه في عقرباء على أطراف اليمامة. ثم التقى الجمعان وكانت الغلبة في البداية لبني حنيفة ، فتراجع المسلمون حتى دخلوا فسطاط خالد ، وكادوا أن يبطشوا بأم تميم لولا أن أجارها مجاعة بن مرارة ، لما وجد منها من حسن معاملة. حينئذ ،

ثارت الحمية في قلوب المسلمين ، فأظهر المهاجرون والأنصار بطولاتٍ قلبت دفة المعركة لصالحهم ، فتقهقرت بنو حنيفة يحتمون بحديقة مسوّرة منيعة الجدران تسمى بـ "حديقة الرحمن". أدرك المسلمون أنهم إن لم يسرعوا بالظفر بهم ، فقد يطول الحصار ، فطلب البراء بن مالك من رفقائه أن يحملوه ليتسوّر الحديقة وتبعه بعض زملائه ، واستطاعوا فتح باب الحديقة ، وأعمل المسلمون القتل في بني حنيفة ، وقتل وحشي بن حرب مسيلمة ، مما فتّ في عضد بني حنيفة. ومن يومها ، أصبحت الحديقة تسمى "بحديقة الموت". وبعد أن انتهت المعركة تحرك خالد بجيشه ، ليفتح حصون اليمامة ، وكان خالد قد وثق بمجاعة لإجارته لأم تميم. وكان مجاعة قد أرسل للحصون التي لم يكن بها سوى النساء والأطفال والشيوخ ومن لا يستطيعون القتال بأن يلبسوا الدروع. أقنع مجاعة خالدًا بأن الحصون مملوءة بالرجال ، ونظر خالد فوجد جيشه قد أنهكته الحروب ، وقتل منه الكثير حتى أنه قُدر قتلى المسلمون يوم اليمامة بمائتين وألف منهم 360 من المهاجرين والأنصار ، لذا رأى خالد أن يصالحهم على أن يحتفظ المسلمون بنصف السبي والغنائم. عندئذ طلب منه مجاعة أن يذهب ليعرض على قومه الأمر ، ثم عاد زاعمًا بأنهم لم يقبلوا العرض ، فخفّضه خالد إلى الربع. وحين دخل المسلمون الحصون ، لم يجد المسلمون سوى النساء والأطفال والعجزة ، غضب خالد لخداعه ، إلا أنه وجدها شجاعة من مجاعة ، استطاع بها أن يحفظ بها من بقي من قومه ، فأجاز الصلح. وبعد أن تم لخالد النصر ، طلب من مجاعة أن يزوجه ابنته ، فلبّى مجاعة طلبه. تسبب ذلك في إثارة غضب الخليفة وكبار الصحابة ، لأنه لم يختر الوقت المناسب لذلك ، فقد كانت المدينة في حالة حزن على فقدانهم لألف ومائتي شهيد بينهم 39 من حفظة القرآن الكريم ، وهو ما استدعى جمعهم للقرآن. أرسل أبو بكر لخالد فعنّفه أشد مما عنفه يوم زواجه من أم تميم ، فتألم خالد لغضب أبي بكر. بعد اليمامة ، انتهت مهمة خالد في حروب الردة ، فاتخذ له بيتًا في أحد أودية اليمامة عاش فيه مع زوجتيه. ومع انتهاء حروب الردة ، بلغ أبا بكر أن المثنى بن حارثة الشيباني ورجال من قومه أغاروا على تخوم فارس حتى بلغ مصب دجلة والفرات ، فسأل عنه فأثنى عليه الصحابة. ولم يلبث أن أقبل المثنى على المدينة ، طالبًا منه أن يستعمله على من أسلم من قومه ، فأقر له أبو بكر بذلك. رأى أبو بكر بأن يمدّ المثنى بمدد ليتابع غزواته ، لذا أمر خالد بأن يجمع جنده في اليمامة ، وألا يستكره أحدًا منهم ، ويتوجه إلى العراق. كما أمر عياض بن غنم بأن يتوجه إلى دومة الجندل ليخضع أهلها ، ثم يتوجه إلى الحيرة ، وأيهما بلغ الحيرة أولاً تكون له القيادة. وجد خالد أن جيشه قد قلّ عدده ، فطلب المدد من الخليفة ، فأمدّه بالقعقاع بن عمرو التميمي. تعجّب الناس من هذا المدد ، فقال لهم أبو بكر: "لا يُهزم جيش فيه مثل هذا". وأدرك خالد المثنى قبل أن يصل إليه عياض بعشرة آلاف مقاتل ، لينضم إليه ثمانية آلاف مقاتل هم جند المثنى. كانت أول معارك خالد في العراق أمام جيش فارسي بقيادة "هرمز" في معركة ذات السلاسل. في بداية المعركة ، طالب هرمز أن يبارز خالد ، وكان قد دبّر مكيدة بأن يتكاتل عليه جنده فيقتلوه ، فيفتّ ذلك في عضد المسلمين فينهزموا. لم يعط هرمز خالد قدره ، فقد قتله خالد قبل أن تكتمل المكيدة ، وأدرك القعقاع جند الفرس قبل أن يغدروا بخالد ، ليثبت بذلك للمسلمين صحة وجهة نظر الخليفة فيه. بعد ذلك ، شدّ المسلمون على الفرس وهزموهم ، وأمر خالد المثنى بمطاردة الفلول. استمر المثنى يطارد الفلول ، إلى أن ترامى إلى أذنه زحف جيش آخر بقيادة "قارن بن قريانس" ، فأرسل إلى خالد ، فلحقه خالد بالجيش ، والتحم الجيشان وللمرة الثانية يهزم جيش خالد جيشًا فارسيًا ويقتل قادته في معركة

عرفت بمعركة المذار. وأدرك الفرس صعوبة موقفهم ، فقرروا أن يستعينوا بأوليائهم من العرب من بني بكر بن وائل ، والتقى الجيشان في معركة الولجة ، والتي استخدم فيها خالد نسخة مطورة من تكتيك الكماشة ، حيث استخدم مجموعتين من الجند ليكمنوا للفرس. استثارت الهزيمة غضب الفرس وأولياءهم من العرب ، فاجتمعوا في أُلّيس بجيش عظيم ، واشتبك معهم جيش المسلمين في معركة عظيمة تأرجحت وطالت بين الفريقين ، فتوجه خالد بالدعاء إلى ربه ، ونذر أن يجري النهر بدماء أعدائه إن انتصر المسلمون. وفي النهاية ، انتصر المسلمون وفر الفرس والعرب ، وأمر خالد بأسرهم ، ليبرّ بنذره. ثم أمر بحبس النهر ، وضرب رقاب الأسرى ثم أجرى النهر فتحوّل دمًا. وكانت الخطوة التالية لتأمين النصر هي فتح الحيرة عاصمة العراق العربي ، فتوجه بجيشه إليها وحاصرها ، ولما لم يجدوا مهربًا قبلوا بأن يؤدوا الجزية. وبعد أن أراح جيشه ، سار خالد على تعبئته إلى الأنبار وعلى مقدمته الأقرع بن حابس ، فحاصرها وقد تحصن أهل الأنبار وخندقوا حولهم ، فطاف خالد بالخندق بحثًا عن أضيق مكان فيه ، ثم أمر بنحر ضعاف الإبل وإلقائها في ذلك الموضع ، وعبر عليها جيشه ففتح بذلك الحصن. اتجه خالد بعد ذلك إلى عين التمر ، حيث واجه جيشًا من الفرس والعرب من قبائل بني النمر بن قاسط وتغلب وإياد بقيادة "عقة بن أبي عقة" في معركة عين التمر وانتصر عليهم ، وبذلك أصبح معظم العراق العربي تحت سيطرة المسلمين. وكان عياض بن غنم ما زال في حربه في دومة الجندل منذ بعثه الخليفة لقتالهم ، حيث طال حصاره لعام ولم يظفر بهم. يأس الخليفة من الموقف ، فأمده بالوليد بن عقبة ، وحين وصل إليه الوليد أيقن صعوبة موقف عياض ، فأشار عليه بأن يرسل إلى خالد بن الوليد يستنصره. لم يتردد عياض فأرسل لخالد ، وكان قد همّ بالرحيل عن عين التمر. لذا، فقد توجه خالد إليه بجيشه ، فجعل دومة بينه وبين جند عياض ، ونجح في افتضاض الحصن في معركة دومة الجندل. انتهز أهل العراق فرصة غياب خالد ، فثاروا على الحاميات الإسلامية ، ووصل الخبر لخالد في دومة الجندل ، فلم يطق البقاء وعاد واستطاع اخضاعهم مرة أخرى في معارك المصّيخ والثني والزميل. وواصل خالد زحفه شمالاً حتى بلغ الفراض ، وهي موقع على تخوم العراق والشام ، وأقام فيها شهرًا لا يفصله عن الروم سوى مجرى الفرات. أرسل قائد الروم لخالد يطالبه بالاستسلام ، إلا أن خالد قال له أنه ينتظره في أرض المعركة. ثم بعث إليه الروم يخيرونه إما أن يعبر إليهم أو يعبروا إليه ، فطالبهم بالعبور. استغل خالد عبور الروم إليه ، وحاصرهم بجناحيه مستغلاً وجود النهر خلفهم ، وهزمهم هزيمة ساحقة. كانت معركة الفراض آخر معارك خالد بن الوليد في العراق. أمر خالد جيشه بالعودة إلى الحيرة ، وقرر أن يؤدي فريضة الحج في سرّية تامة دون حتى أن يستأذن الخليفة. وبعد أن أتم حجه علم الخليفة فلامه ونهاه عن تكرار فعله مرة أخرى. وبعد أن افتتح المسلمون دومة الجندل ، أصبح الطريق ممهدًا للتحرك لغزو الشام. أرسل خالد بن سعيد قائد المسلمين على تخوم الشام إلى أبي بكر يستأذنه في منازلة الروم. وبعد أن استشار أبو بكر أهل الرأي ، شجّعته انتصارات المسلمين في العراق على الإقدام على خطوة مشابهة في الشام ، فأذن لخالد بن سعيد. لم يحالف الحظ جيش خالد بن سعيد بعد أن نجح الروم في استدراجه وهزموا جيشه ، وفر في كتيبة من جنده بعد مقتل ابنه ، تاركًا عكرمة يتقهقر بالجيش. لم يُضعف ذلك من عزم الخليفة ، فوجّه أربعة جيوش دفعة واحدة إلى الشام ، بقيادة أبي عبيدة الجراح ويزيد بن أبي سفيان وشرحبيل بن حسنة وعمرو بن العاص ووجه كل منهم لوجهة مختلفة ، إلا أن الروم جيّشوا لهم في كل موضع جيوشًا

تفوقهم عددًا. وجد القادة أنهم إن قاتلوا منفردين فسيهزمون لا محالة ، لذا أرسل أبو عبيدة إلى أبي بكر يطلب المدد. ضاق أبو بكر بالموقف ، فقرر أن يرسل إلى خالد بن الوليد يأمره أن يستخلف المثنى بن حارثة الشيباني في نصف الجند ، ويسير بالنصف الآخر إلى الشام ليمدّ جيوش المسلمين. ضاق خالد بالأمر ، إذ كان يرجو أن يظل بالعراق حتى يفتح المدائن ، إلا أنه امتثل للأمر. وكان أمام خالد طريقان للوصول لقوات المسلمين في الشام ، الأول عبر دومة الجندل ، والثاني يمر بالرقة. ولما كانت حاجة قوات المسلمين في الشام ملحّة لمدده ، تجنب خالد طريق دومة الجندل لطوله ، وقد استغرق أسابيع للوصول إلى الشام. كما قرر أن يتجنب الطريق الآخر لأنه سيمر على الحاميات الرومانية في شمال الشام. اختيار خالد طريقًا وعرًا لكنه أقصر عبر بادية الشام. اتخذ خالد من "رافع بن عميرة الطائي" دليلاً له حيث نصحهم بالاستكثار من الماء ، لأنهم سيسيرون لخمس ليال دون أن يردوا بئرًا. استخدم خالد بطون الإبل لتخزين الماء لشرب الجياد ، وبذلك نجح خالد في اجتياز بادية الشام في أقصر وقت ممكن. ثم أخضع الغساسنة بعد أن قاتلهم في مرج راهط ، ومنها انحدر إلى بصرى ففتحها. وعندئذ جاءته الأنباء بأن جيشًا روميّا قد احتشد في أجنادين ، فأمر خالد جيشه بالتوجه إلى أجنادين ، وراسل قادة الجيوش الأخرى بموافاته في أجنادين. ولما تم اجتماعهم هناك ، جعل أبو عبيدة بن الجراح على المشاة في القلب ، ومعاذ بن جبل على الميمنة ، سعيد بن عامر بن جذيم القرشي على الميسرة ، وسعيد بن زيد على الخيل. بدأت المعركة بمهاجمة ميسرة الروم لميمنة المسلمين ، ولكن معاذ بن جبل ورجاله صمدوا أمام الهجوم ، ثم شنت ميمنة الروم هجومًا على ميسرة المسلمين ، فثبتوا كذلك. عند ذلك أمر قائد الروم برمي الأسهم ، عندئذ بدأ هجوم المسلمين ، واستبسلوا ففر الروم منهزمين. ثم بلغ خالداً أن الروم قد حشدوا جيشًا آخر يشرف على 240 ألف جندي في اليرموك، فتوجهت جيوش المسلمين إليهم. وأظهر خالد أحد تكتيكاته الجديدة، فقسم جيشه فرقًا كل منها ألف رجل، وجعل على ميمنته عمرو بن العاص ومعه شرحبيل بن حسنة، وعلى الميسرة يزيد بن أبي سفيان، وعلى القلب أبا عبيدة، وجعل على رأس كل فرقة بطلاً من أبطال المسلمين أمثال القعقاع وعكرمة وصفوان بن أمية. ثم رسم خالد خطة لاستدراج الروم بعيدًا عن مواقعهم التي حفروا أمامها الخنادق فكلف عكرمة بن أبي جهل والقعقاع بن عمرو التميمي الهجوم بفرقتيهما فجرًا حتى يبلغا خنادق الروم وبعد ذلك يتظاهران بالانهزام ويتقهقران. ونفذ القائدان المهمة بنجاح، فلما رآهم الروم يتراجعون، هاجموهم . وأظهر المسلمون بسالة في القتال الذي استمر إلى الغروب. وأخيرًا تمكن المسلمون من الفصل بين فرسان الروم ومشاتهم، فأمر خالد بمحاصرة الفرسان. فلما ضاق فرسان الروم بالقتال وأصابهم التعب، فتح المسلمون أمامهم ثغرة أغرتهم بالخروج منها طالبين النجاة، تاركين المشاة لمصيرهم. اقتحم المسلمون عليهم الخنادق، وقتلوا منهم ألوفا. كان انتصار اليرموك بداية نهاية سيطرة الروم على الشام. وتفرقت الجيوش بعد ذلك ، فتوجه كلٌ إلى وجهته التي كان أبو بكر قد وجهه إليها ، فتوجه خالد مع أبي عبيدة إلى دمشق ففتحوها بعد حاصروها وصالحوا أهلها على الجزية. وبينما هم هناك إذ أقبل رسول يحمل خبر وفاة أبي بكر وتولي عمر بن الخطاب الخلافة ، ومعه كتاب إلى أبي عبيدة يولّيه إمارة الجيش ويعزل خالداً ، إلا أنه ظل تحت قيادة أبي عبيدة ، كأحد قادته. وبعد أن اطمأن أبو عبيدة إلى مقام المسلمين ، تقدم بقواته ومعه خالد إلى فحل ، وقد كان قد أرسل بعض جنده لحصارها خلال محاصرته لدمشق ، فهزم حاميتها ومن لجأ إليهم من جند الروم الفارين من أجنادين ،

وقد أظهر خالد بن الوليد وضرار بن الأزور يوم فحل بطولات ذكرها لهم المؤرخون. وكتب عمر بن الخطاب إلى أبي عبيدة يأمره بفتح حمص. انتهز هرقل قيصر الروم انشغال المسلمين في فحل ، فأرسل جيشًا بقيادة توذر (تيودوروس) لاستعادة دمشق. وبينما كان جيش المسلمين في طريقهم إلى حمص ، التقى الجيش البيزنطي في منتصف الطريق في مرج الروم. خلال الليل، أرسل توذر نصف جيشه إلى دمشق لشن هجوم مفاجئ على حامية المسلمين. وفي الصباح ، وجد المسلمون أن جيش الروم قد قلّ عدده ، فتوقع خالد أن يكون الروم قد وجهوا جزءاً من جيشهم لمهاجمة دمشق. استأذن خالد أبا عبيدة ، وانطلق في فرقة من الفرسان ليدرك جيش الروم المتوجّه لدمشق. استطاع خالد أن يهزم هذا الجيش الرومي بعدما حُصر الروم بين قوات خالد وحامية المدينة. عاد خالد لينضم لقوات أبي عبيدة ، وحاصر معه حمص إلى أن سلّم أهلها طالبين الصلح ، فصالحهم أبو عبيدة على شروط وخراج صلح دمشق ، ثم سلمت حماة واللاذقية وعلى نفس الشروط. وواجه عمرو بن العاص وشرحبيل بن حسنة صعوبات في مواجهة الروم في فلسطين وجنوب الشام ، لذا أرسلا إلى عمر فأمر أبا عبيدة وخالد بالتوجه إليهم للدعم ، واستطاعت قوات المسلمين تطهير البلاد ثم توجهوا إلى القدس آخر المعاقل البيزنطية في جنوب الشام ، التي فرّ إليها العديد من الناجين من معركة اليرموك ، وحاصروها. لم تقبل المدينة بالتسليم ، إلا للخليفة شخصيًا. بعد القدس ، توجه جيش أبو عبيدة وخالد ، لاستكمال فتح شمال الشام. وجه أبو عبيدة خالد إلى قنسرين المدينة منيعة الحصون ، فوجد بها جيشًا روميًا عظيمًا ، فقاتلهم خالد وهزمهم في معركة قنسرين ، وفرّت الفلول لتتحصن بالمدينة طالبين الصلح كصلح حمص ، إلا أن خالداً رفض ورأى أن يعاقبهم لمقاومتهم للمسلمين. ولحق جيش أبو عبيدة بن الجراح بقوات خالد بن الوليد في قنسرين بعد فتحها ليتابعا زحفهما إلى حلب ، حيث استطاعا فتحها. لقد كان الهدف التالي للمسلمين أنطاكية عاصمة الجزء الآسيوي من الإمبراطورية البيزنطية. وقبل أن يسيروا إليها ، قرر أبو عبيدة وخالد عزل المدينة عن الأناضول ، بالاستيلاء على جميع القلاع التي قد توفر الدعم الاستراتيجي إلى أنطاكية ، وأهمها أعزاز في الشمال الشرقي من أنطاكية. وقد خاض الروم المدافعون عن أنطاكية معركة يائسة مع جيش المسلمين خارج المدينة بالقرب من نهر العاصي ، لكنها انتهت بهزيمتهم ، وتراجعهم إلى أنطاكية ، فحاصرها المسلمون. فقد الروم الأمل في وصول المدد من الإمبراطور ، فاستسلمت أنطاكية على أن يُسمح لجند الروم بالمرور إلى القسطنطينية بأمان. ووجّه أبو عبيدة خالد شمالاً ، بينما توجّه جنوبًا وفتح اللاذقية وجبلة وطرطوس والمناطق الساحلية الغربية من سلسلة جبال لبنان الشرقية. استولى خالد على الأراضي حتى "نهر كيزيل" في الأناضول. قبل وصول المسلمين إلى أنطاكية ، كان الإمبراطور هرقل قد غادرها إلى الرها ، لترتيب الدفاعات اللازمة في بلاد ما بين النهرين وأرمينيا ، ثم غادرها متوجها إلى عاصمته القسطنطينية. وفي طريقه إلى القسطنطينية ، نجا بصعوبة من قبضة خالد الذي كان في طريقه منصرفًاً من حصار مرعش إلى منبج. وبعد الهزائم الساحقة المتتالية لقوات هرقل في تلك المعارك ، أصبحت فُرصُه لتصحيح أوضاعه قليلة ، بعدما أصبحت موارده العسكرية المتبقية ضعيفة ، لذا لجأ إلى طلب مساعدة من المسيحيين العرب من بلاد ما بين النهرين الذين حشدوا جيشًا كبيرًا توجهوا به نحو حمص ، قاعدة أبو عبيدة في شمال الشام ، وأرسل إليهم جندًا عبر البحر من الإسكندرية. أمر أبو عبيدة كل قواته في شمال الشام بموافاته في حمص ، بعدما حاصرتها القبائل العربية النصرانية. فضّل خالد خوض

معركة مفتوحة خارج المدينة ، إلا أن أبا عبيدة أرسل إلى عمر يطلب رأيه. بعث عمر إلى سعد بن أبي وقاص بأن يسيّر جندًا لغزو منازل تلك القبائل العربية المسيحية في بلادها ، وأن يبعث القعقاع بن عمرو في أربعة آلاف فارس مددًا لأبي عبيدة. بل وسار عمر بنفسه من المدينة على رأس ألف جندي. دوت تلك الأنباء في العراق والشام ، فرأت تلك القبائل أن تسرع بالرجوع إلى منازلها ، تاركين جند الروم في مواجهة مصيرهم أمام قوات المسلمين الذين هزموا تلك القوات هزيمة نكراء ، قبل أن تصل قوات المدد من العراق أو المدينة. ثم أرسل أبو عبيدة خالد في قوة لمهاجمة القبائل من الخلف ، وكانت تلك آخر محاولات هرقل لاستعادة الشام. وبعد تلك المعركة ، أمر عمر باستكمال غزو بلاد ما بين النهرين. فبعث أبو عبيدة خالد وبعث سعد عياض بن غنم لغزو شمال بلاد ما بين النهرين. ففتحا الرها وديار بكر وملطية ثم اجتاحا أرمينية حتى بلغ خالد آمد والرها ، وهو يفتح البلاد ويستفئ الغنائم ، ثم عاد إلى قنسرين وقد اجتمع له من الفئ شيء عظيم. وتحدث الناس بفعال خالد في أرمينية ، وتحدثوا بانتصاراته في الشام والعراق ، فتغنّى الشعراء بفعاله ، فوهبهم خالد من ماله وأغدق عليهم ، وكان ممن وهبهم خالد الأشعث بن قيس الذي وهبه خالد عشرة آلآف درهم. بلغ عمر في المدينة خبر جائزة خالد للأشعث ، فكتب عمر إلى أبي عبيدة أن يستقدم خالد مقيدًا بعمامته ، حتى يعلم أأجاز الأشعث من ماله أم من مال المسلمين ، فإن زعم أنها من مال المسلمين ، فتلك خيانة للأمانة. وإن زعم أنها من ماله ، فقد أسرف ، وفي كلتا الحالتين يُعزل خالد من قيادته للجيوش. تحيّر أبو عبيدة ، فترك تنفيذ تلك المهمة لبلال بن رباح رسول الخليفة بالكتاب. أرسل أبو عبيدة يستدعي خالد من قنسرين ، ثم جمع الناس وسأل بلال خالدًا عما إذا كانت جائزته للأشعث من ماله أم من مال المسلمين؟ فأجاب خالد أنها من ماله الخاص ، فأعلنت براءته. فاجأ أبو عبيدة خالدًا بأن الخليفة قد عزله ، وأنه مأمور بالتوجه للمدينة. وذهب خالد للمدينة المنورة للقاء عمر ، محتجًا على ما اعتبره ظلمًا ، إلا أن عمر أصر على قراره. وكثر اللغط في الأمصار حول عزل عمر لخالد ، فأذاع في الأمصار: إني لم أعزل خالدًا عن سخطةٍ ولا خيانة ، ولكن الناس فتنوا به ، فخفت أن يوكلوا إليه ويُبتلوا به. فأحببت أن يعلموا أن الله هو الصانع ، وألا يكونوا بعرض فتنة. فأغرمه شيئاً ، ثم عوضه ، وكتب فيه إلى الناس بهذا الكتاب ليعذره عندهم وليبصرهم. وكانت تلك هي نهاية مسيرة خالد العسكرية الناجحة. وهناك إجماع على أن خالد توفي عام 21 هـ / 642 م ، إلا أنه هناك خلاف على مكان وفاته. فقد ذكر ابن حجر العسقلاني في الإصابة قولين في وفاته ، قول بأنه توفي بحمص وآخر أن وفاته في المدينة وأن عمر بن الخطاب حضر جنازته ، بينما ذهب أبي زرعة الدمشقي في تاريخه أن وفاته في المدينة ، أما ابن عساكر فنقل في كتابه تاريخ دمشق الكبير عدة روايات ترجح وفاته بحمص ، واستأنس بقول أبي زرعة الدمشقي في وفاته بالمدينة ، ونقل ابن كثير في البداية والنهاية قول الواقدي ومحمد بن سعد بأنه مات بقرية تبعد نحو ميل عن حمص ، وكذلك نقل الرأي الآخر في وفاته بالمدينة ، ولكنه رجح موته بحمص ، كذلك أيّد الذهبي في كتابه سير أعلام النبلاء رأى ابن كثير بترجيح وفاته بحمص. ولخالد بن الوليد جامع كبير في حمص. روي أن خالد قال على فراش موته: لقد شهدت مئة زحف أو زهاءها ، وما في بدني موضع شبر ، إلا وفيه ضربة بسيف أو رمية بسهم أو طعنة برمح وها أنا ذا أموت على فراشي حتف أنفي ، كما يموت البعير فلا نامت أعين الجبناء. وحزن المسلمون لموت خالد أشد الحزن ، وكان الخليفة عمر من أشدهم حزنًا ، حتى أنه مر بنسوة من بني مخزوم يبكينه ، فقيل له: ألا تنهاهن؟. فقال: «وما على نساء قريش أن يبكين أبا سليمان ، ما لم يكن نقع أو لقلقة على مثله تبكي البواكي.»

26 - الطبع يغلب التطبع

(من شب على شيء شاب عليه ، ومن شاب على شيء مات عليه! ولله در من قال: إنَّ كُلَّ إنسان يعيش ويحيا إما لله تعالى ، أو للشيطان! إما أن يحيا على الحق أو على الباطل ، إما أن يعيش في طاعة الله أو على معصيته! فمن داومَ على الطَّاعات ، كان من أعظم الأسباب لتحقيق حُسْن الخاتمة ، وقد جرَتْ سُنَّة الله في خلقه أنَّ من داوم على شيءٍ مات عليه ، ومن مات على شيءٍ بُعِث عليه ، كما في الحديث الذي أخرجه مسلمٌ من حديث جابر - رضي الله عنه -: "يُبعث كلُّ عبد على مات عليه". فمنهم من يبعث وهو يلبي: لبيك اللهم لبيك ، لأنه مات في الحج والعمرة بملابس الإحرام! لحديث النبي صلى الله عليه وسلم: "فإنه يبعث يوم القيامة ملبياً". ومنهم من يبعث ينبعث منه دم ، اللون لون الدم ، والريح ريح المسك ، من هؤلاء؟ هؤلاء الشهداء في سبيل الله. ومنهم من يبعث وهو لا يقوى على القيام ، إذا وقف وقع على الأرض سقط لا يستطيع قياماً ولا جلوساً ، فمن هذا؟ هذا آكل الربا ، كان لا يشبع من حلال. (الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لاَ يَقُومُونَ إِلاَّ كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُواْ إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا). ومنهم من يبعث ، ومجموعة من الأطفال يجرّونه جرّاً ويدفعونه دفعاً ، ليقدموه في أرض المحشر ليوقفوه بين يدي الله عز وجل فمن هذا؟ ومن هؤلاء؟ هذا آكل أموال اليتامى ، وهؤلاء هم اليتامى يدفعونه دفعاً ليوقفوه بين يدي الله: (إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْماً إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَاراً وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيراً). ومنهم من يبعث مخموراً مات وكأس الخمر في يده فيبعث وهو سكران ، ومنهم من يبعث وقد سرق في الدنيا تراه يمشي في أرض المحشر ، وهو يحمل بيضة سرقها ، أو يحمل دجاجة ، أو يحمل شاة أو ناقة ، يبعث وهو يحمل ما سرق ، إن لم يتب إلى الله ويرد ما سلب وسرق وغصب قال - جل وعلا: (وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ). ومنهم من يحشر أعمي لا يبصر لأنه لم ينظر للقرآن في الدنيا ولم يعمل به! (وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنسَى}. وأورد الأستاذ / عبد مهنا في كتابه (معجم النساء الشاعرات في الجاهلية والإسلام) صـ 314 وكذلك أورد ذات الخبر الأبشيهي في المستطرف ص 452: أن امرأة في البادية قالت تخاطب رجلاً إذ دخل عليها وبين يديها شاة مقتولة ، وإلى جانبها جرو وذئب! فقالت: أتدري ما هذا؟ فقال: لا. قالت: هذا جرو ذئب أخذناه صغيراً ، وأدخلناه بيتنا وربيناه فلما كبر فعل بشاتي ما ترى ، ثم أنشدَتْ تلوم ذلك الجرو الذي لم يُحْسِنْ إليها كما أحسنت إليه:)

بقـــرتَ شُـــويهتي ، وفجعـــت قلبـــي ... وأنـــــت لشـــــاتنا إبـــــنٌ ربيـــــبُ

غـــذِيت بـــدَرِّها ، ونشـــأت فينـــا ... فمـــــنْ أنبـــــاك أن أبـــــاك ذيـــــب؟

إذا كـــــان الطبـــــاعُ طبـــــاعَ سُـــــوءٍ ... فـــــلا أدبٌ يفيـــــدُ ، ولا أديـــــب

فأنشدتُ أخاطبها إذ حدث معي ذات الشيء ، ولكن مع مجموعة من الذئاب الآدميين ، زعمتُ يوماً أن أشتري حبهم بالبذل والسخاء والعطاء ، ففعل كل الذي أستطيع ، ولكنهم قابلوا إحساني إليهم بالإساءة إليّ. وراحت أنفسهم القميئة تصوّر لهم أن الذي فعلوه هو عين الصواب. فصبرتُ عليهم ، ولم أكن لأقابل الإساءة بالإساءة ، بل عمدتُ إلى الصبر والتصبر

والمصابرة حتى يأتي الله بأمره. وتذكرتُ أنها طبائع في النفس الإنسانية. فهؤلاء شبّوا على الخذلان والتشفي والغدر والغش والخداع ، وبئستِ الصفاتُ المرذولة ، وشابوا عليها وتأصلت فيهم. فأنشدتُ أخاطبُ المرأة العجوز التي كانت في البادية وأقول لها وقد عشتُ ما عاشت وعانيتُ ما عانت!)

27 - (الطبيبتان)

(عاش ذلك الملياردير المسلم الخليجي يرفل في النعيم المقيم. وتكاثرتْ أمواله تكاثر الدود. وكان حريصاً منذ صِباه على خصال ثلاث: الأولى القرآن ، والثانية الصلاة ، والثالثة الصدقة. واعتاد أن يواظب ويتابع بين الحَجة والحَجة. وقل أن نجد ملياردير يحرص على هذه الأشياء ولا على واحدةٍ منها ، إلا من رحم الله تعالى. وبعد أن تجاوز الخمسين ، وداهمه المرض تخلتْ عنه زوجته وأولاده وبناته. وعاش طريحَ الفراش ، وأهمله الكل. حيث كانوا لا يزورونه إلا من أجل المال فقط. وأما زوجته فاعتادت على الرحلات الدولية من عاصمة إلى أخرى في بلاد الغرب ، حتى أهلكت شطر مال زوجها تقريباً. وعاشت في وادٍ ، وفشل الأولاد وزوجها في واد آخر. والأب له عذرُه في مرضه الذي داهمه. المهم كان الأب يتحرّج من مخدومته الفلبينية الشابة الحسناء ، فاقترح عليه أحدُ أصفيائه أنه لو تزوجها لمَا كان هناك حرج من الخلوة بها والنظر إليها وتطبيبها له. وبالفعل ذهبا إلى القاضي وعقد عليها وتزوجها ، وعندما استقرت حياته نسبياً ، تبيّن له أن مرضه كان نفسياً ومِزاجياً وعَصبياً أكثر منه عُضوياً. وردّ الله عليه صحته بقدر منه عز وجل ، وشفاه الله من سُقمه العاتي الميؤوس من علاجه ، كما أخبره بذلك الأطباء. وصار أحلى وأصحّ مما كان عليه في الماضي ، وتكاثرت أمواله لكثرة صدقاته ، إذ لم يكن يرد سائلاً قط. بل كان يُضاعف للسائل ما يطلبه. والحقيقة أن الإنفاق يعقبه الخلف والبركة والزيادة! فعنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، أَنَّ النَّبِيَّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَ: (مَا مِنْ يَوْمٍ يُصْبِحُ العِبَادُ فِيهِ ، إِلَّا مَلَكَانِ يَنْزِلاَنِ ، فَيَقُولُ أَحَدُهُمَا: اللَّهُمَّ أَعْطِ مُنْفِقًا خَلَفًا ، وَيَقُولُ الآخَرُ: اللَّهُمَّ أَعْطِ مُمْسِكًا تَلَفًا). وقد علق العلامة ابن باز على هذا الحديث وقال ما نصه: (هذا الحديث فيه الحثّ على النَّفقة والإحسان والجود والكرم ، وأنه ينبغي للمؤمن إذا كانت عنده سعة أن يُنْفِق ويُحْسِن ، فهذا يدل على فضل عظيم للإنفاق ، وأن صاحب النفقة تدعو له الملائكة بالخلف ، فينبغي الإكثارُ من ذلك. ويقول الله في الحديث القدسي: يا ابن آدم ، أَنْفِقْ يُنْفَق عليك ، ويقول الله في كتابه الكريم: (وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ) ، ويقول سبحانه: (آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ فَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَأَنْفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ) ، ويقول النبي ﷺ: (أربعون خصلةً – أعلاها: منيحة العنز- ما من عبدٍ مسلمٍ يلقى الله بشيءٍ منها تصديق ثوابها ورجاء موعودها إلا أدخله الله بها الجنة) ، هذا فيه الحثّ على أنواع الإحسان ، وأنواع الجود والكرم. كذلك يقول النبي ﷺ لما سُئل: أيّ الإسلام أفضل؟ قال: (تُطعم الطعام ، وتقرأ السلام على مَن عرفتَ ومَن لم تعرف) ، هذه أفضل خصال الإسلام: إطعام الطعام ، وإفشاء السلام. أيضا قوله ﷺ: (لا حسدَ إلا في اثنتين: رجل آتاه الله مالاً ، فهو يُنفقه آناء الليل وآناء النّهار ، ورجل آتاه الله الحكمةَ ، فهو يقضي بها ويُعَلِّمها. فينبغي للمؤمن أن يغتنم فرصة ما أعطاه الله من المال وما وسَّع عليه في الإنفاق والإحسان ، والجود والكرم ، للفقراء والمساكين ، والأرحام ، والضّيف ، ووجوه الخير).هـ. وساءت معاملة

الزوجة الأولى للرجل عندما علمتْ بزواجه من مخدومته الفليبينية! وذات يوم طلبتْ منه أن تختلع ، فخالعها ، ولم يحرمْها ولا أولادها ولا بناتها من أمواله بل قسّمها مناصفة بين الأسرتين والزوجتين. ومرّت بعد ذلك سنوات عشر على هذه الهدنة المدخونة ، حيث هدأ الحال ولكن بالقطيعة التامة بين الأب وزوجته الجديدة وابنتيه سلمى وسلامة وبين زوجته القديمة المختلعة وأولادها. حيث كان المال بديلاً عن الأب عند أسرته الأولى التي غرقت في الملذات والمتع والرحلات ومحبوبات النفوس الأمّارة بالسوء. وما كان للمال الذي قُدر بالملايين ليصمد مع زوجة مبذرة مسرفة سفيهة تنفق بغير تقدير ولا مراعاة للعواقب. وكذلك كان أولادها الفاشلون في التعليم والحياة على حد سواء. وما هي إلا سنوات قليلة حتى فنيَ المالُ عن آخره معهم. بينما الزوجة الثانية الشابة التي عانت من الفقر ، وعضها الإملاق بأنيابه، وكانت تعرف قيمة هذا المال ، فراحت تدبّر وتقتصد ، وتجعل من حياة اليُتم والفقر والاغتراب التي عاشتها نبراساً لها يضيئ لها حنادس الأغيار والأحوال ، فازدادت أموالها ، وربّت ابنتيها على القرآن والعِلم والصلاة والصدقة والقيم. وفي سن العاشرة للابنتين التوأم مات الأب. وكان لزاماً على الأم الشابة الحسناء أن تكمل المسيرة. ورفضتِ كل الخُطاب الذين لم يطمعوا في مالها فقط ، بل كذلك في صِباها وذكائها وحسن تدبيرها وجمالها أو في الثلاثة مجتمعة. فتأيّمت مؤثرة أن لا تدخل على ابنتيها زوج أم يسوّد عليهما الأيام ويعكّر صفو الحياة. وعلى الأيام تخرجتِ البنتان في كلية الطب وبنفس الدرجة وبذات التخصص ، وأصبحتا طبيبتين في ذات المَشفى. ولم يجدّ إخوتهما وأخواتهما من أبيهما في التعرف عليهما بالرغم من هذا المجد. والسبب أنهما ابنتا الفليبينية الخادمة التي خطفتْ أباهم من أمهم ومنهم بزعمهم. وكأنه لم يكن زواجاً على كتاب الله وسُنة رسوله – صلى الله عليه وسلم -. وبعد زوال المال والثراء والغنى وضياع المستقبل ، راح الإخوة والأخوات يلتمسون هاتين الأختين الطبيبتين في المستشفى رجاء أن يصلوا إلى شئ من البر والإحسان. وكانتا في غاية القيم والأدب والإنسانية كأبيهما ، حيث أحسنتا استقبال إخوتهما وأخواتهما وزوجة أبيهما. وقررتا المعيشة في قصر واحدٍ وبمال واحد وعلى نمط للحياة واحد ، فقامتا بإنشاء مجمّع طبي كبير ليعمل فيه الكل ويسهروا على راحة الآخرين. وبارك الله في المال وكانت نعم الفكرة. ولله في خلقه شؤون. قال لقمان لابنه: يا بني ليكن أول شيء تكسبه بعد الإيمان بالله أخاً "صادقاً". فإنما مثله كمثل "شجرة" إن جلست في ظلها أظلتك ، وإن أخذت منها أطعمتك وإن لم تنفعك لم تضرك! ومن عجائب الإيثار والأخوة الصادقة ما أورده القرطبي في تفسيره: قال حذيفة العدوي: انطلقتُ يوم اليرموك أطلب ابن عم لي - ومعي شيء من الماء - وأنا أقول: إن كان به رمق سقيته ، فإذا أنا به ، فقلت له: أسقيك ، فأشار برأسه أن نعم فإذا أنا برجل يقول: آه! آه! فأشار إليّ ابن عمي أن انطلق إليه ، فإذا هو هشام بن العاص فقلت: أسقيك؟ فأشار أن نعم. فسمع آخر يقول: آه! آه! فأشار هشام أن انطلق إليه فجئته فإذا هو قد مات. فرجعت إلى هشام فإذا هو قد مات. فرجعت إلى ابن عمي فإذا هو قد مات. قال الحسن البصري رحمه الله: (إِنَّ الْمُؤْمِنَ شُعْبَةٌ مِنَ الْمُؤْمِنِ ، إِنَّ بِهِ حَاجَتَهُ ، إِنَّ بِهِ عِلَّتَهُ ، يَفْرَحُ لِفَرَحِهِ ، وَيَحْزَنُ لِحُزْنِهِ ، وَهُوَ مِرْآةُ أَخِيهِ ، إِنْ رَأَى مِنْهُ مَا لَا يُعْجِبُهُ سَدَّدَهُ وَقَوَّمَهُ ، وَوَجَّهَهُ ، وَحَاطَهُ فِي السِّرِّ وَالْعَلَانِيَةِ ، إِنَّ لَكَ مِنْ خَلِيلِكَ نَصِيبًا ، وَإِنَّ لَكَ نَصِيبًا مِنْ ذِكْرِ مَنْ أَحْبَبْتَ ، فَانتقُّوا الْأَصْحَابَ وَالْمَجَالِسَ). وسبحان من جمع شمل هذه الأسرة من الضياع وأعاد شأنها من حيث لم يحتسب أحد من أفرادها! ومن هنا كتبت قصة (الطبيبتان) ، أحيّي فيها الأختين الطيبتين المحترمتين اللتين لم تبخلا بمالهما ولا بوظيفتيهما ولا بجاههما على عائلتهما ، كما لم يراودهما شبح الانتقام بل غازلهما طيف الالتئام والالتحام! إنها العبقرية الفذة. وأراهما بطلتا القصة!)

28 - الطبيعة الحزينة

(أعنون لهذي القصة بذاتِ العنوان الذي اختاره أحد أحبابي الذين زاروا الصين في أول رحلة عمل تجارية له هناك. وشاهد الخضرة والزهور والورود في كل مكان هناك تسبّح الله تعالى وتوحّده. لكنها طبيعة حزينة ، لأن أغلب مِن حولها ومن يعيش في ظلها ومن يتمتع بها يشركون بالله – تعالى -. ونقل لي صاحبي صورة حية لجاهلية القرن العشرين. فكتبت له وللإسلام هذه القصة عن الطبيعة الحزينة معزياً. يقول تعالى: (سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ * لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ * هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ) ، ويقول: (هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ) ، ويقول: (وهوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ * وَتَبَارَكَ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَعِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ) ، ويقول:(وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ). ومن هنا أكتب عن الطبيعة الحزينة!)

29 - الطوفان

(عرّجنا من قبل على حال المرتزقة عبيد الدراهم والدنانير. وذكرنا في مقدمة قصيدة سبقت أن الحذاء إذا امتلأ بالمال فلن يكون إلا حذاء! وكذلك أهل الارتزاق لن يصبحوا بالمال ولو كثر أناساً آخرين لهم شأن في عالم البشر. إن قصيدة (الطوفان) أنسجها أيضا للمرتزقة الذين لست منهم في شيء ، وليسوا مني في شيء. فنحن صدقاً على طرفي نقيض ، وشتان بين مشرّق ومغرّب. ومهما جاملَنا غير واحد منهم وتباكى على القيم وأحوال الناس ، فإن هذه المجاملة وذلك البكاء أو التباكي محض نفاق ورياء وخداع لا يرقى إلى مرتبة اليقين. إنني أعرف من أحوالهم ما لا يعرفون هم عن أنفسهم. ذلك أنني أزنهم بميزان العقيدة والتوحيد. بينما هم لا ميزان لهم إلا المال فقط. وميزان التوحيد والعقيدة يزن المال وأهله وعبيده. في حين لا يزن ميزان المال التوحيد والعقيدة. إنني في سعادة قلبية ومتعة نفسية وفرحة روحية وبهجة مشاعرية قد حرم الله منها الكثيرين من عبيد الدراهم. ولو علم أهل الدراهم عني فرحتي وبهجتي وسعادتي بالإيمان بالله تعالى لجالدوني عليها بالسيوف! فسبحان من جعل الإسلام علانية والإيمان في القلب. إنني أجتهد كلما سنحتْ فرصة في أن أتناول في شعري عبيد المال الذين ينفقون في سبيله كل شيء. ينفقون العِرض والنفس والدين والخلق والأهل والأرض وكل غال ونفيس يملكونه. المهم أن يكون الواحد منهم ذا مال. إن الحديث عنهم شيق لأنه يبيّن الحق للناس بكل حيدة موضوعية. وقد ابتليت بحفنة منهم بعد حفنة. وجمعتنا المقادير لحكمة يعلمها الله ودارت رحى الحرب والصراع. وعمدت إلى تجنبهم لقوة شوكتهم في أول الدرب ، ثم ما لبثت أن جادلتهم وتعاملت معهم فخسرت الكثير. ذلك أنهم حفنة من أهل التكسب والارتزاق بالقيم ، سعدوا كل السعادة عندما أصيب أصحاب القيم بالتنحية عن حراسة القيم والذود عن الفضائل. وباتوا يهنئ بعضهم بعضاً على هذه الكارثة. وداهية عظيمة أن يناصر أصحاب القيم أهل الارتزاق وعبيد الدنانير. وداهية أعظم منها أن يصبح أصحاب القيم سيوفاً يضرب بعضهم رقاب بعض. وداهية دهياء أن يصير أصحاب القيم كالقطط الوديعة على أهل التكسب والارتزاق وأعداء القيم وأهلها ، وهم يستمعون إلى قول الله تعالى: (وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا ، وإذا

خلوا إلى شياطينهم قالوا إنا معكم إنما نحن مستهزئون) وقوله: (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم لا يألونكم خبالاً ، ودوا ما عنتم ، قد بدت البغضاء من أفواههم ، وما تخفي صدورهم أكبر ، قد بينا لكمُ الآيات إن كنتم تعقلون ، ها أنتم أولاء تحبونهم ولا يحبونكم ، وتؤمنون بالكتاب كله وإذا لقوكم قالوا آمنا ، وإذا خلوا غضوا عليكمُ الأناملَ من الغيظ ، قل موتوا بغيظكم ، إن الله عليمٌ بذات الصدور). تحركت هذه الخلجات في فؤادٍ كله حزن على القيم وأهلها ، فكانت طوفاناً يأخذ في طريقه كل من واجهه ، والتقى ذلك الطوفان بطوفان قائم بالفعل يستأصل القيم وأصحابها ويبارك أهل الارتزاق والتكسب على حساب القيم وغلب طوفان الباطل طوفان الغيرة الحق الذي يلتهب في قلبي: (يا قوم لكمُ الملك اليوم ظاهرين في الأرض فمن ينصرنا من بأس الله إن جاءنا؟) وعموماً يوماً سينتصر الحق لا محالة ويقال: (يا أرض ابلعي ماءك ويا سماء أقلعي) ، (ففتحنا أبواب السماء بماء منهمر وفجرنا الأرض عيونا فالتقى الماء على أمر قد قدر). وتلك سنة الله التي لا تتبدل ولا تتحول ولا تتغير: يصطرع الحق والباطل وتكون جولات وجولات وينتصر الحق! إن الثقة بنصر الله ، وعونه ووعده الحق لمن جاهد في سبيله ، هي زاد الطريق ، ومفتاح الأمل ، ونور الأجيال الإسلامية التي تبصر بها آفاق الرحلة ، وتبقى لحظة النصر وبشارة التمكين حية شاخصة في رؤى المسلمين ومشاعرهم! وإن من فقد هذه الثقة بالله ونصره ، فقد خسر خسراناً مبيناً ، ومن تشكك فيها لحظة ، فقد تأخر عليه النصر على قدرها! وصدق الدكتور الحوالي عندما تناول النصر في محاضرته فقال: (إن النصر للإسلام ، وإن المستقبل لهذا الدين بإذن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ، وإن الله قد وعد عباده المؤمنين بالنصر ، كما قال تعالى: (إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ ، يَوْمَ لا يَنْفَعُ الظَّالِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ) ، وقال: (وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيز) ، وقال: (الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ). فالنصر - بإذن الله - والمستقبل للإسلام ، وما هذه المحنة إلا حلقة من محن كثيرة ومصائب كبيرة يحفل بها تأريخنا الإسلامي ، فأي صفحة من تأريخنا ليس فيها وقائع ومعارك وأعداء يتكالبون؟! أي صفحة من تأريخنا ليس فيها دماء وفتن ومصائب؟! وهذا هو قدر هذه الأمة ، وهذا هو ما أراده الله تبارك وتعالى لها! وهذه سنة الله عز وجل فيها ، فيبلوها ويبتلي بها. فهذه هي إرادة الله في الدنيا كلها قال تعالى: (وَلَوْلا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ) ، وقال: (وَلَوْلا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيراً).هـ. وإذن فلا يجب أن نقلق على مستقبل الإسلام والمسلمين بعد أن رسم الحوالي صورة النصر الحقيقية! لنعمل ونتعم وندعو ونصبر ونتواصى بالحق!)

30 - الظلم ظلمات يوم القيامة

(إن الحديث عن الظلم لا ينتهِيَ أبداً ، أما الظالمون فقد باعوا دينهم بدنيا غيرهم ، وغرتهم الحياة الدنيا. وأنا هنا أرسل رسالة شعرية لمظلوم ، بلغ الظالمون به مدىً ليس يعلم – إلا الله – حقيقته. وعلى الله جزاء الظالمين. وأما المظلومون فلهم الله ، الذي وعدهم بنصرة دعائهم. فماذا عليهم لو جدّوا في التصبر والاحتساب والدعاء؟ فإلى المظلوم سبب القصيدة ، وإلى كل مظلوم مؤمن موحد أهدي قصيدتي هذي ، آملا أن تُبصره بالطريق ، وتعطيه الأمل! والسبب في ذلك أن المظلوم يطول به الأمد ، فيظن من اليأس أن الظالم قد أفلتْ من عقاب الله الجبار! والأصل ليس كذلك ، بل الظالم يعيش فترة الإملاء والإمهال التي أعطاه الله إياها رجاء أن يتوب ويُنيب إليه.)

31 - العاشقة القتيلة

(كانت تؤمل دوام اللعب على عاشقيْن ثريين لتبتز وتستنزف ثروتيهما. فقتِلتْ في النهاية برصاص كل منهما. وسجلتْ قضيتها لعدم وضوح الأدلة بأنها ضد مجهول. والحقيقة أن كل من يلعب بالنار لا بد من أن يحترق في النهاية! وما أجمل الصدق والصراحة والاستقامة! إن الاستقامة على منهج الله ورسوله تكفل السعادة الحقيقية في الدنيا والآخرة! وصدق الله – سبحانه وتعالى -: (فاستقم كما أمرت) ، وصدق رسول الله – صلى الله عليه وسلم -: (قل آمنتُ بالله ، ثم استقم). فالاستقامة تضمن خيري الدنيا والآخرة!)

32 - العاشقة وجحيم العشق

(مازال بها التطلع إلى الرجال والأنس بحديثهم حتى أصيبتْ (هند) بمرض العِشق ، وتلظت في جحيمه. وبالغت في القرب من الرجال أكثر بالمصافحة. ففتنتْ لأن هذا الداءُ العضال والمرض القتَّال (العشق) قد انتشر انتشار النار في الهشيم ، لذا وجب علينا التحذير منه لأن التساهل فيه يجرّ إلى الفواحش والآثام ومُواقعة الحرام ، ويشغل القلوب عن علام الغيوب ، فالعشق أذاقهم العذاب الأليم ، كم أزال من نعمة ، وأحل من نقمة! فلو سألت النِّعَمَ ما الذي أزالَكِ؟ والهمومَ والأحزانَ ما الذي جَلَبَكِ؟ والعافيةَ ما الذي أَبْعَدَكِ؟ والسترَ ما الذي كشفك؟ والوجهَ ما الذي أذهب نورك؟ لأجابتك بلسان الحال: هذا بجناية العشق الحرام على أصحابه! وعندما امتُهنت عاشقة قصتنا وباتت سلعة بائرة رخيصة هجرها الكل فهجرتْهم فكتبتُ ألومها! وذلك بعد أن لفحها هجير العشق فجعل منها ألعوبة في أيدي الساقطين والعابثين وهواة العهر! من أشباه الرجال ، الذين كل هدفهم في الحياة إشباع الغريزة والشهوة كالبهائم والعجماوات!)

33 - العاشقة

(اعتاد ذلك المغترب – ككل مغترب - أن يرسل بالأموال لأم أولاده ، لتتخذ لهم بيتاً وتصنع لهم مستقبلاً. فإذا بها تخون زوجها المسافر ، وتخون أولادها الخمسة وتبدّد المال. ولم ترحم غربة زوجها ، ولا فقر أولادها. حتى إذا ما عاد زوجها طلبتْ منه الطلاق ، حتى تتفرغ للعشيق المحتال الذي أنفقت عليه المال ، وضيعتْ في سبيل عشقه زوجاً وأولاداً وبيتاً. وطلقها زوجها بالفعل إذ إنه علم بالحقيقة المرة. وتأيّم الأب من أجل الأولاد. وتزوّجت العاشقة الولهانة من عشيقها الذي رماها بعد حين. وذلك لأن هدفه منذ البداية كان اللعب والتلاعب فقط. وما هو إلا أن ذهبت الدنانير أدراج الرياح ، حتى كشّر لمعشوقته عن أنياب المواجهة والخذل والتخلي. إن الزوجة التي تلعب بنار الهزل ، لا بد وأن تحترق بنيرانها المحرقة! وماذا عليها وقد منَّ الله – عز وجل عليها بالزواج من رجل محترم يثق فيها ثقة عمياء لا حدود لها ، ثم منَّ الله – تبارك وتعالى – عليها بنعمة الأبناء ، ولم يبق إلا أن تستقيم وتحفظ غَيبة زوجها وتصنع المستقبل الموعود – جنباً إلى جنب – مع زوجها المخلص. ولكنه اللعب بالنار والمراهنة على العشق الحرام واتخاذ الخدين والمسافحة في نهاية المطاف! فعزيت الزوج المبتلى بهذه القصيدة. ويتساءل الأستاذ أبو فيصل البدراني في محاضرته: (الصبر على الابتلاء) ويجيب فيقول ما نصه: (ما الذي أخرج إبليس من ملكوت السماء؟ وطرده ولعنه ، ومسخ ظاهره وباطنه؟ فجعلت صورته أقبح صورة وأشنعها ، وباطنه أقبح من صورته وأشنع ، وبُدِّلَ بالقرب بعداً ، وبالرحمة لعنةً ، وبالجمال قبحاً وبالجنة ناراً تلظى ، وبالإيمان كفراً ، وبموالاة الولي الحميد

أعظم عداوة ومشاقة ، وبزجل التسبيح والتقديس والتهليل زجلَ الكفر والشرك والكذب والزور والفحش ، وبلباس الإيمان لباس الكفر والفسوق والعصيان؟ فهان على الله غاية الهوان ، وسقط من عينه غاية السقوط ، وحلّ عليه غضب الرب تعالى ، فأهواه ومقته أكبر المقت! وما الذي أغرق أهل الأرض كلهم؟ حتى علا الماء فوق رأس الجبال ، وما الذي سلط الريح العقيم على قوم عاد حتى ألقتهم موتى على وجه الأرض ، كأنهم أعجاز نخل خاوية؟ ودمرت ما مرَّ عليه من ديارهم وحروثهم وزروعهم ودوابهم؟ حتى صاروا عِبرة للأمم إلى يوم القيامة؟ إنها المعاصي!).هـ.)

34 ـ العاصفة

(تزوجها يحسبها صالحة ، فإذا بها غير ذلك. فكانت حياته معها كالبحر مداً وجزراً ، في أول الطريق. ثم تحولتِ إلى عاصفةٍ لا تهدأ ، ومداً لا يتحول. ولله دَرّ من وصف الدنيا قائلاً: (الدنيا دار ابتلاء ، فهي بمثابة المكان الذي يجري فيه الاختبار ، وهي أيضاً الزمن المقرر لهذا الاختبار! أما مجالات هذا الاختبار ، ومواد ذلك الامتحان ، فتتلخص فيما على هذه الأرض من ثروات ومنتجات وزينة وما يجري فوقها من عمران ، يقول تعالى: {إِنَّا جَعَلْنا ما عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَها لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا}. والابتلاء يكون أيضاً في الأنفس من نحو الصحة والسقم ، والقوة والضعف ، والسعادة والشقاوة ، كما يكون في الأموال من نحو الفقر والغنى ، والعوز والرفاهية).)

35 ـ العدل أساس الملك

(السلطان محمود بن سبكتكين الغرنوي مناقبه كثيرة ، ومنها قتله لابن أخته. حيث اشتكى رجلٌ إلى السلطان محمود أن ابن أخت السلطان يقتحم بيته فيخرج الرجل من بيته ، ويختلي بامرأته ، وقد اشتكى الرجل إلى أولياء الأمور ، فهابوا هذا الظالم الفاسد لمكانته عند السلطان ، فتأثر السلطان محمود من هذا الخبر ، وقال للرجل ويحك! متى جاء بادر بإعلامي ، ولا تلتفتْ إلى من يمنعك عن الوصول إليّ ، وأمر السلطان الحَجَبة بالسماح له متى جاء ليلاً أو نهاراً. فذهب الرجل ، فما كان غير ليلتين أو ثلاث ، حتى هجم عليه ذلك الشاب ، فأخرجه واختلى بأهله ، فذهب باكياً إلى دار السلطان ، فقيل له: إن الملك نائم ، فقال: قد تقدم إليكم بما علمتم ، فأنبهوه فاستيقظ وخرج معه بنفسه وجاء إلى منزله ، فنظر إلى الغلام وتأكد من إتيانه الفاحشة بالإكراه فقتله بنفسه. وله قصة عجيبة مع الهنود ـ عندما فتح الهند – مع الصنم (سومَنات) ، حيث كان هذا الصنم الحقير أعظم أصنام الهند قاطبة ، وكانوا يعتقدون أنه يحيي ويميت ، ويقصدونه من بلاد بعيدة جداً ، وافتتنت به أمم لا تحصى ، ولم يبق ملك ، ولا ذو ثروة إلا وقد قرّب له قرباناً من نفيس ماله ، حتى بلغت أوقافه عشرة آلاف قرية وامتلأت خزائنه من أصناف الأموال والجواهر. وكان عند هذا الصنم ألف رجل من البراهمة يخدمونه! وثلاثمائة رجل يحلقون رؤوس الحجاج إليه ولحاهم عند القدوم ، وثلاثمائة رجل وخمسمائة امرأة يغنون ويرقصون عند بابه. وكان بين أدنى بلاد الإسلام إليه ، والقلعة التي فيها الوثن كمسيرة شهر في صحراء ملتهبة ، في غاية المشقة والصعوبة! ولما دخل السلطان محمود هيكل الصنم سومنات ، وجد حوله من أصناف أصنام الذهب والفضه ، المرصعة بالجواهر شيئاً كثيراً محيطاً بعرشه ، والسدنة يزعمون أنها الملائكة ، ووجد في أذنيه نيفاً وثلاثين حلقة ،

فسألهم محمود عن معنى ذلك؟ فقالوا: كل حلقةٍ عبادة ألف سنة! فأحرق هذه الأصنام ، وكسر ما يكسر منها وترك هذا المعبد قاعاً صفصفاً. وكان لهذا الصنم أثر بارز في الأدب الفارسي ، وغيره من آداب الهنود ، واستمر هذا التأثير حقباً عديدة ، ، حتى بعد تحطيم الصنم ، ، فهذا سعدي الشيرازي ، الشاعر المشهور ، يجري حديثاً طويلاً حول هذا الوثن ، ويشير إليه غير مرة شعراً ونثراً ، وسعدي ولد بعد حرق الصنم بقرن وثلثي قرن. وكان السلطان محمود طالما سمع عنه ، وتطلع إلى تدميره ، حتى بلغه أن الهنود قالوا: خرّب أكثرَ بلاد الهند غضبُ الصنم الكبير سومنات على سائر الأصنام ، فعزم على غزو هذا الوثن الذي كان يغسل كل يوم بماء وعسل ولبن؟! وينقلون إليه الماء من نهر على مسيرة شهر. يقول الأستاذ المؤرّخ تامر بدر في ذلك ما نصه: (ظلَّ فتح الهند حُلْمًا كبيرًا يُراود الخلفاء والسلاطين طيلة أربعة قرون ؛ إلى أن يسَّر الله فتح الشمال الهندي كله ، ومهَّدَ الطريق للفاتحين من بعده على يد بطلنا السلطان المجاهد محمود بن سبكتكين ؛ حيث قاد محمود بن سبكتكين ست عشرة حملة عسكرية إلى شمال الهند ؛ فقضى على ملوكها الواحد تلو الآخر ؛ فقاد حملة ضدَّ الملك الهندي جايبال وذلك سنة (392هـ = 1001م) ؛ وكان أكبر ملوك الهند على الإطلاق ، وأكبر عقبة في وجه الدعوة الإسلامية ، وقاد – أيضًا - حملة ضد الملك انندبال سنة (398هـ = 1007م) ، وواجه الملك ناكر كوت سنة (400هـ = 1009م) وألزمه بدفع الجزية ، وواجه – أيضًا - الملك راجا ناندا سنة (410هـ = 1019م) وأدَّت تلك المعركة إلى انتشار واسع للإسلام في منطقة كالنجار ، وكان قد قضى على ملك الكجرات بيدا سنة (409هـ = 1018م). كانت هذه الفتوح بفضل الله أولاً ثم بفضل سلاح الفرسان الذي أنشأه محمود بن سبكتكين ؛ الذي وصل عدده - في رواية بعض المؤرِّخين العرب والمستشرقين - إلى مائة ألف فارس مسلَّحِين بأحدث وأفضل الأسلحة ، وسلاح الفيلة الذي كان السلاح الرئيسي في معارك المسلمين في الهند ، وكان السلطان محمود بن سبكتكين يهتمُّ بهذا السلاح إلى حدٍّ كبير ؛ حتى إنه لربما يُصالح بعض ملوك الهند مقابل عدد من الفيلة. ظلَّ السلطان محمود منتصرًا في معاركه ضدَّ الهنود منتقلاً من نصر إلى نصر ، وكان السلطان محمود الغزنوي كلَّما هدم صنمًا ، قالت الهنود: «إن هذه الأصنام والبلاد قد سخط عليها الإله سومنات ؛ ولو أنه راضٍ عنها لأهلك مَنْ قصدها بسوء». فسأل السلطان محمود عن سومنات هذا؟ فقيل له: «إنه أعظم أصنام الهنود». وكان الهنود يحجُّون إلى هذا الصنم ليلة خسوف القمر ؛ فتجتمع إليه عوالم لا تُحصى ، وكان الهنود يزعمون أن الأرواح بعد الموت تجتمع إليه ، فيبثّها فيمَنْ يشاءُ بِنَاءً على التناسخ ، وكان المدُّ والجزر عندهم هو عبادة البحر لسومنات ، وكانوا يقذفون إليه كلَّ نفيسٍ ، وكانت ذخائرهم كلها عنده ، وكانت له أوقاف تزيد على عشرة آلاف ضيعة ، وكان يقوم عند الصنم ألف رجل في كلِّ يوم للعبادة ، وثلاثمائة لحلق رءوس الزوَّار ولحاهم ، وثلاثمائة رجل وخمسمائة امرأة يُغَنُّون ويرقصون ، فعزم السلطان محمود على هدم هذا الصنم ، وقاد جيوشه بنفسه إلى أن وصل إلى سومنات. عرض الهنود على السلطان محمود بن سبكتكين أموالًا جزيلة ليترك لهم هذا الصنم الأعظم ، فقال: «حتى أستخير الله عز وجل». فلمَّا أصبح قال: «إني فكَّرْتُ في الأمر الذي ذُكِرَ فرأيتُ أنه إذا نُوديتُ يوم القيامة: أين محمود الذي كسر الصنم؟ أَحَبُّ إليَّ من أن يُقال: الذي ترك الصنم لأجل مال يناله من الدنيا». وفي ذي القعدة 416هـ = يناير 1026م انتصر المسلمون على الهنود! وقد قُتل من الهنود خمسون ألفًا كانوا يُدَافِعُون عن سومنات ، ودخل محمود المعبد وحطَّم الصنم ، فوجد عليه وفيه من الجواهر والذهب والجواهر النفيسة ما يزيد على ما أنفقه في الحملة بأضعاف مضاعفة ، وكانت عنده خزانة فيها عدد كثير من الأصنام ذهبًا وفضة عليها ستور معلقة بالجوهر منسوجة بالذهب تزيد قيمتها على عشرين ألف ألف دينار).هـ.)

36 - العذراءُ والقلم التائه

(كاتبة شابة أيّم ، كانت لها مجلة حوائية راحت تنادي بما يخدش الحياء ، ويُزري بالمرأة ، وتزعم أنها تدافع عن حقوق المرأة بقلمها التائه! وساعة يتوه القلم عن رسالته ، يخبط خبط عشواء ، فيتبنى الهراء والضلال والسخافات والحماقات! ويستلمه الشيطان ، فيلقى في روع الممسك به ما يشاء! وتكون الفتنة في الأرض ، عندما يعدم ذلك القلم من يرد عليه ، ويوقفه عند حده بالحجة والبرهان! فحاسب الله عسيراً من كمّموا الأفواه وكسّروا الأقلام ، فراجت فتنة الجهلاء والعملاء والمرتزقة في الأرض ، بلا زاجر ولا رادع! وإنه قبل سنوات ما كانت تستطيع مثل هذي أن تتجرأ هكذا! لأنها ستجد من يردّ عليها عاجلاً!)

37 - العروس ودموع الفرح

(دمعتْ عينا هذي العروس الفلسطينية المؤمنة ، عندما استشهد العريس في الجهاد. فكانت دموعها دموع الفرح. فبعد أن رتب العائلتان - عائلة العريس وعائلة العروس – كل شيء يتعلق بالعُرس ، إذا بالأخبار الموثقة بأن العريس آثر الرفيق الأعلى والجنة ، ليتزوج من الحور العين هناك – نحسبه ولا نزكي على الله ربنا أحداً – فإذا بالدموع تغمر عيني العروس! وعلى حد قولها: إن هذي الدموع ليست دموع حزني عليه بقدر ما هي دموع فرحي له! وإلا فإننا جميعاً سوف نموت ، وإن من عمّر سوف يموت ، وإن من لم يعمّر سوف يموت ، وإنها لقصيرة تلك الحياة! لقد كان يوم استشهاده هو يوم عرسه الحقيقي!)

38 - العزة بالعلم

(في إحدى المشادات الكلامية ، استهجن حفنة من البُله موقف رجل محترم كان قد اعتز بعلمه على الجهلاء. فلم يسمح لنفسه أبداً بالهبوط إلى مستوى السفول والسباب والشتائم قط ، وإن تطاول غيره بذات الأساليب ، فكانت عزة بالعلم لا تباري. إن الناظر في الواقع لا بد من أن يعرف ويخرج بنتيجة واضحة وهي: أن الناس جُلهم لا يمكن أن يكونوا طلبة علم. فهناك اختلافات في السن والوظيفة والدراسة. فمنهم من يدرس الطب والهندسة ، ومنهم من يدرس الشريعة ، وحتى في الذكاء والفطنة والرغبة والميول يتفاوتون ، وفي التفرغ منهم من يكون عزباً عمله قصير ، أو جدوله قليل ، ومنهم من يكون صاحب أسرة وأولاد ، وقد يعمل عملاً إضافياً ، وهذه القيود من التفرغ والتخصص والتفاوت في القدرات العقلية!)

39 - العقد الذي انفرط

(هكذا عنون لقصته الأستاذ / علي مدني الخطيب في عدد مجلة (الشقائق – 72) . والتي يتحدث فيها عن امرأة تزوجت من رجل كان يبر أمه التي مكثت في العناية المركزة بالمستشفى ، وكان يصل خالته التي هي بمنزلة أمه ، ويبر أبناء أخيه الذين مات أبوهم شهيداً. فإذا بالزوجة تستنكر عليه ذلك ، وماهي إلا أن اتصلت بأخيها الأكبر الذي ساهم في حل مشكلتها على طريقة الأنانيين الجبناء إذ حمّل معها حقائبها ، وأخذها من بيت زوجها ، وأولادها معها. فبدلاً من أن يتدخل لحل المشكلة والتحقيق فيها وتعريف كل طرف فيها (الزوج وزوجته) ما له وما عليه (شأن كِرام الرجال وحكمائهم) ، أو دعوة آخرين قادرين على ذلك إن كان هو لا يستطيعه ، عمد إلى طريقة العاجزين الأنانيين المخبّبين الذين قد يُصَعّد النذل منهم المسألة

بكشف طبي ومذكرة توقيف ودعوة مدنية في المحكمة تنتهي غالباً بالطلاق ، وحديث نبينا – صلى الله عليه وسلم – عن مبدأ التخبيب والمخببين واضح جداً: (من خبب امرأة على زوجها فليس منا). وإذن فأخوها أخذها وأولادها إلى داره. وأما زوجها فانهمرتْ دموعه على هذا الحال. وطال بالزوجة الفراقُ ومعها الأولاد هناك في بيت أخيها الخذول. ثم رأت رؤيا أن معها عقداً جميلاً ثم انفرطتْ حباته فراحت تجمعها. فاستيقظتْ على رجوع أبنائها من زيارة أبيهم محمّلين بالهدايا والنقود ، وأخذوا يحكون لها عن أبيهم ومدى فرحته بهم. وإذا بسؤال تطرحه ابنتها بكل براءة: متى تعودين للبيت يا أمي؟ فلما طالعتُ القصة انفعلتُ لها ، ورحتُ أستهجن هذا السلوك المزري المنحط المفسد لذات البين بين الزوجين ، هذا السلوك الذي ما أريد به وجه الله – عز وجل – قط. والأصل أن الصهر يتدخل عند الخلاف لإزالة المشاكل وتزليل الصعاب ، لا ليضخم المشاكل وليصعد المعضلات. والخلاف سُنة ماضية وباقية .ولو كان هناك بيت يخلو من الخلاف لخلا بيت النبي محمد – صلى الله عليه وسلم –. ومن هنا يتفاضل الأصهار ، فصهر كالماء والهواء لا غنى عنهما في هذه الحياة أبداً ، وهذا جدير بالمحبة والاحترام ، والسر في ذلك أنه كالعافية للجسد لا يتصور أن يعيش بدونها ، ذلك أنه بشخصيته المثالية الكريمة يتميز بخصائص منها أنه إن وجد خيراً أشاعه وأذاعه في الناس افتخاراً بزوج ابنته أو أخته ، وإن وجد شراً حذر ونصح ووعظ وستر ، ويتنازل عن الحقوق الفردية الشخصية من أجل الحق العام ، ويفوّت المصلحة الذاتية من أجل المصلحة العامة ، ويضع نصب عينيه مصلحة ابنته وأبنائها وزوجها مضحياً في سبيل المحافظة على هذه المصلحة الغالي والنفيس محتسباً عند الله تعالى الأجر والمثوبة. والحقيقة أن مثل هذا النوع من الأصهار يعتز به وبمعرفته وبصداقته وبصحبته ، ويُتنازل من أجله عن الغالي والنفيس ويُفدى بالنفس والروح والمال. وهناك على النقيض من ذلك والعياذ بالله: صهر كالنار الحامية التي تحرق من يقترب منها! فهو شخصية إقصائية انتهازية انتفاعية خسيسة أنانية ، إن وجد خيراً كتمه ونفر منه وزهد فيه وأهدر قيمته ، وإن وجد شراً نشره ، وأفسد ذات البين غير متقياً رباً وغير مراع حُرمة وغير معظم كرامة ، هتاكاً للأعراض مغتاباً نمّاماً مشوهاً لصورة زوج ابنته أو أخته ، فهذا البُعد عنه غنيمة عظيمة باردة لمن استطاعه ، وإلا كانت المداراة والمحايدة إلى حين. والنبي عليه الصلاة والسلام أجاز الكذب للذي ينمي خيراً ويقول خيراً ، قال ابن شهاب: ولم أسمع أنه يرخص في شيء مما يقول الناس كذبٌ إلا في ثلاث الحرب ، و الإصلاح بين الناس ، وحديث الرجل امرأته ، وحديث المرأة زوجها. كان عليه الصلاة والسلام يذكّر أحياناً الطرفين بالحقوق ، فعن الحصين بن محصن أن عمة له أتت النبي صلى الله عليه وسلم في حاجة ، ففرغت من حاجتها ، فقال لها النبي صلى الله عليه وسلم: (أذات زوجٍ أنت؟) قالت: نعم. قال: (كيف أنت منه؟) أي: في أي منزلة ، (والمعنى هل أنت قريبة من مودته ، مشفقة أو متباعدة متمردة ، هل أنت محسنة له متلطفة معه أم كافرة بعشرته) ، قالت: ما آلوه إلا ما عجزت عنه. أي: لا أقصر في حقه إلا ما لم أقدر عليه ، قال: (فانظري أين أنت منه ، فإنه جنتك ونارك). والنبي صلى الله عليه وسلم قدوتنا ، وقد سعى في ذلك فجاء عليه الصلاة والسلام مرة إلى بيت فاطمة ، فلم يجد علياً فأحس بشيء فلم يقل لفاطمة أين زوجك؟ وإنما قال: أين ابن عمك؟ فسأل عن المنزلة والقرابة ، قالت: كان بيني وبينه شيء فغاضبني فخرج ولم يقل عندي ، أي: القيلولة لم تكن عندي ، فماذا فعل النبي صلى الله عليه وسلم بعدما أشار إليها من طرف خفي إلى حفظ العلاقة ؛ لأنه من الأقارب والأرحام ، سأل عن علي أين هو؟ فأخبره إنسان أن علياً

في المسجد راقد ، فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعليٌ مضطجع ، قد سقط رداؤه عن شقه ، وأصابه ترابٌ ، فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يمسحه عنه ويقول: (قم أبا تراب ، قم أبا تراب). وباتت هذه الكنية (أبو تراب) محببة لعلي بن أبي طالب منذ ذلك اليوم! وكان النبي صلى الله عليه وسلم يتدخل شافعاً لإعادة العلاقات بين الأزواج ، فقد كانت بريرة زوجة لمغيث ، وكانا في الرق ، فعتقت بريرة ، وصار الحكم أنه يجوز لها فراقه إذا أرادت عدم الاستمرار مع زوجها الذي لا زال في الرق ، وكان متعلقاً بها جداً ، وكانت لا تطيقه ، فجعل يطوف خلفها يبكي ، ودموعه تسيل على لحيته ، وفي رواية: يتبعها في سكك المدينة يبكي عليها ، فشفع النبي صلى الله عليه وسلم عندها أن ترجع إليه وقال لها: (لو راجعته) يعرض عليها وفي رواية: (لو راجعتيه ، فإنه أبو ولدك) قالت: يا رسول الله أتأمرني؟ قال: (إنما أنا شفيع)! فليس أمراً وإلا لوجبت الإجابة والطاعة ، قالت: فلا حاجة لي فيه ، لو أعطاني كذا وكذا ما كنت عنده.)

40 - العقيدة لا تتطور البتة

(لقد زين إبليس لبعض الكُتاب أن العقيدة تتطور. بمعنى أن الإنسان عبد الحجر والشجر والطوطم والقبيلة والنجوم والكواكب ، ثم الآلهة المتعددة ثم (الله) في النهاية. ففي كتاب (الله) للعقاد ، وكتاب (الله والإنسان) لمصطفى محمود ، ومثل ذلك لبعض الكُتاب الذين هم على نفس الرؤية والتصور ، أقول بأن في كتابات هؤلاء ما يشير إلى هذا بوضوح. والحقيقة أن العقيدة من عهد آدم ونوح – عليهما السلام - وإلى أن تقوم الساعة لا تتطور ولا تتبدل. يعبد المسلم ربه ، ويتبع أوامره التي جاء بها نبيه. وأزيد الأمر وضوحاً فأقول بأن علماء في الساحة هم علماء الأديان المقارنة قد ذهبوا إلى أن عقيدة التوحيد قد مرتْ بأطوار شتى من التعدد والتثنية والتثليث للآلهة ، مروراً بتأليه قوى الطبيعة والأرواح والكواكب والنجوم إلى غير ذلك من الأوثان والأصنام. ففي كتاب (الله) الذي أسلفت يقول العقاد:(ترَقى الإنسان في العقائد كما ترقى في العلوم والصناعات. فكانت عقائده الأولى مساوية لحياته الأولى ، وكذلك كانت علومه وصناعته. فليست أوائل العلم والصناعات بأرقى من أوائل الديانات والعبادات. وليست عناصر الحقيقة في واحدة منها بأوفر من عناصر الحقيقة في الأخرى. وهذه بديهية واضحة).هـ. ثم يقول في فصل (أطوار العقيدة الإلهية) من ذات الكتاب: (يعرف علماء مقابلة الأديان ثلاثة أطوار مرت بها الأمم البدائية في اعتقادها بالآلهة بل والأرباب وهي: دور التعدد ودور التميز والترجيح ، ثم بعد ذلك دور الوحدانية. ففي دور التعدد كان الناس يتخذ كل منهم الأرباب بالعشرات إلى المئات. وفي الدور الثاني يرجح الناس عدداً محدوداً من الأرباب. وفي الدور الثالث تتوحد الأمة على عبادة إله واحد وتنزل الآلهة المطرودة إلى مرتبة الملائكة).هـ. وواضح من كلام العقاد أن الناس هم الذين ينشئون عقيدتهم. والصواب أن العقيدة هي التي جاء بها رسول من رسل الله أو نبي من أنبيائه بوحي إلهي. لا كما يقول هؤلاء. ولو تأملنا تاريخ الإسلام والإيمان على هذه الأرض لوجدنا الأمر هكذا من عهد آدم ونوح وحتى محمد - صلى الله عليه وسلم -. العقيدة والتوحيد والتشريع والعبادة كلها أوحاها الله لأنبيائه ، ثم الأنبياء بلغوا الخلق ، فمنهم من اتبع الأنبياء فيما جاؤوا به ، وعمل بمقتضاه مخلصاً دينه لله ، فهؤلاء هم المسلمون. ومن الناس من عصى الأنبياء ، وخالف عن أوامرهم وخالف منهجهم ، وهؤلاء هم الكفار. ولم تكن العقيدة يوماً ما من ابتكار الإنسان. والمؤلف المسلم يجب أن لا

يتبع غير المسلمين في مثل هذا الضلال. بل بالعكس يجب عليه أن يصحّح هذه الآراء المنحرفة ، ويثبت للناس قدم العقيدة التوحيدية. وأن هذه العقيدة قد جاء بها أنبياء الله ورسله مبلغين عن الله تعالى. وليس الإنسان هو الذي تطور بمحض عقله وصنع دينه. إنني أهيب بمن انزلقوا إلى القول بتطور العقيدة ، ذلك المنزلق الكفري الشركي الآسن ، أن يتوبوا إلى الله تعالى. أما من مات كالعقاد ومصطفى محمود فقد أفضى كل منهما إلى ما قدم. ولكنني أحاكم فكراً حوتْه بعض كتبهما كما أحاكم أقواماً يقولون بما ذهبا إليه.)

41 - العنبة الطافية

(لقد وصف لنا النبي ﷺ الدجال كأننا نراه رأي العين. روى البخاري أن النبي ﷺ قال: «إن الله تعالى ليس بأعور ، ألا وإن المسيح الدجال أعور العين اليمنى ، كأن عينه عنبة طافية». وروى مسلم أن النبي ﷺ قال: «الدجال أعور العين اليسرى جُفالُ الشعر ، معه جنة ونار ، فناره جنة ، وجنته نار». وروى أحمد وأبو داود (والحديث صحيح) أن الرسول ﷺ قال: «إني حدثتكم عن الدجال حتى خشيت أن لا تعقلوا ، إن المسيح الدجال رجل قصير أفحجُ جَعْدٌ أعور مطموس العين ليست بناتئة ولا حجراء ، فإن ألبس عليكم فاعلموا أن ربكم ليس بأعور ، وأنكم لن تروا ربكم». إن قصيدتي هذي عن الدجال تحمل في طياتها البشارة التي تنبئ أنه هالك لا محالة مهما علا باطله في الأرض بغير الحق. وذلك عندما ينزل المسيح الحق عيسى ابن مريم عليه السلام ، ويقتل الخنزير ويضع الجزية عن أهل الكتاب فليس يقبل منهم إلا الإسلام أو القتال ويكسر المسيح الصليب ويقتل المسيح الدجال. عن فاطمة بنت قيس رضي الله عنها قالت: (سَمِعْتُ نِدَاءَ الْمُنَادِي ، مُنَادِى رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم ، يُنَادِي (الصَّلاَةَ جَامِعَةً). فَخَرَجْتُ إِلَى الْمَسْجِدِ فَصَلَّيْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم ، فَكُنْتُ فِي صَفِّ النِّسَاءِ الَّتِي تَلِى ظُهُورَ الْقَوْمِ ، فَلَمَّا قَضَى رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم صَلاَتَهُ جَلَسَ عَلَى الْمِنْبَرِ وَهُوَ يَضْحَكُ ، فَقَالَ: « لِيَلْزَمْ كُلُّ إِنْسَانٍ مُصَلاَّهُ ». ثُمَّ قَالَ: «أَتَدْرُونَ لِمَ جَمَعْتُكُمْ»؟ قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: «إِنِّى وَاللَّهِ مَا جَمَعْتُكُمْ لِرَغْبَةٍ وَلاَ لِرَهْبَةٍ ، وَلَكِنْ جَمَعْتُكُمْ لأَنَّ تَمِيماً الدَّارِيّ كَانَ رَجُلاً نَصْرَانِيًّا فَجَاءَ فَبَايَعَ وَأَسْلَمَ ، وَحَدَّثَنِي حَدِيثاً وَافَقَ الَّذِى كُنْتُ أُحَدِّثُكُمْ عَنْ مَسِيحِ الدَّجَّالِ ، حَدَّثَنِي أَنَّهُ رَكِبَ فِي سَفِينَةٍ بَحْرِيَّةٍ مَعَ ثَلاَثِينَ رَجُلاً مِنْ لَخْمٍ وَجُذَامَ ، فَلَعِبَ بِهِمُ الْمَوْجُ شَهْراً فِي الْبَحْرِ ، ثُمَّ أَرْفَأُوا (أي: التجأوا) إِلَى جَزِيرَةٍ فِي الْبَحْرِ حَتَّى مَغْرِبِ الشَّمْسِ ، فَجَلَسُوا فِي أَقْرُبِ السَّفِينَةِ (وهي سفينة صغيرة تكون مع الكبيرة كالجنيبة يتصرف فيها ركاب السفينة لقضاء حوائجهم ، الجمع قوارب والواحد قارب). فَدَخَلُوا الْجَزِيرَةَ فَلَقِيَتْهُمْ دَابَّةٌ أَهْلَبُ (أي: غليظ الشعر) كَثِيرُ الشَّعَرِ ، لاَ يَدْرُونَ مَا قُبُلُهُ مِنْ دُبُرِهِ مِنْ كَثْرَةِ الشَّعَرِ ، فَقَالُوا: وَيْلَكِ مَا أَنْتِ؟ فَقَالَتْ: أَنَا الْجَسَّاسَةُ (قيل سميتْ بذلك لتجسسها الأخبار للدجال). قَالُوا: وَمَا الْجَسَّاسَةُ؟ قَالَتْ: أَيُّهَا الْقَوْمُ! انْطَلِقُوا إِلَى هَذَا الرَّجُلِ فِي الدَّيْرِ فَإِنَّهُ إِلَى خَبَرِكُمْ بِالأَشْوَاقِ. قَالَ لَمَّا سَمَّتْ لَنَا رَجُلاً فَرِقْنَا (أي خفنا) مِنْهَا أَنْ تَكُونَ شَيْطَانَةً ، قَالَ فَانْطَلَقْنَا سِرَاعاً حَتَّى دَخَلْنَا الدَّيْرَ ، فَإِذَا فِيهِ أَعْظَمُ إِنْسَانٍ رَأَيْنَاهُ قَطُّ خَلْقاً ، وَأَشَدُّهُ وِثَاقاً ، مَجْمُوعَةٌ يَدَاهُ إِلَى عُنُقِهِ مَا بَيْنَ رُكْبَتَيْهِ إِلَى كَعْبَيْهِ بِالْحَدِيدِ ، قُلْنَا: وَيْلَكَ مَا أَنْتَ؟ قَالَ: قَدْ قَدَرْتُمْ عَلَى خَبَرِي ، فَأَخْبِرُونِي مَا أَنْتُمْ؟ قَالُوا: نَحْنُ أُنَاسٌ مِنَ الْعَرَبِ ، رَكِبْنَا فِي سَفِينَةٍ بَحْرِيَّةٍ ، فَصَادَفْنَا الْبَحْرَ حِينَ اغْتَلَمَ (أي هاج) ، فَلَعِبَ بِنَا الْمَوْجُ شَهْراً ، ثُمَّ أَرْفَأْنَا إِلَى جَزِيرَتِكَ هَذِهِ ، فَجَلَسْنَا فِي أَقْرُبِهَا ، فَدَخَلْنَا الْجَزِيرَةَ فَلَقِيَتْنَا دَابَّةٌ أَهْلَبُ كَثِيرُ الشَّعَرِ لاَ يُدْرَى مَا قُبُلُهُ مِنْ دُبُرِهِ مِنْ كَثْرَةِ الشَّعَرِ ، فَقُلْنَا: وَيْلَكِ مَا أَنْتِ؟ فَقَالَتْ: أَنَا الْجَسَّاسَةُ. قُلْنَا: وَمَا

الْجَسَّاسَةُ؟ قَالَتِ: اعْمِدُوا إِلَى هَذَا الرَّجُلِ فِي الدَّيْرِ فَإِنَّهُ إِلَى خَبَرِكُمْ بِالْأَشْوَاقِ. فَأَقْبَلْنَا إِلَيْكَ سِرَاعاً وَفَزِعْنَا مِنْهَا ، وَلَمْ نَأْمَنْ أَنْ تَكُونَ شَيْطَانَةً ، فَقَالَ: أَخْبِرُونِي عَنْ نَخْلِ بَيْسَانَ. قُلْنَا: عَنْ أَيِّ شَأْنِهَا تَسْتَخْبِرُ؟ قَالَ: أَسْأَلُكُمْ عَنْ نَخْلِهَا هَلْ يُثْمِرُ؟ قُلْنَا لَهُ: نَعَمْ. قَالَ: أَمَا إِنَّهُ يُوشِكُ أَنْ لاَ تُثْمِرَ. قَالَ: أَخْبِرُونِي عَنْ بُحَيْرَةِ الطَّبَرِيَّةِ؟ قُلْنَا: عَنْ أَيِّ شَأْنِهَا تَسْتَخْبِرُ؟ قَالَ: هَلْ فِيهَا مَاءٌ؟ قَالُوا: هِي كَثِيرَةُ الْمَاءِ. قَالَ: أَمَا إِنَّ مَاءَهَا يُوشِكُ أَنْ يَذْهَبَ. قَالَ: أَخْبِرُونِي عَنْ عَيْنِ زُغَرَ؟ (وهي بلدة تقع في الجانب القبلي من الشام) قَالُوا: عَنْ أَيِّ شَأْنِهَا تَسْتَخْبِرُ؟ قَالَ: هَلْ فِي الْعَيْنِ مَاءٌ؟ وَهَلْ يَزْرَعُ أَهْلُهَا بِمَاءِ الْعَيْنِ؟ قُلْنَا لَهُ: نَعَمْ ، هِي كَثِيرَةُ الْمَاءِ ، وَأَهْلُهَا يَزْرَعُونَ مِنْ مَائِهَا. قَالَ: أَخْبِرُونِي عَنْ نَبِيِّ الأُمِّيِّينَ مَا فَعَلَ؟ قَالُوا: قَدْ خَرَجَ مِنْ مَكَّةَ وَنَزَلَ يَثْرِبَ. قَالَ: أَقَاتَلَهُ الْعَرَبُ؟ قُلْنَا: نَعَمْ. قَالَ: كَيْفَ صَنَعَ بِهِمْ؟ فَأَخْبَرْنَاهُ أَنَّهُ قَدْ ظَهَرَ عَلَى مَنْ يَلِيهِ مِنَ الْعَرَبِ وَأَطَاعُوهُ ، قَالَ لَهُمْ: قَدْ كَانَ ذَلِكَ؟ قُلْنَا نَعَمْ. قَالَ: أَمَا إِنَّ ذَاكَ خَيْرٌ لَهُمْ أَنْ يُطِيعُوهُ ، وَإِنِّي مُخْبِرُكُمْ عَنِّي ، إِنِّي أَنَا الْمَسِيحُ ، وَإِنِّي أُوشِكُ أَنْ يُؤْذَنَ لِي فِي الْخُرُوجِ ، فَأَخْرُجَ فَأَسِيرَ فِي الأَرْضِ فَلاَ أَدَعَ قَرْيَةً إِلاَّ هَبَطْتُهَا فِي أَرْبَعِينَ لَيْلَةً غَيْرَ مَكَّةَ وَطَيْبَةَ فَهُمَا مُحَرَّمَتَانِ عَلَيَّ كِلْتَاهُمَا ، كُلَّمَا أَرَدْتُ أَنْ أَدْخُلَ وَاحِدَةً أَوْ وَاحِداً مِنْهُمَا اسْتَقْبَلَنِي مَلَكٌ بِيَدِهِ السَّيْفُ صَلْتاً يَصُدُّنِي عَنْهَا ، وَإِنَّ عَلَى كُلِّ نَقْبٍ مِنْهَا مَلاَئِكَةً يَحْرُسُونَهَا. قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم ـ وَطَعَنَ بِمِخْصَرَتِهِ فِي الْمِنْبَرِ ـ: «هَذِهِ طَيْبَةُ هَذِهِ طَيْبَةُ هَذِهِ طَيْبَةُ». يَعْنِي الْمَدِينَةَ «أَلاَ هَلْ كُنْتُ حَدَّثْتُكُمْ ذَلِكَ؟» فَقَالَ النَّاسُ: نَعَمْ. « فَإِنَّهُ أَعْجَبَنِي حَدِيثُ تَمِيمٍ أَنَّهُ وَافَقَ الَّذِى كُنْتُ أُحَدِّثُكُمْ عَنْهُ وَعَنِ الْمَدِينَةِ وَمَكَّةَ ، أَلاَ إِنَّهُ فِي بَحْرِ الشَّامِ أَوْ بَحْرِ الْيَمَنِ ، لاَ بَلْ مِنْ قِبَلِ الْمَشْرِقِ ما هُوَ ، مِنْ قِبَلِ الْمَشْرِقِ مَا هُوَ ، مِنْ قِبَلِ الْمَشْرِقِ مَا هُوَ»! (قال القاضي: لفظة (ما هو) زائدة ، صلة للكلام ، ليست بنافية ، والمراد إثبات أنه فِي جهات المشرق) وَأَوْمَأَ بِيَدِهِ إِلَى الْمَشْرِقِ. قَالَتْ: فَحَفِظْتُ هَذَا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم)؟ رواه مسلم في صحيحه ، فهو حديث صحيح ، رواه أهل العلم فِي كتبهم ، من طريقين عن فاطمة بنت قيس رضي الله عنها وقال الترمذي رحمه الله: هذا حديث صحيح غريب انتهى. وقال ابن عبد البر في الاستذكار: ثابت صحيح من جهة الإسناد والنقل انتهى. عن النَّوَّاسِ بن سَمْعَانَ رضي الله عنه قال: ذَكَرَ رسول اللَّهِ صلى الله عليه وسلم الدَّجَّالَ ذَاتَ غَدَاةٍ ، فَخَفَّضَ فيه وَرَفَّعَ ، حتى ظَنَنَّاهُ في طَائِفَةِ النَّخْلِ فلما رُحْنَا إليه عَرَفَ ذلك فِينَا فقال: ما شَأْنُكُمْ؟ قُلْنَا: يا رَسُولَ اللَّهِ ذَكَرْتَ الدَّجَّالَ غَدَاةً ، فَخَفَّضْتَ فيه وَرَفَّعْتَ حتى ظَنَنَّاهُ في طَائِفَةِ النَّخْلِ ، فقال: غَيْرُ الدَّجَّالِ أَخْوَفُنِي عَلَيْكُمْ ، إن يَخْرُجْ وأنا فِيكُمْ فَأَنَا حَجِيجُهُ دُونَكُمْ ، وَإِنْ يَخْرُجْ وَلَسْتُ فِيكُمْ فَامْرُؤٌ حَجِيجُ نَفْسِهِ ، وَاللَّهُ خَلِيفَتِي على كل مُسْلِمٍ ، إنه شَابٌّ قَطَطٌ عَيْنُهُ طَافِئَةٌ كَأَنِّي أُشَبِّهُهُ بِعَبْدِ العزي بن قَطَنٍ ، فَمَنْ أَدْرَكَهُ مِنْكُمْ فَلْيَقْرَأْ عليه فَوَاتِحَ سُورَةِ الْكَهْفِ ، إنه خَارِجٌ خَلَّةً بين الشام وَالْعِرَاقِ ، فَعَاثَ يَمِينًا وَعَاثَ شِمَالًا ، يا عِبَادَ اللَّهِ فاثبتوا ، قُلْنَا: يا رَسُولَ اللَّهِ وما لَبْثُهُ في الأرض؟ قال: أَرْبَعُونَ يَوْمًا :يَوْمٌ كَسَنَةٍ وَيَوْمٌ كَشَهْرٍ ، وَيَوْمٌ كَجُمُعَةٍ ، وَسَائِرُ أَيَّامِهِ كَأَيَّامِكُم ، قُلْنَا: يا رَسُولَ اللَّهِ فَذَلِكَ الْيَوْمُ الذي كَسَنَةٍ ، أَتَكْفِينَا فيه صَلَاةُ يَوْمٍ؟ قال: لَا ، اقْدُرُوا له قَدْرَهُ ... الخ). ومن هذه الرؤية والتصور أكتب عن العنبة الطافية التي سوف يفقأها المسلمون مع نبيهم عيسى ـ عليه السلام ـ. ويقاتل المسيح النصارى الذين غلوْا فيه كذلك. إنها عينُ الدَّجالِ كما وصفها النبي ﷺ.. والدَّجَل طَابَعُ العَصْرِ ، والله المستعان على الدجل وأصحابه. وما أكثر الدجَّالين. وهُم في الحقيقة يمهدون للأعور المسيخ الدجال. حتى إذا جاء لمْ تكُنِ الفتنةُ به بعيدة. ونسأل الله تعالى ألا يُدركنا زمان الدجال ، وأن يقينا فتنة الدجل المعاصرة التي توطد للدجال الأعور!)

42 - العود أطيب يا أستاذي!

(ذهب إلى مضارب قومها معلماً ومُرشداً وداعياً إلى الخير وآمراً بالمعروف وناهياً عن المنكر! ابتغاء وجه الله وعلى نور منه وكتاب مبين. وهناك التقى بها وبرفقة من قومها. وأخذ يُعلم الجميع حِسبة لله تعالى. فحفظتْ عنه ووعت وعلمت من دين الله ومن معرفة الحلال والحرام ما الله به عليم. ودانت له بالفضل الكبير وأكبرت جميله ، وعرفت له قدره وأعظمت معروفه! وكان هناك من التواصل ما جعله وجعلها لا يُنهيان ما بينهما من العلاقة التي ازدادت يوماً بعد يوم. بل ظل الأستاذ يعلم ويربي وينشئ. حتى جعلها وقومها بفضل الله على جادة الصواب. وذات يوم أصيب المعلم بنكبة في دينه وكبوة في سلوكه. واحتاج إلى من يُذكّر ويعظ ويأخذ باليد إلى الصواب! إذ إنه أصبح يقول ما لا يفعل! قال تعالى: {أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلا تَعْقِلُونَ}. قال ابن كثير في تفسيره: (كيف يليق بكم يا معشر أهل الكتاب وأنتم تأمرون الناس بالبر - وهو جماع الخير - أن تنسوا أنفسكم فلا تأمرونها بما تأمرون الناس به ، وأنتم مع ذلك تتلون الكتاب ، وتعلمون ما فيه على من قصر في أوامر الله؟ أفلا تعقلون ما أنتم صانعون بأنفسكم فتنتبهوا من رقدتكم ، وتتبصروا من عمايتكم؟ وهذا كما قال عبد الرزاق عن معمر عن قتادة قال: كان بنو إسرائيل يأمرون الناس بطاعة الله وبتقواه وبالبر ويخالفون ، فعيّرهم الله عز وجل]. فعيّرهم ، يعني: عابهم وذمهم ، وهذا ليس خاصاً ببني إسرائيل ، بل هو عام لبني إسرائيل ولهذه الأمة ، ولهذا قال بعضهم: مضى القوم ولم يعن به سواكم ، أي: أن المراد هذه الأمة ؛ لأن بني إسرائيل قد مضوْا ، والله تعالى إنما ذكر هذا ليحذرنا من أن نفعل مثل فعلهم ، فيصيبنا ما أصابهم. فالواجب على الإنسان إذا أمر بالمعروف أن يكون أول المؤتمرين به ، وإذا نهى عن منكر أن يكون أول المنتهين عنه ، ولكن كما سيأتي أن الإنسان عليه واجبات: الأول: واجب العمل ، والثاني: واجب الدعوة. فيعمل بالواجب ويدعو الناس إليه وإذا قصر في واحد منهما لم يسقط الآخر ، فإذا كان الإنسان مقصراً في الامتثال فلا يدعوه هذا التقصير إلى أنْ لا يدعو غيره ، بل يدعو ولو كان مقصراً).هـ. فلما علمتْ هذه الموفقة ما آلت إليه أحوال الأستاذ ، راحت تقول له في إشفاق المؤمنة وإيمان المشفقة: عُد إلى رشدك ، وأدرك من أمرك ما استدبرت. فعاد الأستاذ وأناب بفضل الله أولاً وآخراً ثم بفضل هذه الموفقة.)

116 - العيد يجيب على السؤال

(كم في حياة الواحد منا من أعياد. ويوم عيد المرء الحقيقي يوم تتحقق أمانيه التي يصبو إليها ، ويعمل من أجلها ويحيا لها. وليس للمسلم قط من أعياد إلا يوم الفطر السعيد ويوم الأضحى المجيد ، كما أخبر بذلك الرسول العظيم محمد - ﷺ -. وكثيراً ما ردد الناس بيت أبي الطيب المتنبي الذي لا يعرفون حقيقته ولا مناسبة إنشاده كتابته إذ يقول:

عيـــدٌ بأيّـــة حـــال عُـــدت يـــا عيـــدُ؟ بمـــا مضـــى؟ أم بـــأمر فيـــك تجديـــدُ؟

ومراد الناس متابعة العيد أو محاسبته ، أما العتاب فلا بأس. ولكن لا للحساب ولا للعقاب. إذ العيد ما هو إلا ظرف للزمان ولا شأن له بالأحداث على الإطلاق. وعموماً نخطئ كثيراً عندما نحاسب العيد ، ونلقي عليه باللائمة ونحمّله أخطاءنا وعثراتنا. وكنتُ أتحدث إلى أم أولادي

وحبيبة فؤادي أم عبد الله يوم عَرفة وأقول: ماذا يختلف هذا العيد عندما يُطالعنا يوم غدٍ عن العيد الذي سبقه في العام المنصرم؟ فركزت أم عبد الله على المناسبة الغالية الفارقة ، وهي أن الله عز وجل منَّ علينا بالزهراء الغالية ابنتنا فاطمة. هذا ، ولقد طالعتُ شروحاً كثيرة لقصيدة المتنبي منها المادح لها ومنها القادح فيها! غير أني تأثرتُ أكثر بكلام الدكتور بكري شيخ أمين! لقد أقام أبو الطيب بعد أن أنشد أثناء إقامته في مصر قصيدته البائية سنة ، لا يلقى الأسود إلا أن يركب فيسير معه في الطريق لئلا يوحشه وقد عمل على مراغمته والرحيل عنه ، فأعد الإبل وخفف الرحل. وقال أبو الطيب هذه القصيدة في يوم عرفة من سنة خمسين وثلاثمائة وذلك قبل مسيره من مصر بيوم واحد. وتحت عنوان: (المتنبي يهجو كافوراً الإخشيدي) بقلم الدكتور: بكري شيخ أمين ، نضمّن كلامنا هذه المقتطفات من شرحه الماتع للقصيدة: يقول بالنص مع تصرف تتطلبه ضرورة التأليف: (كان أبو الطيب قد وصل إلى مرحلة اليأس والقنوط والإحباط في مصر ، ودخل في مرحلة نفسية معتمةٍ ، فلا هو في العير ولا هو في النفير. أهمل مجالسَ كافور ، فما عاد يتردد عليها ، وحين كان يطلب منه قصيدة مادحة ، كان الشاعر الحزين يرفض القول والنشيد فلا ينقاد للطلب. وهجَر عِشرةَ الناس ، ولقاءَهم ، وصار ينفرد بذاته ، ويخلو بنفسه ، ويجترّ آلامه ، ويرسم الخطط التي تنقذه من هذا الشَّرَك الذي أوقعه به كافور. وبدأ المرجل النفسي يغلي شيئاً فشيئاً ، ويضطرب ويزداد اضطراباً ، ثم راح يقذف بالزبد ، ويتعالى صوت جَيَشانه. وقبل أن يطفح الكيل ، جاء إلى كافور وسأله صراحة عن وعده بحكم ضيعة أو ولاية أو أي مكان. وبَيَّن له أنه ما قدِم إلى مصر إلا بعد أن اطمأنّ إلى وعوده البراقة. فأجابه كافور: "أنت في حال الفقر وسوء الحال وعدم المُعين سَمَتْ نفسك إلى النبوة ، فإن أصبتَ ولاية صار لك أتباع ، فمن يطيقك؟". وسواء أكان رد كافور عنيفاً أم لا ، فهذا لا أهمية له ، فلن يخدع الشاعر بعد الآن ، لقد كانت نقمته على الرجل الملوّن المخادع ، وخيبة أمله في انهيار مشاريعه عظيمتين. ولم يخطئ كافور في تعرّف نوايا أبي الطيب ، فقد أدرك حقيقة مشاعره نحوه ، وكان يعلم أنه سيفرُّ من الفسطاط عند سنوح أول فرصة ، وأنه سيعقب فراره بشعر هجائي وسخرية لاذعة ، فنشر الجواسيس يراقبون أبا الطيب ؛ وعرف المتنبي كل هذا فكظم غيظه وأخفى عواطفه وخططه. ويبدو أنه أتخذ لنفسه حُراساً انتقاهم من عبيده الأشداء لمقاومة كل هجوم محتمل ، وكانت خطته زيادة في إمكانية نجاحها أن يغتنم فرصة احتفالات الناس بعيد الأضحى للخروج من الفسطاط ، وكان التاسع من شهر ذي الحجة ، وهو مناسبة تجري فيها مراسم واستعراضات ، تجلب جمهوراً كبيراً من الناس ، وهي خير فرصة للهرب والتخفي. وفي اليوم التاسع من الشهر المذكور ، خرج المتنبي سراً من الفسطاط ، تتقدمُه الإبل المحملة بالسلاح والأمتعة والزاد لعدة أيام ، وأغذّ السير ، فاجتاز برزخ السويس ، ثمّ أوغل في صحراء التيه شمالي سيناء. وتنبّه القومُ بسرعة إلى فراره ، فلم يستطيعوا اللحاق به ؛ وكان غيظ كافور شديداً جداً ، وأراد المتنبي بعد أن أصبح بعيداً وآمناً أن يشهَد الناس مرة واحدة – على الأقل ـ على الازدراء الذي يكنّه لسيده القديم ، وتولت أيدٍ أمينةٌ إيصالَ قصيدة هجائية مقذعة إلى الخصيِّ كافور! ولكن العملية لم تنجح ، لأن كافوراً شكّ في محتواها ، فأمر بإحراقها ، ولم يقف على ما فيها. وفي رأيي لو أنَّ كافوراً أعطى أبا الطيب حُكْم مصر كلها لكان خيراً له من أن تقال فيه هذه القصيدة الرائعة الخالدة ، فحكمُ مصر ينتهي بانتهاء حياة المتنبي أو كافور ، ثمّ يأتي بعدهما حاكم آخر ؛ أما القصيدة فلا ينتهي أثرها بانتهاء حياة هذا أو ذاك ، وإنما هي باقية خالدة ، ترددها الأجيال بعد

الأجيال ، ويدرسها الطلبة في مدارسهم على اختلاف درجاتها ومستوياتها ، يحفظونها عن ظهر قلب ، ويستشهدون ببعض أبياتها في مناسبات شتى وفي مختلف أقطار الوطن العربي. لقد أخطأ كافور في عدم تولية المتنبي حكم صيدا ، أو أيّ ضيعة أو ولاية ، وكان بإمكانه أن يتفادى النقمة الكبرى ، بل الفضيحة الخالدة على مر العصور وكرّ الدهور. فالقصيدة لا تشبه هجاء حسان بن ثابت لقريش ، ولا هجاء جرير للفرزدق أو الأخطل ، ولا الكُميت لبني أمية ، ولا هجاء جميع الشعراء لحُكامهم أو لخصومهم ، وإنما هي نسيج وَحْدِه ؛ خالدة على مر الزمن ، لم تنقص الأيام والسنون حرارتها ، لم تطفئ لهبها ولم تخمد سعيرها. ولا شكَّ أنّ سر نجاحها وروعتها في المقام الأول: صدق عاطفة صاحبها ، وشِدة ثورته ، بل غليان مرجله النفسي إلى درجة الانفجار ؛ وحقاً كان ذلك الانفجار. ولو تخيّلنا صورة الشاعر وتعبيرات وجهه ، وهو ينظم القصيدة هالنا المنظر ، وروّعتنا تلك التعبيرات ، وأخافتنا تلك الزمجرات ، واصطكاك أسنانه من شدّة الانفعالات).هـ. وأشكر من أعماق الفؤاد هذا التأصيل التاريخي والأدبي للدكتور بكري شيخ أمين! فلقد أفادني جداً. فرحتُ أصححُ القصيدة السيئة المسيئة للمتنبي في ذم كافور قبل رحيل المتنبي من مصر. وأنا هنا لا أدافع عن كافور فهذا أحد الطواغيت الذين منيت مصر وأهلها بهم على مر الدهور وتعاقب السنين! وإنما أردتُ أن أثبت للناس وللتاريخ أن طبيعة المتنبي لا تختلف عن طبيعة أغلب الشعراء! تلك الطبيعة التي تنشد الشعر حسب العطاء ، وتهجو حسب الحرمان والمنع! (إن أعطيَ رضي ، وإن لم يعط لم يرض). ولم أقل أن قصيدة المتنبي ضعيفة معاذ الله ، ولم أذهب إلى أن قصيدتي أفضل من قصيدة المتنبي! بل الحكم متروكٌ للتاريخ وللجمهور من أهل فن الشعر! وأتذكر مع زوجتي مِنن الله علي ، فوجدتها كثيرة جداً ، فلله الفضل والحمد والمنة على ما أعطى ومنح. وأعود إلى المتنبي الذي أنشد داليته في النيل من كافور ، لأنه لم يوف له بما وعده من قبل. وكان ذلك من المتنبي يوم عَرفة. فتذكرتُ الناس تستغفر وتتوب إلي الله وترجو رحمته وتخشى عذابه يوم عرفة ، والمتنبي مشغولٌ بهجاء كافور وسِبابه والنيل منه. ذلك الحاكم الذي كم تفضل على المتنبي وأعطاه من قبل ، فكانت معلقات المتنبي تتوالى في المدح والثناء على كافور ، حتى لكأن الأرض لم تعرف حاكماً سواه! وهكذا الكثير من الشعراء إنْ أعطوا مدحوا ، وإن حُرموا ذموا. فقلتُ: لا بد من تصحيح يبين براءة العيد. وتخيلتُ العيد يُصحح معي مجال الفكر والنظر ، ويقول لي: تذكرْ نعم الله عليك ولا تلمني. وآثرتُ البحر البسيط وقافية الدال كما آثرهما المتنبي لقصيدته ، ورأيتُ أن أنفع البشرية بهذا الطرح الشعري. ولكنْ ليس على منهج أبي الطيب في التشفي ، إلى أن قال مستهزئاً بكافور ، وبالغاً في هجائه الذروة ، ومبيناً طبيعة العبيد والأرقاء العاتية الجافية:

لا تشـــتر العبـــدَ إلا والعصـــا معـــه إن العبيـــــد لأنجـــــاسٌ مناكيـــــدُ!

فإذا كان أبو الطيب قد انهال على العيد لوماً وعتاباً ، فإنني أعطي الفرصة للعيد للدفاع عن نفسه.)

44 - العين جوهرة ثمينة

(الابتلاءُ في كلِّ شيء أسْهلُ وأهْونُ مِنَ الابتلاء في الدِّين. وعينُ المرءِ جوهرتُه الغالية ، وإحْدى نعم اللهِ الخالقِ عليْه. ماذا يقولُ المرءُ الكسير عندما يُبتلى فِيها ؟ إن الكلمات كل الكلمات لتعجز أن تصور الألم الذي أصابها ولا الأمل في عودتها تنظر كما كانت! إذ يكاد الألم يكون بحجم الأمل ، وإن هو إلا المغايرة المكانية لحرفي: (الميم والام) في الكلمتين! وعموماً الأمل في الله كبير أن تعود!)

45 - العين والعقل والقلب

(إنَّهَا النِّعَمُ الثلاثُ التي تفضَّلَ الله - سُبْحَانَهُ وتَعَالَى - على الإنسان بها ، وذلكَ مِنْ جُمْلَة نِعَمِهِ التي قالَ فيها: (وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها ، إن الإنسان لظلومٌ كفار). وسَبَبُ هذه القصيدة في الحقيقة حِوارٌ خَفيفٌ لطيفٌ ظريف كانَ معَ بعض الأطباء ، فمِنْ قائل: إنَّ أفضلَ نعمةٍ هي نعمةُ القَلْب ، وآخر يقول: بل العَقل ، وثالث يقول: بل العيْن. فقاطعتُ الجميعَ بقولي: بلْ إنَّ أفضلَ النعم بإطلاق هي نعمةُ الإسلام. وتركتُ المقامَ ومكثتُ مع نفسي ، وعقيب صلاة ظهْرٍ أخذتُ أُسائلُ قلبي ونفسي وعقلي وعيني: ما أفضلُ نِعْمة؟ وكتبتُ القصيدة. موقناً أن أفضل نعمة هي نعمة الإسلام (وكفى بها نعمة) ، وتليها نعمة الثبات عليه! نسأل الله الثبات!)

46 - ألغاز شعرية

(ألغاز سطرتها شعراً عن أسماء لشعراء على مدى التاريخ. وكنت قصدتُ بها ملء فراغ الجلوس وإعداد مسابقة بين الضيوف الهدف منها التذكير وإلهاب الحماس وإثراء المعلومات. ريثما يتجهز استوديو المجلس بقناة المجد بمدينة دبي للإعلام لتسجيل أمسية هناك. وحول حكم الشريعة في المسابقات والألغاز يقول محمد المنجد ما نصه: (فأما السباق فإن الأصل فيه الجواز بالسنة والإجماع ، أما السنة فروى ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم (سابق بين الخيل المضمرة من الحيفاء إلى ثنية الوداع وبين التي لم تضمر من ثنية الوداع إلى مسجد بني زريق) ، وهذه مسافة معلومة سابق فيها النبي صلى الله عليه وسلم - أي: أذن بالسباق فيها - والمسابقة سُنة إذا كانت بقصد التأهب للقتال بإجماع العلماء. قال تعالى: (وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ) وفسر النبي صلى الله عليه وسلم القوة بالرمي ، وقد روى البخاري رحمه الله أن النبي صلى الله عليه وسلم خرج على قومٍ من أسلم ينتضلون فقال: (ارموا بني إسماعيل فإن أباكم كان رامياً). ولخبر أنس رضي الله عنه وأرضاه: (كانت ناقة لرسول الله صلى الله عليه وسلم تسمى العضباء لا تسبق ، فجاء أعرابيٌ على قعودٍ له فسبقها ، فاشتد ذلك على المسلمين ، وقالوا: سبقت العضباء ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن حقاً على الله أن لا يرفع شيئاً من الدنيا إلا وضعه). قال الزركشي رحمه الله: وينبغي أن تكون المسابقة والمناضلة فرض كفاية ؛ لأنهما من وسائل الجهاد ، وما لا يتوصل إلى الواجب إلا به فهو واجب ، والمسابقة في السهام آكد لقول النبي صلى الله عليه وسلم: (ارموا واركبوا ، ولأن ترموا أحب إلي من أن تركبوا) وقال الترمذي - رحمه الله - حسنٌ صحيح ، ومعناه أن السهام تنفع في السعة الضيق ، بخلاف الفرس فإنه لا ينفع في مواضع الضيق ؛ بل قد يضر ، ولذلك يكره لمن تعلم الرمي أن يتركه كراهة شديدة ، فالمسابقة حينئذ مباحة بالشروط الشرعية. واعلموا رحمكم الله أن المسابقة تكون على جوائز وتكون على غيرها. وأما المسابقة بغير جوائز كالمسابقة على الأقدام ، وبالسفن والبغال والحمير ، والمصارعة ، ورفع الحجر ليعرف الأشد ، والمسابقة على الأقدام قد وردت بالسنة عن النبي صلى الله عليه وسلم وعائشة ؛ فمثل هذه المسابقات جائزة إذا كانت بغير جوائز ، وبغير عوض كما ذكر ذلك الفقهاء رحمهم الله تعالى ، أما المسابقات التي فيها إيذاءٌ للنفس ، أو التي فيها فعل محرمات أو التي فيها لبس قصيرٍ وإظهار عورة ، ودق طبولٍ ومزامير ، وإضاعة للصلوات ، فلا شك أنها حرام ، سواء كانت بعوضٍ أو بغير عوض. أما النوع الثاني من

المسابقات: وهو المسابقة بعوضٍ وجوائز كغالب المسابقات اليوم ؛ فلا شك أن جمهور الفقهاء ذهبوا إلى أنه لا يجوز السباق بعوض إلا في النصل والخف والحافر ؛ لأجل حديث النبي صلى الله عليه وسلم: (لا سبق إلا في نصلٍ أو خفٍ أو حافر) أي: لا جائزة تجعل للسباق ولا عوض إلا في هذه الأشياء الثلاثة. قال ابن قدامة ـ رحمه الله ـ: المراد بالنصل هنا السهم ، وبالحافر الفرس ، وبالخف البعير ، فهذا المقصود به المسابقة بجوائز وعوض في كل ما يعين على الجهاد ، وذهب بعض الفقهاء رحمهم الله ، إلى إلحاق الرماح ، والرمي بالأحجار بمقلاعٍ ، والرمي بالمنجنيق ونحوه ، والتردد بالسيوف والرماح ، أن ذلك داخلٌ فيما يجوز بعوض ؛ لأنه يعين في الجهاد. وكذلك المسابقة في الرمي بالآلات الحديثة ، جائزة بعوض قياساً على ما ذكره النبي صلى الله عليه وسلم ؛ قال الفقهاء رحمهم الله: ولا تصح المسابقة بعوضٍ على كرة الصولجان ، وكان عندهم لعبة يركب فيها بعض الناس دوابَّ ، ويقذفون بالكرة بعضهم إلى بعض ، قال العلماء: لا تصح المسابقة بعوض – بجوائز ـ على كرة الصولجان ، ولا على الشطرنج ، ولا على الوقوف على رجلٍ واحدة ليُنظَر من الذي يصمد أكثر ، ولا على معرفة ما في يده شفع أو وتر فإن قال: اعلم ما في يدي إذا كان خمساً أو ستاً أو سبعاً أو شفعاً أو وتراً ولك كذا فهذا لا يجوز ، وكذلك سائر أنواع اللعب كالمسابقة على الأقدام ؛ لأن هذه الأمور لا تنفع في الحرب ؛ كاللعب بكرة الصولجان والشطرنج فإنه لا يجوز جعل الجوائز فيها ؛ فضلاً عن كون بعضها محرماً عند كثيرٍ من أهل العلم. ولا تصح المسابقة بعوضٍ على الكلاب ومهارشة الديكة ومناطحة الكباش بلا خلافٍ بين أهل العلم وذهب بعضهم إلى جواز جعل الجوائز على مسابقات الغطس لأنه يستعان به في الحرب. فأنت ترى أنهم إنما أباحوا الجوائز على المسابقات التي فيها تدربٌ على الجهاد وإعدادٌ للعدة فيه ؛ لأن هذه الأمة أمة جهاد ، ولا يجوز لها ترك الجهاد ، ولو تركت الجهاد ذلت ؛ ولذلك حثت الشريعة على كل ما يعين على الجهاد ، وأباحت الجوائز بالمسابقات على كل ما يعين على الجهاد ، وأما غير ذلك فلا يجوز جعل الجوائز فيه على قول جمهور العلماء ، وألحق شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله ، وتلميذه ابن القيم رحمه الله جعل الجوائز على مسابقات حزب القرآن الكريم والحديث ، ونشر العلم والسنة ، والدين والشريعة الإسلامية قياساً على إباحة الجوائز في مسابقات الجهاد ؛ لأن ذلك مما يرفع شأن الدين ويقويه ، أما جعل الجوائز على مسابقاتٍ لا علاقة لها بالعلوم الشرعية ، ولا علاقة لها بالجهاد ؛ فإن جمهور العلماء أخبروا على تحريم ذلك ، وأن المال الذي يؤخذ منه حرامٌ لا يجوز جاء في حديث المصطفى صلى الله عليه وسلم: (لا سبق إلا في نصلٍ أو خفٍ أو حافر) فهذا واضحٌ في جعل الجوائز لمسابقات الجهاد ، أما غيرها مما لا يعين على الدين ، فلا يجوز جعل الجوائز في المسابقة عليه ، وحتى المسابقات التي فيها جوائز إنما تشرع وتجوز بشروطٍ ذكرها الفقهاء ؛ منها تحديد المسافة ، وتعيين أول المسافة ، وتعيين الفرسين أو البعيرين ، وكذلك أن يكون هناك من يعيّن بدايته ونهايته ، وأن يكون فيها محللٌ لا يدفع من الجائزة شيئاً عند الجمهور. وكذلك فإن لهم شروطاً في السباق في السهام ؛ كأن يستوي عدد الرشق ، وصفة الإصابة ، ومعرفة قدر الغرض وهو الهدف الذي يرمى ، ونحو ذلك من الأمور. وكذلك فإن هذه المسابقات التي توسع فيها الناس اليوم في كثيرٍ من الأمور لا تعين على نشر الدين ؛ فإن كانت بغير عِوَض ، وكانت المسابقة مباحة كالسباق على الأقدام وغيره فلا بأس به ، أو من يرفع حجراً فلا بأس به إذا كان بغير جائزة ، أما إذا كان في أمرٍ محرم كنطاح الكباش ومهارشة الديكة ونحو ذلك ؛ فإنه حرام لا يجوز بعوضٍ ولا بغير عوض ، وعند جمهور أهل العلم أخذ الجوائز على هذه المسابقات لا يجوز لأنه مخالفٌ لحديث: (لا سبق إلا في نصلٍ أو خفٍ أو حافر). قارن الآن بين الحديث وكلام أهل العلم وبين التوسع الذي يحصل لتعلم أن القضية الآن داخلة في تغريرٍ أو خداعٍ ، أو دعاية رخيصة ، أو إكساد لسلع الآخرين ومنافسة غير شريفة ، ونحو ذلك).هـ.)

47 - الغاية لا تبرّرُ الوسيلة

(إن المبدأ الميكافيللي الذي دوّنه صاحب كتاب (الأمير) قد راج لكثيرين من الهازلين اليوم. فراحوا يغطون في الميكافيللية أكثر من ميكافيللي نفسه! فرحتُ أضع كلمة الرجل في موضعها وأصوغها الصياغة الشرعية وأزنها بميزان الإسلام عقيدة وتوحيداً. وذلك بعد سقوط حرف (لا) قبل كلمة تبرر. يا ناس إن الذي تعبّدنا بالغايات قد تعبّدنا بالوسائل. فللوسائل أحكامُ المقاصد. يقول أستاذنا الدكتور نايف بن جمعان الجريدان ما نصه: (تعتبر قاعدة الوسائل لها أحكام المقاصد من القواعد الفقهية المعروفة والمشهورة عند العلماء ، وقد ذكرها أو أشار إليها غير واحد من أهل العلم ، منهم القرافي في الفروق حيث قال: "القاعدة أن الوسائل تتبع المقاصد في أحكامها ، فوسيلة المحرم محرم ، ووسيلة الواجب واجبة ، وكذلك بقية الأحكام". وذكرها كذلك الطوفي حيث قال: "ومن كليات القواعد: أن الوسائل تتبع المقاصد. وممن أشار إليها إشارة الإمام الشافعي في كتابه الأم ، حيث قال: "الذرائع إلى الحلال والحرام تشبه معاني الحلال والحرام". ونقصد بالقاعدة الفقهية: ذلك الحكم أو الأمر الكلي أو القضية الكلية التي تفهم منها أحكام الجزئيات التي تندرج تحت موضوعها وتنطبق عليها. * أولاً: التعريف بمفردات القاعدة: هذه القاعدة تحتوي على كلمتين: الوسائل والمقاصد. فأما الوسائل في اللغة فهي: جمع وسيلة والوسيلة تطلق على المنزلة عند الملك والدرجة وهي ما يتقرب به إلى الغير وتوسل إليه بوسيلة إذا تقرب إليه بعمل. وأما الوسيلة في الاصطلاح فلها معنيان: - معنى عام: وهو أن الوسائل هي الأفعال التي يتوصل بها إلى تحقيق المقاصد. والمراد بالأفعال: ما يصدر من العبد سواء كان من أفعال الجوارح أم القلوب. - معنى خاص: أنها الأفعال التي لا تقصد لذاتها ، لعدم تضمنها المصلحة أو المفسدة ، وعدم أدائها إليها مباشرة ، ولكنها تقصد للتوصل بها إلى أفعال أخرى هي المتضمنة للمصلحة أو المفسدة والمؤدية إليها". وعرّف القرافي الوسائل بأنها: الطرق المُفضية إلى المقاصد. وفي القواعد والأصول لابن سعدي رحمه الله عرّفها بأنها: "الطرق التي يسلك منها إلى الشيء ، والأمور التي تتوقف الأحكام عليها من لوازم وشروط". وأما كلمة المقاصد فهي في اللغة: جمع مقصد ، والقصد: استقامة الطريق والاعتماد والأم ، قصده وله وإليه يقصد وقصد الشيء أتاه وأمَه ، وقصد في الأمر قصد: توسط ولم يجاوز الحد ، وهو على قصد أي: رشد. وفي الاصطلاح لها معنيان: عام وخاص. - فأما المعنى العام للمقاصد فهي: "الغايات التي تقصد من وراء الأفعال". وعرّفها العلامة التونسي الشيخ محمد الطاهر بن عاشور بقوله: "مقاصد التشريع العامة: هي المعاني والحكم الملحوظة للشارع في جميع أحوال التشريع أو معظمها ، بحيث لا تختص ملاحظتها بالكون في نوع خاص من أحكام الشريعة ، فيدخل في هذا أوصاف الشريعة وغاياتها العامة ، والمعاني التي لا يخلو التشريع عن ملاحظتها ويدخل في هذا أيضا معان من الحكم ليست ملحوظة في سائر أنواع الأحكام ولكنها ملحوظة في أنواع كثيرة منها". * ثانيا: المعنى الإجمالي للقاعدة ، المعنى الإجمالي لقاعدة الوسائل لها أحكام المقاصد هو: أن الأفعال المتضمنة للمصالح والمفاسد في أنفسها ولها طرق تفضي إليها ، فإن تلك الطرق يختلف حكمها باختلاف حكم مقاصدها ، فما يتوقف عليه الواجب واجب ، وما لا يتم المسنون إلا به فهو مسنون ، وما يتوقف الحرام عليه فهو حرام ، ووسائل المكروه مكروهة ، ووسائل المباح مباحة. قال ابن القيم رحمه الله عن هذه القاعدة الذي يُعد شرحا لها: "لما كانت المقاصد لا يتوصل إليها إلا بأسباب وطرق تفضي إليها كانت طرقها وأسبابها تابعة لها معتبرة بها ، فوسائل المحرمات

والمعاصي في كراهتها والمنع منها بحسب إفضائها إلى غاياتها وارتباطاتها بها ، ووسائل الطاعات والقربات في محبتها والإذن فيها بحسب إفضائها إلى غايتها ؛ فوسيلة المقصود تابعة للمقصود ، وكلاهما مقصود ، لكنه مقصود قصد الغايات ، وهي مقصودة قصد الوسائل ؛ فإذا حرم الرب تعالى شيئاً وله طرق ووسائل تفضي إليه فإنه يحرمها ويمنع منها ، تحقيقاً لتحريمه وتثبيتاً له ، ومنعاً أن يقرب حماه ، ولو أباح الوسائل والذرائع المفضية إليه لكان ذلك نقضاً للتحريم ، وإغراءً للنفوس به ، وحكمته تعالى وعلمه يأبى ذلك كل الإباء ، بل سياسة ملوك الدنيا تأبى ذلك ؛ فإن أحدهم إذا منع جنده أو رعيته أو أهل بيته من شيء ثم أباح لهم الطرق والأسباب والذرائع الموصلة إليه لعد متناقضا ، ولحصل من رعيته وجنده ضد مقصوده. *

ثالثاً: ما يدل على هذه القاعدة ، يدل لهذه القاعدة أدلة كثيرة منها: ـ قوله تعالى: {ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلا نَصَبٌ وَلا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلا يطأون مَوْطِئاً يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلا يَنالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَيْلاً إِلاَّ كُتِبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صالِحٌ إِنَّ اللَّهَ لا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ}. قال القرافي رحمه الله: "فَأَثَابَهُمْ اللَّهُ عَلَى الظَّمَأِ وَالنَّصَبِ وَإِنْ لَمْ يَكُونَا مِنْ فِعْلِهِمْ بِسَبَبِ أَنَّهُمَا حَصَلَا لَهُمْ بِسَبَبِ التَّوَسُّلِ إلَى الْجِهَادِ الَّذِي هُوَ وَسِيلَةٌ لِإِعْزَازِ الدِّينِ وَصَوْنِ الْمُسْلِمِينَ فَيَكُونُ الِاسْتِعْدَادُ وَسِيلَةَ الْوَسِيلَةِ". ـ قوله تعالى: {فَلا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلاً مَعْرُوفاً}. قال السعدي رحمه الله: "فهذا دليل على أن الوسائل لها أحكام المقاصد ؛ فإن الخضوع بالقول واللين فيه في الأصل مباح ، ولكن لما كان وسيلة إلى المحرم مُنعن منه". ـ قوله تعالى: {وَلا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ}. قال ابن عثيمين رحمه الله: "فأرشد إلى المنع من الأمر المباح إذا كان يفضي إلى فعل محرم").هـ. فإذا كانت الغاية مباحة شرعية فإن الوسيلة المؤيدة إليها لا بد وأن تكون مباحة شرعية. وهذا مبدأ من مبادئ شريعتنا لا محيص عنه أبداً. إن مبدأ الميكافيللية قد يتمشى مع أهله الكفرة الذين قد روّجوا له. حيث لا دين يحكمهم ولا قيم ولا شرائع ولا شعائر. ولكن عند المسلمين لا تبرر الغاية الوسيلة على النحو الذي أسلفت!)

48 ـ الغدرُ الجامح

(الغدر ليس أبداً من خلق المسلمين المؤمنين الموحدين ، فضلاً عن أن يكون من خلق الشم الصِيد من كرام الناس. والذي يكون ضحية الغدر لا يلوم إلا نفسه في اختيار أصحاب وأصدقاء كانوا قد غدروا به ، وأذاقوه مر صحبتهم ، وجرعوه علقم صداقتهم. وأزيد الأمر وضوحاً بهذا الاستدلال: لمّا سأل هرقل عظيم الروم أبا سفيان بن حرب ـ قبل أن يُسلم – عن النبي – صلى الله عليه وسلم ـ قائلاً: هل يغدر؟ فأجاب أبا سفيان أن: (لا). وكأني به يذكرنا مقالة عنترة في الغدر – وكان يعدّه حقاً من الخبث المزري الذي يزري بصاحبه عند الناس ـ إذ قال: (نبئت عَمراً بات ـ حقاً – غـادراً والغـدر مخبثـة لنفـس المنعـم). وإذن فالغدر حرام في ديننا ، وليس من طبيعة كرام الناس ، فضلاً عن كونهم مسلمين أن يغدروا. فالغدر مخبثة ومذمة ، لا يتصف بها إلا أراذل الناس وسفاؤهم وحثالتهم. وأما (الزهراء) التي ورد اسمها في قصيدتي ، فهي ابنة أحد الغادرين الألى ابتليتُ بهم ، وذقتُ على يده المرار بجميع صوره ، وأمهل الغادر أن يرجع ويتوب ، فتعلل بأنه مجتهد ، ثم أعلمنا بأنه لا ينام ، إنما ضميره يعذبه لوماً وتأنيباً. فقلنا أرجع حقوق الناس تسترحْ ويسترحْ ضميرك ، وتُمس في راحة ما بعدها راحة. ولا تضحك على نفسك بقولك أنك مجتهد ، لأن الاجتهاد له أصوله وضوابطه كما أن للغدر أساليبه! والعجيب في هذا الغادر أنه ، وبعد أن غدر وتبينت آثار غدره

الكارثية ، راح يدعي لنفسه أنه كان يجتهد. ثم تناقض مع نفسه ومع الآخرين ، عندما صرح بأنه لا ينام ليلاً ولا يستمتع بلقمةٍ نهاراً! ومن هنا راح يوهم الناس من حوله ، أنه صاحب ضمير حي ، والحقيقة أنه لو كان صادقاً فليرد المظالم إلى أصحابها إن أراد الخلاص! والغدر شيمة الجبان ، والمواجهة طابع الأبي الكريم ، وساعة يغدر جبان حقير بأبي كريم من الناس ، ويكون للأول أعوان وأنصار ، ويخذل الثانيَ أنصاره وأعوانه ، والذين كانوا بالأمس القريب من أصفي الأصفياء وأصدق الأصدقاء ، فهذي هي الطامة التي تكسر شوكة أي قوي أبي. والحقيقة أن عقاب الغدر والغادر عقاب وخيم. وصدق من قال: (لو كان الاستبداد رجلاً ، وأراد أن يحتسب بنسبه ويعتز لقال لنا: أنا الشرّ ، وأبي الظلم ، وأمي الإساءة ، وأخي الغدر ، وأختي المسكنة ، وعمي الضر ، وخالي الذل ، وابني الفقر ، وابنتي الحاجة ، وعشيرتي الجهالة ، ووطني الخراب). وأقوال الحكماء والأدباء عن الغدر والخيانة تكاد لا يخلو منها أي جيل منذ فجر التاريخ ، وإلى قيام الساعة! ولله در من قال: الكلمة الطيبة لا تجد من يسمعها ، والجبهة الصافية تفضح الخيانة. والذي ما زال يضحك لم يسمع بعد بالنبأ الرهيب. ومن هنا كم مرة هزمتنا الخيانة دون قتال. ألا إن الخيانة لا تزدهر ، لأنها إذا ازدهرت فلن يجرؤ أحد على تسميتها خيانة. وقال الفيلسوف جون هارينغتون: الإخلاص لا يطلب ، إن في طلبه استجداء ومهانة للحب ، فإن لم يكن حالة عفوية ، فهو ليس أكثر من تحايل دائم على شهوة الخيانة وقمع لها. أي خيانة وأي غدر وأي مكر لا بد في نهاية المطاف من أن يعود على أصحابه بالنكال والوبال! وهذا أمر ملحوظ ومشهود. إلا أن هذا لا يعني بالضرورة أن الغدر في نجاة عافية ، لا ، لا ، بل هي فترة مرحلية ريثما يأتي للغدر والغادر يوم لا يحابي ولا يجامل ولا يداجي!)

49 - الغربة بين الأمس واليوم

(اغترب ينشد حياة أفضل ، فراراً بدينه ونفسه وماله ومن يعول. فإذا بالغربة أشد قسوة مما كان فيه. فأوصيته بالصبر والاحتساب حتى يأتي الله بأمره. ورحتُ أذكر الأيام الخوالي التي كان فيها آية في التصبر ومثالاً في الاحتمال ، وقدوة في الاحتساب عند الله تعالى! وإنه لراحل عن دار غربته لا محالة: إما بالرحيل إلى دياره وإن كان يكره ذلك! وإما بالرحيل إلى قبره وأن كان الموت تحفته! وكنت قد سمعتُ إلى محاضرة من سنين عنوانها: (تحفة المؤمن – الموت) للشيخ الطحّان. وكنت أستكثر العنوان ، وبعد مقاساة الغربة ومعاناة الاغتراب ، أيقنت أن الشيخ كان على حق!)

50 - الغربة على يديك

(تزوجَ من غير قبيلته ليُزيل الوحشة والغربة التي ابتلي بها في عشيرته. فإذا بالعروس المختارة تزيده غربة على غربته ، ووحشة على وحشته. يقول الأستاذ محمد المنجد في مسألة: (حسن اختيار الزوجة) ما نصه: (إن المرأة الصالحة واحدة من أربع من السعادة ، فالمرأة السوء واحدة من أربع من الشقاء كما جاء في الحديث الصحيح ، وفيه قوله صلى الله عليه وسلم: «فمن السعادة المرأة الصالحة تراها فتعجبك ، وتغيب عنها فتأمنها على نفسها ومالك ، ومن الشقاء المرأة تراها فتسوؤك ، وتحمل لسانها عليك ، وإن غبت عنها لم تأمنها على نفسها ومالك». قال تعالى: {وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَىٰ مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِنْ

يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ} ، ينبغي على صاحب البيت انتقاء الزوجة الصالحة بالشروط التالية: • «تنكح المرأة لأربع لمالها ولحسبها ولجمالها ولدينها فاظفر بذات الدين تربت يداك» (متفق عليه ورواه البخاري انظر فتح الباري). • «الدنيا كلها متاع وخير متاعها المرأة الصالحة» (رواه مسلم). • «ليتخذ أحدكم قلبًا شاكرًا ولسانًا ذاكرًا ، وزوجة مؤمنة تعينه على أمر الآخرة». (رواه أحمد والترمذي وابن ماجه عن ثوبان صحيح الجامع). • وفي رواية: «وزوجة صالحة تعينك على أمر دنياك ودينك خير ما اكتنز الناس». (رواه البيهقي في الشعب انظر صحيح الجامع). • «تزوجوا الودود الولود إني مكاثر بكم الأنبياء يوم القيامة» (رواه أحمد عن أنس وقال في إرواء الغليل صحيح). • «عليكم بالأبكار فإنهن أنتق أرحامًا ، وأعذب أفواهًا وأرضى باليسير». (رواه ابن ماجه وهو في السلسلة الصحيحة وفي رواية) ، وأقل خباً: أي خداعًا. • وكما أن المرأة الصالحة واحدة من أربع من السعادة ، فالمرأة السوء واحدة من أربع من الشقاء كما جاء في الحديث الصحيح وفيه قوله صلى الله عليه وسلم: «فمن السعادة المرأة الصالحة تراها فتعجبك ، وتغيب عنها فتأمنها على نفسها ومالك ، ومن الشقاء المرأة تراها فتسوؤك ، وتحمل لسانها عليك ، وإن غبت عنها لم تأمنها على نفسها ومالك». (رواه ابن حبان وغيره ، وهو في السلسلة الصحيحة). • وفي المقابل لا بد من التبصر في حال الخاطب الذي يتقدم للمرأة المسلمة والموافقة عليه حسب الشروط التالية: • «إذا أتاكم من ترضون خلقه ودينه فزوّجوه ، إلا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد عريض». (رواه ابن ماجه وهو في السلسلة الصحيحة). والرجل الصالح مع المرأة الصالحة يبنيان بيتًا صالحًا ، لأن البلد الطيب يخرج نباته بإذن ربه والذي خبث لا يخرج إلا نكداً).هـ. يقول الأستاذ عادل فتحي عبد العال ما نصه: (تبدأ السعادة الزوجية بحسن الاختيار: فحريٌ بمن أراد أن يكمل نصف دينه أن يحسن اختيار شريكة العمر ، وللناس في ذلك دروب وأحوال ، فمن باحث عن امرأة حسناء ومن باحث عن الغنى والمال ، ومن باحث عن ذات الحسب والنسب ، والإسلام دين الفطرة لم يكن ليأمر أصحابه بأن يتركوا ذات المال والجمال والحسب والجاه ، إنما يأمرهم أن يكون جُل اهتمامهم بذات الدين ، الشريفة العفيفة ، التي صانت عِرضها ، وحفظتْ مفاتنها أن يراها من لا يحل لها ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: [تنكح المرأة لأربع: لجمالها ، ولحسبها ، ولمالها ، ولدينها ، فاظفر بذات الدين ، تربت يداك]. متفق عليه. أي ليكن أساس اختيارك ذات الدين وإلا التصقتْ يداك بالتراب كناية عن الخسران والشقاء ، وقال صلى الله عليه وسلم: [الدنيا متاع ، وخير متاعها الزوجة الصالحة]. رواه مسلم. لماذا كانت ذات الدين أفضل؟ ويجيب عن النبي الكريم صلى الله عليه وسلم فيقول: [ألا أخبركم بخير ما يكنز المرء؟ المرأة الصالحة ، إذا نظر إليها سرته وإذا أمرها أطاعته ، وإذا غاب عنها حفظته في نفسها وماله]. رواه أبو داود والنسائي. وإذن فالمرأة الصالحة هي التي تلتزم حدود الله وتعرف واجبها نحو الحق والخلق ويعرف ذلك من: * الأسرة: فالتنشئة الاجتماعية في بيت يحترم مبادئ الإسلام وآدابه يكون لها أبلغ الأثر في حياة الأبناء ، والأم الصالحة دائماً ما تكون ابنتها مثلها تحذو حذوها وتسلك مسلكها. * المظهر: فمن لبست ما يستر الجسد ولا يبدي زينتها فقد حفظتْ حدود الله ، قال الله تعالى: {وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن ولا يبدين زينتهن إلا ما ظهر منها}. * السلوك العام: فلا يعرف عنها الاختلاط الماجن مع الشباب ويعرف جيرانها عنها سلوك المرأة الملتزمة بالأدب والخلق).هـ.)

51 - الغربة مهر المعالي!

(أحس بأن مجتمعه يجعله على هامش الحياة. فاغتربَ من أجل حياة أفضل. فإذا بالمجتمع الذي هاجر إليه يجعله كذلك على هامش الحياة. فكانت غربته مهراً للمعالي. حيث إنه تحدى غربته وحقق كثيراً من أمانيه وآماله في غربته! قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "بدأ الإسلام غريباً وسيعود غريباً كما بدأ ، فطوبى للغرباء. قيل: ومن الغرباء يا رسول الله؟ قال: الذين يصلحون عند فساد الناس". وفي رواية: النزاع من القبائل. وجاء من طريق آخر: "بدأ الإسلام غريباً ، ولا تقوم الساعة حتى يكون غريباً كما بدأ ، فطوبى للغرباء حين يفسد الناس". وفي رواية لابن وهب قال عليه الصلاة والسلام: " طوبى للغرباء الذين يمسّكون بكتاب الله حين يُترك ، ويعملون بالسنة حين تطفى". وفي رواية: إن الإسلام بدأ غريباً ، وسيعود غريباً كما بدأ ، فطوبى للغرباء.)

52 - الغزالُ الأبكم

(أعرضتْ عن ذكر الله هذه الفتاة الحمقاء الجاهلة ، فزين لها الشيطان سوء عملها فرأته حسناً. وعشقتْ صعلوكاً أوهمَها بالزواج. فلما أخذ منها ما يأخذ الرجل من أهله ، قال: لا زواج. فسألت: ولمَ؟ فقال: كما استسلمت لي تستسلمين لغيري. فانخرس الغزال الذي لطالما ملأ الدنيا كلاماً وخضوعاً بالقول وفتنة وإغراء. وكان الأحرى بهذا الغزال أن يفطن إلى حيل الذئب في الإيقاع به واصطياده ، حتى غدا أسيراً في شِراكه ، وقد فقد كل مقاومة ممكنة أو كرامة متاحة أو حرية لطالما تمتع بها بين الغزلان! ومهما تعلل الغزال بعد ذلك ليقنعنا أن المغريات كثيرة من حوله وأنه كان ضحية مكر الذئاب وكيدهم ، فإن ذلك لا يسوغ له تنازله عن كرامته وحريته مُجبراً!)

53 - الغلبة للدليل

(إحدى الكاتبات أخذتْ تتخبط في تصورها عن حجاب المرأة المسلمة الكامل بما في ذلك الوجه والكفين. فراحت تثبت بالدليل أنه عادة تركية ، ومرّة تقول بل هو عُرف فرعوني لنساء البلاط الفرعوني ، وتارة أخرى تقول - بكل افتراء ومغالطة - أنه لم يكن معروفاً على زمان الجاهلية الأولى! والحقيقة أنني استقصيتُ كثيراً من أشعار الجاهلية الأولى ، فوجدتُ العرب في تلك الحِقبة كانوا يعرفون الحجاب والستر لجميع بدن المرأة بما في ذلك الوجه الذي هو مناط الجمال ومقياسه ومجمع الحسن ومعياره في المرأة. ورُحتُ أثبت - لها ولأمثالها - ذلك بالدليل من كلام العرب وأشعارهم. فمثلاً يفاخر أمير شعراء العرب في الجاهلية ، زهير بن أبي سُلمى بحجاب المرأة فيقول في شعره:-

ومـــا أدري ، وســـوف إخـــال أدري أقـــومٌ آلُ حصـــن أم نســـاءُ؟

فـــإن قـــالوا: النســـاء مُخبَّـــآتٌ فحـــق لكـــل مُحصـــنة هـــداء

وكان العرب يخبئون نسائهم في الخدور احتراماً لهن وخوفاً عليهن. يقول المهلهل بن ربيعة:-

وإنـــي قـــد تركـــتُ بـــواراتٍ بُجيـــراً فـــي دم مثـــل العبيـــرِ

هتكـــتُ بـــه بيـــوت بنـــي عُبـــادٍ وبعـــضُ الغشـــم أشـــفى للصـــدور

علـــى أن لـــيس يـــوفي مِـــن كليـــب إذا بـــــرزت مُخبّـــأة الخـــدور

وفي شرح ديوان الحماسة (1546/3) يُورد أن أم عمرو بنت وقدان تندد ببني قومها لأنهم تخلوْا عن الثأر لأخيها ، وتطالبهم بأن يضعوا السلاح ويلبسوا نُقُب النساء:-

إن أنـــتمُ لـــم تطلبـــوا بـــأخيكمُ فـــذروا الســـلاح ، ووحّشـــوا بـــالأبرقِ

وخـــذوا المكاحـــلَ والمجاســـدَ والبســـوا نقـــبَ النســـاء ، فبـــئس رهـــط المرهـــق

والأغاني (383/20) (وإن كنتُ لا أعوّل على الأغاني كثيراً لأنه كتاب نشاذ!) يورد قصة السليك بن السلكة الذي ترصد له بنو عوارة يريدون قتله ، فخاتلهم وقصد لأدنى بيوتهم ، حتى ولج على امرأة تدعى فكيهة ، فاستجار بها. فدافعت عنه بسيفها حتى نجا ، وهرب وحين اشتد عليها الطعان والضرب ، وأدركت أنه نجا فكشفت خمارها ، فولوا أدبارهم ، فقال السليك يثني عليها: -

لعمـــرُ أبيـــك والأنبـــاء تنمـــي لـــنعم الجـــار أخـــت بنـــي عـــوارا

مـــن الخفـــرات لـــم تفضـــحْ أباهـــا ولـــم ترفـــعْ لإخوتهـــا شـــنارا

ومـــا عجـــزت فكيهـــة يـــوم قامـــت بنصـــل الســـيف ، واســـتلبوا الخمـــارا

وهنا إشارة إلى مبالغة المرأة في ستر وجهها ، وأن الرجل الجاهلي كان يرى من العار أن ينظر إلى وجه المرأة. وأما عن سبب يوم الفجار الثاني في الجاهلية فهو ستر امرأة وجهها. وذلك أن فتياناً من غزة وكنانة رأوا امرأة وضيئة من بني عامر بن صعصعة في سوق عكاظ ، فسألوها أن تسفر لهم فأبت ، فحلّ أحدهم ذيلها إلى ظهر دِرعها بشوكة ، فلما قامت انكشفت فقالوا: منعتنا رؤية وجهك ، وأريتنا دبرك! فصاحت: يا لعامر ، فتهايجوا. وجرت بين الفريقين دماءٌ حملها الحارث بن أمية. راجع في هذا كتاب (العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده) لأبي على الحسن بن رشيق (219/218). وإذن فلقد أراق الأعراب الدماء في جاهليتهم من أجل انكشاف عورة امرأة أو مراودتها للكشف عن وجهها الوضيء. وما ذلك كله إلا غيرة على العرض ، وبخاصة وجه امرأةٍ هو مجمع حسنها ورمز جمالها. ليس هذا فقط بل هذا هو النمر بن تولب كانت له عشيقة منتقبة. ولهذا هو يثني عليها ويدعو الله لها بعد أن سحرت عقله بالنقاب:-

جـــزى الله عنـــا جمـــرة ابنـــة نوفـــل جـــزاء مُغِـــل بالأمانـــة كـــاذبِ

وصـــدّت كـــأن الشـــمس تحـــت حجابهـــا بـــدا حاجـــبٌ منهـــا ، وضـــنت بحاجـــب

وأيضاً هذا هو قيس بن منقذ بن عمرو الحدادية يتحدث عن أم مالك الخزاعية ، ويصفها بأنها امرأة مصون تشد لثامها على فمها قبل ظعنها فلا يبدو من وجهها إلا عيناها ، وهذا واضح جدا في هذا البيت الشعري الذي هو أوضح من الشمس في كبد السماء:-

فشـــدت علـــى فيهـــا اللثـــام وأعرضـــتْ وأمعـــن بالكحـــل الســـحيق المـــدامعُ

ومعلوم بالبديهة أن المرأة إذا شدت اللثام على فمها فإنها لا بد تكون قد غطت وجهها وسترته وإلا فكيف تشد لثاماً على فمها دون أن تغطي وجهها؟! وهذا هو الشاعر الكبير المثقب العبدي يصف نساء قبيلته الراحلات بهوادج مغطاة ، وكانت النساء يلبسن براقع لا يبدو منها إلا عيونهن:-

ظهـــرن بكلّـــة ، وســـدلن رقمـــاً وثقـــبن الوصـــاوص للعيـــونِ

أريـــن محاســـناً ، وكـــننّ أخـــرى مـــن الـــديباج والبشـــر المَصـــون

وأما الشاعر الجهبذ عوف بن عطية بن الخرع التيمي فيصف غارة خرجت النساء على إثرها حواسر ، فبدت وجوههن فقط من هول المواقف وهذا أمر طبيعي كان قد حدث لموقف بعينه فقط:

ولـــنعم فتيـــان الصـــباح لقيـــتمُ! وإذا النســـاء حواســـرٌ كـــالعنقرِ

مـــن كـــل واضـــعة الخمـــار ، وأختهـــا تســـعى ومنطقهـــا مكـــان المئـــزر

وهذا هو الشاعر العربي الجاهلي المعروف النابغة الذبياني فيمتدح المتجردة زوج النعمان بن المنذر عندما سقط نصيفها فخبّأت وجهها بيدها ، وباليد الأخرى التقطت النصيف لتغطي وجهها:

ســـقط النصـــيف ، ولـــم تـــردْ إســـقاطه فتناولتـــــهُ ، واتقتنـــــا باليـــــدِ

ويصف الأعشى النساء يوم ذي قار مبيناً حالهن عند الحرب في مسألة كشف الوجوه لحال معين ثم تستر ، والأصل عندهن الستر لهذه الوجوه:-

لمّـــا أتوْنـــا كـــان الليـــل يقـــدُمُهم مطبـــق الأرض يغشـــاها بهـــم ســـدفُ

وظعننـــا خلفنـــا كُحـــلاً مـــدامعها أكبادهـــا وجـــفّ ممـــا تـــرى تجـــف

حواســـرٌ عـــن خـــدود عاينـــت عِبـــراً ولاحهـــا وعلاهـــا عبـــرة كُسُـــف

والمعنى أن النساء كعادتهن في الحروب كشفن عن وجوههن بعد أن كن يسترنها حال السلم اتقاء للسبي ، وهذا دليل على أنهن في السلم لم يكن يفعلن هذا. وأما عنترة بن شداد العبسي شاعر بني عبس وفارسهم المعروف ، فيقول مشيداً بنقاب عبلة الذي لا يبدي من وجهها سوى عينيها ، ونحن نورد هذين البيتين لعنترة على سبيل المثال وليس الحصر ، وإلا فإن شعر

عنترة في منقبة عبلة في سترها لوجهها كثير يملأ قصائده ، ومعلوم أنه لم يدرك بعثة النبي – صلى الله عليه وسلم – وإنما كان ذلك منه جرياً على عادة العرب وخلقهم في جاهليتهمُ الأولى يقول عنترة:-

وبـــين قبـــاب ذاك الحـــي خـــودٌ رادحٌ لا يُمـــاط لهـــا لثـــامُ

لهـــا مِـــن تحـــت بُرقعهـــا عُيـــونٌ صِـــحاحٌ حشـــوُ جفنيهـــا سِـــقام

وإذن فكان العرب في جاهليتهم يعرفون البرقع الذي يغطي الوجه ويظهرن العين. وهذا هو الشاعر الفارس العملاق الربيع بن زياد رثى قتلى عبس في حرب داحس والغبراء ، تلك الحرب التي استمرت السنين الطوال ، ويحزن الربيع بن زياد لخروج النساء سوافر (كاشفات الوجوه) فيقول:-

إنـــي أرقـــت فلـــم أغمـــض حـــار مـــن ســـيئ النبـــأ الحليـــل الســـاري

مـــن مثلـــه تمشـــي النســـاء حواســـر وتقـــوم مُعْولـــة مـــع الأســـحار

مـــن كـــان مســـروراً بمقتـــل مالـــكٍ فليـــأت ســـاحتنا بوجـــه نهـــار

يجـــد النســـاء حواســـراً يندبنـــه يلطمـــن أوجههـــن بالأســـحار

قـــد كـــن يخبـــان الوجـــوه تســـتراً فـــاليوم قـــد أبـــرزن للنظـــار

وقد شرح المرزوقي هذا في شرح ديوان الحماسة (ج2 ص 996) فقال: يصفهن بأنهن ابتذلن أنفسهن للمصيبة. وكان من قبل ستر الصيانة مسبلاً عليهن ، لا يظهرن المعاري من الوجوه وسائر الاعضاء لأحد. لتسترهن وارتفاع محالهن ومناصيهن عن التبرج والتبرز ، إذ كن بيضات خدور وربات جمال وستور".هـ. وأما (لميس) زوجة عمرو بن معد يكرب الزبيدي ، فتخاف الأسر في العرب. فتكشف عن وجهها حتى يحسبها الأعداء أمة من الإماء فيزهدون في أسرها ، وتلك حالة خاصة تفعلها المرأة! وإلا فإن الأصل عندها ستر الوجه عن الرجال! ويقول الشاعر في هذا:

لمّـــا رأيـــت نســـاءنا يفحصـــن بـــالمعزاء شـــدا

وبـــدت لمـــيسُ كأنهـــا بـــدر الســـماء إذا تبـــدّى

وبـــدت محاســـنها التـــي تخفـــي ، وكـــان الأمـــر جـــدا

نازلـــتُ كبشـــهمُ ، ولـــم أر مِـــن نِـــزال الكـــبش بُـــدا

وأيضا الشاعر سبرة بن عمرو الفقعسي يضرب على ذات الوتر من كشف الوجه من جانب المرأة في الحرب اتقاء الأسر عندما يظن أنها أمة ، إذ لو كانت حرة لما كشفت وجهها يقول:

ونســـوتكم فـــي الـــروع بـــادٍ وجوههـــا يُخلـــــن إمـــــاءً ، والإمـــــاءُ حرائـــــرُ

وعود إلى عنترة بن شداد شاعر وفارس بني عبس حيث يقول يمتدح الفرسان في الحرب:

هـــمُ الحُمـــــاة إذا النســـــاء تحسّـــرتْ يـــومَ الحِفـــاظ وكـــان يـــوم نـــزالِ

والمهلهل بن ربيعة يستنكر أن تقتل بكر أخاه كليباً فيتوعده ثم يتوعدهم بالقتل حتى يفنيهم وتسفر نساؤهم عن وجوههن ندباً لليتامى. وغير خافٍ أن هذا منه أمر مقصود ليتحقق له المراد والغاية من فعله والإقدام عليه وهو إسفار النساء عن وجوههن ندباً لليتامى ، حيث كانت عادة نساء الجاهلية النياحة على الموتى وشق الجيوب ولطم الخدود. وكيف يلطمن الخدود إلا إذا كُشفت هذه الخدود؟ مما يدل على ستر هذه الخدود في غير هذا:

قتلـــوا كليبـــاً ثـــم قـــالوا: أربعـــوا كـــــذبوا ورب الحِـــــل والإحـــــرامِ

حنـــــى نبيـــــد قبيلـــــة وقبيلـــــة قهـــــراً ونفلـــــق بالســـــيوف الهـــــام

ويقمـــــن ربـــــات الخـــــدور حواســـــراً يمســـــحن عـــــرض ذوائـــــب الأيتـــــام

يقول المهلهل بن ربيعة باكياً نساء تغلب مبيناً كشف النساء وجوههن في أحوال معينة ، على غير العادة ، ثم يسترنها بعد ذلك! والمعنى أنهن يفعلن ذلك حال الفاجعة واللطم على الميت:

كنـــا نغـــار علـــى العواتـــق أن تـــرى بـــالأمس خارجـــة عـــن الأوطـــان

فخـــرجن - حـــين ثـــوى كليـــب - حُسَّـــراً مســـــتنقعات بعـــــده بهـــــوان

يخمشـــن مِـــن أدم الوجـــوه حواســـراً مِـــن بعـــده ، ويعـــدن بالأزمـــان

وإذن فلم تنكشف الوجوه وتلطم الخدود إلا في المصيبة فقط. ولقد عُرف الأعراب بغيرتهن على النساء! من أجل ذلك كان الوأد خشية العار. يقول أبو هلال العسكري في جمهرة الأمثال (ج139/2): (كل شيء مهم ما خلا النساء وذكرهن). وطرد الشاعر امرؤ القيس لأنه تناول ابنة عمه (فاطمة) في قصيدته المعلقة ، فأهدر أبوه دمه لأنه تحدى تقاليد وأعراف قومه ، فقال متحدياً:-

أيقتلنـــــي ، والمشـــــرفيّ مُضـــــاجعي ومســـــنونة زرق كأنيـــــاب أغـــــوالِ؟

ومـــــاذا عليـــــه أن ذكـــــرت أوانســـــاً كغـــزلان رمـــل مـــن محاريـــب أقيـــال؟

كان العربي يخشى من سبي النساء في الحروب. يقول سعد بن مالك الذي هو جد طرفة بن العبد:-

والحـــــــرب لا يبقـــــــى لجـــــــا حمهـــــــا التخيـــــــل والمـــــــراح

فـــــــالهم بيضـــــــات الخـــــــدو ر هنـــــــاك لا الـــــــنعم المـــــــراح

وهذا هو الشاعر النمر بن تولب يمدح نساء قومه عندما خرجن مستورات محجبات عن عيون الرجال مبالغات في التحشم والاحتجاب:-

خفيـــات الشـــخوص وهـــن عِـــيسٌ كـــأن جلـــودهن ثيـــاب مـــرن

وأكتفي بهذا النقل من أشعار الجاهلية التي تثبت ستر وجوه النساء ، وأعود للقول بأنني قد حققت المسألة في كتب التفسير والحديث والفقه والتاريخ ، وقتلت القضية بحثاً فألفيت ستر وجه المرأة المسلمة عن الأجانب من غير محارمها هو الأصل. والأصل أن تكون الغلبة للدليل الصحيح ، وأن يكون هناك أدب في الخلاف وأخلاق ومعايير للاختلاف! يقول الشيخ عبد الله بن بيه في أدب الخلاف وأخلاق الاختلاف ما نصه: (من المعلوم أن الاختلاف قد انتشر في الأمة أفقياً وعمودياً في كل الفئات وعلى مختلف المستويات ، تعددت أسبابه وتنوعت ألوانه واستعملت فيه كل الوسائل من تكفير وتفسيق وتبديع وتشويه وتسفيه وما شئت من مصدر على وزن تفعيل. ونحن هنا لا نحاول إصدار فتاوى في مسائل الاختلاف ، ولا تحضير بلسم سحري يبرئ الأوصاب ، وإنما نحاول البحث عن كيفية تعقيل أو عقلنة جدلنا ، وتنظيم اختلافاتنا ، وترتيب درجات سلم أولوياتنا ، وتحسين نياتنا وإرادتنا ، على ضوء ما يستخلص من نصوص شرعية حاكمة ، وآثار عن السلف شارحة ، وممارسات رشيدة هادية ؛ إذ من شأن ذلك أن يقلل من الخلاف أو ينزع فتيل ناره لتصبح برداً وسلاماً. يقول العلامة ابن القيم: "فإذا كان الاختلاف على وجه لا يؤدي إلى التباس ، والتحري ، وكل من المختلفين قصده طاعة الله ورسوله لم يضر ذلك الاختلاف ، فإنه أمر لا بد منه في النشأة الإنسانية ؛ لأنه إذا كان الأصل واحداً والغاية المطلوبة واحدة والطريقة المسلوكة واحدة لم يكد يقع اختلاف ، وإن وقع كان اختلافاً لا يضر كما تقدم من اختلاف الصحابة". (الصواعق المرسلة ج 2 ص 519). فكيف نجعل اختلافنا من هذا النوع الذي أشار إليه ابن القيم؟ هذا هو السؤال الذي نحاول الإجابة عنه. بداية يجب أن يكون معلومًا أن الاختلاف بين أهل الحق سائغ وواقع ، وما دام في حدود الشريعة وضوابطها فلا يكون مذموماً بل يكون ممدوحاً ، ومصدراً من مصادر الإثراء الفكري ، ووسيلة للوصول إلى القرار الصائب ، وما مبدأ الشورى الذي قرره الإسلام إلا تشريعاً لهذا الاختلاف الحميد {وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ}. فكم كان النبي صلى الله عليه وسلم يستشير أصحابه ويستمع إلى آرائهم ، وتختلف وجهات نظرهم! كما في تقرير المضي في حملة بدر ، ونتائج المعركة ، وكان الاختلاف في الموقف من الأسرى ، وما لِيم أحد على رأي أبداه أو موقف تبناه ، وما تعصب منهم أحد ولا تحزب ، بل كان الحق غايتهم والمصلحة رائدهم. وقد يقر النبي صلى الله عليه وسلم كلاً من المختلفين على رأيه الخاص ، وبدون أن يبدي أي اعتراض أو ترجيح ، كما في مسألة أمره عليه الصلاة والسلام بصلاة العصر في بني قريظة فقد صلاها بعضهم بالمدينة ولم يصلها البعض الآخر إلا وقت صلاة العشاء ، ولم يعنف أحدًا منهم كما جاء في الصحيحين. وفي السفر كان منهم المفطر والصائم ، وما عاب أحد على أحد كما جاء في الصحيح ، حتى في الاختلاف في القراءة في حديث ابن مسعود. وبعده صلى الله عليه وسلم كانت بينهم اختلافات. حسمت أحياناً كثيرة بالاتفاق ، كما في اختلافهم حول الخليفة بعده صلى الله عليه وسلم ، وحول قتال مانعي الزكاة ، وحول جمع القرآن الكريم ،

وابن مسعود وأبي موسى الأشعري في مسألة إرضاع الكبير).هـ. وإذن فستر جسم المرأة كاملاً بما في ذلك الوجه والكفان وبشروط الحجاب الشرعية الأصيلة الأخرى فهذا هو الحجاب ، وإما كشف الوجه والكفين وغير ذلك من المرأة على أي نحو وبأي داع استجابة لدعاوى الجاهلية الضاربة الأطناب في الأرض اليوم فهذا هو التبرج . ولست بصدد الحديث عن ذلك الأمر الآن ، وإنما كان كل غايتي أن أثبت لأهل الجدل والسفسطة والمغالطة أن ستر النساء لوجوههن كان معروفاً في الجاهلية العربية الأولى ، وليس عادة تركية ، وليس عادة فرعونية ، وليس من تقاليد اليهود ولا النصارى ولا الهندوس. وعلى فرض أنه عادة جاهلية وأقرّها الإسلام فما العيب؟)

54 - الغمام الصيب

(في كتاب (الإحياء) للغزالي 214/3 ما نصه: (وفي الصحبة فوائد دينية ودنيوية. أما الدنيوية فكالانتفاع بمال أو جاه ، أو مجرد الاستئناس بالمشاهدة والمجاورة. وليس ذلك من أغراضنا. وأما الدينية فيجتمع فيها أيضا أغراض مختلفة ، إذ منها: (1) استفادة المال للاكتفاء به عن تضييع الأوقات في طلب القوت. (2) الاستفادة من العلم والعمل. (3) الاستفادة من الجاه تحصناً به من إيذاء من يشوش القلب ويصد عن العبادة. (4) الاستعانة في المهمات فيكون لديه عدة في المصائب وقوة في الأحوال. (5) التبرك بمجرد الدعاء. (6) انتظار الشفاعة في الآخرة.) هـ. وليس الإحياء وصاحبه شراً محضاً كما يذهب إلى ذلك البعض. وهنا تأتي مناسبة الكلام عن المناسبة لإيراد هذا الكلام ، وهي أنني قد أهداني الأستاذ الصومالي / عبد الرحمن حرصي ، كتاباً تمنيت قراءته منذ زمن بعيد ، وهو (مقدمة في فقه الجاهلية المعاصرة) للأستاذ عبد الجواد يسن (أبو أسامة) حفظه الله ورعاه. فتذكرت الأستاذ عبد الجواد وهو يبين لنا أن الحكمة ضالة المؤمن التقطها أنى وجدها. والإحياء حوى حكماً كثيرة ، نلتقطها ونترك ما وقع في الكتاب من الأخطاء ، ونستغفر لصاحبها! واعتبرت هدية الأستاذ عبد الرحمن جزءاً من عطاء العقيدة الذي هو خير عطاء. وذلك لأنه خالد لا يزول باق لا يفتى! فحديثي عن عطاءين الأول والأهم هو عطاء الأستاذ عبد الجواد إذ قدم للإسلام والمسلمين مقدمته العظيمة عن الجاهلية المعاصرة ، فأنار الطريق وبدد حوالكه لكل سالك دربه إلى الله عز وجل. والعطاء الثاني عطاء أخي عبد الرحمن الذي أهداني الكتاب! إن عطاء العقيدة أغلى وأحلى وأنقى وأصفي من أي عطاء ، لأنه العطاء الدائم الخالد. وكل عطاء قد ينسى إلا عطاء الحق والتصور. وإن كنت أنسى فلا أنسى ما منحنى إياه الخل الذي لا يغيب عن البال ولا عن الخاطر ولا عن الوجدان ولا حتى عن الضمير ، ومن هنا أسميته الغمام الصيب مشبهاً إياه بالمطر الذي أينما نزل نفع الله به، وثبتنا الله وإياه وكل موحد على الحق. ويحسن بنا أن نشير إلى أدب وخلق النبي – صلى الله عليه وسلم في الهدية! يتحفنا الأستاذ الفاضل محمد المنجد – حفظه الله – في محاضرة له عن الهدية في الإسلام بكلام ملخصه: إنه من كريم أخلاقه صلى الله عليه وسلم في الهدايا أنه إذا جاءته الهدية ، أشرك فيها من معه ، أو من حوله ، كما جاء في كتاب الرقاق في صحيح البخاري ، دخل عليه الصلاة والسلام فوجد لبناً في قدح فقال: (من أين هذا اللبن؟ فقالوا: أهداه لك فلانٌ أو فلانةٌ ، فقال: أبا هر! قلت: لبيك يا رسول الله! قال: الحق إلى أهل الصفة فادعهم لي ، قال: وأهل الصفة أضياف الإسلام لا يأوون إلى أهلٍ ولا مال ولا على أحدٍ. كان عليه الصلاة والسلام إذا أتته صدقة بعث بها إليهم ولم يتناول منها شيئاً ، وإذا أتته هديةٌ

أرسل إليهم وأصاب منها وأشركهم فيها...) الحديث. إذاً: كان هذا من كريم خُلقه عليه الصلاة والسلام ، من كرمه أنه كان إذا جاءته الهدية لم ينس من حوله من الفقراء والمحتاجين ، وكان من حضره يعطيه ، وإذا أهديت إليه باكورة الثمر ـ أو الثمار ـ كان يعطيها لأصغر القوم سناً ـ الطفل ـ. وكان صلى الله عليه وسلم يتألف بهداياه القوم ، وربما كان رجلٌ حديث عهدٍ بالإسلام أو في قلبه شيء على الإسلام وأهله ، أو على النبي صلى الله عليه وسلم فلا يزال يعطيه حتى يرضيه. ومن الأحاديث الجميلة التي وردت في صحيح البخاري عن ابن أبي مليكة أن النبي صلى الله عليه وسلم: (أهديت له أقبية من ديباجٍ مزررةٍ بالذهب فقسمها في ناسٍ من أصحابه). ولا يلزم أن يلبسوها ؛ لأن لبس الحرير للرجال حرام لكن يمكن أن يعطوها زوجاتهم أو بناتهم ، أو كما فعل عمر حين أهداها لأخٍ له مشرك بمكة . (أهديت له أقبية من ديباجٍ مزررةٍ بالذهب فقسمها في ناسٍ من أصحابه ، وعزل منها واحدة لمخرمة بن نوفل ، فجاء ومعه المسور بن مخرمة فقام على الباب فقال: ادعه لي ـ وكان صاحب جفاء وغلظة ـ فسمع النبي صلى الله عليه وسلم صوته فأخذ قباءً فتلقاه به واستقبله بأزراره فقال: يا أبا المسور! خبأت هذا لك ، يا أبا المسور! خبأت هذا لك ، وكان في خلقه شدة) أي: أبو المسور. وقد كان ابنه المسور بن مخرمة من كبار رواة الأحاديث. وكان صلى الله عليه وسلم يرسل الهدايا في أقربائه ، وكان عنده من الوفاء لذكرى زوجته خديجة ما يستخدم الهدية فيه لإحيائه ، والتدليل على أنه باقٍ في نفسه ذكرى تلك المرأة الطيبة التي ساعدته بمالها ودافعت عنه بنفسها ، وكان أولاده منها وأن ذكراها الطيبة لا زالت موجودة وحية ، فكان إذا ذبح الشاة يُهدي لصديقات خديجة. ولذلك تقول عائشة رضي الله عنها: (ما غرت على امرأةٍ للنبي صلى الله عليه وسلم ما غرت على خديجة). مع أنها ما رأتها ، لكن غارت عليها من الذكر والسمعة ، وأن النبي عليه الصلاة والسلام كان يذكرها دائماً حتى قالت عائشة: (ما تريد من عجوزٍ حمراء الشدقين أبدلك الله خيراً منها؟! قال: إنها كانت وكانت... وكان لي منها ولد). قالت عائشة: (ما غرت على امرأة للنبي صلى الله عليه وسلم ما غرت على خديجة ، هلكت قبل أن يتزوجني ، لكثرة ما كنت أسمعه يذكرها ، وأمره الله أن يبشرها ببيتٍ من قصب ، وإن كان ليذبح الشاة فيهدي في خلائلها منها ما يسعهن) أي: يُعطيهن ما يسعهن).هـ. ومن هنا رحت أثني على الأستاذ عبد الجواد وسفره العظيم. بارك الله فيه ونفه به وختم لنا جميعاً بخاتمة السعادة أجمعين. والله غالب على أمره ، ولكن أكثر الناس لا يعلمون.)

55 ـ فراسة العالم ورهافة حسه

(إنه كلما كانت القصة هادفة كلما أقبلت عليها النفوس المحبة للحق وللخير! دخل رجلٌ غريبٌ على مجلس أحد الحكماء الأثرياء ، فجلس يستمع إلى الحكيم وهو يُعلّم تلامذته وجُلساءه ، ولا يبدو على الرجل الغريب ملامح طالب العلم ، ولكنه بدا للوهلة الأولى كأنه عزيزُ قومٍ أذلّتهُ الحياة. دخل الرجل وسلّم ، وجلس حيث انتهى به المجلس ، وأخذ يستمع للشيخ بأدبٍ وإنصات ، وفي يده قارورةٌ فيها ما يشبه الماء لا تفارقه. قطع الشيخ العالمُ الحكيم حديثه ، والتفت إلى الرجل الغريب ، وتفرّس في وجهه ، ثم سأله: ألك حاجةٌ نقضيها لك؟! أم لك سؤال فنجيبك عنه؟! فقال الضيف الغريب: لا هذا ولا ذاك ، وإنما أنا تاجر ، سمعتُ عن علمك وخُلُقك ومروءتك ، فجئتُ أبيعك هذه القارورةَ التي أقسمتُ ألّا أبيعَها إلا لمن يقدّر قيمتها ، وأنت ـ من دون ريبٍ ـ حقيقٌ بها وجدير. قال الشيخ: ناولنيها ، فناوله إياها ، فأخذ الشيخ يتأملها ويحرك

رأسه إعجاباً بها ، ثم التفت إلى الضيف: فقال له: بكم تبيعها؟ قال: بمئة دينار ، فرد عليه الشيخ: هذا قليل عليها ، سأعطيك مئةً وخمسين. فقال الضيف: بل مئةٌ كاملةٌ لا تزيد ولا تنقص. فقال الشيخ لابنه: ادخل عند أمك وأحضر منها مئةَ دينار. وفعلاً استلم الضيف المبلغ ، ومضى في حال سبيله حامداً شاكراً. ثم انفضَّ المجلسُ وخرج الحاضرون ، وجميعهم متعجبون من هذا الماء الذي اشتراه شيخُهم بمئة دينار. دخل الشيخ إلى مخدعه للنوم ، ولكنّ الفضول دعا ولده إلى فحص القارورة ومعرفةِ ما فيها ، حتى تأكد - بما لا يترك للشك مجالاً - أن ما فيها ماءٌ عاديّ. فدخل إلى والده مسرعاً مندهشاً صارخاً: يا حكيم الحكماء ، لقد خدعك الغريب ، فوالله ما زاد على أن باعك ماءً عادياً بمئة دينار ، ولا أدري أأعجبُ من دهائه وخبثه ، أم من طيبتك وتسرعك؟ فابتسم الشيخ الحكيم ضاحكاً ، وقال لولده: يا بني ، لقد نظرتَ ببصرك فرأيتَه ماءً عادياً ، أما أنا ، فقد نظرتُ ببصيرتي وخبرتي فرأيتُ الرجل جاء يحمل في القارورة ماءَ وجهه الذي أبَتْ عليه عزَّةُ نفسه أن يُريقَه أمام الحاضرين بالتذلُّل والسؤال ، وكانت له حاجةٌ إلى مبلغٍ يقضي به حاجته لا يريد أكثر منه. والحمد لله الذي وفقني لإجابته وفَهْم مراده وحِفْظِ ماء وجهه أمام الحاضرين. ولو أقسمتُ ألفَ مرّةٍ أنّ ما دفعتُه له فيه لقليل ، لما حَنَثْتُ في يميني. فإن استطعتَ أن تفهم حاجةَ أخيك قبل أن يتكلم بها فافعل ، فذلك هو الأجملُ والأمثل ، وتفقَّدْ على الدوام أهلك وجيرانك وأحبابك ، فربما هم في ضيقٍ وحاجةٍ!) 👍

56 - قصة آدم عليه السلام

(المُدْهش لابن الجوزي ، وتحديداً في القسم الأول من الكتاب وهو المختص بذكر القصص وفيه ست وعشرون قصة أوردها ابن الجوزي – رحمه الله – تأتي هذه القصة: (آدم عليه السلام - اعلموا أن الله تعالى خلق آدم عليه السلام آخر الخلق ، لأنه مهّد الدار قبل الساكن وأقام عذره قبل الزلل بقوله: (في الأرض) ، فظنت الملائكة أن تفضيله بنفسه فضنت بالفضل عليه فقالوا: (أتجعل فيها) فقوبلوا بلفظ (إني أعلم)! فلما صوره ألقاه كاللقا ، فلما عاين إبليس تلك الصورة بات من الهم في سَورة ، فلما نفخ فيه الروح بات الحاسد ينوح ثم نودي في نادي الملائكة (اسجدوا لآدم) ، فتطهروا من غدير (لا علم لنا) وغودر الغادر بخساً بكبرياء (أنا خير) ، ثم حام العدو حول حمى المحمى ، فلولا سابق القدر ما قدر عليه ، فلما نزل إلى الأرض خدخد الفرح بدمع الترح ، حتى أقلق الوجود ، فجاء جبريل فقال: ما هذا الجهد فصاح لسان الوجد للخفاجي

(ما رحلت العيش عن أرضكم ... فرأت عيناي شيئا حسنا)

(هل لنا نحوكم من عودة ... ومن التعليل قولي هل لنا)

يا آدم لا تجزع من كأس خطإ كان سبب كيسك ، فلقد استخرج منك داء العجب وألبسك رداء النسك لو لم تذنبوا! وبيت شعر للمتنبي يفصّل ذلك:-

(لعل عتبك محمود عواقبه ... فربما صحت الأجسام بالعلل)

لا تحزن لقولي لك (اهبط منها) فلك خاتمتها ، ولكن اخرج منها إلى مزرعة المجاهدة ، وسق من دمعك ساقية لشجرة ندمك فإذا عاد العود أخضر فعد! وبيتان للبحتري يفصلان ذلك:-

(إن جرى بيننا وبينك عتب ... أو تنأت منا ومنك الديار)

(فالغليل الذي عهدت مقيم ... والدموع التي شهدت غزار)

ما زالت زلة الآكلة تعاده حتى استولى داؤه على أولاده ، فنمت هينمة الملائكة بعبارة نظر العاقبة فنشروا مطوى (أتجعل) قرعوا بعصي الدعاوي ظهور العصاة ، فقيل لهم: لو كنتم بين أفاعي الهوى وعقارب اللذات لبات سليمكم سليماً ، فأبوا للجرأة ألا جر جرير الدعاوي وحدثوا أنفسهم بالتقى بالتقاوي ، فقيل: نقبوا عن خيار نقبائكم ، وانتقوا ملك الملكوت ، فما رأوا فيما رأوه لمثلها مثل هاروت وماروت ، فأبى لسفر البلاء بالبلية ، فما نزلا حتى نزلا من مقام العصمة فنزلا منزل الدعوى فركبا مركب البشرية ، فمرت على المرئيين امرأة يقال لها الزهرة بيدها مزهر زهرة الشهوة ، فغنت الغانية بغنةٍ أغن ، فرأت قيان الهوى فهوى الصوت في صوب قلب قلبيهما ، فقلبهما عن تقوى التقويم فانهار بناء عزم هاروت وما رهم حزم ماروت فأراداها على الردى ، فراوداها وما قتل الهوى نفساً فوداها فبسطت نطع التنطع على تحت التخيير إما أن تشركا وإما أن تقتلا وإما أن تشربا ، فظنا سهولة الأمر في الخمر وما فطنا فلما امتد ساعد الخلاف ، فسقى فسقاً فدخلا سكك السكر فزلا في مزالق الزنا ، فرآهما مع الشخصية شخص فشخصا إليه فقتلا فكشت فتنتهما في فئة الملائكة فاتخذوا لتلك الواردة ورداً من تضرع (ويستغفرون لمن في الأرض).هـ.

57 - رب ضارةٍ نافعة!

(يقول هذا الشاب: كنتُ أعيش مع والدي ، ولم تكن تعجبني تصرفاته ولا أقواله في كثير من الأحوال! حيث كان يهدف إلى ترتيب كل شيء وتنسيق الكلام والثياب والأشياء والأمتعة كما ينبغي! وكنتُ أميل إلى الفوضى! وحدث ما لم أكن أتوقع! فاليوم أجري المقابلة الشخصية الأولى في حياتي للحصول على وظيفةٍ مرموقةٍ في إحدى الشركات الكبرى. وإن تم قبولي فسأترك هذا البيت الكئيب إلى غير رجعةٍ ، وسأرتاح من أبي وتوبيخه الدائم لي. استيقظتُ في الصباح الباكر واستحممتُ ولبستُ أجمل الثياب وتعطرتُ وهممتُ بالخروج ، فإذا بيدٍ تربت على كتفي عند الباب. التفتُ فوجدتُ أبي متبسماً رغم ذبول عينيه وظهور أعراض المرض جلية على وجهه. وناولني بعض النقود وقال لي: أريدك أن تكون إيجابياً واثقاً من نفسك ولا تهتز أمام أي سؤال. تقبلت النصيحة على مضض وابتسمت وأنا أتأفف من داخلي ، حتى في هذه اللحظات لا يكف عن النصائح وكأنه يتعمد تعكير مزاجي في أسعد لحظات حياتي. خرجت من البيت مسرعاً ، واستأجرت سيارة أجرةٍ وتوجهت إلى الشركة. وما أن وصلت ودخلت من بوابة الشركة حتى تعجبتُ كل العجب! فلم يكن هناك حُراس عند الباب ولا موظفو استقبال سوى لوحاتٍ إرشادية تقود إلى مكان المقابلة. وبمجرد أن دخلت من الباب لاحظت أن مقبض الباب قد خرج من مكانه وأصبح عرضة للكسر إن اصطدم به أحد. فتذكرت نصيحة أبي لي عند خروجي من المنزل بأن أكون إيجابياً ، فقمتُ على الفور برد مقبض الباب إلى مكانه وأحكمته جيداً. ثم تتبعت اللوحات الإرشادية ومررت بحديقة الشركة فوجدت الممرات غارقة بالمياه التي كانت تطفو من أحد الأحواض الذي امتلأ بالماء الى آخره. وقد بدا أن البستاني قد انشغل عنه. فتذكرتُ تعنيف أبي لي على هدر المياه فقمتُ بسحب خرطوم المياه من الحوض الممتلئ ووضعته في حوض آخر مع تقليل ضخ الصنبور حتى لا يمتلئ بسرعة إلى حين عودة

البستاني. ثم دخلت مبنى الشركة متتبعا اللوحات وخلال صعودي على الدرج ، فلاحظت الكم الهائل من مصابيح الإنارة المضاءة ونحن في وضح النهار ، فقمت لا إرادياً بإطفائها خوفاً من صراخ أبي الذي كان يصدح في أذني أينما ذهبت. إلى أن وصلت إلى الدور العلوي ففوجئت بالعدد الكبير من المتقدمين لهذه الوظيفة! فقمت بتسجيل اسمي في قائمة المتقدمين وجلست أنتظر دوري وأنا أتمعن في وجوه الحاضرين وملابسهم لدرجة جعلتني أشعر بالدونية من ملابسي وهيئتي أمام ما رأيته. والبعض يتباهى بشهاداته الحاصل عليها من الجامعات الأمريكية. ثم لاحظت أن كل من يدخل المقابلة لا يلبث إلا أن يخرج في أقل من دقيقة. فقلت في نفسي إن كان هؤلاء بأناقتهم وشهاداتهم قد تم رفضهم فهل سأقبل أنا؟! فهممت بالانسحاب والخروج من هذه المنافسة الخاسرة بكرامتي قبل أن يقال لي: نحن نعتذر لك. فتذكرت نصيحة أبي وأنا خارج من البيت أريدك أن تكون إيجابياً واثقاً من نفسك ، فمكثت منتظراً دوري وكأن كلامه قد أعطاني شحنات ثقة بالنفس غير عادية. وما هي إلا دقائق فإذا بالموظف ينادي على اسمي للدخول. دخلت غرفة المقابلة وجلست على الكرسي في مقابل ثلاثة أشخاص نظروا إلي وابتسموا ابتسامة عريضة ثم قال أحدهم: متى تحب أن تستلم الوظيفة؟ فذهلت لوهلة وظننت أنهم يسخرون مني أو أنه أحد أسئلة المقابلة ووراء هذا السؤال ما وراءه. فتذكرت نصيحة أبي لي عند خروجي من المنزل بألا أهتز وأن أكون واثقاً من نفسي. فأجبتهم بكل ثقة: بعد أن أجتاز الاختبار بنجاح مباشرة إن شاء الله. فقال آخر: لقد نجحت في الامتحان وانتهى الأمر. فقلت ولكن أحداً منكم لم يسألني سؤالاً واحداً! فقال الثالث: نحن ندرك جيداً أنه من خلال طرح الأسئلة فقط لن نستطيع تقييم مهارات أي من المتقدمين. ولذا قررنا أن يكون تقييمنا للشخص عملياً. فصممنا مجموعة اختبارات عملية تكشف لنا سلوك المتقدم ومدى الإيجابية التي يتمتع بها ومدى حرصه على مقدرات الشركة ، فكنت أنت الشخص الوحيد الذي سعى لإصلاح كل عيب تعمدنا وضعه في طريق كل متقدم ، وقد تم توثيق ذلك من خلال كاميرات مراقبة وضعت في كل أروقة الشركة. حينها فقط اختفت كل الوجوه أمام عيني ونسيت الوظيفة والمقابلة وكل شيء. ولم أعد أرى إلا صورة أبي! ذلك الباب الكبير الذي ظاهره القسوة ولكن باطنه الرحمة والمودة والحب والحنان والطمأنينة. شعرت برغبة جامحة في العودة إلى البيت والانكفاء لتقبيل يديه وقدميه. لماذا لم أر أبي من قبل؟ كيف عميت عيناي عنه؟ عن العطاء بلا مقابل ... عن الحنان بلا حدود ... عن الإجابة بلا سؤال ... عن النصيحة بلا استشارة ... لا تتأففوا من كثرة نصائح آبائكم ، فإن من ورائها حباً كبيراً ستدركونه يوماً ما ...وعندما تكونوا في وضعهم .. ربي ارحمهما كما ربياني صغيراً.)

58 - مواعيد عرقوب

(كان العرب في الجاهلية يمتدحون الوفي الصادق في كلامه ، ويذمون مخلف الوعد ، ويتعلق بهذا الخلق المذموم لديهم قصة مشهورة صارت مثلًا يذم كل من يخلف مواعيده ، فَيقال: كمواعيد عرقوب ، فعرقوب كان رجلًا يهوديًا يعيش في يثرب ، وله أخ محتاج ، وكان لعرقوب نخلة في بيته وعد أخاه أن يعطيه شيئًا من ثمرها إذا أثمرت ، فلما أثمرت النخلة ، رجع أخوه ليطلب منه ما وعده به. فقال له عرقوب: عد إليَّ إذا أصبحت الثمار بلحًا ، فذهب أخوه وعاد إليه مرة أخرى عندما صارت الثمار بلحًا ، فصرف عرقوب أخاه بقوله: عد إليَّ إذا أصبحت الثمار زهوًا ، فذهب أخوه وعاد له وقد أصبحت الثمار كذلك. فأطل عرقوب على أخيه

وقال له: عد إليَّ عندما تصبح الثمار رُطبًا ، فذهب ثم عاد إليه عندما أصبحت الثمار رطبًا ، فصرفه عرقوب حتى تصبح الثمار تمرًا ، فاصطبر الأخ على أمل أن يعطيه من الثمار إذا صارت تمرًا ، فلما صارت تمرًا ذهب عرقوب إلى الشجرة ليلًا فقطف ثمارها ، وولم يترك لأخيه شيئًا منها ، فلمّا اشتهرت القصة صار عرقوب مضربًا للمثل في خلف الوعد ، وقد ذمه الشعراء في أبيات مختلفة ؛ لأنه عمد إلى خلف وعده مع قدرته على تنفيذه ، وفي هذا مذمة لكل من يخلف وعدًا كان قادرًا على إنجازه لصاحبه.)

59 - المعروف لا يضيع أبداً

(كان هناك في إحدى المدن يعيش شاب بمفرده يصلي ويفعل من الخير ما استطاع ، وكان هذا الشاب قبل نومه متعود على أن يقيم الليل كل ليلة ، ولكن في إحدى الليالي لم يستطع النوم فحاول تكرارا ولكنه لم يستطع أبداً ، فقرر النزول والتجول بسيارته ، وأثناء تجوله بسيارته وجد امرأة تحمل طفلاً لا يتجاوز عمره الثلاث سنوات ، فاقترب منها فسمعها تحدث نفسها قائلة: "لقد ذهبت لشقيق زوجي رحمة الله عليه ولكنه أغلق الباب في وجهي وبابك يا رب لا يغلق أبداً!". هنا اقترب منها الشاب وحاول أن يقدم لها المساعدة ، فأخبرته عن مرض ابنها وأنها لا تستطيع فحص ما به لأنها لا تملك المال ، هنا طلب منها الشاب أن تصعد سيارته وذهب بها إلى الطبيب ليفحصه ويطمئنها عن حالة ابنها الصحية ، ودفع أجر الطبيب واشترى الأدوية أيضاً ، ثم قام بتوصيلها للمنزل ، ولكن عندما رأى المنزل قديماً تعهد بتجديده وأخبرها أن لها مالاً شهرياً وأعطاها مبلغاً من المال ثم انصرف. وفي صباح يوم التالي وجد رجلاً قد صدمته سيارة وهرب صاحب السيارة مسرعاً ، ولكن ذلك الشاب أخذ الرجل للمستشفى وظل الشاب في انتظاره وعندما جاءه الطبيب وأخبره أن الرجل قد فارق الحياة ، وتم تحويله للشرطة وتم اتهامه بقتل ذلك الرجل. فقال الشاب: لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين. جلس الشاب يدعو الله وفجأة استدعاه ضابط الشرطة ليعتذر له ، وأخبره أن الرجل لم يمت وأن هذا الرجل مدين لك بحياته ، فأنت من أنقذ حياته ، هنا تذكر الشاب دعاء الأرملة له بأن الله يحفظه من كل مكروه ، وهنا عرف الشاب أن المعروف لا يضيع أبداً.)

60 - نزلاء الفندق غريبو الأطوار

(يُحكى أنّ رجلاً وابنه الشاب نزلا في أحد الفنادق ، حيث تمّت مرافقتهما إلى غرفتهما ، ولاحظ حينها الموظف هدوء الاثنين والشحوب الكبير على الابن. وفي وقت لاحق من نفس اليوم ، نزل الأب وابنه لتناول العشاء في مطعم الفندق ، وكذلك لاحظ طاقم الضيافة التزام الاثنين الصمت ، كما أن الابن بدا متململاً غير مهتمّ بطعامه. وبعد الانتهاء من الطعام ، غادر الابن إلى غرفته وتوجّه الأب إلى أحد موظفي الاستقبال طالبًا منه مقابلة مدير الفندق. استفهم الموظف عن السبب وسأل الرجل إن كان هنالك أيّة مشكلة أو حادثة ضايقته ، وعرض عليه إصلاح الأمر ، لكنّ هذا الأخير أكدّ أنّ كلّ شيء على ما يرام ، وكرّر طلبه ورغبته في رؤية المدير. وحينما جاء المدير ، شرح له الرجل أنّه قد جاء ليقضي الليلة مع ابنه ذو الأربعة عشر عامًا في الفندق ، وأنّ (الابن) يعاني مرضًا خطيرًا لا شفاء منه. قال: - سيبدأ ابني العلاج خلال أيام قليلة ، وسيفقد شعره نتيجة ذلك ، لذا فقد قرّر أن يحلق شعره اليوم بنفسه وألاّ يسمح للمرض أن يتغلّب عليه. هذا ما سأفعله أنا أيضًا ، لذا أرجو منك يا سيدي أن تخبر الموظفين

بأن يتفهّموا الأمر وأن يتعاملوا معنا بشكل طبيعي يوم الغد دون تحديق أو إظهار علامات استغراب وتعجّب. طمأن المدير الرجل الطيب ، وأكّد له أنّه ما من داعٍ للقلق وسيُخبر الموظفين وينبّه عليهم ليحسنوا التصرّف. وفي اليوم التالي ، حينما دخل الرجل وابنه إلى المطعم ، وقع نظرُهما على الموظفين وهم يؤدّون واجباتهم الاعتيادية ولكن كانوا جميعهم قد حلقوا رؤوسهم تعبيرًا منهم عن دعم ومساندة الصغير في رحلته لمحاربة المرض! ونستفيد درساً عظيماً من هذه القصة: أنه مهما كانت وظيفتك ومجال عملك ، يمكنك دائمًا تقديم يد العون للآخرين وإحداث فرق في هذا العالم ، ولو بشيء بسيط في ظاهره عظيم في حقيقته!)

61 - الصائغ والجان والجنة

(في قلب العراق القديم في بغداده النابض بالحياة نسجت هذه القصة أحداثها بين عشية وضحاها. فكعادته كل صباح ومع انبثاق ساعات الفجر الأولى اعتاد المعلم (حسين) الجواهرجي على النهوض من نومه والاتجاه صوب عمله القريب من سكنه ، حيث يقبع دكانه الصغير الذي يبيع فيه الحلي والجواهر ، ويقوم بإصلاح ما كُسر منها ولا يفارق عمله إلا مع حلول الظلام. وفي صباح يوم من أيام الشتاء القارس وبينما المعلم حسين يقبع على كرسيه المعدني المغطى بقطعةٍ من القماش في دكانه منتظراً رزقه المكتوب إذ برجل مسن يدخل الدكان سنه إلى الخمسين أقرب ، ذو لحية سوداء وشارب كث في يده سبحة طويلة تتدلى على صدره يكسو مُحياه هالة من وقار! أعطى الشيخ المعلم حسين إسورةً ذهبية طالباً منه إصلاحها ، شرع المعلم حسين في عمله بعد أن طلب من الشيخ القعود على الكرسي ريثما يفرغ من عمله المناط به. ولم يكد يمضي من الوقت عشر دقائق بعد شروع المعلم حسين في عمله حتى دخلت امرأة الدكان تحمل في يدها عقداً مكسوراً طالبة من المعلم إصلاحه ، فابتسم المعلم في وجهها وبش ثم قال لها: عفواً سيدتي فقط انتظري ربع ساعة ، حتى انتهي من إصلاح إسورة هذا الرجل ـ وأشار بيده صوب الشيخ الجالس ـ. وهنا علت الدهشة وجه المرأة وهي تحدثه: أي رجل تقصد! فقال لها: هذا الرجل المسن الذي يقعد على الكرسي إلى يمينك. فاتسعت حدقتا عين المرأة وهي تردد: لا شك أنك مجنون! ثم خرجت وهي تحوقل (لا حول ولا قوة إلا بالله). فلم يكترث المعلم حسين لخروج المرأة ، وانهمك في شغله محاولاً إنجازه. وبعد برهةٍ قصيرةٍ بعد تلك المحادثة دلف إلى المحل رجلٌ يصحب معه امرأة ، فأخذا ينظران ويتأملان الحُلي والجواهر يودان المعاينة والشراء ، فوقعا اختيارهما على عقدٍ ماسي فأشارا على المعلم حسين أن يريهما إياه ، فقال لهما المعلم حسين: انتظرا حتى أخدم هذا الرجل فقد أتى قبلكما. نظر الرجل والمرأة لبعضهما في استغراب متسائلين عن ذلك الرجل المزعوم. فقال المعلم: هذا القاعد إلى يمينكما. نظر الرجل إلى المرأة وقال لها: أظن هذا الجواهرجي لا يريد أن يبيعنا فهو يشير إلى شيء غير موجود ، هيا بنا إلى صائغ آخر. بدا القلق والخوف والشك يساور المعلم حسين وهو يصعّد النظر في وجه هذا الشيخ المسن ، وذلك قبل أن يضع اللمسات الأخيرة على تلك الإسورة . لم يشطح به الخيال بعيدا إذ سرعان ما دخل الدكان شاب في الثلاثين من عمره راغباً في إصلاح عقدٍ يحمله وهو في عجلةٍ من أمره ، فطلب منه المعلم حسين كما طلب من السابقين الانتظار لدقائق حتى ينهي ما في يده من عمل لذلك الشيخ ، تبرم الشاب قائلاً: أي رجلٍ تتحدث عنه أني لا أرى في هذا الدكان غيري وغيرك! فانطلق المعلم يتحدث بعد أن هب واقفاً على قدميه: هذا الذي أمامك! أخذ الشاب يصفق كفاً في كف وهو لا يشك في جنون الصائغ لحظة

واحدة ، وأدار ظهره للمعلم حسين باحثاً عن صائغ آخر. عند ذلك فزع المعلم حسين فزعاً عظيماً وأحس أنه في مأزق لا يحسد عليه وهو يقلب نظره في وجه الشيخ (الصامت مذ دخوله المحل) ، فأيقن المعلم أن الذي أمامه ليس من البشر ، فبدأ يجمع قواه التي خارت ورباطة جأشه التي انهارت لمجرد التفكير أن الذي أمامه جان أو عفريت فقال: بالله عليك من أنت؟ هل أنت من الجان؟! ابتسم الشيخ وهو يردد: لا تخف يا بني فمثلك لا يروّع. أنا لست جاناً ، أنا من البشر ولكنني رجل صالح من أولياء الله الصالحين ولا أحد يراني الأخيار مثلك. ذهب روع المعلم حسين وهو يستمع لهذا الصوت الوقور الهادئ وسر سروراً عظيماً عندما أخبره أنه من الأخيار. التفت الشيخ إلى المعلم حسين وقال له: اطلب يا بني ما تشاء وسألبيه لك في الحال. قال المعلم: جزيت خيرا يا شيخ لا أريد إلا شيئاً واحداً. واحداً فقط أريد أن أرى الجنة! قال له الشيخ: طلبك مجاب يا بني. ثم أخرج من جيبه منديلاً ناصع البياض وقال للمعلم حسين: شم هذا المنديل يا بني وسترى في لحظات الجنة عياناً. لم يصدق المعلم خبراً فأخذ يشم المنديل بلهفة المشتاق إلى الجنة. وبعد بضع ساعات قضاها المعلم حسين في سبات عميق استيقظ بعدها ليجد دكانه خالي الوفاض. يصفر من كل شيء! فقد اكتشف بعد فوات الأوان أن الأمر مدبر بين جميع من دخل الدكان لسرقته بعد غشه وخداعه وقد نجحوا ، ولم يبقَ للمعلم حسين سوى ذلك المنديل ليشتمه كلما تذكر تلك الحادثة العجيبة.)

62 - قصة مسافر

(يحكي لنا هذا المسافر عن نفسه فيقول: أنا في السنة النهائية في المرحلة الثانوية. لم يبق على الامتحانات إلا القليل. وعدني أبي إن نجحتُ أن يوافق على رحيلي إلى الخارج للسياحة. مرت الأيام. امتحنت ونجحت ..والأرض لا تسعني من شدة الفرح كالمجنون .. أخبر كل من ألقاه بنجاحي حتى الذين لا يعرفون العربية ..حتى عامل النظافة قلت له: أني ناجح.. بل عانقته! وصلت إلى البيت. رقص المنزل فرحا ... ومال طرباً. كلهم سعداء. بعد الغداء ذكّرتُ والدي بوعده وضرورة الحفاظ على عهده ...وافق ثم مدّ يده ... وأخرج شيكاً ..سجلتُ في إحدى الحملات السياحية لزيارة الدول الأوربية ... ما أسرع ما يمضي الوقت ..في السماء أفكر .. أخيراً تركت أرضي ... إلى البلاد المفتوحة .. وصلنا. كل شيء معد للاستقبال .. الفندق .. جدول الزيارات والرحلات البرية ..عالم غريب ..تختلط فيه أصوات السكارى .. مع آهات الحيارى ..لا تسألني ماذا فعلت ..فعلت كل شيء .. كل شيء ..إلا الصلاة وقراءة القرآن ... فلم يكن هناك وقت لذلك .. لولا سحنة وجهي ..وسمار لوني العربي لظنني الناس غربياً حركاتي .. سكناتي .. لباسي .. كلامي. كل شيء يدل على أنني غربي .. لولا الوجه واللون .أحبوني كلهم .. قائد الرحلة .. والمرشدة ... والمسؤول عن الفرقة التي كنت فيها.. والمشتركون والمشتركات .. الجميع بلا استثناء .. دخل حبي في قلوبهم ..مر الوقت سريعا ..لم يبق على انتهاء الرحلة إلا يوما واحدا وكما هو محدد في الجدول .. نزهة برية... وحفل تكريم. الأرض بساط أخضر .. يموج بالألوان الساحرة .. والخطوط الفاتنة .. تناثرت هنا وهناك .. مالت الشمس إلى الغروب .. وسقطتْ صريعة خلف هاتيك الجبال الشامخات .. والروابي الحالمات .. فلبستْ السماء ثوب الحداد .. حزنا على ذهاب يوم مضى . عندها .. بدأ ليل العاشقين .. وسعي اللاهثين .. واختلطت أصوات الموسيقى الحالمة .. بتلك الآهات الحائرة ثم أعلن مقدم الحفل أن قد بدأ الآن حفل الوداع وأول فقرة من فقراته .. هو اختيار الشاب المثالي في هذه الرحلة

الممتعة .. ثم تعليق الصليب الذهبي في عنقه تكريماً له من قائد الرحلة... قام قائد الرحلة ... وأمسك بالمكبر .. حتى يعلن للجميع اسم ذلك المحظوظ الفائز .. هدأت الأنفاس ... وسكنت الحركات. وأعلن القائد ..الشاب المثالي في الرحلة هو ... (فلان بن فلان) . تعالت الصرخات .. وارتفع التصفيق وعلا الهتاف ...وأنا لا أصدق أذني ... ذهلت .. تفاجأت. لم أصدق إلا بعد أن قام المشاركون بحملي .... والاحتفال بي صدمت ... لا تبدو على وجهي آثار الفرحة . فكرت .. لماذا اختاروني أنا ... هناك الكثير ممن هو على دينهم ... ألأني مسلم اختاروني ... ؟! توالت الأسئلة .. وتتابعت علامات الاستفهام والتعجب تذكرت .. أبي وصلاته ... وأمي وتسبيحها. تذكرت إمام المسجد .. الخطبة كانت عن السفر إلى الخارج . تذكرت الشريط الذي أهداه لي صديقي .. كان عن التنصير . تذكرت الرسول صلى الله عليه وسلم تخيلته أمامي ... ينظر .. ماذا سأفعل ...وصلت إلى المنصة ..أمسك القائد بالصليب الذهبي ...إنه يلمع كالحقد ... ويسطع كالمكر. اقترب القائد ... وهو يبتسم ابتسامة الرضى والفوز ..أمسك بعنقي ... ووضع الصليب ...(وإذا بهاتف في داخلي يقول لي: قف! إنك مسلم). أمسكت بالصليب الذهبي .. وقذفته في وجهه ... ودسته تحت قدمي ... أخذت أجري وأجري ... أجري وأجري ...صعدت إلى ربوة ..وصلت إلى قمتها ...صرخت في أذن الكون ...وسمع العالم ..الله أكبر ... الله أكبر أشهد أن لا إله إلا الله أشهد أن محمدا رسول الله! وعدتُ إلى رشدي وأدركتُ أنني كنت أسير في الطريق الخطأ! من كتاب الميلاد الجديد للأستاذ الأديب إبراهيم بن عبدالله الغامدي!)

63 - احذر أن يدعو عليك أحد!

(أحد الإخوة وهو أخ ثقة يقول: هذه القصة وقعت أثناء موسم الحج قبل الماضي ، وهي لأحد العاملين في منى! يقول أتى أحد الحجاج الأتراك وهو رجل كبير في السن ، وقام بقضاء حاجته بجانب أحد المخيمات وشاهده أحد الرجال ، وذهب إليه وهو لم ينته من قضاء حاجته بعد ، وقام الرجل بوضع يده على كتف التركي (لأنه لم يرد عليه) وضغط علية بشدة حتى وقع الرجل التركي على الأرض وتنجس بعذرته! يقول محدثي بكي الرجل التركي مما أصابه ورفع يده إلى السماء وكان يدعو على زميلنا ونحن نقول له: يا فلان اذهب واعتذر منه فهو ضيف الرحمن حاولنا معه ، ولكن دون فائدة! يقول ذهبنا إلى الرجل ومعنا ساتر ودبرنا إحرامات ولبسها بعد أن تنظف والرجل التركي مازال يدعو على زميلنا يقول وبعد انتهاء موسم الحج ذهب الرجل المتجاوز المعتدي هذا إلى مدينته ، وفي الطريق وهو بداخل المدينة وكانت هناك أمطار على ما أظن يقول تزحلقت السيارة بحادث وانقلبت ، ودخلت في حفرة مجاري وهي مليئة بمياه المجاري وأخرجوا الرجل منها وهو ميت وجميع بدنه ملوث بمياه المجاري انتقاماً للحاج التركي الذي دعا بما دعا والله استجاب! وإذا كان النبي – صلى الله عليه وسلم – لم يسمح بقطع البولة على الأعرابي وفي المسجد ، فهل مقارنة بين هذه الوقعة وتلك؟!)

64 - إسلام العالم المجري عبد الكريم جرمانيوس

(ليس أجمل من أن يتحول الإنسان من الباطل إلى الحق! وفي كتاب: (رجال ونساء أسلموا!) وهو من إعداد الأستاذ الأديب: عبد الرحمن محمود ، كانت القصة بتفاصيلها وبالنص مع تصف زهيد: (وهذه نبذة عنه: إنه عالم مجري ، وصفه العقاد بأنه: "عشرة علماء في واحد". أتقن ثماني لغات وألف بها ، وهي العربية والفارسية والتركية والأوردية والألمانية

والمجرية والإيطالية والإنجليزية .. وكان عضواً في مجامع اللغة العربية في دمشق والقاهرة وبغداد والرباط ، وله أكثر من مائة وخمسين كتاباً بمختلف اللغات . منها كتاب "معاني القرآن" .. و"شوامخ الأدب العربي".. و"الله أكبر".. و"الحركات الحديثة في الإسلام". يقول الدكتور عبد الكريم جرمانوس: "حَبّب لي الإسلام أنه دين الطهر والنظافة: نظافة الجسم والسلوك الاجتماعي والشعور الإنساني ، ولا تستهن بالنظافة الجسمية فهي رمز ولها دلالتها"- (النهضة الإسلامية في سير أعلامها المعاصرين) د. محمد رجب البيومي (2 / 421) - "كم أَلفيت في قلوب المسلمين كنوزاً تفوق في قيمتها الذهب ، فقد منحوني إحساس الحب والتآخي ، ولقّنوني عمل الخير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .. وعلى المسلمين أن يعضّوا بالنواجذ على القيم الخلقية التي يمتازون بها ، ولا ينبهروا ببريق الغرب ، لأنه ليس أكثر من بريقٍ خاوٍ زائف"- (هؤلاء المثقفون اختاروا الإسلام) محمد عثمان ص (35) – ومن أقواله أيضاً: "الإسلام دين الحضارة": "فلا يوجد في تعاليم الإسلام كلمة واحدة تعوق تقدم المسلم ، أو تمنع زيادة حظه من الثروة أو القوة أو المعرفة .. وليس في تعاليم الإسلام ما لا يمكن تحقيقه عملياً ، وهي معجزة عظيمة يتميز بها عن سواه ، فالإسلام دين الذهن المستنير ، وسيكون الإسلام معتقد الأحرار" . ويكتشف جرمانوس العلاقة الوثيقة بين اللغة العربية وبين الإسلام ، ويتعلق بلغة القرآن إلى درجة الهيام بها ، فيقول: "لقد تمنيت أن أعيش مائة عام ، لأحقق كل ما أرجوه لخدمة لغة القرآن الكريم ، فدراسة لغة الضاد تحتاج إلى قرن كامل من الترحال في دروب جمالها وثقافتها"- (هؤلاء المثقفون اختاروا الإسلام) محمد عثمان ص (36)- مقالة عنه من كتاب الإسلام والغرب، الوجه الآخر – حسن السعيد: الحاج عبد الكريم جرمانوس مستشرق مجريّ وعالِم ، طبقت شهرته آفاق العالم. وُلد في بودابست ، وتعلّم اللّغات الغربيّة: اليونانيّة ، واللّاتينيّة ، الإنجليزيّة ، والفرنسيّة ، والإيطاليّة ، والمجريّة ، ومن اللّغات الشرقيّة: الفارسيّة والأورديّة ، وأتقن العربيّة والتركيّة على أستاذيه: فامبيري ، وغولد زيهر اللّذين ورث عنهما ولَعهما بالشرق الإسلاميّ. ثمّ تابع دراستهما بعد عام 1905م في جامعتي استانبول وفينّا. وصنّف كتاباً بالألمانيّة عن الأدب العثمانيّ (1906م) ، وآخر عن تاريخ أصناف الأتراك في القرن السابع عشر ، فنال عليه جائزة مكّنته من قضاء فترة مديدة في لندن ، حيث استكمل دراسته في المتحف البريطانيّ. وفي عام 1912م عاد إلى بودابست ، فعُيِّن أستاذاً للّغات العربيّة والتركيّة والفارسيّة ، وتاريخ الإسلام وثقافته في المدرسة العليا الشرقيّة. ثمّ في القسم الشرقيّ من الجامعة الاقتصاديّة ، ثمّ أستاذاً ورئيساً للقسم العربيّ في جامعة بودابست (1948م) ، وظلّ يقوم فيه بتدريس اللّغة العربيّة ، وتاريخ الحضارة الإسلاميّة والأدب العربي قديمه وحديثه ، محاولاً إيجاد حلقات اتصال بين نهضات الأُمم الإسلاميّة الاجتماعيّة والسيكولوجيّة ، حتّى أُحيل على التقاعد (1965). ودعاه "طاغور" إلى الهند أستاذاً للتاريخ الإسلاميّ ، فعلمه في جامعات دلهي ، ولاهور ، وحيدر آباد (1929-1932) ، وهناك أشهر إسلامه في مسجد دلهي الأكبر ، وألقى خطبة الجمعة ، وتسمّى بـ "عبد الكريم". وقدم القاهرة وتعمّق في دراسة الإسلام على شيوخ الأزهر ، ثمّ قصد مكّة حاجّاً وزار قبر الرسول صلى الله عليه وسلم ، وصنّف في حجّته كتابه: الله أكبر ، وقد نُشر في عدّة لغات (1940م) ، وقام بتحرِّيات علميّة (1939-1941م) في القاهرة والسعوديّة نشر نتائجها في مجلّدين: شوامخ الأدب العربي (1952م) ، ودراسات في التركيبات اللّغوية العربيّة (1954م). وربيع عام 1955 عاد ليقضي بضعة أشهر في القاهرة والإسكندريّة ودمشق بدعوة من

الحكومة ليحاضر بالعربيّة عن الفكر العربيّ المعاصر ، وعن صور من الأدب المجريّ ، ثمّ رجع إلى الشرق العربيّ في شتاء 1958م ، لاستكمال مصادر كتابه الجديد عن أدبائه المعاصرين. والذي صدرت بعض فصوله ، وفيها قصص الكتّاب المعاصرين. وقد انتخب عضواً في المجمع الإيطالي(1952م) ، ومراسلاً للمجمع اللّغويّ بالقاهرة (1956م) ، وفي المجمع العلميّ العراقي (1962م). هذا ، ولقد كانت هناك إرهاصات اعتناقه الإسلام: يروي الدكتور "عبد الكريم جرمانوس" خلفيّات اهتدائه إلى الإسلام فيقول: "كان ذلك في عصر يوم مطير ، وكنتُ ما أزال في سنّ المراهقة ، عندما كنتُ أقلِّب صحائف مجلّة مصوّرة قديمة ، تختلط فيها الأحداث الجارية مع قصص الخيال ، مع وصف لبعض البلاد النائية ؛ بقيت بعض الوقت أقلِّب الصحائف في غير اكتراث إلى أن وقعت عيني فجأة على صورة لوحة خشبيّة محفورة استرعت انتباهي ، كانت الصورة لبيوت ذات سقوف مستوية تتخلّلها هنا وهناك قباب مستديرة ترتفع برفق إلى السماء المظلمة التي شقّ الهلال ظلمتها.. ملكت الصورة عليَّ خيالي.. وأحسستُ بشوق غلاّب لا يقاوم إلى معرفة ذلك النور الذي كان يُغالب الظّلام في اللّوحة.. بدأتُ أدرس اللّغة التركيّة ، ومن ثمّ الفارسيّة فالعربيّة. وحاولتُ أن أتمكّن من هذه اللّغات الثلاث حتّى أستطيع خوض هذا العالم الروحيّ الذي نشر هذا الضوء الباهر على أرجاء البشريّة". وفي إجازة صيف كان من حظّه أن يُسافر إلى البوسنة وهي أقرب بلد شرقيّ إلى بلاده. وما كاد ينزل أحد الفنادق حتّى سارع إلى الخروج لمشاهدة المسلمين في واقع حياتها.. حيث خرج بانطباع مُخالف لما يُقال حول المسلمين.. وكان هذا هو أوّل لقاء مع المسلمين. ثمّ مرّت به سنوات وسنوات في حياة حافلة بالأسفار والدراسات ، كان مع مرور الزّمن تتفتّح عيونه على آفاق عجيبة وجديدة. ورغم تطوافه الواسع في دنيا الله، واستمتاعه بمشاهدة روائع الآثار في آسيا الصغرى وسوريا ، وتعلّمه اللّغات العديدة وقراءاته لآلاف الصفحات من كتب العلماء ، قرأ كلّ ذلك بعين فاحصة: "ورغم كلّ ذلك فقد ظلّت روحي ظمأى" كما يقول. وأثناء وجوده في الهند ، وفي ذات ليلة رأى ـ كما يرى النائم ـ كأنّ محمّداً رسول الله صلى الله عليه وسلم يخاطبه بصوت عطوف: "لماذا الحيرة؟ إنّ الطريق المستقيم أمامك مأمون ممهّد مثل سطح الأرض. سرْ بخطى ثابتة وبقوّة الإيمان".. وفي يوم الجمعة التالية ، وقع الحدث العظيم في مسجد الجمعة في دلهيّ.. حينما أشهر إسلامه على رؤوس الأشهاد.. وعن تلك اللّحظات المفعمة بالأحاسيس يتذكّر "الحاج عبد الكريم جرمانوس" فيقول: "كان التأثّر والحماس يعمّان المكان ، ولا أستطيع أن أتذكّر ماذا كان في ذلك الحين.. وقف الناس أمامي يتلقّفونني بالأحضان. كم من مسكين مجهد نظر إليَّ في ضراعة ، يسألني "الدعوات" ويريد تقبيل رأسي ، فابتهلتُ إلى الله أن لا يدع هذه النفوس البريئة تنظر إليِّ وكأنّي أرفع منها قدراً ، فما أنا إلاّ حشرة من بين حشرات الأرض ، أو تائه جادّ في البحث عن النور، لا حول لي ولا قوة ، مثل غيري من المخلوقات التعيسة.. لقد خجلتُ أمام أنّات وآمال هؤلاء الناس الطيِّبين.. وفي اليوم التالي وما يليه كان الناس يفدون عليَّ في جماعات لتهنئتي ، ونالني من محبّتهم وعواطفهم ما يكفيني زاداً مدى حياتي. ومن آثاره العلمية والأدبية والبحثية: إضافة إلى ما ورد في ثنايا البحث ، من عناوين مؤلّفاته ، فقد ترك تراثاً علميّاً زاخراً بالعمق والتنوّع: قواعد اللّغة التركيّة (1925) ، والثورة التركيّة ، والقوميّة العربيّة (1928) ، والأدب التركيّ الحديث (1931) ، والتيّارات الحديثة في الإسلام(1932) ، واكتشاف الجزيرة العربيّة وسوريا والعراق وغزوها (1940) ، ونهضة الثقافة العربيّة (1944) ، ودراسات في التركيبات اللّغويّة العربيّة (1954) ، وابن الروميّ (1956) ، وبين المفكّرين (1958) ، ونحو أنوار الشرق ، ومنتخب الشعراء العرب (1961) ، وفي الثقافة الإسلامية ، وأدب المغرب (1964) ، وكان يعدّ ثلاثة كتب عن: أدب الهجرة ، والرحّالة العرب وابن بطّوطة ، وتاريخ الأدب العربيّ!)

65 - تجارب في معجزات الشفاء بالعسل

(يعتبر عسل النحل الطبيعي معجزة من معجزات الله في الأرض فيه شفاء من كل داء ووقاية من جميع الأمراض وغذاء متكامل. ومن معجزات العسل الطبية التي شاهدتها بنفسي. شاب متزوج منذ أربع سنوات ونصف ودائماً تشتكي زوجته من آلام متكررة أسفل البطن وعلى فترات متقطعة. وقد حملت زوجته في هذه الفترة ستة مرات وعند دخولها في الشهر الثالث تزداد الآلام معها ويسقط الجنين. وقد راجع العديد من المستشفيات في الداخل والخارج لمدة أربع سنوات ونصف فلم يجد أي نتيجة ووصل إلى مرحلة اليأس في شفاء زوجته وقد توقفت عن استعمال الأدوية. فقلت له: هل جربت زوجتك التداوي بالعسل؟ فنظر إلي متعجباً وقال: أنا ذهبت إلى أفضل المستشفيات المتخصصة في دول الخليج العربي ومصر ولم أجد نتيجة. فقلت له بصراحة أن رأيي الشخصي أن المستشفيات والمراكز المتخصصة التي ذهبت إليها في جميع الدول العربية يوجد بها الكثير من النقص مهما توفرت التكنولوجيا الطبية ومهرة الأطباء وأهم النواقص عندهم. (عدم توفر قسم للعلاج بالعسل) مثل الدول المتقدمة فعلاً ، الدول الأوروبية والغربية عامةً التي أنشأت مراكز ومعاهد للعلاج والتداوي بالعسل واليابان والصين يوجد بها كليات متخصصة للعلاج بالعسل إن الغرب الذي نركض وراءه لقد بدأ يتحول بالعلاج بالعسل والأحرى والأجدر بنا أن تكون مستشفياتنا في جميع الدول الإسلامية بها قسم للعلاج بالعسل وعلى يقين صادق بمعجزات التداوي بالعسل. والدولة العربية الوحيدة التي بدأت تهتم بالعلاج بالعسل وإن كانت بداية متواضعة وتعتبر على الطريق الصحيح في هذا المجال ، هي جمهورية مصر العربية. ثانياً: قلت له أنت ذهبت إلى جميع هذه المراكز المتخصصة ولم تجد علاج لزوجتك إلى الآن. (ست مرات تحمل زوجتك ويسقط الجنين في الشهر الثالث بالتحديد)! هذا أمر غير طبيعي ويثير الدهشة خاصة مسألة التوقيت ، إذاً توكل على الله أولاً وأخيراً واجعل زوجتك تستعمل العسل لعل الله أن يجعل فيه الشفاء. وأخيراً اقتنع بعد تردد وتفكير. وفي ذلك الوقت لم يكن عندي عسل! فذهبت إلى أحد الأقارب الذين أثق فيهم وفي دينهم وخوفهم من الله سبحانه وتعالى ويسكن في منطقة جبلية وحصلت منه على 2 كيلو عسل طبيعي. فأعطيته العسل وشرحت له طريقة الاستعمال ودعوت الله أن يشفي زوجته ويرزقه الذرية الصالحة! فحضر إلي بعد شهر تقريباً ، فسألته عن صحة زوجته؟ فقال: لقد استعملت زوجتي العسل باستمرار وبعد خمسة أيام شعرت بآلام حادة أسفل البطن تزداد كل يوم مع نزيف حاد جداً! (دم وبعض الأشياء الأخرى) واستمر هذا الوضع مدة أربعة أيام وكل يوم بازدياد ثم توقف النزيف تماماً وذهبت الآلام التي كانت تشعر بها زوجتي سابقاً والحمد لله ألان في صحة جيدة ولكن لم يحصل حمل حتى الآن: فنصحته بأن تستمر زوجته بتناول العسل حسب الطريقة السابقة. وبفضل الله وحده وبعد المداومة على استعمال العسل حملة زوجته بعد فترة قصيرة ورزقه الله ثلاث بنات خلال ثلاث سنوات بدون أي مشاكل في الحمل. (حادثة أخرى) أخبرتني زوجتي أن أحد أبناء الجيران أصابه إسهال مستمر وأدخل المستشفى ولم يتحسن حتى الآن وانتشرت إشاعة نسائية في الحي أن الطفل أصابته عين بسبب الزيارة. فذهبت إلى والد الطفل وهو غير سعودي (من دولة عربية شقيقة مجاورة)! فقابلته وسلمت عليه وعرفته بنفسي وأخبرته إنني أسكن في نفس الحي وقريب من مسكنه وسألته عن صحة ابنه ومما يشكو؟ فقال: إن ابنه باسم يبلغ من العمر ستة سنوات أصيب في حالة إسهال مستمر قبل 22 يوماً تقريباً بعد ذهابهم إلى مناسبة في الحي (عند أحد الجيران) وبعد تناول طعام العشاء وعودتهم إلى منزلهم شعر

بمغص شديد مع إسهال مستمر ومنذ ذلك اليوم حتى ألان وهو لم يتحسن أبداً 22 يوماً ولم تنفع جميع الأدوية والمحاليل. وتم تنويمه في إحدى المستشفيات الخاصة بعد نصيحة الأطباء لأن صحته في تدهور مستمر بسبب الجفاف والنتيجة إلى الآن نزلة معوية حادة ورغم وجود ابني في المستشفى أكثر من أسبوعين وعمل العديد من التحاليل ولم يحصل أي تقدم حتى الآن (إذا تناول أي طعام يعاوده الإسهال بسرعة)! فذهبت معه إلى المستشفى لروية ابنه ومعي نصف كيلو عسل طبيعي! فرأيت الطفل وهو في حالة لا يعلمها إلى الله من التعب والإعياء وكأنه مغمى عليه من تأثير الأدوية والمحاليل. فطلبت منه أن يستعمل ابنه العسل بالطريقة التالية. ملعقة صغيرة من العسل تمزج جيداً بقليل من الماء ثم يسقى الطفل بشكل مستمر على فترات متقطعة (كل 3 دقائق أو 5 دقائق يسقى قليل) وتكرر هذه الطريقة3 مرات في اليوم ويجب الاستمرار وعدم التوقف عن تناول العسل. لقد كنت متشجعاً لمعرفة النتائج وواثقاً من المردود الطيب للعسل ولاكن لا أعرف متى ستظهر. وبعد يومين فقط من استعمال العسل بداء الإسهال يخف تدريجياً ويشعر الطفل بتحسن ولم يمض أسبوع واحد فقط حتى خرج الطفل من المستشفى معافاً بأمر رب العالمين: ومن الأمور المتكررة معنا دائماً في بيع العسل ، يحضر شخص يطلب شراء عسل ويسأل كثيراً؟ عن مصدره والمكان والأمراض التي يعالجها العسل ويطلب الاطلاع على نتائج التحاليل ويجادل في السعر كثيراً وبعد تردد وتفكير يطلب شراء ربع كيلو والبعض يطلب أقل من ربع الكيلو. وبعد فتره قصيرة جداً يحضر نفس الشخص وبدون مقدمات يطلب من 3 - 10 كيلو والبعض يطلب أكثر من ذلك وبأي سعر للحصول عليه ، ويدل هذا على حصوله على فائدة كبيرة من العسل. وهناك المئات من قصص الإعجاز في التداوي بالعسل التي نراها ونسمع عنها وخاصة قصة الشاب الذي سقط من ارتفاع عالي! وأصيب في رأسه إصابة مباشرة وفقد الوعي وادخل المستشفى وقد أكد الأطباء أنه سيمكث سنين على هذا الوضع ، واحتمال كبير أنه لن يُفيق أبداً حتى أنه لم يمانع الأطباء خروج المريض من المستشفى إلى المنزل وهو على هذا الوضع إذا طلبوا أهله ذلك والاهتمام به في المنزل ، فاستمر المريض منوماً في المستشفى ، وكان كل يوم يحضر (عمه) أي والد زوجته إلى المستشفى ويقرأ عليه من القران وبعضاً من الرقى والأدعية الثابتة عن الرسول صلى الله عليه وسلم ويسقيه قليل من ماء زمزم ممزوج بالعسل الطبيعي. يسقيه (يضع قطرات قليلة في فمه) لأنه كان فاقد الوعي! ولم يمضي على هذا العلاج غير شهر تقريباً حتى بدأ الشاب يتحسن قليلاً حتى عافاه الله تماماً ، وخرج من المستشفى وأصبحت قصته تحكى في المجالس وفي كل مكان. ولمزيد من القصص في إعجاز الشفاء بالعسل. مراجعة التالي: - كتاب العسل شفاء لكل داء ، تأليف / صلاح باد ويلان - قصص من الغرب والشرق صفحة 219. - عسل النحل السائل الذهبي وأكسير الحياة ، تأليف / أيمن الشربيني (تجارب المشاهير وشهاداتهم لعسل النحل) صفحة 5 ، والحمد لله الواحد الأحد المنعم على عبادة المتفرد بعطائه سبحانه القادر إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون (لك الحمد والشكر كما ينبغي لجلال وجهك وعظيم سلطانك) وصلى الله على نبينا محمد وعلى اله وصحبه أجمعين).هـ. نقلاً عن موقع التداوي بالعسل!

66 - بين عابدين!

(وروى ابن الجوزي بسنده إلى وهب بن منبه قال: كان راهب في صومعته في زمن المسيح عليه السلام ، فأراده إبليس فلم يقدر عليه ، فأتاه بكل رائدة فلم يقدر عليه ، فأتاه متشبهاً بالمسيح ، فناداه: أيها الراهب: أشرف عليّ أكلمك ، قال: انطلق لشأنك فلست أرد ما مضى من عمري. فقال: أشرف علي فأنا المسيح ، فقال: إن كنت المسيح فما لي إليك حاجة ، ألست قد أمرتنا بالعبادة ووعدتنا القيامة ، انطلق لشأنك فلا حاجة لي منك ، فانطلق اللعين وتركه. انظر إلى كلا العابدين: الأول أضله الشيطان بسبب جهله ، والثاني عصم من الشيطان بسبب علمه. ولذا قال النبي صلى الله عليه وسلم: (فضل العالم على العابد كفضلي على أدنى رجل من أصحابي)!

67 - وقمت أثناء الصلاة من كرسي الشلل

(قال تعالى: [واستعينوا بالصبر والصلاة وإنها لكبيرة إلا على الخاشعين]. وإذن فللصلاة الفضل الأكبر في تفريج هموم النفس ، وتفريح القلب وتقويته وفي شرح الصدر لما فيها من اتصال القلب بالله عز وجل ، فهي خير الأعمال كما قال صلى الله عليه وسلم فيما رواه ابن ماجة والحاكم عن ثوبان رضي الله عنه: "واعلموا أن خير أعمالكم الصلاة". وللوقوف بين يدي الله في الصلاة أسرار عظيمة في جلب الصحة والعافية ، قال جل وعلا: [إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ، ولذكر الله أكبر ، والله يعلم ما تصنعون] ، والصلاة هي الشفاء الأكيد للنفس ، فقد ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان إذا حزن من أمر فزع إلى الصلاة ، كما أنها علاج فعال للجسم أيضاً ، فقد روى ابن ماجة من حديث مجاهد عن أبي هريرة قال: "رآني رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا نائم أشكو من وجع بطني ، فقال لي: يا أبا هريرة ، أيوجعك بطنك؟ قلت: نعم يا رسول الله ، قال: قم فصل ، فإن في الصلاة شفاء! إن الصلاة عملية حيوية ترتفع بأداء وظائف الإنسان النفسية والبدنية إلى أعلى مرتبة ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما رواه أحمد: "إنما مثل الصلاة كمثل نهر عذب غمر بباب أحدكم يقتحم فيه كل يوم خمس مرات فهل يبقى من درنه شيء؟.. الحديث" ، فالصلاة بحق نموذج نوراني يؤكد عظمة المنهج القرآني لهذا الدين!) يحكي لنا هذا الطيب قصته فيقول: (لم أكن أعرف طريق المسجد رغم أن والدي كان شيخاً يعلم القرآن ، فقد أفسدني المال الذي كان متوفراً بين يدي وأبعدني عن طريق الله ، ثم أراد الله أن أصاب في حادث سيارة أفقدني القدرة على السير تماماً ، وأكد الأطباء أنه لا يوجد سبب واضح لهذه الإعاقة إلا أن تكون صدمة عصبية أودت بقدرتي على الحركة ، وفي أحد الأيام كنت في طريقي إلى صديقي الجديد ، ذلك الكرسي المتحرك الذي أنتقل إليه بمجرد تركي لسيارتي المجهزة للمعاقين ، وقبل أن يضعني أخي فوق الكرسي أذن المؤذن لصلاة المغرب ، كان صوته جميلاً لامس قلبي فجأة وهز وجداني بشدة ، وكأني أول مرة أستمع إلى الآذان في حياتي ، دمعت عيناي ، وتعجب أخي وأنا أطلب منه أن يأخذني إلى المسجد لأصلي مع الجماعة"! ومرت أيام طويلة وأنا أواظب على الصلاة في المسجد ، حتى صلاة الفجر لم أتركها تفوتني ، ورغم معاناتي الشديدة فقد هممت ألا أتراجع أبدا عن طريق العودة إلى الله ، وفي إحدى الليالي وقبل صلاة الفجر رأيت أبي في المنام وقد قام من قبره وربت على كتفي وأنا أبكي وقال لي: يا بني لا تحزن لقد غفر الله لي بسببك ، فتهللت جدا لهذه البشرى ورحت أصلي وأسجد لله شكراً ، وقد تكررت رؤياي هذه عدة مرات! وبعد سنوات كنت

أصلي الفجر في المسجد المجاور لبيتنا ، وكنت جالسا على الكرسي في نهاية الصف الأول ، راح الإمام يدعو طويلاً دعاء القنوت ، ورق قلبي كثيراً لدعائه وانهمرت دموعي ، ووجدت جسدي يرتعش وقلبي يكاد يقفز من صدري ، وشعرت باقتراب الموت مني ، هدأت فجأة وأكملت صلاتي وبعد أن سلمت قمت من فوق الكرسي وأزحته جانباً لأقف على قدمي لأصلي ركعتي شكر لله! وجاء المصلون من حولي يهنئونني ، واختلطت دموعهم بدموعي ، وكانت فرحتي بصدق مشاعرهم لا توصف ، وجاء الإمام ليهمس في أذني وهو يعانقني: إياك أن تنسى فضل الله عليك ورحمته بك ، فإن حدثتك نفسك بمعصية الله فلتعد إلى الكرسي ولا تتركه أبداً حتى تؤدبها!)

68 - العائلة المسحورة

(كانت هناك عائلة تتكون من ثلاث بنات وولدين ، كانت إحدى البنات مصابة بالصرع ، والأهل يعتقدون أنه مرض عضوي وليس مساً من الشيطان ، ثم بعد عرضها على مشعوذٍ أقر بأن في البنت جنياً وأنه سوف يُخرجه ، ثم جاءت محاولةٍ أخرى من مشعوذ ، ولكنها باءت بالفشل أيضاً ، فكل المشعوذين دجالون. وبعد مدة ذهبوا بها إلى رجلاً يعالج المس بالقرآن ، فتكلم الجني معترفاً بدخوله في البنت لأنه يحبها ويعشقها ، ودخلها بواسطة سحر ، واستمر الشيخ في مواصلة القراءة ، لأن السحر يحتاج لفترةٍ طويلةٍ لعلاجه ، ثم قرأ عليها ما يقارب أربعة أشهر ، وبفضل الله اعترف الجني بعد التشديد عليه بالقوة والنيل منه ، أن الفتاة ليست وحدها مصابة بالمس ، وإنما كل العائلة حتى إن الأبوين لهما ما يقارب سبع سنوات لم يتصلا ببعض وكان يتخيلان أنهما متصلان ومتحدان ، وكان يعتقدان أنه مرض عضوي ، ونطق الجني بذلك أمام والدهما ، وكان لهم ابن في أمريكا يعاني من آلام في المثانة وقد اعترف الجني بذلك أمام والدها ، وكان يعاني من آلام في المثانة ، وقد اعترف الأطباء بعجزهم عن علاجه وقرروا إزالة هذه المثانة ووضع كيس خارجي يتبول فيه ، وقد أراد الله أن يخزيهم ويبين جهلهم ، ويزيل عن عبده هذه الغمة ، فقد أثبت الأطباء بعد محاولاتٍ عديدةٍ أن قضيته شبه محلولة لأنهم قد عرفوا السبب في كثرة التبول ، وهو أن يوجد عنده مثانتان كبيرة وصغيرة ، الكبيرة مغلقة وتعمل الصغيرة فقط ، وبعد شق مجرى العملية لم يجدوا إلا مثانة واحده مع تصويرهم المثانتين قبل ذلك؟ عندئذٍ تركوا الولد ، وقالوا له ليس لك علاج ، وبعد المحاولات مع الجني وغسله بالسدر والماء خفت الأزمة واعترف الجني بأن الذي وضع السحر هو زوجة عمه ، ولكي يكون الكلام حقيقة ، طلب الجني أن يتكلم في التلفون إلى زوجة عمة لأن له 15 سنة لم يخرج فكلمها الجني في الهاتف وقال: أنا الجني فلان ابن فلان بواسطة الساحرة فلانة في البلد الفلاني أريد أن أخرج لأنهم عذبوني كثيراً ، فأقرت واعترفت وبينت السبب هو الانتقام والحقد ، فطلبت مبلغاً خيالياً لفك السحر ، وطلب من الولد صاحب المثانة الحضور إلى الرياض بأسرع وقتٍ وأن علاجه تم الحصول عليه ولما حضر وقرأ عليه خف عنه الألم كثيراً ، ثم بعد محاولات كثيرة اعترف الجني بمكان السحر وتم إحضاره وإتلافه وشفيت العائلة بحمد من الله ، وكانت مسحورة بواسطة قميص الأب! فهذه دعوه لكل بيت مسلم بأن لا يخلو بيته من قراءة القرآن وذكر الله ، فهو أشد ما يبعد الجن والشياطين!) وانظر القصة في كتاب: (الشفاء بعد المرض)!

69 - شبكة الليموزينات

(في يوم من الأيام وقف صاحب الليموزين باكستاني الجنسية لزبونة خارجة من أحد الأسواق ، وكان قد أركبها معه في الليموزين ولم تدر بنفسها إلا وهي مع ثلاثة رجال باكستانيين في إحدى البراري وهموا باغتصابها...تقول الفتاة: والله لو قال لي: قبّلي باطن رجلي على أن أتركك لقبّلتها لكن هيهات هيهات! وبعد المحاولات المضنية من هذه البنت البكر لكي يتركوها وهم مصممون على فعل فاحشة الزنا بها ، أسعفها الله بامرأةٍ عجوز كانت تمشي في هذه الصحراء فلما رآها هؤلاء الرجال تركوا البنت وفروا هرباً اعتقادا منهم أن هذه العجوز جنية! فاقتربت العجوز من البنت خافت البنت وذكرت الله وقالت: بسم الله هل أنت جنية أم إنسية؟ قالت العجوز: لا والله ليتني كنت جنية! فلربما لو كنت جنية لما تركني ولدي في هذه الصحراء لعيون زوجته قاتله الله! وكان التعارف بينهما إلى أن أرسل الله لهم سيارة يستقلها رجل في الأربعينيات! وفي أول الأمر خاف الرجل لما رأى من المنظر! امرأتان في صحراء في وقت الليل ، ولكنه رجع ونظر في أمرهما وعندما علم بالقصة أركبهما معه ، وذهب بهما إلى أقرب قسم للشرطة واستدعي ولي أمر البنت وأخذت أقوالها ، وسألها الشرطي سؤالاً محدداً هو: هل تعرفينه لو رأيت صورته؟ قالت: كيف لا أعرفه ولقد كنت أتوسل إليه ولو قال لي حينها قبّلي باطن قدمي على أن يتركني لقبّلتها؟ فأمر الشرطي بأن تذهب إلى بيتها وفي كل يوم كانت المباحث تطلب من شركات الليموزين صور مكفوليها ، لعلها تجد الشخص الخائن! وتم ذلك وتعرفت على هذا الوغد وتمت معاقبته وأخذ جزاءه ومن معه بالشرع! أما العجوز فأمكن الاتصال بابنها وإلزامه النفقة عليها!)

70 - قصة الفتى الأنصاري

(قال الراوي: كنت بمدينة الرسول صلى الله عليه وسلم جالساً عند بعض أهل السوق ، فمر بي شيخ حسن الوجه ، حسن الثياب ، فقام إليه البائع فسلم عليه ، وقال له: يا أبا محمد! سل الله أن يعظم أجرك ، وأن يربط على قلبك بالصبر. فقال الشيخ مجيباً له:

وكان يميني في الوغى ومساعدي فأصبحت قد خانت يميني ذراعها

وأصبحت حراناً من الثكل حائراً أخا كلفٍ شـاقت عليّ رباعها

فقال له البائع: يا أبا محمد! أبشر ، فإن الصبر معول المؤمن ، وإني لأرجو أن لا يحرمك الله الأجر على مصيبتك. فقلت للبائع: من هذا الشيخ؟ فقال: رجل منا من الأنصار. فقلت: وما قصته؟ قال: أصيب بابنه ، كان به باراً ، قد كفاه جميع ما يعنيه ، وميتته أعجب ميتة. فقلت: وما كان سبب ميتته؟ قال: أحبته امرأة من الأنصار ، فأرسلت إليه تشكو إليه حبها ، وتسأله الزيارة ، وتدعوه إلى الفاحشة ، وكانت ذات بعل ، فأرسل إليها:

إن الحرام سبيل لست أسلكه ولا آمر به ما عشت في الناس

فابغي العتاب فاني غير متبع ما تشتهين فكوني منه في ياس

إني سأحفظ فيكم من يصونكم فلا تكوني أخا جهل ووسواس

فلما قرأت المرأة الكتاب ، كتبت إليه :

دع عنك هذا الذي أصبحت تذكره وصر إلى حاجتي يا أيها القاسي

دع التنسك إني غير ناسكة وليس يدخل ما أبديت في راسي

فأفشى ذلك إلى صديق له. فقال له: لو بعثت إليها بعض أهلك ، فوعظتها وزجرتها ، رجوت أن تكف عنك. فقال: والله لا فعلت ولا صرت في الدنيا حديثاً ، وللعار في الدنيا خير من النار في الآخرة ، وقال:

العار في مدة الدنيا وقلتها يفنى ويبقى الذي في العار يؤذيني

والنار لا تنقضي مادام بي رمق ولست ذا ميتة منها فتفنيني

لكن سأصبر صبر الحر محتسبا لعل ربي من الفردوس يدنيني

قال : وأمسك عنها. فأرسلت إليه: إما أن تزورني ، وإما أن أزورك؟

فأرسل إليها: أربعي أيتها المرأة على نفسك ، ودعي عنك التسرع إلى هذا الأمر. فلما يئست منه ذهبت إلى امرأةٍ كانت تعمل السحر ، فجعلت لها الرغائب في تهييجه ، فعملت لها فيه. فبينا هو ذات ليلة جالسا مع أبيه ، إذ خطر ذكرها بقلبه ، وهاج منه أمر لم يكن يعرفه ، واختلط ، فقام من بين يدي أبيه مسرعاً، وصلى واستعاذ ، وجعل يبكي ، والأمر يزيد. فقال له أبوه: يا بني ما قصتك؟ قال: يا أبت أدركني بقيد ، فما أرى إلا قد غلبت على عقلي ، فجعل أبوه يبكي. ويقول: يا بني حدثني بالقصة. فحدثه قصته. فقام إليه ، فقيده وأدخله بيتاً ، فجعل يتضرب ويخور كما يخور الثور ، ثم هدأ ساعة فإذا هو قد مات ، وإذا الدم يسيل من منخريه!)

71 - المقداد بن عمرو بن ثعلبة بن مالك

(إنه فارس بدر: وكان قد حالف الأسود بن عبد يغوث الزهري في الجاهلية فتبناه فكان يقال له: المقداد بن الأسود ، فلما نزل قوله تعالى (ادعوهم لآبائهم) قيل: المقداد بن عمرو. وشهد بدراً واحداً والمشاهد كلها مع النبي صلى الله عليه وسلم وكان طويلاً آدم ذا بطن ، كثير شعر الرأس ، أعين ، مقرون الحاجبين أقني ، يضفر لحيته. وعن القاسم بن عبد الرحمن قال: أول من عدا به فرسه في سبيل الله المقداد بن الأسود وقال على – رضي الله عنه -: ما كان فينا فارس يوم بدر غير المقداد! وعن طارق بن شهاب قال: قال عبد الله: لقد شهدت من المقداد بن الأسود لأن أكون أنا صاحبه إلى مما عدل به. أتي النبي صلى الله عليه وسلم وهو يدعو المشركين فقال: والله يا رسول الله لا تقول كما قالت بنو إسرائيل لموسى: اذهب أنت وربك فقاتلا إنا ههنا قاعدون) ولكنا نقاتل عن يمينك وعن يسارك وبين يديك ومن خلفك فرأيت النبي صلى الله عليه وسلم أشرق وجهه وسره ذلك رواه الإمام أحمد. وعن أنس قال بعث النبي صلى الله عليه وسلم المقداد على سرية. فلما قدم قال له: أبا معبد كيف وجدت الإمارة قال كنت أحمل وأوضع حتى رأيت أن لي على القوم فضلاً قال: هو ذاك فخذ أودع قال: والذي بعثك بالحق لا أتأمر على اثنين أبداً. وعن عبدالرحمن بن جبير بن نفير ، عن أبيه قال: جلسنا إلى المقداد يوماً فمر به رجل فقال: طوبى لهاتين اللتين رأتا رسول الله صلى الله عليه

وسلم والله لوددنا أنا رأينا ما رأيت وشهدنا ما شهدت: فأستغضب فجعلت أعجب ، ما قال خيراً ثم أقبل إليه فقال: ما يحمل الرجل على أن يتمنى مَحضراً غيبه الله عنه ، ما يدري لو شهده كيف كان يكون فيه ، والله لقد حصر رسول الله صلى الله عليه وسلم أقوامٌ كبهم الله على مناخرهم في جهنم لم يجيبوه ولم يصدقوه ، أولا تحمدون الله اذا أخرجكم لا تعرفون إلا ربكم مصدقين بما جاء نبيكم ، ولقد كفيتم إبلاء بغيركم؟! والله لقد بعث النبي صلى الله عليه وسلم على أشد حال بعث عليها نبي من الأنبياء في فترةٍ وجاهليةٍ ، ما يرون أن ديناً أفضل من عبادة الأوثان فجاء بفرقان فرق به بين الحق والباطل ، وفرق بين الوالد وولده ،إن كان الرجل ليرى والده وولده وأخاه كافراً وقد فتح الله قفل قلبه للإيمان يعلم أنه إن يعلم أنه إن هلك دخل النار قلا تقر عينه وهو يعلم أن حبيبه في النهار وأنها للتي قال الله عز وجل.)

72 - سماحة الشيخ محمد بن صالح العثيمين

(هو أبو عبد الله محمد بن صالح بن محمد بن عثيمين المقبل الوهيبي التميمي. ولد الشيخ أبو عبد الله في مدينة عنيزة إحدى مدن القصيم عام 1347هـ في السابع والعشرين من شهر رمضان المبارك في عائلة معروفة بالدين والاستقامة. تتلمذ الشيخ على بعض أفراد عائلته أمثال جده لأمه الشيخ عبد الرحمن بن سليمان آل دامغ ، رحمه الله ، فقد قرأ عليه القران فحفظه ثم اتجه لطلب العلم فتعلم الخط والحساب وبعض فنون الآداب. وكان الشيخ قد رزق ذكاء وهمة عالية وحرصاً على التحصيل العلمي في مزاحمة الركب لمجالس العلماء وفي مقدمتهم الشيخ العلامة المفسر الفقيه عبد الرحمن بن ناصر السعدي ، رحمه الله. ولم يرحل الشيخ لطلب العلم إلا إلى الرياض حين فتحت المعاهد العلمية عام 1372 فالتحق بها. وبعد وفاة شيخه عبد الرحمن السعدي رشح الشيخ محمد بن صالح العثيمين لإمامة الجامع الكبير عندها تصدى للتدريس مكان شيخه. ولم يتصد للتأليف إلا عام 1382 هـ ، حين ألف أول كتاب له وهو فتح رب البريه بتلخيص الحموية وهو تلخيص لكتاب شيخ الإسلام ابن تيمية ، الحموية في العقيدة. واستغل الشيخ وجوده في الرياض بالدراسة على الشيخ عبد العزيز بن باز فقرأ عليه صحيح البخاري وبعض رسائل شيخ الإسلام ابن تيمية وبعض الكتب الفقهية. وأما عن مشايخه: فالشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي رحمه الله ، والشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز رحمه الله ، والشيخ محمد الأمين الشنقيطي رحمه الله ، والشيخ علي بن حمد الصالحي حفظه الله ، والشيخ محمد بن عبد العزيز المطوع رحمه الله ، والشيخ عبد الرحمن بن علي بن عودان رحمه الله ، والشيخ عبد الرحمن بن سليمان آل دامغ رحمه الله. وأما منهجه فكان منهجاً علمياً بحتاً! لقد أوضح الشيخ حفظه الله منهجه ، وصرح به مرات عديدة أنه يسير على الطريقة التي انتهجها شيخه العلامة عبد الرحمن الناصر السعدي ، وهو منهج خرج به عن المنهج الذي يسير عليه علماء الجريرة عامتهم أو غالبتهم ، حيث اعتمد المذهب الحنبلي في الفروع من مسائل الأحكام الفقهية واعتمد على كتاب زاد المستقنع في فقه الإمام أحمد بن حنبل فكان الشيخ عبد الرحمن السعدي معروفاً بخروجه عن المذهب الحنبلي ولم التقيد به في مسائل كثيرة. ومنهج الشيخ السعدي كثيراً ما يتبنى آراء شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم ويرجحهما على المذهب الحنبلي ، فلم يكن عنده جمود تجاه مذهب معين ، بل كان متجرداً للحق وقد انطبعت فيه هذه الصفة وانتقلت إلى تلميذه محمد الصالح العثيمين. وللشيخ حفظه الله آثار علمية عديدة تجاوزت الخمسين مؤلفاً.)

73 - ضحية البعد عن الله (شيرين)

(وتبدأ القصة أو المأساة ، بهذه الضحية.. فتاة في عمر الزهور عربية أمريكية الجنسية لم تكتمل بعد التاسعة عشر أتى بها والدها بعد أن استكملت تعليمها الثانوي بالولايات المتحدة الأمريكية لتلحق بالجامعة الأمريكية... شابة في مقتبل العمر... تعد في عداد الأجانب جاءت الى بلد لا هي تتحدث لغة أهلها ، وليست لها دراية بقوانينها ولا بمسالكها ، ولا تعرف فيه الخطوط الحمراء من الخطوط الخضراء.. أمريكية عربية مسلمة من أب عربي هاجر إلى أمريكا في صدر شبابه ، وتزوج من أمريكية أنجبت له أربعة من الأبناء ، ثم توفيت منذ سنوات ، أي أن هذه الفتاة موضوع المأساة عاشت في وسط بيت وأسرة غير مُفككة ، ووالدها غني وميسور الحال يعمل أستاذا بجامعة ريتشموند لولاية فرجينيا ، ولما أكملت شيرين تعليمها بكلية البنات لهذه الولاية طلبت من والدها أن تكمل تعليمها في ديار العرب حتى تستطيع أن تتكلم العربية كما سبق وأن فعل نفس الشيء أخوها وأختها الأكبر منها ، ورحب الأب بطلب ابنته شيرين ، فقد كان يمني نفسه أن تقابل ابنته ابن الحلال وتتزوج من نفس دينها ، والتحقت شيرين بالجامعة الأمريكية ، واستأجرت شقة صغيرة في (أحد الأحياء) بمشاركة مع قريب عربي متزوج من أختها الكبرى ، وبعد نحو عامين من معيشتها معهما ، ودراستها بالجامعة الأمريكية أرسلت الى والدها لتخبره بأنها تعرفت على شاب أحبته ، وتعاهدت معه على الزواج ، وطلبت من والدها الحضور لكي يراه ، ويقول الأب: لما رأيت الشاب الذي اختارته ابنتي لم يرحني مظهره ولا مخبره ، وصارحتها بيني وبينها ، وقلت لها: يا ابنتي ألم تجدي خيراً من هذا الشخص ، فلا يبدو لائقاً بك ، ولا هو بمن أتمناه زوجاً لك ، ولكنها لم تتقبل كلامي ورأيي في هذا الشخص ، وأكدت أنها تحبه وهو يحبها ، وقد قررا الزواج بعد أن تنتهي من دراستها ، وبعد أن غادر والدها بشهور جاءته مكالمة تليفونية منها ، من ابنته شيرين ، وصوتها مخنوق بالبكاء ، وفهم أنها تحادثه من قسم الشرطة إذ ألقي القبض عليها منذ أيام ، ويحقق معها بواسطة مترجم بتهمة حيازة وتجارة المخدرات ، طار صواب الأب وطار إليها ، ولم يجد أمامه سوى أن يأخذ بنصيحة زوجته السابقة وهي فلسطينية ، نصحته بتوكيل محام مشهور ليدافع عن ابنته في القضية ، ولم يدرك الأب إلا بعد فوات الأوان أن أغلب المحامين هنا مثلهم مثل الأطباء ذوي اختصاص ، فجاء الاختيار في غير محله ، وأصدرت المحكمة حكمها على شيرين بالسجن عشر سنوات بالأشغال الشاقة!

وبداية الخيط وفق ما جاء في القضية أن معلومات وردت إلى إدارة مكافحة المخدرات بظهور عقار جديد من عقارات الهلوسة يجرى تداوله بين أوساط الطلبة في الجامعة الأمريكية ، وأن التحريات قد أسفرت عن أن المتهمة شيرين وراء ظهور هذا العقار وترويجه بين طلبة الجامعة الأمريكية ، وأثناء إجراء المراقبة والملاحظة ورد لإدارة مكافحة المخدرات كتابين يحذران إدارة مكافحة المخدرات من دخول أنواع جديدة من المخدرات على هيئة رسوم ملونة ، وملقحة بمادة ال ـ اس ـ دي تصنع وتباع في أمريكا ، ومتداولة في كل من سويسرا وبعض الدول الأوربية ، وهي مادة تدخل في الدم مباشرة بمجرد اختلاطها باللعاب ، ويمضي تقرير إدارة مكافحة المخدرات ليقول: والمعلومات كانت متوافرة لدينا ، والتحريات تمت ، وتأكدنا أن المتهمة الطالبة بالجامعة الأمريكية شيرين وصلتها كمية من ذلك العقار ، وتقوم بترويجه بين زملائها وعملائها ، وتتخذ من سكنها مكاناً لإخفائه ، والغريب في الأمر ـ كما جاء بملفات القضية ـ أن شاهد الإثبات الذي ساهم في إثبات التهمة عليها هو خطيبها كما لو كان بريئاً فقد

لاحظ تردد أشخاص غرباء على سكن خطيبته ليتعاطوا معها البانجو ، كما لاحظ أن بعضاً ممن يترددون عليها يبدون في صور وأشكال غريبة فسألها عنهم ، ولكنها رفضت أن تجيبه في البداية ، ثم قررت أنهم يتعاطون معها عقار ال ـ اس ـ دي الذي كان يراه معها ، وقال خطيبها أيضاً في محاضر التحقيق أنها تحضر هذا العقار من أمريكا ، وتبيعه ، ووعدته أن تقلع عن ذلك بعد الزواج. علما بأن خطيبها هذا قد سبق له ، ودخل الى مستشفى لعلاج الإدمان مرتين ، ولكنه قدم في المحكمة كشاهد إثبات ، ويبدو أنه قد عد صفقة لتثبت التهمة على خطيبته مقابل أن يخرج من القضية كما الشعرة من العجين كما يقولون ، وأما قبل المحاكمة أو أثنائها ، أو بعدها فلم يحاول الاتصال بها أو زيارتها ولا مرة ، واختفى من حياتها ، مع أنه وفق أقواله في محضر التحقيق: أنه لم يصدم مثلاً أو يفاجأ بما وقع لخطيبته ، وقالت خطيبته شيرين أيضاً أنه هو الذي كان يمدها ويأتي لها بالمخدرات ، ويخفيها لديها ، وقد توسل إليها في اللحظات التي سبقت التحقيق بألا تذكر عنه أي شيء لأن مصيره سيكون السجن المؤبد في هذه الحالة. أما هي فسوف يكتفى بترحيلها من البلاد ، وللأسف صدقته ، وتنبهت الى حقيقته بعد فوات الأوان! المهم في هذه المأساة أنه تم ضبط تشكيلة تشمل كميات من الطوابع يحمل كل منها جرعة من عقار الهلوسة اس ـ ال ـ دي ، ونصف كيلو جرام من الحشيش ، وكيلو ونصف من الأفيون في منزلها ، وقالت شيرين إنها لا تعرف مصدر هذه الكميات من المخدرات ، ولم ترها من قبل ، واعترفت أنها تتعاطى عقار الهلوسة ، وأن الطوابع التي وجدت في شقتها هي كل ما يخصها ، واعترفت أنها لم تكن تعرف أن عقار اس ـ ال ـ دي يعاقب عليه القانون هنا ، لأن تعاطيه لا يحرم في أمريكا ، واعترفت أيضا أنها تقابلت مع بعض أصدقائها من الجامعة الأمريكية فأعطوها الشرائح الثلاث التي ضبطت لديها ، وتحوي كل شريحة مائة طابع احتفظت بمعظمها في دولاب ملابسها لاستعمالها الشخصي دون أن تخبر أحدا بحيازتها ، إن هذه الضحية قضت حتى الآن ثماني سنوات وسبعة أشهر ، ووالدها أخذ اجازة طويلة من عمله ، وجاء ليكون قريباً من ابنته يزورها ويشد من أزرها ، ومن إيمانها ، ويحثها على الاحتمال ، وكل من اطلع على هذه العقلية يزيد إيمانه وثقته بأن شيرين قد انزلقت في الطريق الخطأ نعم ، ولكنها بالقطع تدفع ثمناً أكبر مما تستحقه. أما عن شيرين الآن فقد أصبحت تتقن اللغة العربية التي جاءت من أجل تعلمها ، ولكن ليس في السجن ، وانشغلت في الاهتمام بأحوال السجينات وتعليمهن ، وحل مشكلاتهن ، وتحولت إلى بنت بلد أصيلة ، وأن كانت تتعرض لنوبات من المرارة والبكاء أحياناً كثيرة. لقد دخلت شيرين في تجربةٍ مريرةٍ لم تكن تخطر لها على بال ، والآن يتوسل الأب في التماس قدمه بإعفاء ابنته وقد قضت ثماني سنوات وسبعة أشهر حتى الآن من العقوبة ، وبقي لها سنة وخمسة شهور فقط ، فالعفو عنها قد يكون الحد الفاصل لديها بين مرارة الشعور بالقهر ، وفرط اليأس ، وبين استعادة الثقة والكيان ، وجبر الكسور التي ألمت بها وبأسرتها ، والرحمة أخيراً من وجهة نظر أسرة تحرير المجلة فوق العدل.....نقلاً عن مجلة المجتمع وآفة المخدرات!)

74 ـ حوار بين الرب سبحانه والملائكة

(قبل خلق آدم عليه السلام حدث حوار سماوي عظيم بين الرب سبحانه وتعالى والملائكة عليهم السلام قال تعالى: {وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً}. والخليفة هو الذي ينتج ويترك وراءه خلف تلو خلف ، وخليفة أيضا نائب ، أبو بكر خليفة

الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ يعني ناب عنه بعد وفاته والله سبحانه وتعالى المثل الأعلى فالله سبحانه وتعالى أراد ان يجعل خليفة يحكم الأرض ويعمر ها ، يريد هذه الأرض أن تعمر. فالله سبحانه وتعالى خلق الإنسان في أحسن تقويم! صوره سبحانه احسن الصور ونفخ فيه من روحه فسألت الملائكة الرب عز وجل: {قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ}. فكيف عرفت الملائكة أن آدم وذريته يفسدون في الأرض ويسفكون الدماء ، ما قالوا هذا على وجه الاعتراض ، كلا حاشاهم ، وإنما قالوا على وجه الاستفسار يسألون بعدما رأوا من صنع الجن في الأرض ، فالله ـ سبحانه وتعالى ـ خلق الجن وأعطاهم التخيير ففسدوا وفسقوا في الأرض! والآن سيخلق خلقاً آخر في الأرض لعله سيفسد كما أفسد الجن! أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء كما فعل الجن؟ هذا معنى الآية ، وخشوا أن يكونوا قد قصروا في عبادة الله عز وجل ، فأرادوا أن يسألوا: هل نحن قصرنا حتى تخلق خلقاً غيرنا؟ ولذلك جاء في كلامهم ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك ، يعني هل نحن قصرنا في تقديسنا وتسبيحنا حتى تخلق خلقاً غيرنا؟ إذا السؤال من جانبين: هل ستخلق خلقاً يفسدون في الأرض كما فعل الجن ، وهل نحن قصرنا حتى تخلق خلقاً غيرنا هذا معنى الآيات. والله سبحانه وتعالى رد عليهم قال: {قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ}! هنا تحدث الملائكة بينهم فقالوا ليخلق هنا ما شاء فلن يخلق خلقاً إلا كان أكرم على الله منه وأعلم ، ويعلمون أنهم الوحيدون الذين يسبحون الله تعالى لا يفترون ويفعلون ما يؤمرون ، ويتحملون التكاليف من الله سبحانه وتعالى وينفذون أمره في السموات والأرض ، وهم أكرم الخلق عند الله عز وجل فقالوا: لن يخلق الله تعالى خلقاً إلا كان أكرم على الله منه وأعلم عند الله سبحانه وتعالى!)

75 ـ لا أدري من أطيع؟

(عادت الفتاة الصغيرة من المدرسة ، وبعد وصولها إلى البيت لاحظت الأم أن ابنتها قد انتابها الحزن ، فاستوضحت من الفتاة عن سبب ذلك الحزن. فقالت الفتاة: "أماه إن مدرّستي هددتني بالطرد من المدرسة بسبب هذه الملابس الطويلة التي ألبسها. الأم: ولكنها الملابس التي يريدها الله يا ابنتي الفتاة: نعم يا أماه.. ولكن المدرّسة لا تريد. الأم: حسناً يا ابنتي ، المدرسة لا تريد ، والله يريد فمن تطيعين؟ أتطعين الله الذي أوجدك وصورك ، وأنعم عليك؟ أم تطيعين مخلوقة لا تملك لنفسها نفعاً ولا ضراً. فقالت الفتاة: بل أطيع الله. فقالت الأم: أحسنت يا ابنتي وأصبت. وفي اليوم التالي .. ذهبت تلك الفتاة بالثياب الطويلة .. وعند ما رأتها معلمتها أخذت توبخها بقسوة .... فلم تستطيع تلك الصغيرة أن تتحمل ذلك التأنيب مصحوباً بنظرات صديقاتها إليها ، فما كان منها إلا أن انفجرت بالبكاء ... ثم هتفت تلك الصغيرة بكلماتٍ كبيرةٍ في معناها ... قليلة في عددها: والله لا أدري من أطيع؟ أطيعك أنت أم أطيع الله رب العالمين؟ فتساءلت المدرسة: ماذا تقصدين؟ فقالت الفتاة: أطيعك أنت فألبس ما تريدين وأعصي الله سبحانه. أم أطيعه وأعصيك ، سأطيعه سبحانه وليكن ما يكون. يا لها من كلمات خرجت من ذلك الفم الصغير. كلمات أظهرت الولاء المطلق لله تعالى. أكدت تلك الصغيرة الالتزام والطاعة لأوامر الله الواحد القهار. هل سكتت عنها المعلمة؟ لقد طلبت المعلمة استدعاء أمِ تلك الطفلة فماذا تريد منها؟ وجاءت الأم ، فقالت المعلمة للأم: "لقد وعظتني ابنتك أعظم موعظة سمعتها في حياتي". نعم لقد اتعظت المعلمة من تلميذتها الصغيرة. المعلمة التي درست التربية وأخذت قسطاً من العلم. المعلمة التي لم يمنعها علمها أن تأخذ "الموعظة" من صغيرةٍ قد تكون في

سن إحدى بناتها! فتحية لتلك المعلمة! وتحية لتلك الفتاة الصغيرة التي تلقت التربية الإسلامية وتمسكت بها! وتحية للأم التي زرعت في ابنتها حب الله ورسوله! الأم التي علمت ابنتها حب الله ورسوله! فيا أيتها الأمهات المسلمات: بين أيديكن أطفالكن وهم كالعجين تستطعن تشكيلهم كيفما شئتن فأسرعن بتشكيلهم التشكيل الذي يرضى الله ورسوله. علمنهم الصلاة ... علمنهم طاعة الله تعالى ... علمنهم الثبات على الحق ... علمنهم كل ذلك قبل وصولهم سن المراهقة. فإن فاتتهم التربية وهم في مرحلة الصغر فإنكن ستندمن أشد الندم على ضياع الأبناء عند الكبر. وهذه الفتاة لم تكن في عصر الصحابة.. ولا التابعين ..... إنما في العصر الحديث ... وهذا مما يدل على أننا باستطاعتنا أن نوجد أمثال تلك الفتاة. الفتاة التقية الجريئة على إظهار الحق والتي لا تخشى في الله لومة لائم . فيا أختي المؤمنة.... ها هي ابنتك بين يديك . فاسقيها بماء التقوى والصلاح. واصلحي لها بيئتها طاردة عنها الطفيليات والحشرات الضارة. وها هي الأيام أمامك . فانظري ماذا تفعلين بالأمانة التي أودعها لديك رب السموات والأرض! قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم -: "من أرضى الناس بسخط الله وكله الله إلى الناس ، ومن أسخط الناس برضا الله كفاه الله مؤنة الناس". صحيح الجامع الصغير ج 5 حديث رقم 5886 والقصة نقلاً عن مواقف ذات عبر لعمر الأشقر.)

76 - زواج عمر بن الخطاب من أم كلثوم بنت علي

(كم نفاجأ بقصص وأخبار وحكايا يخرج علينا بها أناس إما جهلاء مرتزقة يأكلون بالإسلام كتاباً وسنة ، وإما علماء متساهلون لا يبذلون أدنى جهد في البحث والتحري والدراسة والغربلة ، فنراهم لا يتحققون ولا يتثبتون ولا يستوثقون مما يحكون من حكايا ولا مما يقولون من أخبار! فيخلطون بذلك الحابل بالنابل! ووالله لقد كنتُ انا شخصياً ضحية من ضحايا هؤلاء! فكم أوردتُ أحاديث وقصصاً كنت أظنها صحيحة ، فإذا بي أكتشف بعد عقودٍ ثلاثة أنها غير صحيحة! ذلك أنني كنت أثق في العلماء ثقة عمياء! والأصل أن نتعرف على طريقة العالم في البلاغ عن الله ورسوله – صلى الله عليه وسلم -! هل هو عالم متحقق ومتثبت أم أنه حاطب ليل؟! ومن ذلك قصة زواج عمر بن الخطاب رضي الله عنه من أم كلثوم بنت علي رضي الله عنه ..فلقد أخرج الإمام أحمد رحمه الله في فضائل الصحابة (625/2 – 626) من طريق محمد بن يونس ، عن جعفر بن محمد عن أبيه أن عمر بن الخطاب خطب إلى علي أم كلثوم ، فقال: أنكحنيها ، فقال علي: إني أرصدها لابن أخي جعفر ، فقال عمر: أنكحنيها فوالله ما من الناس أحد يرصد من أمرها ما أرصد ، فأنكحه علي فأتى عمر المهاجرين فقال: ألا تهنئوني؟ فقالوا: بمن يا أمير المؤمنين؟ فقال: بأم كلثوم بنت علي وابنة فاطمة بنت رسول الله ، إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: كل نسب وسبب ينقطع يوم القيامة ، إلا ما كان من سببي ونسبي فأحببت أن يكون بيني وبين رسول الله سبب ونسب. وبرواية أخرى: من نفس الطريق: إن عمر بن الخطاب خطب إلى علي بن أبي طالب أم كلثوم فاعتل عليه بصغرها ، فقال: إني لم أرد الباءة ، ولكني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: كل سبب ونسب منقطع يوم القيامة ، ما خلا سببي ونسبي كل ولد أب ، فإن عصبتهم لأبيهم ما خلا ولد فاطمة فإني أنا أبوهم وعصبتهم. قلت: الرواية ضعيفة جداً ، والسبب الذي من أجله ضعفت القصة هو: وجود محمد بن يونس الكديمي فإنه متروك ، وقد اتهمه بالكذب كل من أبو داود وابن حبان والدراقطني وابن خزيمة وقال ابن حبان: وضع أكثر من ألف حديث. راجع: تاريخ بغداد

(435/3) و المجروحين (213/2) والميزان (74/4) والتهذيب (539/9) والتقريب (222/2). مع انقطاعه ، فإن محمداً وهو ابن علي بن الحسين بن علي أبو جعفر الباقر لم يدرك عمر ولا شهد القصة ولا صرح بسماعه من أم كلثوم ، وكانت ولادته سنة ست وخمسين. وأخرج القصة كل من المحب الطبري في ذخائر القربى (ص 286 – 289) بسندٍ منقطع ، وفيها من النكارة ما لا يستسيغها قلم عن تسطيرها ، وعمر رضي الله عنه أرفع من هذه السخافات. وأوردها الحاكم في المستدرك (142/3) وقال صحيح الإسناد ، وتعقبه الذهبي في تلخيصه بقوله: منقطع. وأورده أيضاً البيهقي في مناقب الشافعي (142/3) وابن سعد في الطبقات (463/8) وفي غيرها وكلها من طريق جعفر بن محمد عن أبيه منقطعاً. وأورده ابن الجوزي في العلل (258/1) من طريق شيبة بن نعامة ، والطبراني عن فاطمة الكبرى نحوه ، قال الهيثمي رواه الطبراني وأبو يعلى وفيه شيبة بن نعامة ولا يجوز الاحتجاج به. مجمع الزوائد (173/9). وأخرجه الطبراني عن شيخه محمد بن زكريا الغلابي ، وقال الألباني في الضعيفة (213/2) محمد بن زكريا كذاب. ومع هذا فقد ثبت زواج عمر رضي الله عنه من أم كلثوم بنت علي رضي الله عن الجميع ، بإجماع المؤرخين وكل من ترجم للخليفة عمر ولأم كلثوم بنت علي .. إلا أن القصة التي وردت في ذلك ضعيفة ..هذا والله أعلم والحمد لله رب العالمين ..)

77 - المرأة والفقيه

(جاء في كتاب أذكياء الفقهاء من إعداد الأستاذ / أشرف عبد الرؤوف قدح قوله: سمعت امرأة أن عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - لعن من تغير خلقتها من النساء ، فتفرق بين أسنانها للزينة ، وترقق حاجبيها. فذهبت إليه ، وسألته عن ذلك ، فقال لها: وما لي لا ألعن من لعنه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو في كتاب الله. فقالت المرأة في دهشة واستغراب: لقد قرأت القرآن الكريم كله لكني لم أجد فيه شيئا يشير إلى لعن من يقمن بعمل مثل هذه الأشياء. وهنا ظهرت حكمة الفقيه الذي يفهم دينه فهما جيداً ، فقال للمرأة: أما قرأت قول الله تعالى: {وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا}؟! أجابت المرأة: بلى ، فقال لها: إذن فقد نهى القرآن عنه – أيضاً -.)

78 - خشبة المقترض الأمين

(قال الإمام أحمد رحمه الله: حَدَّثَنَا يُونُسُ بْنُ مُحَمَّدٍ حَدَّثَنَا لَيْثٌ يَعْنِي ابْنَ سَعْدٍ عَنْ جَعْفَرِ بْنِ رَبِيعَةَ عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ هُرْمُزَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ ذَكَرَ أَنَّ رَجُلًا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ سَأَلَ بَعْضَ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنْ يُسَلِّفَهُ أَلْفَ دِينَارٍ قَالَ: ائْتِنِي بِشُهَدَاءَ أُشْهِدُهُمْ قَالَ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا قَالَ: ائْتِنِي بِكَفِيلٍ! قَالَ كَفَى بِاللَّهِ كَفِيلًا قَالَ: صَدَقْتَ فَدَفَعَهَا إِلَيْهِ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى فَخَرَجَ فِي الْبَحْرِ فَقَضَى حَاجَتَهُ ، ثُمَّ الْتَمَسَ مَرْكَبًا يَقْدَمُ عَلَيْهِ لِلْأَجَلِ الَّذِي كَانَ أَجَّلَهُ فَلَمْ يَجِدْ مَرْكَبًا فَأَخَذَ خَشَبَةً فَنَقَرَهَا وَأَدْخَلَ فِيهَا أَلْفَ دِينَارٍ وَصَحِيفَةً مَعَهَا إِلَى صَاحِبِهَا ثُمَّ زَجَّجَ مَوْضِعَهَا ثُمَّ أَتَى بِهَا الْبَحْرَ ، ثُمَّ قَالَ اللَّهُمَّ إِنَّكَ قَدْ عَلِمْتَ أَنِّي اسْتَلَفْتُ مِنْ فُلَانٍ أَلْفَ دِينَارٍ فَسَأَلَنِي كَفِيلًا فَقُلْتُ: كَفَى بِاللَّهِ كَفِيلًا! فَرَضِيَ بِكَ وَسَأَلَنِي شَهِيدًا فَقُلْتُ: كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا فَرَضِيَ بِكَ ، وَإِنِّي قَدْ جَهِدْتُ أَنْ أَجِدَ مَرْكَبًا أَبْعَثُ إِلَيْهِ بِالَّذِي لَهُ فَلَمْ أَجِدْ مَرْكَبًا وَإِنِّي اسْتَوْدَعْتُكَهَا ، فَرَمَى بِهَا فِي الْبَحْرِ حَتَّى وَلَجَتْ فِيهِ ، ثُمَّ انْصَرَفَ يَنْظُرُ وَهُوَ فِي ذَلِكَ يَطْلُبُ مَرْكَبًا يَخْرُجُ إِلَى بَلَدِهِ ، فَخَرَجَ الرَّجُلُ الَّذِي كَانَ أَسْلَفَهُ يَنْظُرُ لَعَلَّ مَرْكَبًا يَجِيءُ بِمَالِهِ ، فَإِذَا بِالْخَشَبَةِ الَّتِي فِيهَا الْمَالُ فَأَخَذَهَا

لِأَهْلِهِ حَطَبًا ، فَلَمَّا كَسَرَهَا وَجَدَ الْمَالَ وَالصَّحِيفَةَ ، ثُمَّ قَدِمَ الرَّجُلُ الَّذِي كَانَ تَسَلَّفَ مِنْهُ فَأَتَاهُ بِأَلْفِ دِينَارٍ وَقَالَ: وَاللَّهِ مَا زِلْتُ جَاهِدًا فِي طَلَبِ مَرْكَبٍ لِآتِيَكَ بِمَالِكَ فَمَا وَجَدْتُ مَرْكَبًا قَبْلَ الَّذِي أَتَيْتُ فِيهِ قَالَ: هَلْ كُنْتَ بَعَثْتَ إِلَيَّ بِشَيْءٍ؟ قَالَ: أَلَمْ أُخْبِرْكَ أَنِّي لَمْ أَجِدْ مَرْكَبًا قَبْلَ هَذَا الَّذِي جِئْتُ فِيهِ؟ قَالَ: فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ أَدَّى عَنْكَ الَّذِي بَعَثْتَ بِهِ فِي الْخَشَبَةِ فَانْصَرِفْ بِأَلْفِكَ رَاشِدًا!)

79 - روعة الحياة

(أنا سيدة عمري 39 عاماً جميلة ومثقفة تزوجت منذ 15 عاماً من زميل لي في العمل بعد قصة حب استمرت 8 سنوات ، وأنجبت منه طفلتين هما قرة عيني ، وما دفعني إلى الكتابة إليك هو إحساسي بالمسؤولية تجاه غيري ممن عافاهم ربهم من معاناة التجربة التي كابدتها ، فرأيت من واجبي ان ألفت أنظارهم إلى أشياء كثيرةٍ في الحياة ، يجدر بهم الاهتمام بها وتقديرها حق قدرها. فمنذ ثلاث سنوات اكتشفت إصابتي بالمرض الخطير ، ولن أصف لك ما شعرت به من الرعب والخوف لهذه المفاجأة. ونمت ليلتي تلك بين طفلتي كأنما أحتمي بهما مما أتوجس منه وأريد أن أشعر بالشبع منهما وأشعرهما به! وبعد مداولاتٍ طويلةٍ بين الأطباء قررت السفر للخارج لإجراء جراحة. وأجريت لي هناك بنجاح ، وعدت لحياتي وزوجي وطفلتي. لكنه بعد عام آخر ظهرت نفس الأعراض وسافرت مع زوجي لإجراء جراحة ثانية وودعت الطفلتين وأهلي هذه المرة وداع من يخشى ألا يراهم ثانية ، وتمت الجراحة وكشفت عما كنت أخشاه ، لكني تقبلت الأمر صامتة وساهمة ، وفي اليوم التالي للجراحة وكنت راقدة في فراشي بالمستشفى أنظر إلى النافذة التي بجواري حين تردد هذا السؤال فجأة في أعماقي: ماذا لو اخبرني الطبيب بأنه لم يبق لي من عمري ليس سوى شهر أو شهور قليلة؟ وما الذي أبدأ بعمله في هذه الحالة؟ والأطباء الأجانب كما تعرف لا يخفون هذه الأمور عن مرضاهم؟ وتأملت حالي وحياتي السابقة وتساءلت: ما هذا المظهر الأوروبي الذي يتسم به مظهري؟ وما هذا الشعر المكشوف؟ وماذا عن علاقتي بزوجي ومناطحتي المستمرة له في السابق؟ وإلى أين يقودني ذلك إلا إلى الجحيم؟ ثم ماذا لو كان الخطر قد زال عني نهائياً ، ولم يعد هناك ما يدعو للخوف والتوجس هل أرجع إلى حياتي الماضية وأواصلها كما كانت بأخطائها وعثراتها؟ إن صديقاتي يصفنني بالشهامة وبأنني أقدّر الجميل ولا أنساه لفاعله وأقف إلى جوار الحق.. فهل أنسى الجميل لربي إذا عافاني من الخطر وأرجع لحياتي السابقة؟ وقبل أن أعرف نتائج الجراحة ، كنت قد قررت أن الوقت قد حان لمراجعة حياتي كلها ولقطف ثمرة هذه المحنة في طاعة الله ، وجاءني الطبيب وأبلغني بزوال الخطر ، وبأنني أستطيع أن أواصل حياتي الطبيعية دون خوف ، وابتهجت بذلك كثيراً.. وتذكرت دَيني لربي بالوفاء له بالعهد.. فكان قراري الأول هو أن غادرت المستشفى الأجنبي الذي دخلته بملابس أوروبية.. بالحجاب ورجعت إلى بيتي وبناتي وأنا إنسانة مختلفة ، أنظر إلى الحياة نظرة أخرى ، وأقدر كل لحظةٍ تمضي بي وأنا على قيد الحياة وأعتبر كل يوم من عمري صدقة منحها الله لي بتفضله وكرمه وأرجوه أن يطيل في حياتي لكي أربي ابنتي على طاعته. وأصبحت أقدر الحياة حق قدرها ووضعت مشاكلي في حجمها الطبيعي ، ورأيت أنني ما دمت بين ابنتي وأستطيع خدمة نفسي بنفسي فهذه هي السعادة التامة. وأنه من الجحود لنعمة الله ألا يرضى الإنسان عن حياته بسبب ما يعانيه من قلة الرزق أو عدم التوفيق في الحياة الزوجية ، إذ ماذا تعني مثل هذه المشاكل بالقياس إلى محنة كمحنة هذا المرض الخطير.. وهل لا بد أن نبتلى بالمرض لكي نعرف ونقدر ما نحن فيه من

سعادة؟ لقد راجعت حساباتي بعد أن استقرت حالتي ووجدت أن حياتي قد تغيرت إلى الأفضل وأن علاقتي بكل من حولي قد تحسنت وأنني قد سعدت بالسلام النفسي والثقة بالله والرضا بقضائه وقدره وأدركت أن لي ثروة من الأهل والأحباب ، الذين غمروني بمشاعرهم وأفضالهم خلال محنتي ، لقد وقف الجميع معي بالدعاء والتثبت والتشجيع واحاطوني بحبهم ورعايتهم.. فكيف أشكو.. ولا أشكر؟ وكيف اعتبر ما تعرضت له ابتلاء وقد كان فضلاً من الله ونعمة وتذكيراً لي بما أنعم علي به ربي؟)

80 - قصة المعلم والغلام

(كان هناك غلام أرسل إلى بلاد بعيدةٍ للدراسة ، وظل هناك ردحاً من الزمن. ذهب بعد عودته الى أهله ليطلب منهم أن يحضروا له مُعلماً دينياً ليجيب على أسئلته الثلاثة ، ثم أخيراً وجدوا له معلماً دينياً مسلماً ودار بينهما الحوار التالي: الغلام: من أنت؟ وهل تستطيع الإجابة على أسئلتي الثلاث؟ المعلم: أنا عبد من عباد الله. وسأجيب على اسئلتك بإذن الله الغلام: هل أنت متأكد؟ الكثير من الأطباء والعلماء قبلك لم يستطيعوا الإجابة على أسئلتي! المعلم: سأحاول جهدي. وبعون من الله! الغلام: لدي 3 أسئلة! هل الله موجود فعلاً؟ وإذا كان كذلك أرني شكله؟ ما هو القضاء والقدر؟ إذا كان الشيطان مخلوقا من نار. فلماذا يلقى فيها بعد ذلك وهي لن تؤثر فيه؟ صفع المعلم الغلام صفعة قوية على وجهه! فقال الغلام وهو يتألم: لماذا صفعتني؟ وما الذي جعلك تغضب مني؟ أجاب المعلم: لست غاضباً وإنما الصفعة هي الإجابة على أسئلتك الثلاث. الغلام: ولكني لم أفهم شيئاً! المعلم: ماذا تشعر بعد ان صفعتك؟ الغلام: بالطبع اشعر بالألم. المعلم: إذاً هل تعتقد أن هذا الألم موجود؟ الغلام: نعم! المعلم: أرني شكله؟ الغلام: لا أستطيع! المعلم: هذا هو جوابي الأول. كلنا نشعر بوجود الله ولكن لا نستطيع رؤيته! ثم أضاف: هل حلمت البارحة بأني سوف أصفعك؟ الغلام: لا! المعلم: هل خطر ببالك اني سأصفعك اليوم؟ الغلام: لا! المعلم: هذا هو القضاء والقدر! ثم أضاف: يدي التي صفعتك بها ، مما خلقت؟ الغلام: من طين! المعلم: وماذا عن وجهك؟ الغلام: من طين المعلم: ماذا تشعر بعد أن صفعتك؟ الغلام: أشعر بالألم! المعلم: تماماً. فبالرغم من أن الشيطان مخلوق من نار. ولكن إذا شاء الله فستكون النار مكاناً أليماً للشيطان!)

81 - قصة إسلام فتاة يهودية

(إن هذا الدين العظيم الإسلام إذا وجد من يعرضه عرضاً صحيحاً سليماً ، فإن النفوس بفطرها تقبل عليه أيا كانت دينها أو أيا كانت أديانها! في هذه القصة تقول صاحبتها رأيتها بوجهها المضيء في مسجد يقع على ربوة في مدينة أمريكية صغيرة تقرأ القرآن الذي كان مترجماً للغة الإنجليزية ، فسلمت عليها وردت ببشاشة ، ثم تجاذبنا أطراف الحديث وبسرعة صرنا صديقتين حميمتين! وفي ليلة جمعتنا على شاطئ بحيرةٍ جميلةٍ حكت لي قصة إسلامها تعالوا لنسمع هذه القصة: قالت الأخت نشأت في بيت أمريكي يهودي في أسرة مفككة وبعد انفصال أبي عن أمي تزوج بأخرى أذاقتني أصناف العذاب فهربت وأنا في السابعة عشرة من ولايةٍ إلى أخرى ، حيث التقيت بشباب عرب وهم كما حكت رفيقاتي المشردات كرماء وما على إحداهن إلا الابتسام في وجههم حتى تنال عشاء ، وفعلت مثلهن ، في نهاية كل سهرةٍ كنت أهرب فقد كنت لا أحب مثل هذه العلاقات! ثم إنني أكره العرب ولكني لم أكن سعيدة بحياتي ولم

أشعر بالأمان ، بل كنت دائما أشعر بالضيق والضياع لجأت إلى الدين لكي أشعر بالروحانية ولأستمد منه قوة دافعة في الحياة! ولكن اليهود بدينهم لم يقنعوني ، وجدته ديناً لا يحترم المرأة ولا يحترم الإنسانية! بل هو دين أناني ومن هنا كرهته ، ووجدت فيه التخلف ، ولو سئلت سؤالاً لم أجد إجابة! فتنصرت ولم تكن النصرانية إلا أكثر تناقضاً في أشياء لا يصدقها عقل ، ويطلبون منا التسليم بها ، سألت كثيراً كيف يقتل الرب ابنه؟ كيف ينجب؟ كيف تكون لديننا ثلاثة آلهة ولا نرى أحداً منهم ، احترت ، تركت كل شيء ولكنني كنت أعلم أن للعالم خالقاً وكنت في كل ليلة أفكر وأفكر حتى الصباح ، في ليلة وفي وقت السحر كنت على وشك الانتحار من سوء حالتي النفسية ، كنت في الحضيض لا شيء له معنى ، المطر يهطل بغزارة السحب تتراكم وكأنها سجن يحيط بي ، والكون حولي يقتلني ، ضيق الشجر ينظر إلى ببغض قطرة مطر تعزف لحناً كريهاً رتيباً ، أنا أطل من نافذة في بيت مهجور عندها وجدت نفسي أتضرع لله ، يا رب أعرف أنك هنا أعرف أنك تحبني ، أنا سجينة أنا مخلوقتك الضعيفة ، أرشدني إلى أين الطريق ، رباه إما أن ترشدني أو تقتلني! كنت أبكي بحرقةٍ حتى غفوت وفي الصباح صحوت بقلب منشرح غريب علي كنت أتمتم ، خرجت كعادتي إلى الخارج أسعى للرزق لعل أحدهم يدفع تكاليف فطوري أو أغسل له الصحون فأتقاضى أجرها هناك التقيت بشاب عربي تحدثت إليه طويلاً ، وطلب مني بعد الإفطار أن أذهب معه إلى بيته وعرض علي أن أعيش معه تقول صديقتي ذهبت معه ، وبينما نحن نتغدى ونشرب ونضحك دخل علينا شاب ملتح اسمه سعد كما عرفت من جليسي الذي هتف باسمه متفاجئاً ، أخذ هذا الشاب بيد صديقي وقام بطرده وبقيت أرتعد فها أنا أمام إرهابي وجهاً لوجه كما تقول سابقاً لم يفعل شيئاً مخيفاً ، بل طلب مني وبكل أدب أن أذهب إلى بيتي! فقلت له: لا بيت لي ، نظر نحوي بحزن ، استشعرته في قسمات وجهه وقال: حسناً ابقي هنا هذه الليلة ، فقد كان البرد قارساً ، وفي الغد ارحلي وخذي هذا المبلغ ينفعك ريثما تجدين عملاً! وهم بالخروج فاستوقفته وقلت له: شكراً فلتبق هنا وسأخرج وستبقى أنت وكن لي رجاء ، أريد أن تحدثني عن أسباب تصرفك مع صديقك ومعي ، فجلس وأخذ يحدثني وعيناه في الأرض فقال: إنه الإسلام يحرم المحرمات ، يحرم الخلوة بالنساء وشرب الخمر ، ويحثنا على الإحسان إلى الناس وإلى حسن الخلق تعجبت أهؤلاء الذين يقال عنهم إرهابيون؟ لقد كنت أظنهم يحملون مسدساً ويقتلون كل من يقابلون هكذا علمني الإعلام الأمريكي! قلت له: أريد أن أعرف أكثر عن الإسلام هل لك أن تخبرني ، قال لي سأذهب بك إلى عائلةٍ مسلمةٍ متدينةٍ تعيش هنا ، وأعلم أنهم سيعلمونك خير تعليم! فانطلق بي إليهم ، وفي الساعة العاشرة كنت في بيتهم حيث رحبوا بي ، وأخذت أسأل والدكتور سليمان رب الأسرة يجيب ، حتى اقتنعت تماماً بالفعل واقتنعت بأني وجدت ما كنت أبحث عنه لأسئلتي ، دينٌ صريحٌ واضحٌ متوافقٌ مع الفطرة ، لم أجد أي صعوبة في تصديق أي شيء مما سمعت ، كله حق! أحسست بنشوة لا تضاهى حينما أعلنت إسلامي وارتديت الحجاب من فوري في نفس اليوم الذي صحوت فيه منشرحة! وفي الساعة الواحدة مساء أخذتني السيدة إلى أجمل غرف البيت وقالت هي لك ابقي فيها ما شئت! رأتني أنظر إلى النافذة وأبتسم ودموعي تنهمر على خدي ، وسألتني عن السبب! فقلت لها إنني كنت بالأمس في مثل هذا الوقت تماماً كنت أقف في نافذة وأتضرع إلى الله ربي إما أن تدلني على الطريق الحق وإما أن تميتني ، لقد دلني وأكرمني وأنا الآن مسلمة محجبة مكرمة ، هذا هو الطريق ، هذا هو الطريق ، وأخذت السيدة تبكي معي وتحتضنني!).هـ. مجلة الأسرة الجمعة1422/4/8 هـ

82 - الغيث سر الحياة!

(في نزهة بالسيارة في دار غربتي برفقة المنشد الإماراتي إبراهيم الهاجري وصديقه علي ، كان لنا نقاش لا تنقصه الصراحة حول عدد من الموضوعات. وانتهينا بإفطار رتب له الهاجري في المطعم الساحر الرائع (عروس دمشق) بدار غربتي ، حيث اختار ثلاثتنا ما نشتهي من الطعام والشراب. وتجاذبنا أطراف الحديث الذي كنا عبره بين مد وجزر. ولأن الخلاف بين المحبين لا يُفسد للود قضية ، رحنا نحافظ بيننا على ذات البين أو بتعبير آخر نحافظ على شعرة معاوية ، تلك التي كانت بينه وبين الناس. وإذا بالهاجري يعقد موازنة لطيفة بين الإمام العادل الذي يُقيم الدين ويُرسي العدل ويسهر على راحة رعيته مذللاً لهم كل عقبات الحياة ، وميسراً عليهم كل سبل العيش الكريم ، وبين الغيث الذي يرسله الله تعالى من السماء فيحيي به الأرض بعد موتها ، وينبت به الزرع فإذا بالأرض تهتز وتربت وتحلو في أنظار سكانها! يقول الهاجري: فكما أن الإمام العادل المُقيم للدين يجعل الحياة صافية مما يكدّرها عظيمة في مبناها ومعناها ، فكذلك الغيث يبعث الحياة اليانعة الطيبة. فكلاهما سر الحياة! وفي الصحيحين عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: [سبعة يظلهم الله يوم لا ظل إلا ظله: إمام عادل ، وشاب نشأ في عبادة الله ، ورجل قلبه معلق بالمسجد إذا خرج منه حتى يعود إليه ، ورجلان تحابا في الله اجتمعا على ذلك وتفرقا عليه ، ورجل ذكر الله خالياً ففاضت عيناه ، ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال إلى نفسها فقال: إني أخاف الله رب العالمين ، ورجل تصدق بصدقةٍ فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه]. وفي صحيح مسلم عن عياض بن حمار - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: [أهل الجنة ثلاثة: سلطان مقسط ، ورجل رحيم القلب بكل ذي قربى ، ومسلم ورجل غني عفيف متصدق]. وقال الله تعالى: {لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط}. فالمقصود من إرسال الرسل وإنزال الكتب أن يقوم الناس بالقسط في حقوق الله وحقوق خلقه ثم قال تعالى: {وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس وليعلم الله من ينصره ورسله بالغيب}. فمن عدل عن الكتاب قُوّم بالحديد. ولهذا كان قوام الدين بالمصحف والسيف. وقد روى عن جابر بن عبد الله - رضي الله عنهما - قال: "أمرنا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أن نضرب بهذا - يعني السيف - من عدل عن هذا - يعني المصحف -". فإذا كان هذا هو المقصود ، فإنه يتوسل إليه بالأقرب فالأقرب ، وينظر إلى الرجلين أيهما كان أقرب إلى المقصود ولي.....).هـ. قال العلامة ابن عثيمين: (إمام عادل ، الإمام العادل من يخاف؟ يخاف الله عز وجل ، لأنه إمام ، الأمر بيده ، جعله الله بيده ، فإذا عدل في الخلق ، فإنه لن يراعي مخلوقاً ، وإنما يراعي الله عز وجل. ومن الإمام العادل؟ الإمام العادل: هو الذي ينفذ شريعة الله في عباد الله تعالى. هذا هو الضابط ، الإمام العادل: هو الذي ينفذ شريعة الله في عباد الله ، إن حكمَ حكمَ بالشرع! وإن عاقب عاقب بمقتضى الشرع ، لو أن ابنه سرق لقطع يده ، ولو أن أباه سرق لقطع يده. سبحان الله! يقطع يد أبيه؟! نعم يقطع يد أبيه؟! إمام عادل ، سرق أبوه ، يقطع يد أبيه؟! كأنّ هذا شديد. نعم يقطع يد أبيه ، ولكن امتثالا لمن؟ لله عز وجل. الإمام العادل: هو الذي ينفذ شريعة الله في عباد الله ، لا يبالي بقريب أو بعيد ، أو شريف أو وضيع...).هـ. قال الحافظ في الفتح: (وَالْمُرَاد بِهِ صَاحِب الْوِلَايَة الْعُظْمَى ، وَيَلْتَحِقُ بِهِ كُلُّ مَنْ وَلِيَ شَيْئًا مِنْ أُمُور الْمُسْلِمِينَ فَعَدَلَ فِيهِ"...". وَأَحْسَن مَا فُسِّرَ بِهِ الْعَادِل أَنَّهُ الَّذِي يَتَّبِعُ أَمْر اللَّه ،

بِوَضْعِ كُلّ شَيْء فِي مَوْضِعه مِنْ غَيْر إفْرَاط وَلَا تَفْرِيط ، وَقَدَّمَهُ فِي الذِّكْرِ لِعُمُومِ النَّفْع بِهِ).هـ. وقال الحافظ ابن رجب في (الفتح): (وأول هذه السبعة المظللين: الإمام العادل ، وَهُوَ أقرب النَّاس من الله يوم القيامة ، وَهُوَ عَلَى منبر من نور عَلَى يمين الرحمن - عز وجل - ، وذلك جزاء لمخالفته الهوى ، وصبره عَن تنفيذ مَا تدعوه إليه شهواته وطمعه وغضبه ، مَعَ قدرته عَلَى بلوغ غرضه من ذَلِكَ ؛ فإن الإمام العادل دعته الدنيا كلها إلى نفسها ، فقالَ: إني أخاف الله رب العالمين. وهذا أنفع الخلق لعباد الله ، فإنه إذا صلح صلحت الرعية كلها. وقد روي أَنَّهُ ظل الله فِي الأرض ؛ لأن الخلق كلهم يستظلون بظله ، فإذا عدل فيهم أظله الله فِي ظله).هـ. وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: (فالمقصود الواجب بالولايات: إصلاح دين الخلق ، الذي متى فاتهم خسروا خسراناً مبيناً ، ولم ينفعهم ما نعموا به في الدنيا وإصلاح ما لا يقوم الدين إلا به من أمر دنياهم ، وهو نوعان: قسم المال بين مستحقيه ، وعقوبات المعتدين. فمن لم يعْتدِ أصلح له دينه ودنياه. ولهذا كان عمر بن الخطاب يقول: "إنما بعثت عمالي إليكم ليعلموكم كتاب ربكم وسنة نبيكم ، ويقيموا بينكم دينكم". فلما تغيرت الرعية من وجه ، والرعاة من وجه تناقضت الأمور. فإذا اجتهد الراعي في إصلاح دينهم ودنياهم بحسب الإمكان كان من أفضل أهل زمانه وكان من أفضل المجاهدين في سبيل الله! فقد روي [يوم من إمام عادل أفضل من عبادة ستين سنة] ، وفي مسند الإمام أحمد عن النبي - صلى الله عليه و سلم - أنه قال: [أحب الخلق إلى الله إمام عادل ، وأبغضهم إليه إمام جائر]. قال العلامة ابن باز في مجموع فتاويه: (ومن السبعة الذين يظلهم الله في ظل عرشه يوم لا ظل إلا ظله الإمام العادل ، ولا يكون عادلاً إلا إذا حكم بما أنزل الله ، والله تعالى قال لنبيه الكريم - صلى الله عليه وسلم -: {وَأَنِ احْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ} ، ولا شك أن الإمام العادل الرفيق من أفضل الناس ؛ لما في عدله من النفع العظيم ، والمصالح الكثيرة للمسلمين وغيرهم. ولا شك أيضا أن الإمام الجائر من شر الناس ؛ لما في جوره وظلمه من المضار الكثيرة على المسلمين. وفي الصحيحين أيضا عن معقل بن يسار رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «ما من عبد يسترعيه الله رعية ، يموت يوم يموت ، وهو غاش لرعيته إلا حرم الله عليه الجنة». وهكذا كل من ولي من أمر الأمة شيئا من أمير قرية ، أو مدينة أو وزير أو أي موظف على شيء من أمور المسلمين ، له هذا الحكم. فالواجب الحذر والنصح وأداء الأمانة).هـ. إن الإمام العادل يسهر على راحة رعيته ويحل مشكلاتهم ويطبق شريعة الله فيهم ويستشيرهم ويعبد لهم الطرق! فانتهزتها فرصة لي في وصف ذلك شعراً في قصيدة تحمل ذات العنوان. وكنت قد اخترتُ لها البحر الكامل والقافية النونية. ووعدتُ الهاجري أن أهديه القصيدة بعد ذلك لعله يُنشدها ، ويُعطيها من أنغامه وألحانه ما يجعلها تتبوأ مكانها بين القصائد التي وصفت الإمام المسلم العادل ، ليكون قدوة لمن يأخذ مكانه اليوم. وجزا الله تعالى المنشد المحترم إبراهيم بن صالح الهاجري - عني وعن قصائدي التي حدا بها وأنشدها - كل خير! فلقد كان خير منشد يعترف لشاعره بالفضل ويؤدي حقه كاملاً غير منقوص!)

83 - ألف ليلة عيد

(يوم تم قبوله للدراسة في كلية الآداب في قسم اللغة الإنجليزية عام 1981م ، كان هذا الحدث ليلة عيد. وكان يوم فراقها ألف ليلة عيد! وذلك لما عاين من التغريب والعلمانية يمنة ويسرة ، ناهيك عن السفول والتهتك والمُجون. وفوق كل هذا لم تكن كلية الآداب لتشبع نهمه

في طلب العلم. مما دعاه للتطفل على باقي الكليات يمنة ويسرة! فمن كلية اللغة العربية وأصول الدين إلى كلية الحقوق والتربية! وأيضاً ذهبت إلى كلية الشريعة والقانون. وكانت الذكريات الجميلة مع الأساتذة المحترمين وبعض الزملاء الأعزاء الذين لا يَحضره كثيرُ خبرهم الآن!)

84 - الفاروق يخير النيل

(أورد أبو الشيخ في كتاب (العظمة) ، والسيوطي في (تاريخ الخلفاء) ، أن أهل مصر أتوا عمراً بن العاص بعد فتحها ، حين دخل يوم من أشهر العجم فقالوا: يا أيها الأمير ، إن لنيلنا هذا سُنة لا يجري إلا بها. فقال: وما هي؟ قالوا: إذا كان إحدى عشرة ليلة تخلو من هذا الشهر ، عمدنا إلى جارية بكر بين أبويها ، فحليناها وألقيناها في هذا النيل. فرفض عمرو هذا. وأرسل إلى الفاروق عمر بن الخطاب. فأرسل ابن الخطاب إليه بطاقة فيها: (من عبد الله بن عمر بن الخطاب أمير المؤمنين إلى نيل مصر. أما بعد ، فإن كنت تجري من قِبلك فلا تجر. وإن كان الله يُجريك فأسأل الله الواحد القهار أن يجريَك. فألقى عمرو البطاقة في النيل قبل الصليب بيوم ، فأصبحوا وقد أجراه الله ستة عشر ذراعاً في ليلة واحدة. فقطع الله تلك السنة عن أهل مصر إلى اليوم.هـ. إن الحديث عن مثل ذلكمُ الحدث لا تسعه قصة ولا مائة قصة. ولكنني أكتب عنه وليَ شرف المحاولة الذي آمله. وإنني في غاية العجب من العبقريات الأربع: (عبقرية أهل مصر إذ إنهم سألوا واليهم؟ - أم عبقرية الأمير عمرو بن العاص في الكتابة إلى الخليفة ابن الخطاب بالمدينة؟ - أم عبقرية الفاروق عمر بن الخطاب في الكتابة إلى نيل مصر؟ - أم عبقرية النيل في الاستجابة لأمر الله – عز وجل - إذ أمره بالجريان بأمره (كن فيكون)؟ ، نعم تحيرتُ بين هذي العبقريات الأربع. وفي نهاية حيرتي كيف أتصرف ، وإلى من أتوجه بعد الله بالثناء والمدح في مثل هذا الموقف! وأخيراً هداني ربي إلى الحديث عن عبده وخليفة خليفة نبيه ، عن الفاروق عمر بن الخطاب ، ومن عمر يأتي الحديث عن الشعب وعن عمرو بن العاص وعن النيل الحبيب. نيل مصر الذي تكتب كتب الجغرافيا في الأرض كلها عنه أنه أطول أنهار الدنيا فقط. ولا تكتب الكتب الجغرافية تلك أنه من أنهار الجنة العذبة. وهذا ثابت في صحيح مسلم - رحمه الله - قول نبينا – صلى الله عليه وسلم - (النيل والفرات من أنهار الجنة). وطبعاً لا يخفى أنني كتبتُ هذه القصة على فرض صحة حديث رسالة عمر – رضي الله عنه – لنيل مصر!)

85 - الفتيا أمانة ومسؤولية

(أورد أستاذنا / وحيد عبد السلام بالي في كتابه: (المبتكرات في المحاضرات) صـ 134 ما نصه: (ينبغي لطالب العلم أن يعلم أن الفتوى في الدين مسؤولية عظيمة ، فعليه أن يدفعها عن نفسه إبقاء لدينه. قال البراء - رضي الله عنه -: لقد رأيتُ ثلاثمائة من أصحاب بدر ، ما فيهم من أحد إلا وهو يحب أن يكفيه صاحبه الفتيا. قال عبد الرحمن بن أبي ليلى: لقد أدركت عشرين ومائة من الأنصار ، من أصحاب رسول الله ﷺ يُسأل أحدهم عن المسألة ، فيردها ، هذا إلى هذا ، وهذا إلى هذا ، حتى ترجع إلى الأول. وقال عبد الله بن مسعود - رضى الله عنه -: من أفتى الناس في كل ما يُسأل عنه فهو مجنون. وسئل القاسم بن محمد بن أبي بكر عن شيء فقال: لا أحسنه ، فقال السائل: إني جئت إليك ، لا أعرف غيرك ، فقال القاسم ، وهو أحد الفقهاء المشهورين: لا تنظر إلى طول لحيتي ، وكثرة الناس حولي ، والله ما أحسنه ، فقال

شيخ من قريش جالس إلى جنبه: يا ابن أخي الزمها ، فوالله ما رأيتك في مجلس أنبل منك اليوم ، فقال القاسم: والله لأن يقطع لساني أحب إليّ من أن أتكلم بما لا علم لي به. وسئل مالك عن مسألة فقال: لا أدري ، فقيل له: إنها مسألة خفيفة سهلة ، فغضب وقال: ليس في العلم خفيف ، أما سمعت قول الله تعالى: "إنا سنلقى عليك قولاً ثقيلاً". فالعلم كله يا هذا ثقيل ، وخاصة ما يسأل عنه المرء يوم القيامة. قال عطاء: أدركت أقواماً إنْ كان أحدهم ليسأل عن الشيء فيتكلم ، وإنه ليُرعِد. وقال سفيان بن عُيينة: أجسر الناس على الفتوى أقلهم علماً. وسئل الشعبي - رحمة الله – عن شيء فقال: لا أدري. فقيل: ألا تستحيي من قولك: "لا أدري" وأنت فقيه العراق؟ فقال: لكن الملائكة لم تستحي حين قالت لربها عز وجل: "لا علم لنا إلا ما علمتنا". وقال ابن وهب: سمعتُ مالكاً يقول: العَجَلة في الفتوى نوع من الجهل.اهـ. إن في الساحة اليوم من يجترئون على الله ودينه ورسوله فيفتون بغير علم. وإن فتاوى تطلق اليوم هنا وهناك لأسئلة ربما لو سئلها أمثال أبي بكر وعمر وعثمان – رضي الله عنهما – لتورّعوا عن القطع فيها ، فإذا بشحيط ومحيط ونطاط الحيط يفتون فيها بكل جرأة وجسارة! فليحذر المتنطعون والمتحذلقون والمتفيهقون أن يُحبط الله أعمالهم بافترائهم عليه. قال الشافعي رحمه الله: لا يحِل لأحد أن يُفتي في دين الله إلا رجلاً عارفاً بكتاب الله بصيراً بأحاديث رسول الله ، بصيراً باللغة الفصحى والشعر الجيد ، وما يحتاج إليه منهما في فهم القرآن والسنة ، ويكون مع هذا مشرفاً على اختلاف أهل الأمصار ، مطلعاً على أقوال العلماء والخلاف بينهم ، وتكون لديه قريحة وقادة ، فإذا كان هذا فله أن يفتي في الحلال والحرام، وإذا لم يكن هكذا فليس له أن يفتي. دخل مالك رحمه الله على شيخه ربيعة فوجده يبكي ، فقال له: ما يبكيك ، أمصيبة نزلت بك؟ قال: لا! ولكن استفتي من لا علم له ووقع في الإسلام أمر عظيم ، ولبَعض من يفتي هاهنا أحق بالسجن من السرّاق. قال الإمام أحمد رحمه الله: (لا ينبغي للرجل أن يُنصّب نفسه للفتيا حتى يكون فيه خمس خصال: * أولاً: أن تكن له نية ، فإن لم تكن له نية يعني صالحة لم يكن عليه نور ولا على كلامه نور. * والثانية: أن يكون له علم وحلم ووقار وسكينة. * والثالثة: أن يكون قوياً على ما هو فيه وعلى معرفته. * الرابعة: الكفاية وإلا مضغه الناس. * الخامسة: معرفة الناس).هـ. وقال البُهوتي رحمه الله في شروط المفتي: معرفة الناس ، ينبغي له أن يكون بصيراً بمكر الناس وخداعهم ، ولا ينبغي له أن يحسن الظن ، بل يكون حذراً فطناً مما يصورونه في سؤالاتهم ؛ لئلا يوقعونه في المكروه. وقد روى البخاري ومسلم عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (إن الله لا يقبض العلم انتزاعاً ينتزعه من العباد ولكن يقبض العلم بقبض العلماء ، حتى لم يُبق عالماً اتخذ الناس رؤوساً جهالاً فسئلوا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا)! ولمّا سُئل ابنُ باز عن فتوى البعض بغير علم قال: (الواجب على طالب العلم أن يحذر الفتوى بغير علم ، يقول النبي - صلى الله عليه وسلم-: (من قال عليّ ما لم أقل فليتبوأ مقعده من النار) ، فالواجب على الإنسان أن يتحرى العلم ، ويتحرى الدليل حتى يفتي على بصيرة ولا يفتي على الله بغير علم ، فالمقصود أن العِلم دين ، والفتوى دِين فلا بد أن الإنسان يتقيد بما أوجب الله عليه ، فلا يفتي بغير علم ، بل يتحرى وينظر في الأدلة في الكتاب والسنة ، ويُفتي على ضوء الكتاب والسنة وإلا فليرشدهم إلى غيره ، ولا يجوز أن يقول على الله بغير علم ، الله سبحانه يقول: (قل إنما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها ومنها بطن والإثم والبغي بغير الحق ، وأن تشركوا بالله ما لم ينـزل به سلطاناً وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون). فجعل القول عليه بغير علم ، فوق مرتبة

الشرك ، لما يترتب على القول على الله بغير علم من الفساد الكبير ، والشر العظيم ، وقد يبيح ما حرم الله ، وقد يوجب ما لا يوجبه الله ، وقد يقع في شرور كثيرة ، وأخبر جل وعلا في آية أخرى أن هذا من أمر الشيطان ، إنما يأمركم بالسوء والفحشاء– أي الشيطان – وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون ، فالواجب على طالب العلم أن يتحرى الحق ، وأن يحذر من القول على الله بغير الله ، وإذا كان لا يستطيع ذلك فليرشدهم إلى غيره ، ولا يتكلم ولا يقول على بغير علم نسأل الله السلامة).هـ. قال الله تعالى: (قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُواْ بِاللّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَن تَقُولُواْ عَلَى اللّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ). وقال: (وَلاَ تَقُولُواْ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلاَلٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُواْ عَلَى اللّهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللّهِ الْكَذِبَ لاَ يُفْلِحُونَ). وقال: (قُلْ أَرَأَيْتُم مَّا أَنزَلَ اللّهُ لَكُم مِّن رِّزْقٍ فَجَعَلْتُم مِّنْهُ حَرَامًا وَحَلاَلاً قُلْ آللّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى اللّهِ تَفْتَرُونَ). ومن هنا ينبغي أن يعلم الكل أن الفتوى بالحِل أو بالحُرمة أمانة ومسؤولية. فليأخذوا حذرهم ولا يخوضوا في دين الله!)

86 - الفجر الضائع

(كان من المتصور أن أعنون لهذي القصة الحلوة بـ (الفجر المرتقب). ولكنْ سها القلم فزل وصاغها: (الفجر الضائع). فرُحتُ أقول في نفسي: إن الناس ببُعدهم عن الحنيفية السمحة ومجاهرتهم رب السماء والأرض بالمعاصي يؤخرون الفجر والنصر معاً. ومن هنا فهو مرتقبٌ للفئة المؤمنة التي تصدق موعود الله بالنصر والتمكين للأمة المسلمة طال الزمان أو قصر! بعز عزيز أو بذل ذليل ، شاءت الجاهلية أم أبت ، علم الجبابرة أم لم يعلموا ، أذن الطواغيت أم لم يأذنوا. وهو فجر ضائعٌ للذين لا يحبون هذا الدين ولا يرجون نصرته ، ولا يداعبهم أمل واحد في أن تقوم له - في أرض الله ودنيا الناس - قائمة. فغلبت التسمية التي زل بها القلم وشط لغلبة الحال ولتمكن الجاهلية وأهلها اليوم في الأرض بغير الحق. وعسى الله أن يكبتهم ، ويأذن لفجر الإسلام أن يبزغ ، وتزول الغربة الثانية مثلما زالت الأولى. وما من أدنى شك في أن ليلنا قد طال ، وغاب الفجر حتى إن قال قائل: أنه لا فجر ، فليس هو في تصوري بالمبالغ! ذلك أن مسخاً مشوهاً يعيش وليس يُدرك لحظة لماذا يعيش ، وحنيفية مغيبة ولا ندري إلى متى وقيم منتهكة ولا ندري كيف قد سمح لها أهلها بذلك ، وأحرار يعرقل العبيد الأرقاء سيرهم نحو المعالي ، وعبيد يخبطون نحو الهاوية خبط عشواء ، وهمج رعاع بين كل من الأحرار ، والعبيد لا يلوون على شيء! إلى كل هؤلاء أكتب هذا التشخيص الشعري فعسى أن يبزغ الفجر الضائع! وينقل الدكتور فيصل البعداني عن آخرين تعريفاً للترويح عن النفس والتسرية عنها ، وهي تلفظ الفجر الضائع ، وتقبل على الفجر المرتقب ، فيقول ما نصه: (قال بسيوني: (الترويح هو طريق للحياة الإنسانية ، يتحقق بأداء أنشطة بدنية أو فنية أو عقلية تغاير نوع العمل ، ويتم وفق الرغبة الحرة وتحقيق النفع الشخصي أو العام ، في إطار الضوابط الخلقية والاجتماعية المنبثقة من الدين والعرف). ويذكر د. الخولي بأن الترويح: (إدخال السرور على النفس ، وتجديد نشاطها بوسائل اللهو والترفيه المباحة). ويذهب د.الوكيل إلى أن المراد بالترويح (إدخال السرور على النفس وإنعاشها بحالة ؛ لما تجده من الراحة في عمل أو قول تميل إليه). بينما يذكر د. الفعر بأن الترويح: (طلب راحة النفس ، وهو أمر عام لا يتحدد في شكل معين). ويعد د. السمالوطي الترويح (كل استمتاع مثمر ومشروع في وقت فراغ الإنسان ، بما يعود على الإنسان بالنفع وعلى المجتمع بالنمو والتقدم) ، وفي موضع آخر يذكر بأنه: (حسن

استثمار وقت فراغ الإنسان ، بما يحقق له الانتعاش والسعادة وتجديد طاقته الفعلية والجسمية). ويعرفه د. فضالي بكل (نشاط ذو فائدةٍ ما يمارس اختياراً في أثناء الفراغ ، بدافع ذاتي من الرضى الشخصي الذي ينتج عنه ، ويعتبر ميداناً فسيحاً سعته سعة الإنسان ذاته). بينما ينحو د. باقادر إلى أنه (الجانب البناء من النشاط المحبب إلى النفس في ظل أحكام الشريعة الإسلامية الذي يضم جميع نشاطات الفرد العقلية والوجدانية والبدنية ، في سبيل تربية الفرد المسلم بما يوافق الدين والتقاليد الإسلامية). ويسلط د. درويش والخولي الضوء على نظرة بعض باحثي الترويح الغربيين ، فيقولان: (ينظر كل من كراوس وبرباراباتس إلى الترويح على أنه نشاط وخبرة وحالة انفعالية تطرأ على الفرد ؛ نتيجة لممارسته لأنشطةٍ من خلال واقع شخصي. كما يشيران أيضاً إلى أن الترويح قد يتكون من بعض الممارسات العابرة والوقتية أو الارتباط الجاد ببعض أنواع الممارسات طوال الحياة. ويرى بتلر أن الترويح هو نوع من أنواع النشاط التي تمارس في وقت الفراغ ، والتي يختارها الفرد لممارستها بدافعية ذاتية ، والتي يكون من نتائجها اكتساب الفرد لقيم بدنية وخلقية ومعرفية واجتماعية. ويصف تشارلز بيو تشو الترويح بأنه يرتبط بأوجه النشاط التي يمارسها الفرد في أوقات فراغه ، والتي يكون من نتائجها الاسترخاء والرضى النفسي. أما تشارلز برايتبل فإنه يشير إلى أن الترويح هو النشاط الذي يختاره الفرد ليمارسه في وقت فراغه ، مؤكداً على أهمية ودور هذه الممارسة في تنمية وتطوير شخصية الفرد).هـ. ولأنه لا بد من الترويح ، فلنعتبر قصتنا هذي مساهمة متواضعة في هذا الترويح!)

87 - الفجور تحرير من القيم

(بدأ كل فاجر وفاجرة بمعصية تجرأ فيها على الله. ثم استمرأ المعاصي فكان تحريراً من القيم. وهكذا كل إدمان للمعاصي يبدأ بالشيء القليل ، ثم ما يلبث أن ينتهي بالكبائر ، وأظن شوقي أمير الشعراء صدق في تشخيصه مثل هذه الأحوال بين العاشقين العشق المحرم البغيض عندما قال: (نظرةٌ فابتسامة فسلامٌ * فكلامٌ فموعدٌ فلقاءُ). ومن هذا المنطلق كان التحذير الرباني والنذير الإلهي من اتباع خطوات الشيطان: (يا أيها الذين آمنوا لا تتبعوا خطوات الشيطان). وإذا بحيثيات الحكم بعد ذلك تجيئ ، تبين السبب ، وتنفي العِلة: (ومن يتبع خطوات الشيطان فإنه يأمر بالفحشاء والمنكر). والحقيقة أنه لا يسلم لمؤمن دينٌ أبداً حتى يتخلص من اتباع الشيطان في القليل والكثير!)

88 - الفجور

(كما أن الطاعة مُحبّبة ومُزيّنة لأصحابها. فكذلك الفجور والمعصية والفسوق أشياء مزينة ومحببة لأصحابها. (زين للناس حب الشهوات) ، أخرج البخاري ومسلم عن أبي هريرة - رضي الله عنه - أنه سمع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول: "إن عبداً أصاب ذنباً فقال: يا رب إني أذنبتُ ذنباً فاغفره لي ، فقال له ربه: علم عبدي أن له ربا يغفر الذنب ويأخذ به فغفر له. ثم مكث ما شاء الله ثم أصاب ذنباً آخر وربما قال: ثم أذنب ذنباً آخر فقال: يا رب إني أذنبت ذنباً آخر فاغفره لي ، قال ربه: علم عبدي أن له ربا يغفر الذنب ويأخذ به فغفر له. ثم مكث ما شاء الله ثم أصاب ذنباً آخر وربما قال: ثم أذنب ذنباً آخر فقال: يا رب إني أذنبت ذنبا فاغفره لي ، فقال ربه: علم عبدي أن له ربا يغفر الذنب ويأخذ به فقال ربه: غفرتُ لعبدي فليعمل ما شاء". فليتب كل عاص من ذنبه! إنها لقصيرة تلك الحياة! وترك الإنسان ذكرى حلوة من بعده خير من السيئات!)

89 - الفيروز المصعوق

(لو كانت الرجولة تشترى بالمال ، لاشتراها عدماؤها من الأسواق ، كما يشترون مَتاعهم بالدرهم والدينار والجنيه والدولار. ولكنها طبيعة وجبلة ، يولد بها الإنسان من رحم أمه. يقول الله ذامّاً المنافقين: (ومن الناس من يقول آمنا بالله ، فإذا أوذي في الله ، جعل فتنة الناس كعذاب الله ، ولئن جاء نصر من ربك ليقولن إنا كنا معكم ، أوليس الله بأعلم بما في صدور العالمين؟). ويقول: (لا تحسبن الذين يفرحون بما أتوا ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا ، فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب ، ولهم عذاب أليم). إن كثيراً من أهل زماننا ليقولون مثل هذا بألسنتهم ، وبعضهم يقول مثل هذا بأفعاله وأعماله. نعم ، التقيتُ أناساً كثيرين يقطفون ثمرات الأعمال التي عملها سواهم ، ثم ينسبونها لأنفسهم في وضح وسفور وجلاء ، ظانين أن الأمر معمىً على الناس كل الناس. والحقيقة لا ولم ولن! وفريق آخر يحب من أعماق قلبه أن يحمد بين الناس ، ويُشار إليه بالبنان ويُثنى عليه ويُمدح مدحاً لم يمدحه أحد من العالمين ، على أشياء لم يفعلها ، وأقوال لم يقلها. إنه شعور مدمر رهيب ، ذلك الذي يعيشه مخلوق بمشاعر إنسانية ، عندما يزرع المعروف والخير في عالم يعُج بالشر ، ثم يرى غيره ممن لا يستحق النعمة ، يتمتع بثمار كان قد غرس بذورها المخلصة من قلبه ، ولقد تحدثت عن الغدر والنفاق والخيانة والعمالة والارتزاق والرياء كثيراً من قبل ، ولا أريد أن أكرر ، وإن كررت فأراني مرغم على ذلك مضطر إليه! إن هذه الطفرة في شِعري جديدة ، ألا وإنني قد عُرفت بها ، حتى ليشعر القارئ معها أن موضوع قصائدي واحد لا يتغير أبداً! إنه الصدق الفني المخلص. بل إن الشعر من غير الصدق لهو الكذب الموزون المقفى! ولقد تخيلت حَجَراً من الفيروز كان من قدره أن يجد حوله كثبان الرمال ، فهاله الموقف! والفيروز كحجر كريم غير شفاف معروف بلونه الأزرق كلون السماء أو أميَل إلى الخضرة يُتحلى به ، ويقال لون فيروزي أي أزرق إلى الخضرة قليلاً ، عندما وجد ذلك الحجر الفيروزي نفسه محاطاً بالرمال والأتربة من حوله ، شعر بالامتهان الشديد! فطفقت أعزيه وأصبره وأعلله بهذه القصة!)

90 - ألقاب بلا رصيد

(بعد لأي دخلتُ غرفته الخاصة: فإذا بشهادات التقدير والنياشين والأوسمة التي احتوتْ ألقاباً لا رصيد لها في الواقع. فأنشدتُ على الفور أعظ وأندّد. فأما الوعظ فلصاحب الألقاب ، وأما التنديد فبمن منح هذه الألقاب والتي هي بلا رصيد! وظني بأن من وهب هذه النياشين وتلك الجوائز لهذا المفلس الفاشل الفاسل ، قد منح ما ليس يملك لمن لا يستحق! وعلى إثر هذه العطايا وتلك المنح حاز ذلك المفلس مجداً زائفاً ، وألقاباً هو عنها عار ، وحقوقاً ما كان ينبغي أن تكون له! فعلى كل من خدِع بالعطايا والأوسمة والجوائز ليس أهلاً لها أن يعلم أن التاريخ له أنياب! وأنه لا يرحم! فهو بالخيار بين أن يدفع بها جميعاً إلى من يستحقها ، أو أن يعيش واقعياً ويصارح نفسه بصدق! إنه عندما يغيب التوحيد وتنتفي العقيدة يوسد الأمر إلى غير أهله! وهنا تُمنح النياشين والأوسمة والجوائز المادية والمعنوية ، ممن وسد الأمر لهم وهم من غير أهله لأناس كذلك ليسوا أهلاً لتلك الجوائز ولا لتلك النياشين ولا لهاتيك الأوسمة!)

91 - القاتل البطيء (التدخين)

(إن هذه القصة خصصتها للقاتل البطيء الذي هو التدخين بجميع أنواعه المعروفة وغير المعروفة في الأرض اليوم. التدخين الذي يسبب 25 مرضاً في جسم الإنسان باعتراف منظمة الصحة العالمية. التدخين الذي هو محرّم بأدلة في كتاب الله تعالى وسُنة رسوله - صلى الله عليه وسلم – هذه الأدلة تراجع وتدرس في مظانها. التدخين الذي يحلو لكثير من العلماء العملاء المرتزقة ، أن يُفتوا بأنه فقط مكروه ليُهوّنوا على الناس خطره وليلبسوا على العامة والدهماء أمور دينهم. وإذا كان العالم مبتلى بالتدخين ابتداءً فكيف يقول بحرمته؟ والطبيب المدخن المدمن هل يتصور منه أن يستمع إليه عندما ينهى مرضاه عن التدخين؟! إن هذه المسألة تشبه إلى حد بعيد أهل الفن والتمثيل – عليهم من الله ما يستحقون – عندما يقوم أحدهم أو إحداهن بدور محترم في مسلسل أو فيلم إسلامي بزعمهم ، فإن الواحد منهم فقط يمثل الدور ولا يتأثر به ، ولا ينتهي عن موبقات هو يأتيها في عالم الواقع كان ينهى عنها في مسلسله أو فيلمه! أحد معارفي حكى لي موقفاً مبتدأه سؤال سأله له أحد أبنائه فقال له: هل كان الإمام أبو حنيفة يراقص النساء ويُقبلهن ويشرب الخمر؟ فقال الأب: لا يبني ، معاذ الله! وسأله الأب قائلاً: كيف عرفت هذا عنه؟ فقال الابن في براءة الأطفال الذين يُجرم آباؤهم عندما يتركونهم فريسة للقنوات الفضائية الجاهلية الملعونة: يا أبت رأيت الإمام في المسلسل ظهراً يعظ الناس ويأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ، ثم في فيلم السهرة رأيته يراقص البنات ويقبلهن ويشرب الخمر! فعلم الأب أنه دور لممثل رقيع مخنث كان في المسلسل ثم هو بعينه يؤدي دوراً ماجناً في فيلم السهرة! وأدرك الأب مقدار الجُرم الذي أجرمه في حق أبنائه ، وقرّر أن يحذف القنوات الجاهلية مثل أحد أصحابه ، فإذا به لا يجد نفسه أبقى من 1000 قناة تليفزيونية إلا ثلاثين قناة! وهو الذي كان ينكر على صاحبه ذات الأمر. ويتعلل بأنه يترك للأطفال حرية الاختيار وتحليل ما يشاهدون بكل حيدة ، معتمدين في ذلك على فطرتهم التي فطرهم الله عليها وذكائهم الحاد وما لديهم من عِلم بالحرام والحلال! متناسيا ذلك المفرط أن الأبناء لم يبلغوا هذه المرحلة بعد! يؤدي التدخين إلى الإصابة بالعديد من الأمراض والأزمات الصحية كالسكتة القلبية والجلطة الدماغية وأمراض الجهاز التنفسي والسرطان (سرطان الرئة بشكل خاص) بالإضافة إلى مشاكل صحية أخرى وبالتالي الوفاة المبكرة. وبالإضافة إلى ذلك فإن الأعراض التي تنتج عن الإصابة بأحد الأمراض الناتجة عن التدخين تؤدي إلى زيادة الضغط العصبي والنفسي وبالتالي تؤثر سلباً على نوعية الحياة منذ سنٍّ مبكرة ولا يقتصر الأمر على الصحة فإن التدخين يؤثر أيضاً على مظهر الجلد مما يجعل صاحبه يبدو أكبر من عمره الحقيقي. وأيضاً يؤثر على حاسة تذوق الطعام وقد يؤدي للعجز الجنسي عند الرجال. وحتى لو كنت غير مهتم بالصحة والعافية ، فيجب العلم بأن التدخين يُعرّض من حَول من يدخن للتدخين اللاإرادي/السلبي. التدخين اللاإرادي/السلبي هو عبارة عن استنشاق دخان التبغ من المدخنين. كما يعرض لأنواع متعددة من السرطانات بالإضافة لأمراض القلب والرئة. ويؤثر التدخين أيضاً على الأطفال ويعرّضهم بشكل أكبر للإصابة بالأمراض مثل تشمّع الأذن والربو. والجدير بالذكر هنا أن أطفال المدخنين هم أكثر عُرضة بـ 3 مرات عن أطفال غير المدخنين لإدمان التدخين في المستقبل. وأرانا أسرفنا في تسجيل ورصد الأمراض التي يسببها التدخين! والآن لنرصد ونسجل بعض فوائد الإقلاع عن التدخين: التوقف عن التدخين ليس أمراً سهلاً ولكن عند ملاحظة التحسن الجذري لحياتك وصحتك بعد التوقف عن التدخين ، ستعمل على

مساعدة من حولك ايضاً في الإقلاع عن التدخين. * رضا الله تعالى عنك أيها المسلم لأنك قد أقلعت عن شيئ محرم! * بالتوقف عن التدخين سوف تقلل مخاطر الإصابة بالأمراض والعجز أو الوفاة الناتجة عن السرطان أو أمراض القلب والرئة أو أمراض الأوعية الدموية الطرفية التي قد تؤدي على سبيل المثال إلى بتر الأعضاء. *حماية صحة من حولك بعدم تعريضهم للتدخين اللاإرادي. * تحسين مستوى الخصوبة لدى المرأة وبالتالي حمل آمن وأطفال أصحاء. * تحسين التنفس واللياقة بشكل عام. * التمتع بمذاق الطعام بشكل أفضل. * تحسين مظهر الجلد بشكل واضح. * لن تكون رائحتك منفرة. * مظهر جلدك وأسنانك سوف يتحسن. * سيصبح منزلك أكثر انتعاشاً ونقاءً حيث إنك ستتخلص من التصاق رائحة التبغ بأثاث وجدران منزلك. * ستقلل خطر الحرائق في منزلك. * ستوفر المال الذي تنفقه فيما حرم الله لتنفقه فيما أحل الله! ويُسأل ابن عثيمين عن ما حكم التدخين ، فيجيب قائلا: (الدخان حرام ، والدليل قوله تعالى: {وَلا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُم} ، وقوله تعالى: {وَلا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ} ، وقوله: {وَلا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَاماً} ، وقد ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه نهى عن إضاعة المال ، وثبت من الناحية الطبية أن الدخان ضار وربما أدى إلى الموت ، فتناوله سبب لقتل شاربه لنفسه ، وشاربه ملق بنفسه إلى التهلكة وشاربه مفسد لماله حيث صرفه في غير ما جعله الله له ، فإن الله جعله قياماً للناس ، تقوم به مصالح دينهم ودنياهم ، والدخان ليس مما تقوم به مصالح الدين ولا الدنيا ، فصرف المال فيه إضاعة له ، وقد نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن إضاعة المال).هـ. ويُسأل السؤال ذاته ابن باز فيقول: (التدخين ثبت عندنا أنه محرم ، وقد علمنا أسباباً كثيرة لتحريمه من أضراره المتعددة فهو محرم بلا شك ، لأنه يشتمل على أضرار كثيرة بينها الأطباء وبينها من استعمله ، فالواجب على كل مسلم تركه والحذر منه ، لأن الله حرم على المؤمن أن يضر نفسه ، فهو يقول سبحانه: (ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة) ، ويقول جل وعلا: (ولا تقتلوا أنفسكم إن الله كان بكم رحيماً) ، فالواجب على كل مؤمن وعلى كل مؤمنة ، الحذر من كل ما حرم الله ، والحذر من كل ما يضر دين العبد وبدنه ودنياه ، فالله أرحم بعباده منهم بأنفسهم فقد حرم عليهم ما يضرهم ، فقال النبي - صلى الله عليه وسلم-: (لا ضرر ولا ضرار) ، وهذا التدخين ضار ضرراً بيّناً بإجماع أهل المعرفة ، من أهل الطب ، وبإجماع من عرفه وجربه وما فيه من الضرر العظيم ، فعلى كل مسلم مدخن أن يتقي الله وأن يحذر هذا الخبيث وأن يتوب إلى الله منه ، حتى تعود له صحته ، وحتى يسلم من غضب الله وحتى يحفظ ماله أيضاً والله المستعان).هـ. ويُسأل الأستاذ سعد الحُمَيّد ذات السؤال فيكون من جوابه: (إن جميع أمم الأرض الآن - مسلمهم وكافرهم - أصبحوا يحاربون التدخين لمعرفتهم بضرره الشديد. والإسلام يُحرّم كل ما هو ضار لقوله عليه الصلاة والسلام: "لا ضرر ولا ضرار". ولا شك أن المطعومات والمشروبات منها ما هو نافع طيب ، ومنها ما هو ضار خبيث ، وقد وصف الله سبحانه نبينا صلى الله عليه وسلم بقوله تعالى: (ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث) ، فهل الدخان من الطيبات أو من الخبائث؟ ثانياً: جاء عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه قال: "إن الله ينهاكم عن قيل وقال ، وكثرة السؤال وإضاعة المال". ونهى الله سبحانه عن الإسراف فقال تعالى: (وكلوا واشربوا ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين) ، ووصف عباد الرحمن بقوله: (والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواماً). ويدرك العالم أجمع الآن أن المال المهدَر في الدخان عبارة عن مال ضائع لا يستفاد منه ، بل ينفق فيما فيه ضرر. ولو أن أموال العالم التي أنفقت في الدخان جُمعت لأنقذت شعوبا ممن أهلكتهم المجاعة ، فهل هناك

أسفه من الذي يمسك دولاراً ويوقد عليه النار؟ ما الفرق بينه وبين المدخن؟ بل المدخن أعظم سفها فالذي يحرق الدولار ينتهي سفهه عند هذا الحد ، وأما المدخن فيحرق المال ويضر بدنه. ثالثاً: كم من الكوارث التي سببها الدخان ، بسبب أعقاب السجائر التي تلقى وتتسبب في حرائق ، وغير أعقاب السجائر وقد احترق منزل بأكمله على أهله بسبب تدخين صاحب المنزل ، وذلك حين أشعل سيجارته والغاز متسرب فكان ذلك سبباً في حريق كبير. رابعاً: كم الذين يتأذون بروائح المدخنين وبخاصة إذا ابتليت به وهو في جانبك في المسجد ، ولعل الصبر على الروائح الكريهة أهون بكثير من الصبر على رائحة فم المدخن عقب قيامه من النوم. فالعجب من النساء كيف يصبرن على روائح أفواه أزواجهن؟ وقد نهى النبي صلى الله عليه وسلم مَن أكل ثوما أو بصلاً عن الصلاة في المسجد حتى لا يؤذي المصلين برائحته ، ورائحة البصل والثوم تهون عن رائحة المدخن وفمه. هذه بعض الأسباب التي من أجلها حرّم التدخين).هـ. ويُسأل السؤال نفسه الأستاذ شريف هادي فيكون من جوابه: (قبل أن نحكم على الدخان هل هو حلال أم حرام ، يجب أن نوضح منهجنا في استنباط الأحكام الشرعية من كتاب الله سبحانه وتعالى. نقول أولاً: ما لم ينص على تحريمه في القرآن فهو من المباح والحلال كقاعدة. ثانياً: أن التحريم يؤخذ من القرآن بنص! وما ليس فيه نص فلا يمكن أن نطلق عليه لفظ محرم ، ولكن قد يكون النص صريحاً ، أي يصرح باسم الشيء المحرم كقول الله تعالى: "إنما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل به لغير الله...الآية" ، وكقوله تعالى: "وحرم عليكم صيد البر ما دمتم حرماً" ، وقد يكون تحريم الأشياء أو الأفعال بصفتها ، كقوله تعالى: "قل إنما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن والإثم والبغي بغير الحق وأن تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطاناً وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون" ، ونفهم من هذه الآية تحريم (الفواحش) وتحريم (الإثم) ، وتحريم (البغي) وتحريم (الشرك) ، فكل ما تعارف عليه الناس أنه فاحشة أصبح محرّماً حتى ولو لم يذكر التحريم تصريحاً ، فمثلاً لو تعرض أحدهم لأنثى على وجه يخدش حياءها بالقول البذيء ، سنسمي هذا الفعل فاحشة ونضعه تحت المحرّمات ولو لم يذكر التحريم لهذه الحالة بشكل صريح في القرآن ، ولو تعدى أحد الشريكين على شريكه الآخر سنسمي الفعل (بغي) ونعتبره محرّماً حتى ولو لم ينص في القرآن صراحة على تحريم التعدي على الشريك ، لم يقل الله سبحانه وتعالى في القرآن لا تتبركوا بالقبور لمساً ولا تقبيلاً ، ولكن من يفعل ذلك نقول أنه أتى فعل من أفعال الشرك وهو حرام. ثالثا: التحريم بانطباق الصفة لا يعد قياساً ، ولكنه يعد من باب تفصيل المجمل ، لذلك لا يجب التوسّع فيه ، كما لا يجب استخدام القواعد التي تحكم القياس عليه ، وعندنا أن القياس لا يجوز في استخلاص الأحكام الشرعية على خلاف جمهور علماء الطوائف. حكم التدخين وفقا للقواعد سالفة البيان: أولا أضرار التدخين ومنافعه: * التدخين ضار بالصحة العامة للمدخن ، وبصحة من يعاشره ويتعامل معه ، وقد قسم العلماء التدخين لنوعين إيجابي وسلبي ، والإيجابي هو القائم بالفعل من المدخنين ، والسلبي هو كل من يعاشر مدخن ، وهو أخطر لأنه استنشاق لمادة أول اكسيد الكربون وهي سامة وقاتلة. * المدخن أكثر عرضة للإصابة بأمراض الرئة وسرطان الجلد وسرطان الرئه من الشخص العادي ، وقد جاء في أحدث التقارير الصادرة مؤخرا في جنيف عن بعض العلماء والمهتمين أن مدخنا يموت كل عشر ثوان في العالم نتيجة التدخين!؟ وأنه خلال الفترة ما بين عام 1950 وعام 2000 قضى التبغ على نحو (60) مليون شخص في الدول النامية فقط ! نصفهم في سن الشباب. * غير المدخنين الذين يتضررون جراء تدخين الآخرين (التدخين السلبي). * التدخين

فيه تعدي على البيئة بتلويثها ، وعلى الغير بجعله عرضة للمرض ، وبفرض الأذى عليه من روائح كريهة وخانقة قد لا يتحملها البعض. وهنا نأتي لتطبيق نصوص الآيات على هذا النحو: * قال تعالى: "الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والإنجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويُحل لهم الطيبات ويُحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذي أنزل معه أولئك هم المفلحون" ، إذنْ الخبائث محرمة شرعاً (كل الخبائث) وطبعاً الطيبات حلال ، والسؤال لو أراد العالم اليوم أن يتفق على جدول موحد للطيبات والخبائث ففي أيهما سيكون التدخين (الطيبات) أم (الخبائث)؟ ، قطعاً الخبائث فيشمله التحريم بالآية ، باعتبار انطباق وصف الخبث على الفعل وهو حرام. * نهى الله سبحانه وتعالى عباده أن يُلقوا بأيديهم إلي التهلكة فقال عز من قائل: "وأنفقوا في سبيل الله ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة وأحسنوا إن الله يحب المحسنين" ، وبعد أن عرفنا أن معدل الموت السنوي خمسة ملايين الذي يقتلع المدخنين لا سيما الشباب منهم ، فهو وفقاً لشهادة العدول في مهنة الطب ومراكز الإحصاء تهلكة ، فينطبق عليه النهي. * قال تعالى: "قل إنما حرّم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن والإثم والبغي بغير الحق وأن تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون" ، والتدخين فيه (بغي) و(عدوان) فهو بغي على الغير الذين هم عُرضة للمرض والموت لمجرد معاشرتهم لمدخن إيجابي فيجعلهم جميعاً (مدخنين سلبيين). وهو نوع أشد من التدخين الإيجابي مما يجعله (حراماً)! ثم إن في التدخين عدوانا على البيئة وعلى حق الغير في حياة صحية وبيئة نقية ، فهو حرام لتحريم رب العالمين للبغي. * قال تعالى: "يا ايها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل إلا أن تكون تجارة عن تراض منكم ولا تقتلوا أنفسكم إن الله كان بكم رحيماً" ، وسبحان الله فإن حكم هذه الآية ينطبق على التدخين أيما انطباق ، فأصحاب شركات الدخان وبائعي التبغ ، يأكلون أموال المدخنين بالباطل لأنهم يبيعون لهم الحرام والوهم والمرض ، وكل هذا يندرج تحت (أكل الأموال بالباطل) ، وهذه ليست تجارة لأن التجارة قائمة على الربح المشترك ، لا أن يبقى الربح في خانة البائع والخسارة في خانة المشترى والمجتمع والبيئة مجتمعين ، ثم ينهي الله سبحانه عن قتل أنفسنا ، وهنا البائع يقتل المشتري قتلاً بطيئاً ، والمشتري نفسه يقتل نفسه ، وكل هذا يجعله حراماً. قد يسأل البعض ، وكيف نحكم على الأفعال بالصحة أو الفساد؟ أقول بتوفيق الله يكون ذلك على ما جرى به العُرف بين الناس ، لقوله تعالى: "خذ العفو وأمر بالعُرف وأعرض عن الجاهلين" ، وأقول: استقر العرف البشري على ضرر السجائر وأنها من الخبائث. بقي سؤال: وهل يمكن أن تخرج السجائر في زمن ما أو مجتمع ما من دائرة الترحيم؟ ، أقول: نعم لو خرجت من تحت عباءة وصفها بالخبائث ، ووصف حالة مرتكبها بالعدوان والبغي والتهلكة ، ويكون ذلك لو اكتشفت البشرية براءة السجائر من كل ما ألصق بها من أضرار ، أو لو في مرحلة من مراحل التطور البشري ، تمكنت البشرية من اختراع سيجارة وتعميمها ليست فيها أو منها أي أضرار وتقف مع شاربها عند باب الاستمتاع والمساعدة على التركيز. فالسجائر بوضعها الحالي حرام... حرام... حرام).هـ. وأخيراً يُسأل السؤال عينه الشيخ الألباني فيكون من جوابه: (قد يتوهم بعض المبتلين بشرب هذا الدخان الخبيث أنه مضطر إلى شربه ، وبخاصة أنه قد يكون هناك بعض الأطباء الذين لا يلتزمون الأحكام الشرعية ، فيقولون لبعض المرضى: إنه لا بأس أن تشرب كل يوم مثلاً سيجارتين أو ثلاثة إلى آخره ؛ فيتوهم هذا المبتلى بشرب الدخان أنه معذور

والحالة هذه في شرب الدخان ، ثم يصبح هذا الدخان بالنسبة إليه كما يصاب بمثله المبتلون بالمخدرات من الأنواع الكثيرة ؛ فيُدمن على شرب الدخان ، فإذا ما ابتلي بالإدمان صار عليه من الصعوبة بمكان أن ينتهي عن شرب الدخان! فنحن نقول: لا أتصور أن يكون هناك شخص مضطراً أولاً على شرب الدخان ؛ ثانياً وهو من باب أولى: أن يكون مضطراً إلى بيع الدخان! أي إذا أردنا أن نفسر بيع الدخان لا أتصور أن يكون هناك إنسان مضطر إلى أن يبيع ما يضر به المسلمين ؛ لأن الدخان مُضِر قولاً واحداً بشهادة الكفار فضلاً عن المسلمين ، ولعلكم جميعاً تسمعون الإذاعات وتقرؤون في الجرائد والمجلات ، الأخبار الخطيرة جداً الناتجة من إدمان بعض الناس في تلك البلاد على شرب الدخان وأن من آثار ذلك الإدمان أن يقع في المرض الخبيث المعروف بالسرطان ؛ فإذنْ لا يجوز قطعاً أن يشرب المسلم الدخان ، ولا يجوز أن أتصور بأن إنساناً مضطر إلى شرب الدخان وإلى بيع الدخان ، وإنما هذه من وسائل الشيطان يسوّغ لبني الإنسان أنهم أنت مضطرون إلى شرب الدخان ؛ لماذا ؟ لأن الواحد منهم عصبي مثلاً ، وهذه الظاهرة نحن نراها في رمضان مع الأسف ، حيث تصبح نفس هذا المدمن للدخان أخبث ما تكون مما كانت عليه في رمضان ؛ لماذا؟ لأنه يزعج صاحبه إذا ما تركه يوما من الزمان ؛ لذلك على كل مبتلى بشرب هذا الخبيث أن يقلع عنه ؛ لكننا لا نقول إنه من السهل الإقلاع عنه خطوة واحدة وإنما على التدرج ؛ لأن قضية التدرج بالنفس الأمارة بالسوء هو من السياسة الشرعية لكن الذي نريد أن نقوله هو أنه من اليُسر بمكان لكل من كان مبتلى بشرب الدخان أن ينتهي عنه في ظرف شهرين ثلاثة أو قريباً من ذلك ، وهذا مجرب في كثير من الناس ؛ لكن الأمر يحتاج أولاً إلى استحضار الحكم الشرعي وهو التحريم وما وراء ذلك من الخوف من الله تبارك وتعالى فهو يضع هذا اتقاء لمعصية الله عز وجل ؛ وقد يقول قائل وأين المعصية في شرب الدخان؟ نقول في شرب الدخان معاصٍ ولكنّ أكثر الناس لا يعلمون ، كثير من الناس مع الأسف الشديد يبتغون نص في القرآن أو في السنة مفصل هذا النص حسب عقولهم ، شرب الدخان حرام ؛ فهم يعلمون أن مثل هذا النص غير موجود! ولذلك في أسئلتهم يقولون: هل هناك نص في تحريم شرب الدخان؟ بل وصل بعضهم إلى أن يقولوا: إن الخمر ليست حراما في القرآن! أقول لهم: الخمر محرم في القرآن؟ (فاجتنبوه) ، أليس هذا معناه التحريم ، فعلاً لا يوجد نص في القرآن يبين أن شرب الخمر حرام ؛ لكن في بالقرآن ما يؤدي هذا المعنى عند من يعقل ، فمن لا يعقل فأولئك الكفار ، أم لهم قلوب لا يعقلون بها (فاجتنبوه لعلكم تتقون) اجتناب الشيء هو معناه تحريمه: (ألا وإن لكل ملك حمى وإن حمى الله محارمه ألا من حام حول حمى يوشك أن يقع فيه). فالشاهد فإذا لم يقتنع بهذا وأتينا إليه بالحديث الصحيح (كل مسكر خمر وكل خمر حرام) فيقول لك: لا أنا أريد آية من القرآن! ويقولون مثلاً بالنسبة لبعض الملاهي كالموسيقي وآلات الطرب: لا يوجد نص في تحريمها في القرآن الكريم ، والأصل في الأشياء الإباحة ما لم يأت نص في القرآن أو في السنة ، وهناك مثلاً حديث البخاري: (ليكونن من أمتي أقوام يستحلون الحِر والحرير والخمر والمعازف). والمعازف كل آلات اللهو والطرب ويُمسون في لهو ولعب ويُصبحون قد مسخوا قردة وخنازير ؛ لا أريد أن أستطرد كثيراً أعود إلى أن الدخان محرّم بأدلةٍ كثيرة وكثيرة جداً يعرفها أهل العلم والفقه الذين قال عنهم رسول الله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم: (من يُرد الله به خيراً يفقهه في الدين). وأنا أقرب لكم المسألة ، إنه قبل أن آتي بالتفاصيل لتحريم الدخان ، في مادة مخدرة اليوم تعرف بالأفيون أو بالحشيش ، من رحمة الله ببعض عباده أنه ما وصلوا بعد إلى المرحلة التي وصل

إليها بعض المدخنين وهو الشك في حرمة الدخان ، لم يصلوا إلى الشك في حرمة الحشيش والأفيون ، والحمد لله ؛ لكن نحن نقول الآن الحشيش والأفيون والدخان كلها فصيلة واحدة سواء من الناحية الشرعية أو من الناحية النباتية ، فكل هذه الأشياء أصلها نبات وصنعت بلا شك ، كذلك هي من الناحية الشرعية حكمها واحد وهو كل هذه الأشياء الثلاثة الدخان والحشيش والأفيون لا يوجد نص لا في القرآن ولا في السنة أنها محرمة ؛ فإذا قلنا: إن الأفيون حلال ، فيجب أن نقول الحشيش حلال... لا يوجد نص في تحريمه ، نقول لا ، لا إنما نقول هذه الأشياء هذه كلها محرمة ولو لم يكن عندنا إلا حديث واحد ، وهذا الحديث ما شاء الله اعتبره علماء الإسلام من جوامع كلم الرسول عليه الصلاة والسلام ، انظروا إلى هذا الحديث ما أخصره وما أفيَده وأجمعه إلى المعاني ألا وهو قوله عليه السلام: (لا ضرر ولا ضرار) ، لا ضرر ولا ضرار ، كلمتان دخل في هذا تحريم كل ما يضر بالإنسان في صحته في بدنه فيما يتفرع من بدنه في بصره في المجتمع الذي يعيش فيه ، كله يكون حراماً ؛ لأنه يضر بنفسه ويضر بغيره ، وهذا معنى قوله عليه السلام لا ضرر بالنفس ولا ضراراً بالغير ، لا ضرر في نفسك ولا ضرار أي إضرار في غيرك ، والدخان من خبثه في ذاته أنه يتعدى ضرره إلى غيره المبتلى بشربه ؛ فأنتم مثلاً إذا كنتم كما نرجو معافين من شرب الدخان لأنكم ستشعرون بشعور المعافين من شرب الدخان إذا سافرتم سفرة إلى الحج والعمرة في سيارة أجرة وكان هناك من بين الركاب الخمسة أو الستة واحد يشرب الدخان ، كلهم سيتضايقون منه وسيتأذون منه ؛ لماذا؟ من الدخان الذي يبثه في جو هذه الغرفة الصغيرة المنطلقة بهم إلى بيت الله الحرام ؛ إذنْ هنا أضرار! وبعض العلماء الأطباء يذكرون أن هذا الدخان الذي يلفظه شارب الدخان أنه إذا استكثر منه غير المبتلى به شماً قد يؤثر فيه لأن مادة النيكوتين هذه تصل أيضاً إلى جوف الذين يشمون رائحة الدخان ؛ فإذنْ هنا مضايقة غير المضايقة الظاهرة! فإذا تحقق اللفظان المذكوران في حديث الرسول (لا ضرر ولا ضرار) ، انظروا كيف أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ينهى عن الإضرار بالآخرين ولو بتعاطي المباح وليس المباح بمعنى الكلمة يعني لا يوجد خير ولا شر ؛ بل المباح النافع ؛ كيف ذلك؟ قال عليه الصلاة والسلام: (من أكل من هذه الشجرة الخبيثة فلا يقربن مصلانا) من أكل من هذه الشجرة الخبيثة يعني الثوم والبصل ، كل الناس والحمد لله يأكلون هذا الحلال الثوم والبصل ، لكن كل الناس يعلمون مع فائدة أكل هاتين الشجرتين رائحتهما مكروه ؛ ولذلك قال عليه السلام لما نهاهم عن أكل الثوم والبصل قال لهم: (إلا أن تميتوه طبخاً) إلا أن تميتوه طبخاً ، فالطبيخ يغير هذه الكراهة ؛ فمن أكله نيئاً لا يقربن مصلانا ؛ لماذا؟ لقد ذكر الرسول عليه السلام جنسا من أنواع المخلوقات الكريمة أنها تتأذى مما يتأذى منه بنو آدم ، فقال عليه السلام معللا هذا الحكم الشرعي: (من أكل من هذه الشجرة الخبيثة فلا يقربن مصلانا فإن الملائكة تتأذى مما يتأذى منه بنو آدم) ، فبنو آدم يتأذون من رائحة البصل والثوم فما بالكم بالملائكة وهم يحضرون المساجد صباح مساء؟ فإذا لا يجوز للمصلي أن يدخل المسجد وقد كان عن كثب وعن قرب أكل من هذه الشجرة الخبيثة الثوم والبصل ؛ أما إذا كان الزمن بعيداً فلا بأس لأنه يكون مع تغير الريق قد قضي على الرائحة الكريهة ؛ فماذا نقول عن شارب الدخان الخبيث الذي أصبح جزءاً من حياته وجزءاً من رائحة بدنه؟ وآثار هذه الرائحة تظهر في شواربه إن كانت له لحية إنما في الشوارب وفي أصابعه مخضرة مصفرة ، هذا يؤذي المصلين كلما دخل المسجد ونحن نشعر أننا إذا كنا بين يدي الله في الصف وجاء رجل ووقف بجانبنا ، فإننا نعرف رأسا أن هذا مبتلى بالدخان ؛ لأن هذه

الرائحة صارت ملازمة له ، إذا في إضرار للآخرين فضلاً عن الإضرار بنفسه ؛ فهو يقول لهذا السائل الذي يقول ما في نص في تحريم الدخان يا أخي يوجد نص في تحريم الدخان أولاً ويوجد نص بأنه لا يجوز أن تضر أخاك المسلم بالرائحة الكريهة من أكل حلال بنص السنة الصحيحة ؛ ولذلك فإن أضرار الدخان كثيرة وكثيرة جداً ، والنصوص في تحريمه لا تخفى على من كان قاصداً أن يعرف حكم الله وليس قاصداً أن يبرر الأمر ويمسحه ويغذي الناس لأنه يقولون: "إذا البلوى إذا عمت سهلت"! لكن هذا لا يجوز استعماله أبدا في هذه النواحي لأنها تساعد على انتشار المنكر).هـ. جزا الله خيراً شيخنا الألباني! وأنا أوردت جوابه كما هو إلا من بعض الألفاظ العامية التي عرّبتها. وعموماً أن أنشد هذه القصيدة عن التدخين للمدخنين من باب الدين النصيحة فقط! والأستاذ الفاضل محمد المنجد يقول تحت عنوان: (فوائد النصيحة) ما نصه: (قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم -: (الدين النصيحة) من عظمها ، وجعلها حقاً للمسلم، وقوله: (وإذا استنصحك فانصح له) قال العلماء: هي للوجوب ، وأما الكافر فهل له نصيحة؟ فالجواب: نعم! نصيحته بدعوته إلى الإسلام ولو أنه استنصحك فلا بأس أن تنصح له بما ليس فيه ضرر على المسلمين. النصيحة تنقذ أناساً من الكوارث ، وكذلك فإنها تدل الإنسان المسلم على أرشد أمره حتى في القضايا الدنيوية كالبيع والشراء والبناء ونحو ذلك ، ولذلك صارت الخيانة فيها عظيمة. إن النصيحة تنقذ المسلم ، كما قال العبد الصالح لموسى لما جاء من أقصى المدينة يسعى: (يَا مُوسَى إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ). إن النصيحة تنقذ الإنسان من زواج فاشل إذا استنصحك في أمر امرأة سيقدم على الزواج منها ، وأنت تعلم أنها لا تصلح له فإنك تنقذه بنصيحته ، وكذلك ولي المرأة إذا استنصحك في حال شاب تقدم إليهم ، فقد تكون النصيحة منقذة من كارثة ستحل بهذه الفتاة لو تزوجها ذلك الفاجر المتخفي الذي يخادعهم ، فالنصيحة تنقذ أناساً من الكوارث ، وكذلك فإنها تدل الإنسان المسلم على أرشد أمره حتى في القضايا الدنيوية كالبيع والشراء والبناء ونحو ذلك ، ولذلك صارت الخيانة فيها عظيمة ، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: (من أشار على أخيه بأمر يعلم أن الرشد في غيره فقد خانه). ونسأل: لماذا كادت النصيحة أن تختفي فيما بيننا؟ والجواب: لأن كثيراً من الناس قد انعكس وانقلب فهمهم للنصيحة ، فصاروا يفهمون أن النصيحة تدخل في الحريات الشخصية ، ولذلك صارت لا تُبذل. وكذلك صارت النصيحة مخيفة عند الكثيرين ؛ لأنها تورث كلاماً من قبل المنصوح يقول الناصح: أنا في غنىً عنه ، من يريد أن ينصح يقول: أنا في غنىً عن الأذى ، أنا لا أريد أن أواجه بكلام لا يسرني ، ولا أريد أن يقول لي: من أنصحه: لماذا تتدخل في شأني؟ ولما صارت القضية عندنا إرضاء الناس ، ولو سخط الله عم كثير من الشر والفساد ، صرنا نخاف أن نتدخل في شأن رجل على منكر ، صرنا نخاف أن نوجه كلمة حق إلى إنسان في شر واقع فيه! لماذا ضاعت هذه الفريضة العظيمة؟ ومما ضيع النصيحة أن بعض الناس يوجهونها بأسلوب خطأ ، كأن يشهر بالمنصوح ، أو أن ينصحه على الملأ ما إمكان النصيحة في السر ، وهذا مما جعل القصد من الكلام يتغير عن الطريق الحق والطرف الآخر لا يتقبل ؛ لأنه شهر به! أين تكامل المجتمع المسلم؟ أين حديث (المؤمن مرآة أخيه)؟ أين الشعور بالمسؤولية في هذا ؟).هـ. أعتقد أنني نصحتُ بأمانة! ونعود للقاتل البطيء التدخين فنقول: إن البلوى بهذا المحرم الخبيث صارت عامة. فرأيت أن أورد عنه هذه القصة.)

92 - القاتل الضحية

(على سائق أي مركبة أن ينتبه. أما أن يرجع سائق إلى الخلف بسيارته دون انتباه ودون حيطة ليخلف ضحية هي ابن له في الثالثة من عمره. فهو استهتار محض ولا مبالاة لا حدود لوصفها. وفي هذا أكتب في عزاء الأب القاتل في ابنه المقتول. والأمر كما يقول الأستاذ سعود الشريم: (إن الدنيا مُلهيةٌ غرَّارة ، يتقلَّبُ المرءُ فيها بين خيرٍ وشرٍّ ، وفرحٍ وترَحٍ ، وغِنًى وفقرٍ ، ونصرٍ وهزيمةٍ. أيامُها دُول ، ولياليها حُبلَى بما لا يدري ما الله كاتِبٌ فيها ، إن سرَّ زمنٌ فيها ساعَته أزمانٌ أخرى ، يومٌ له ، ويومٌ عليه ، (وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ). فلأجل ذلكم كلِّه كان لِزامًا على المرء أن يُوطِّن نفسه على اليقَظَة واستِصحابِ الحذَر ما دامَت له عينٌ تطرِف ، وقلبٌ ينبِض. إن كل احترازٌ وتهيئة يدُلاَّن على وعيٍ المُتَّصِف بهما ، فردًا كان هذا المُتَّصِف أو مُجتمعًا).هـ.)

93 - القارئ الصغير

(اعتاد ذلك الغلام الصومالي ذو السنوات العشر ، أن يفتتح الإذاعة المدرسية ، بمدرسة أم القرى الخاصة ، بالقرآن الكريم. فكان يأخذني منه الصوتُ العذبُ المعطرُ بجلال الآداء ، وحسن التلاوة ، وتأثير النبرات الموحية ، وروعة التقسيم ، وجمال الوقف والابتداء! وكان يُشعرنا كمعلمين بجمال الآيات ، لنتدبر فيها بعد ذلك. وكأني بهذا الفتى – إذ يحبّر القرآن تحبيراً ويرجّعه ترجيعاً – قد أوتي مزماراً من مزامير آل داوود! فأنشدت من شعري هذه القصيدة للفتى الصومالي الذي يقرأ القرآن كسلاسل الذهب الخالص / عباس عبد النور ، مُطرياً إياه وداعياً له بالخير والبركة!)

94 - القاضي الأمريكي الرحيم (فرانك كَابريو)

(إن كتابتنا عن القاضي الإنسان فرانك كابريو تعتبر من باب الإنسانية البحتة! ولو لم يكن قاضياً إنساناً بمعنى الكلمة لما كتبتُ عنه هذه القصيدة! والرجل وإن كان في أمريكا إلا أن شهرته عالمية ، فهو بهذا الاعتبار أشهر من نار على علم كما تقول العرب! فما أن تقول القاضي الرحيم أو القاضي الإنسان إلا ويكمل لك من تخاطب: فرانك كابريو! وربما ظهرت آثار رحمة هذا القاضي وإنسانيته أن أغلب زملائه في مختلف بقاع الأرض لا يحذون حذوه ، ولا ينتهجون نهجه ، ولا يفرون فريه! وكما قلت في مقدمات قصائد أخرى وأكرر: المروءة والأخلاق والمناقب لا دين لها ولا أهل ولا عشيرة ولا أرض ولا قومية ولا عشيرة ولا زمان ولا مكان لها! بل تصدر من المسلم وقد يفوقه الكافر في بذلها ، لا يرجو على الله عليها أجراً ولا ثواباً! كما لا يرجو من الناس عليها أجراً كذلك ولا ثواباً! ويكون الفارق بين فعل المسلم لها وفعل غير المسلم هو أن المسلم يرجو عليها الأجر من الله تعالى! (إن تكونوا تألمون فإنهم يألمون كما تألمون وترجون من الله ما لا يرجون)! وجزء من مقالة عن القاضي الأمريكي الرحيم فرانك كابريو في مجلة: (سيدتي) شهر أغسطس عام 2017م وتحت عنوان: (حين تكون الإنسانية فوق القانون) نصها: (وُضعت القوانين عامة ، حتى تنظم حياتنا ، وحتى تنصفنا من جور وظلم البعض ، إلا أن هذه القوانين في بعض الأحيان ، تكون صارمة بشكل لا إنساني ، أو أن العاملين فيها ، يضعون القانون فوق المصلحة الإنسانية ، ما قد يقتل روح هذه القوانين ويحولها في بعض القضايا إلى أحكام ظالمة ، لم تحقق الأهداف الحقيقية منها. في محكمة ولاية «رود آيلاند» الابتدائية في الولايات المتحدة الأمريكية ، هناك شخص واحد فهم روح القانون ، وقدّم مصلحة الإنسان وظروفه على هذه القوانين ، إنه القاضي فرانك كابريو ، صاحب الواحد والثمانين عاماً ، والمختص هناك بقضايا مخالفات السير

والجنح أو الجرائم الصغيرة ، والذي يلقبه الكثيرون بـ «القاضي الرحيم» ، والذي يمتلك طريقة مميزة في الحكم بالقضايا التي يتولاها ، جعلته نجماً على شبكات التواصل الاجتماعي خلال فترة قصيرة جداً! والحقيقة أن القاضي كابريو ، ولد في عائلة فقيرة جداً ، وعاش ظروفاً معيشية صعبة في بداية حياته ، وشغل العديد من الوظائف حتى يستطيع دراسة القانون ، فقد عمل في التدريس لفترة من الزمن ، كما أنه عمل في غسل الصحون بالمطاعم للعديد من السنوات ، يرى كابريو أن القانون وجد حتى يساعد الناس ويكون بعونهم وليس ليكون ضدهم. هذا «القاضي الرحيم» ، يحكم في القضايا التي يتكفل بها بطريقة خارجة عن المألوف ، فهو دائماً ما يدعو الأطفال في المحكمة ، خاصة أبناء الأشخاص المتهمين ليساعدوه في الحكم ، وغالباً ما يأخذ كلامهم بعين الاعتبار ، ليكون هو الحكم الذي سيعلنه بالنهاية ، من مبدأ أن الأطفال لا يكذبون ولا ينحازون إلى طرف من الأطراف ، وهناك العديد من الفيديوهات المنتشرة بكثرة على مواقع التواصل والمواقع الإلكترونية وهو يأخذ بآراء وأحكام هؤلاء الأطفال. كما أن القاضي كابريو ، دائماً ما يأخذ الظروف التي يعيشها المدعى عليهم كأولوية قبل الأحكام القانونية التي قد تكون جافة أحياناً ، فيخفف الأحكام عليهم بحسب هذه الظروف الصعبة التي يعيشونها ، أو قد يلغيها تماماً من مبدأ إنساني صِرف ، فهو يحقق العدالة بطريقته الخاصة ، التي ينحاز فيها إلى جانب الإنسان ، لا المؤسسات والقوانين التي قد لا تهتم أغلب الأحيان بهذه الظروف. ومن أقوال القاضي كابريو الشهيرة: (إن شككت في وجود ظروف قاهرة لدى المتهم ، أو أن حياته قد تكون مهددة ، فإنني أقبل صحة تفسيره لما حدث لأنه من العار عليّ أن أمثل سيادة القانون وأحكم على الشخص بما لا يستحق).هـ. والحقيقة أن مثل هذه الفلسفة النورانية تكاد تنعدم في كثير ممن يتولون القضاء في زماننا هذا الذي قل خيره وكثر بلاؤه وشره! إذ لا اعتبار بما يقول المتهم ولا يكاد يسمع له صوت! فلله درك يا كابريو! وأسأل الله تعالى أن يأخذ بيدك فتدخل في الإسلام ، فيجمع الله عليك خير الدارين: الدنيا والآخرة يا رب! وكتبت الأستاذة هدير سعيد في: (المرسال) نبذة عن القاضي الرحيم فرانك كابريو ، في جزئية منها نصها: (لقد تم تداول شريط مصور يظهر رحمته في محاكمة لاجئ سوري في الثّمانين من العمر متهم بمخالفة تتعلق بركن سيارة في غير مكانها. والمسن شرح للقاضي عذره في ارتكاب المخالفة ، متكلماً بلغة إنكليزية واضحة على الرغم من تقدمه في العمر ، وقال إنه ركن السيارة بالقرب من المتجر وذهب لإحضار العشاء ، ولم يتجاوز الأمر عشر دقائق ، ولدى عودته وجد على السيارة مخالفة بقيمة 30 دولار. ثم طلب من القاضي الأمريكي مستنجداً: "أنا بحاجة إلى المساعدة ، فأنا من دمشق من سورية"! والقاضي الذي يبلغ من العمر بدوره 80 عاماً بدت عليه معالم التعاطف ، وسأل المتهم عن عمره وصحته. فأجابه الرجل الدمشقي : "صحتي جيدة والحمد لله ، وأنا أشكر الله كل يوم على كل ما أعطاني ، وأدعوه أن يعود السّلام لبلدي وللناس جميعاً"! وبكلمات متعثرة لكن مؤثرة ، أضاف الدمشقي : "السّلام ، السّلام ، السّلام ، الحرب شريرة وقاسية. نحن نحتاج للسلام من الله ، وأنا أريد السّلام لكل النّاس ، ولدى سؤال واحد ، هل بإمكاني طرحه؟ فقال القاضي: "ما الذي تريدني أن أفعله؟ أجاب اللاجئ السوري: "أحتاج مساعدتك لإزالة المخالفة" ، وتابع: "أريد المساعدة لبلدي ولكل أبنائه لأنّ كلّ شيء مهدّم! الكنائس والمساجد والمدارس والمخابز ، لا يوجد كهرباء... أريد المساعدة لتحقيق الحرّيّة لكلّ أبناء بلدي". فقال القاضي: "بإمكاننا جميعاً أن نأخذ درساً من الاستماع للسيّد سيف ، نحن نقرأ الجرائد ، ونشاهد التّلفاز في اللّيل ، ونظنّ دائما أنّنا نعلم جيداً ما يحصل في العالم ، البعيد عنا ولا يؤثر علينا بشكل مباشر". وأضاف القاضي: "عندما نقف وجهاً لوجه أمام الأشخاص المتضرّرين مما يحدث في ذلك الجزء من العالم ، ونرى أثر ذلك عليهم ، والحب الذي يحملونه لوطنهم ، فإنّ هذا أمر مؤثّر جدّاً ، يدفعنا لفتح أعيننا على ما يحدث ، ولنتذكّر أنّنا جزء من هذا العالم فكل منا

لديه أسلافٌ قَدِموا من أماكن أخرى". وفي النهاية ما كان من القاضي الأمريكي ، المولود لأب مهاجر إيطالي ، إلا أن أسقط الدعوى عن السوري المسن السيد سيف ، وأعفاه من دفع المخالفة. وقال له في النهاية: لقد أحسنت صنعاً! وهذه الحادثة ليست فريدة ، فالقاضي الشهير على مواقع التوصل الاجتماعي بفضل برنامج تلفزيوني يبث جلسات الحكم من "محكمة بروفيدانس" الأمريكية ، عرف عنه كثير من الحوادث التي تظهر أن العدل والرحمة صنوان. وهذا القاضي اشتهر كذلك بمجموعة من الحالات من بينها إعفاء سيدة من دفع مخالفة بقيمة 50 دولار بعد أن عرف أنها لا تملك سوى 55 دولاراً ، قائلاً لها: "لن أدعك تغادرين وليس بحوزتك إلا خمسة دولارات". ما أعجب هذا القاضي!).هـ. ما هذه الرحمة؟ وما هذا الحنان في التعامل الإنساني الراقي؟! أما كان به أولى قاض يدّعي الإسلام ويزعم أنه يؤمن بالله واليوم الآخر؟! وهناك في صحيفة المرصد: تصدر القاضي الأمريكي «فرانك كابريو» قائمة منصات مواقع التواصل الاجتماعي عقب ترؤسه جلسة محاكمة الشابة السعودية «تهاني المنيع» وتبرئتها من المخالفات المرورية ، إعمالاً لروح القانون ، حيث يعمل كابريو البالغ من العمر 81 عاماً قاضياً في محكمة بروفيدنس في ولاية رود آيلاند الواقعة شمال شرق الولايات المتحدة الأمريكية ، والمختصة بمخالفات السير والجرائم منخفضة المستوى وكان القاضي قد أعفاها من المخالفات بحسب صحيفة الديلي ميل! وكان رواد مواقع التواصل الاجتماعي تداولوا مقطع فيديو للفتاة السعودية ، وهي تقف مبتسمة أمام القاضي الأمريكي فرانك كابريو ، الذي يوصف بالقاضي الرحيم ؛ ليقرر في نهاية الجلسة إعفاءها من الغرامات ، وحظي الفيديو بتداول واسع).هـ. إن مروءة القاضي كابريو هي الدافع الحقيقي لكتابتي لهذه القصيدة! وتحت عنوان: (المروءة) يقول الشيخ الدكتور خالد بن عثمان السبت ما نصه: (إن المروءة ليست سهلة المطلب ، إنه لا بد لنا أن نستسهل الصعاب من أجل أن نحصلها؟ أقول: هذا أمر يحتاج إلى علو الهمة ؛ لأنه يبعثنا على التقدم لتحصيل المطالب الكبار ، ويولد عندنا الأنفة من الضعة والهبوط وأخلاق أهل الدنايا. الهمة راية الجد ، وعلو الهمم بذر النعم ، كما أننا بحاجة إلى شرف تربى عليه النفوس ، أن تكون النفس شريفة ، فإذا كانت النفس شريفة أبت الدنايا والسفاسف ، وإذا كانت النفس شريفة ، كانت طالبة للمعالي قابلة للتأديب وهنا يستقر فيها ويؤثر الترويض والتقويم ، وإذا كانت النفس شريفة كانت راغبة في كل فضيلة ، فإذا مازجها ذلك صار طبعاً لها ، ونما واستقر ، وأما المنى فهي بضائع النوكى. وقد قيل: من دام كسله خاب أمله ، وقالوا: نكح العجز التواني ، فخرج منهما الندامة ، ونكح الشؤم الكسل فخرج منهما الحرمان ، والمرء حيث وضع نفسه. والأغصان إذا اشتدت وقويت ، فإن تقويمها أمر عسر وإنما يكون التقويم في النشأة أسهل ، وذلك أمر لا يخفى على المربين. إننا بحاجة إلى أن نربي أبناءنا على أن يستضيفوا زملاءهم ونشجعهم على ذلك ، وأن يدعو الواحد منهم أصحابه وأصدقاءه المؤمنين إلى بيته فيكرمهم ويطعمهم ويحتفي بهم ، ينبغي أن نوعز له أن يقوم بهذا العمل ، لا أن نكسر نفسه إن هم به ونحطمه ونزجره ، ونقول: ما شأننا وشأن هؤلاء الناس؟).هـ. إننا لنتمنى أن يكون هذا الرجل الإنسان الرحيم (فرانك كابريو) مثلاً يحتذى ليعم السلام ، وينتشر الوئام بين الناس في الأرض! ونرجو الله أن يُسْلِم! وإن كنتُ مدحت تعامل القاضي كابريو الرقيق ، فإن هذا لا يعني أنني أشك في كفره (وهو رجلٌ نصراني) ، أو أنني أصحح مذهبه! بالطبع لا! وإنما عنيتُ الطابع الإنساني العام الذي يتعامل به مع المتهمين وتخفيفه للأحكام أو إسقاطها!)

95 - القاضي المصري الرحيم (هشام الشريف)

(الدكتور هشام الشريف ابن محافظة سوهاج ، الصعيدي المحترم ، من بيت الشريف بسوهاج ، وزير التنمية المحلية الأسبق في وزارة شريف إسماعيل. ولد عام 1953م ، وهو خبير في مجال تكنولوجيا المعلومات ، ومؤسس مركز معلومات مجلس الوزراء المصري ، وحصل على بكالوريوس الهندسة الكهربائية من الكلية الفنية العسكرية ، ثم حصل على ماجستير من جامعة الإسكندرية ، وحصل على درجة الدكتوراه في نظم دعم القرار من معهد ماساتشوستس للتكنولوجيا بجامعة كامبريدج الأمريكية عام 1983 م. وترأس هشام الشريف مركز معلومات مجلس الوزراء 1990 - 1999 بعد أن قام بتأسيسه ، وقام بدور أساسي في إنشاء مراكز المعلومات على مستوى المحافظات والمراكز والقرى وتدعيمها وكذلك مراكز التدريب ، وساهم في إصدار عدة نسخ من كتاب وصف مصر بالمعلومات ، ووصف المحافظات ويعتبر أحد خبراء العالم في مجال تكنولوجيا المعلومات. كما أسس هشام الشريف العديد من الشركات في قطاع المعلومات ومنهم نايل أون لاين ، ثم أسس صندوق استثمار في قطاع تكنولوجيا المعلومات ، وهو رئيس المركز الإقليمي لتكنولوجيا المعلومات! ويكفي ثناء ومدح الأستاذ علاء رضوان في حديثه عن المستشار القاضي هشام الشريف فقال ما نصه: (في الواقع إن القاضي مهما تدرب وتعلم ، فإن شخصيته وتداركه وفهمه للأمور يظل أهم من التدريب ذاته ، وهذا ما يؤكد إعطاء القانون السلطة التقديرية للقاضي ، مهما توافر لديه من قرائن وأدلة ، حيث إن حسه الشخصي يغلب القانون ، وروي أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (أمرت أن أحكم بالظاهر ، والله يتولى السرائر)! ومن أمثلة هؤلاء القضاة الشرفاء الذين اشتهروا بتحري الرحمة والعدل القاضي «هشام الشريف» ، أحد قضاة محكمة الجنايات ، والذى كان يشغل رئيس دائرة جنح مستأنف حلوان في فترة أواخر التسعينات ، حيث عُرف عنه داخل المحاكم المصرية ، أنه يمتاز بالرحمة والعلم في نفس الوقت كغيره من أمثاله من بعض قضاة مصر الأجلاء! القاضي «هشام الشريف» اشتهر بالتزامه بآداب المنصة ووقارها ووده الدائم مع المحامين ، حيث كان كل المتهمين يطمئنون جداً لأحكامه ، حتى تلك التي يحكم فيها بتأييد العقوبة ، كان المتهم يخرج من القاعة راضياً ومطمئناً بأن هذا الحكم من هذا القاضي هو غاية المنتظر من العدل والحق والرحمة ، وفى غيرها كان يخفض الكفالات للمواطنين المعسرين ، وأحيانا كثيرة يدفعها من ماله الخاص! في إحدى الجلسات عرضت على القاضي «هشام الشريف» قضية اهتزت لإنسانيتها وشفافيتها جنبات محكمة جنوب القاهرة في باب الخلق ، حين نودي على اسم المتهمة «وكان لا يضع النساء داخل القفص» ، بل يبقين خارجه على مسؤوليته الشخصية! وكانت تحاكم بجريمة تبديد لمبلغ في إيصال أمانة ، ودخلت المتهمة على المنصة ، وكانت في أواخر الخمسينات من عمرها ، وكانت محبوسة ولم يفرج عنها ، لعدم سداد الكفالة. واللافت للنظر كان حالها الفقير وسألها القاضي «الشريف»: «أنت يا ست (فلانه) ما دفعتيش الـ7000 جنيه للسيد (فلان)» ، وبصوت أقرب للبكاء الخائف والمرتعش أجابته المسكينة بأن المبلغ ليس 7000 جنيه ، وإنما في حقيقة الأمر هو 1000 كانت قد استدانت بهم نظير شراء بضاعة من السيد «فلان» التاجر ووالد الاستاذة المحامية الحاضرة في الجلسة ، وأنها كانت تسدد له 60 جنيها كل شهر، لكن حدث لها ظروف منعتها من السداد ، فيما رفض التاجر «فلان» الانتظار ورفع عليها الإيصال. وفي تلك الأثناء ، التفت القاضي «الشريف» للمحامية ، وسألها بأدب جم وهدوء: «الكلام اللي الست بتقوله حقيقي؟»

فأنكرت المحامية معرفتها بالحقيقة ، فما كان من القاضي ، إلا أن نظر إلى المتهمة وسألها عن حالها ، وعلم أنها أرملة ، وتعمل لتربية بناتها الثلاثة فنظر لها ، وقال: «هتتحل إن شاء الله» ، ثم رفع الجلسة. وقبل أن يدخل القاضي «الشريف» غرفة المداولة ، وجه كلامه للمحامين وقال: «أنا أعلم أنكم أصحاب فضل ومروءة ، ولن تتأخروا عن فعل المعروف» ، وأخرج منديلاً كان في جيبه ، ووضعه على المنصة ، وأشار إلى الحاجب ، ثم أخرج من جيبه مبلغاً وقال: «هذه 500 جنيه كل ما معي ، ولا أدري مَن مِن السادة المستشارين سيشاركني ، وهي أول مشاركة لسداد دين هذه السيدة» ، ثم شكر الحاضرين ودخل غرفة المداولة! وفي هذه اللحظة ، بدأ المحامين في التباري في الدفع بدأهم أحدهم بـ 1000 جنيه ، ثم توالى الباقون حتى تجمع في المنديل ما يتجاوز الـ8000 جنيه ، وقبل ذلك كانت المحامية ابنة صاحب الدين قد خرجت بسرعة إلى خارج المحكمة لتتصل بوالدها وتخبره بما تم ، وعادت المحامية القاعة ونودي عليها حين دخلت المتهمة المسكينة غرفة المداولة. وكان القاضي «الشريف» جالساً خلف مكتبه ، وأشار للمحامية قائلاً: « فيه 7000 جنيه موجودة في المبلغ الموجود بالمنديل تقدري تاخديه وتتصالحي مع المتهمة ونمشيها» ، ثم أشار إليها بأخذ الفلوس ، وفي تلك الأثناء ، كانت هناك مفاجأة أخرى ، حيث قالت المحامية أن والدها أخبرها بألا تأخذ أكثر من 500 جنيه قيمة الباقي على المرأة المدينة! شكر القاضي «الشريف» أمانة المحامية ، وابتسم ناظراً للمحامين الذين ملأوا غرفة المداولة وقال: « أظن أنها أخذت الـ500 جنيه بتاعتي أنا! فضحك الجميع وقاطعهم قائلاً: وأظنكم لا تريدون أن يحرمكم الله ثواب المشاركة» ، وعلا صوت المحامين في الغرفة بالتأييد ، فنظر إلى المتهمة ومد يده بالمنديل وباقي الـ 8000 جنيه وقال: وهذه من الله لك! وضجت غرفة المداولة بالتهليل والتكبير والذي سرى إلى القاعة وهتف كل من فيها وهرول كل الحاضرين في المحكمة إلى هذه القاعة ليعلموا ماذا حدث! ثم يعلمون بأن ما حدث كان وجود قاضي رحيم كان منه كذا وكذا وكذا!).هـ. يقول الأستاذ حسان أحمد العماري وتحت عنوان: (نصرة المظلوم في عصر الظلمة) ما نصه: (الحقوق محفوظة ومصونة ، والواجبات معروفة ومطلوبة ، من شأنها أن تشد الروابط بين المسلمين وتزيد الألفة فيما بينهم في مشارق الأرض ومغاربها ، وتحفظ وحدتهم وتصون كرامتهم ، وتحفظ حقوقهم ذلك أن المؤمن شأنه أن يعيش عزيزاً ، فهو يحمل رسالة عظيمة وينتمي لأمة عظيمة ورسوله صلى الله عليه وسلم أعظم الرسل. لقد حرص الإسلام أن يعيش أبناءه في ترابط وتعاون وتناصر حتى يسود المجتمع الأمن والأمان والمحبة والحنان. يقول الله تعالى: {مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ وَٱلذين مَعَهُ أَشِدَّاء عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَاء بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعاً سُجَّداً يَبْتَغُونَ فَضْلاً مّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَاناً سيمٰهُمْ في وُجُوهِهِمْ مّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ في ٱلتَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ في ٱلإنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شطأه فآزره فَٱسْتَغْلَظَ فَٱستوىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلذين امنوا وَعَمِلُواْ ٱلصَّالِحَات مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيماً}. وبقدر تمسك الفرد منا بهذه القيم والواجبات وجعلها نظام عمل في هذه الحياة بقدر ما يكون قريباً من الله.... قريباً من خلقه. ولعل من أهم الواجبات والحقوق التي على المسلم لأخيه المسلم ما ورد في حديث البراء بن عازب رضي الله عنه: حيث قال: "أمرنا النبي صلى الله عليه وسلم بسبع ونهانا عن سبع: أمرنا بعيادة المريض ، واتباع الجنازة ، وتشميت العاطس ، وإجابة الداعي ، وإفشاء السلام ، ونصر المظلوم ، وإبرار المقسم". (رواه البخاري ومسلم). أين من ينصر مظلوماً في هذا الزمان؟ وما أكثر المظلومين في زماننا ، وكم يرى الناس من إنسان ينتهك عرضه وتداس

كرامته ويسلب ماله ويسفك دمه ثم لا يجد من ينصره أو من يقف بجانبه! وأصبح هذا الحق والواجب ضائعاً وغريباً في حياتنا.. قال تعالى: {وَمَا لَكُمْ لاَ تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاء وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيّاً وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرا} ، وقال تعالى: {وَتَعَاوَنُواْ عَلَى الْبرِّ وَالتَّقْوَى وَلاَ تَعَاوَنُواْ عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُواْ اللّهَ إِنَّ اللّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ}. ويقول صلى الله عليه وسلم: «ما من امرئ يخذل امرءًا مسلماً في موطن ينتقص فيه من عرضه ، وينتهك فيه من حرمته ، إلا خذله الله تعالى في موطن يحب فيه نصرته ، وما من أحد ينصر مسلماً في موطن ينتقص فيه من عرضه ، وينتهك فيه من حرمته إلا نصره الله في موطن يحب فيه نصرته» (رواه أحمد). وعن سهل بن حنيف قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من أُذِلّ عنده مؤمن فلم ينصره وهو يقدر على أن ينصره أذلّه الله على رؤوس الأشهاد يوم القيامة». [(رواه أحمد بسندٍ حسن). والله تعالى يقول: {لُعِنَ ٱلذين كَفَرُواْ مِن بني إسرٰائيل عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ذٰلك بِمَا عَصَوْا وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ كَانُواْ لاَ يتنٰاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ لبئس مَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ} ، والرسول صلى الله عليه وسلم يقول: «والذي نفسي بيده لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر ، أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عقاباً منه ، ثم تدعونه فلا يستجاب لكم». (حسنه الألباني).هـ. طبعاً هذه سيرة سوف يخلدها ويثمنها التاريخ ، ويشرف الشعر بذكرها العذب! وإنه لشرف كبير لي وأنا شاعر صعيدي وتحديداً من سوهاج أن أكتب عن مستشار صعيدي! لا من باب القومية بجامع أن كلانا صعيدي من سوهاج ، ولكن للمروءة التي كان عليها ذلك الصعيدي الشهم الذي اتسم بالمروءة والجد! وأسأل الله أن يصلح للقاضي الشريف دينه ودنياه وآخرته!)

96 - القرار الضرير

(ابتلاه اللهُ بالديون ، فعمد إلى الكسب غير المشروع ، فكان قرارًا ضريرًا أسخط ربه عليه فلم يبارك له. وكانت كارثة بسبب التهور الفظ في اتخاذ القرار! ولقد أعانه على قراره قرناء السوء من أصدقائه! في مقالةٍ له بعنوان: (خطوات لاتخاذ القرار) يقول الأستاذ (مبارك عامر بقنه) ما نصه: (نتخذ القرار لنحقق أمراً نريده في حياتنا ، أو لنخرج من مشكلة تواجهنا. وهذه القرارات التي تُتخذ قد تكون قرارات مصيرية تؤثر في حياة الشخص ، كالطلاق فهو قرار صعب ، لأن تأثيره يتعدى على جميع أفراد الأسرة وقد يلحق بهم الضرر ، وكالالتحاق بكلية واختيار التخصص ، فهو قرار صعبٌ لأن تأثيره يستمر معك مدى الحياة. وهناك قرارات لا تؤثر كثيراً كاختيار وجبة الغداء أو الذهاب لبعض الأصدقاء. فالقرارات تتفاوت في درجتها وخطورتها ، ولهذا لا بد أن تكون هناك آلية صحيحة يستخدمها المرء في اتخاذ القرارات ، وخصوصاً القرارات المصيرية التي يترتب عليها تغيير مواقف وبناء حياة. وبقدر ما يكون المرء قادراً على اتخاذ القرار الصائب بقدر ما يكون نجاحه. ونحن نرى كثيراً من الناس دقيقين جداً في تجميع المعلومات ، ووضع الأسئلة ، ودراسة الأحوال والمتغيرات. ولكن عندما تأتي لحظة القرار فإنهم لا يعرفون إلا طريقاً واحداً ، وهو الارتجالية وسرعة البديهة. والقرار البديهي ليس مذموماً مطلقاً بل هناك حالات تتطلب من المرء أن يتخذ فيها قراراً سريعاً ، كالقضايا الطارئة فالدكتور يتخذ قراراً في صرف الدواء للمريض ، ويتطلب أن يكون القرار سريعاً ، لكنه يجب أن يكون مبنيا على علم مسبّق. وعند اتخاذ قرار مبني على

البديهة ، فإننا في الغالب لا نلتفت إلى المالآت وما يترتب على ذلك من نتائج ، وإنما نعيش اللحظة الآنية ، فنتخذ القرار متأثرين بالعوامل التي تحيط بنا. إن صناعة القرار لا يعتمد فقط على البديهة أو الحدس وإنما تبنى كذلك على إجراءات تساعد على اتخاذ القرار الصائب).هـ.
وأشكر الدكتور بقنه على هذه الأفكار النيرة في إيضاح كيفية اتخاذ القرار. والحقيقة أن مروءة الإنسان المسلم المؤمن الموحد القانت ، تأبى عليه أن يتهور في قرار! وحتى إن غلبته نفسه في موقف ما ، فسرعان ما يعود إلى رشده ويدرك خطأه ويعالج بالحكمة ما وقع فيه بالتهور! إنها المروءة أكسير الحياة! وتحت عنوان: (المروءة) يقول الشيخ الدكتور خالد بن عثمان السبت ما نصه: (إنه لمما يعين على تحقيق المروءة: مجالسة أهل المروءات ، وكما هو معروف: الطبع سراق ، والإنسان يتأثر بما يخالط ويصاحب ، وبالمقابل أن يجانب إخوان السوء ، وقد قيل: مجالسة أهل الديانة تجلو عن القلب صدأ الذنوب ، ومجالسة ذوي المرواءت تدل على كرم الأخلاق ، ومجالسة العلماء تذكي القلوب ، فالإنسان بحسب من يخالط. ولهذا قال معاوية - رضي الله عنه -: "آفة المروءة إخوان السوء"، وهذا أمر مشاهد ؛ لأنهم إن رأوا حسنة أخفوها وإن رأوا عيباً أذاعوه ، ثم هو يسمع منهم وهو يقوم ويقعد كل قبيح ، يستقبلونه بالشتائم والسباب ويودعونه بمثلها ، وإذا حضر مجلسهم سمع اللغو والباطل والكلام في الدنايا ، ورأى منهم كل مستهجن ، وإذا أراد أن يحلق وأن يرتفع ليسمو بنفسه عابوه وثبطوه لأنهم يريدون موافقتهم ، وكما قيل:- المرأة الزانية تحب أن جميع النساء زواني ، من أجل ألا يتميز أحد بالعفاف والشرف. فإخوان السوء لا يحبون أن يتميز هذا بالمكارم فيقعدونه ، ويقولون: أين أنت من هذا؟ وأين أنت من هذا؟ لست لذلك بكفء ، فيثبطونه عن معالي الأمور فلا خير في مثل هذه الصحبة. والمروءة تكون مع النفس ، وذلك بحملها قسراً على ما يجمل ويزين ، وعلى أن تترك ما يدنس ويشين ؛ ليصير ذلك ملكة لها في السر والعلانية ، فلا يفعل شيئاً في سره مما يشينه عند الناس من الرزايا والآثام والآفات والعيوب التي تستهجن من مثله ، فلا تفعل خالياً ما تستحيي من فعله في الملأ إلا ما لا بد للإنسان منه. وهناك مروءة مع الخلق ، وذلك بأن يعاشرهم بكرم وحياء ، وأخلاق جميلة ، ولا يظهر لهم ما يكره أن يرى منهم ، مما يوجهونه إليه ، عامل الناس بما تحب أن يعاملوك وليتخذ الناس مرآة لنفسه ، فإذا رأى فيهم شيئاً مما يعيبه فإنه يحرص على تجنب هذا الخلق ، ولهذا كان لبعض الأكابر خادم سيء الأخلاق فض المعاملة والطباع ، فقيل له: كيف تصبر على هذا المملوك والخادم؟ هلا أبعدته؟ فقال: أتعلم عليه مكارم الأخلاق ، أي أدرس عليه مكارم الأخلاق ، ومعنى كلامه واضح فهو يتصبر عليه ، يتعلم الصبر والحلم لما يرى من حماقات هذا الخادم ، وإنما الحلم بالتحلم ، ثم هو لكثرة ما يرى من القبائح في أخلاقه ، ينعكس أثر ذلك في تخلقه هو ، فيتجنب هذه المساوئ ؛ لئلا يراها الناس).هـ.
ولو كان زوج هذه المرأة يجالس أهل المروءات لما أقبل على التعامل بالربا ، ولا أقدم غيره على طلاق زوجته بدون جريرة ولا فاحشة مبينة على حد تعبير القرآن الكريم! وإنني لأهيب بكل من يعمد التعامل بالربا أو إلى طلاق زوجته أن يتريث ويتريث ويتريث ، ريثما يصل إلى القرار السديد في الموقف السديد! وخيرٌ لمن يتعامل بالربا أن يسأل الناس! وأهون بمن يطلق زوجته الصالحة أن يعيش معها حياة مهرجلة! وإلا يكن منه ذلك كذلك ، فإنه سوف يعض أصابع الندم ، ولات ساعة مندم. ويكون السؤال والجواب ، والحيرة والاضطراب. ويكون البحث عن حل هنا وهناك. ويعجز الكل عن إيجاد الحلول بعد أن تعقدت الأمور ، واختلط الحابل بالنابل في المشاكل! ومن هنا تعقدت ، فلا توجد الحلول الجذرية!)

97 - القرآن بالمدح أولى

(في أحد المؤتمرات الاستشراقية الكيدية الخاصة بمسألة التقريب بين الأديان ، حضر الألوف من الجماهير التي تدين بالإسلام وبالنصرانية وباليهودية. وطلب من كل قارئ أن يقرأ. فبدأوا كالعادة الفجة بالقارئ النصراني وأخيه اليهودي. فتلا كل منهما كتابه التوراة والإنجيل (المحرفيْن). ولم يعبأ أحد بهما. وجاء دور القارئ المسلم الذي تلا القرآن فأخذ بالعقول بعد القلوب. وكانت القراءة من سورة الإسراء من أول (إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم) وحتى قوله تعالى: (وما كنا معذبين حتى نبعث رسولاً). فأنصت الكل وتدبروا. فقالت منسقة القاعة النصرانية له: لقد سلب صوتك الشجيّ عقول الناس وقلوبهم. فقال لها: بل القرآن هو الذي فعل كل هذا. فجادلته ، فنادى أحد الذين حضروا من المسلمين وكان أجش الصوت ، وطلب إليه أن يتلو ذات الآيات من الإسراء. فلما أخذ بالعقول والقلوب ، أسلمت المنسقة ، وأسلم بعدها خلق كثيرون لا يحصون كثرة. وشرح القارئ للجميع معنى آية سورة الإسراء وبيّن أن القرآن كتاب هداية. والحقيقة أنني لم أجد في القديم ولا في الحديث من فسر هداية القرآن الشمولية المطلقة مثل صاحب الظلال ، فلنستمع إليه يقول: (إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجراً كبيراً وأن الذين لا يؤمنون بالآخرة أعتدنا لهم عذاباً أليماً). (هكذا على وجه الإطلاق فيمن يهديهم وفيما يهديهم ، فيشمل الهُدى أقواماً وأجيالاً بلا حدود من زمان أو مكان ، ويشمل ما يهديهم إليه كل منهج وكل طريق ، وكل خير يهتدي إليه البشر في كل زمان ومكان. يهدي للتي هي أقوم في عالم الضمير والشعور ، بالعقيدة الواضحة البسيطة التي لا تعقيد فيها ولا غموض ، والتي تطلق الروح من أثقال الوهم والخرافة ، وتطلق الطاقات البشرية الصالحة للعمل والبناء ، وتربط بين نواميس الكون الطبيعية ونواميس الفطرة البشرية في تناسق واتساق. ويهدي للتي هي أقوم في التنسيق بين ظاهر الإنسان وباطنه ، وبين مشاعره وسلوكه ، وبين عقيدته وعمله ، فإذا هي كلها مشدودة إلى العروة الوثقى التي لا تنفصم ، متطلعة إلى أعلى وهي مستقرة على الأرض ، وإذا العمل عبادة متى توجه الإنسان به إلى الله ، ولو كان هذا العمل متاعاً واستمتاعاً بالحياة. ويهدي للتي هي أقوم في عالم العبادة بالموازنة بين التكاليف والطاقة ، فلا تشق التكاليف على النفس حتى تمل وتيأس من الوفاء. ولا تسهل وتترخص حتى تشيع في النفس الرخاوة والاستهتار. ولا تتجاوز القصد والاعتدال وحدود الاحتمال. ويهدي للتي هي أقوم في علاقات الناس بعضهم ببعض: أفراداً وأزواجاً ، وحكوماتٍ وشعوباً ، ودولاً وأجناساً ، ويقيم هذه العلاقات على الأسس الوطيدة الثابتة التي لا تتأثر بالرأي والهوى ، ولا تميل مع المودة والشنآن ، ولا تصرفها المصالح والأغراض. الأسس التي أقامها العليم الخبير لخلقه ، وهو أعلم بمن خلق ، وأعرف بما يصلح لهم في كل أرض وفي كل جيل ، فيهديهم للتي هي أقوم في نظام الحكم ونظام المال ونظام الاجتماع ونظام التعامل الدولي اللائق بعالم الإنسان. ويهدي للتي هي أقوم في تبني الديانات السماوية جميعها والربط بينها كلها ، وتعظيم مقدساتها وصيانة حرماتها فإذا البشرية كلها بجميع عقائدها السماوية في سلام ووئام). واستغل القارئ رسالة الأديب جبران خليل جبران وهو يثني على الإسلام والقرآن ومحمد – صلى الله عليه وسلم ، فتلاها على جموع الحاضرين. حيث إنه وقبل زهاء 100 عام وجّه الأديب اللبناني جبران خليل جبران رسالة إلى المسلمين ، أعرب فيها عن حبه للإسلام ذلك الدين العظيم وحلمه بعودة مجده ، وخشيته من زواله. وجاءت رسالة جبران قبيل إلغاء نظام الخلافة العثمانية على يدي مصطفي كمال أتاتورك ، حيث إنه كان ينتقد حكم العثمانيين ، وفيما يأتي جزء من نص رسالة جبران خليل جبران للمسلمين. يقول: (أنا لبناني ولي فخر بذلك ، ولست بعثماني ، ولي فخر بذلك أيضاً. ولي وطن

أعتز بمحاسنه ، ولي أمة أتباهى بمآتيها ، وليس لي دولة أنتمي إليها وأحتمي بها. أنا نصراني ولي فخر بذلك ، ولكنني أهوى النبي العربي ، وأكبر اسمه ، وأحب مجد الإسلام وأخشى زواله. أنا شرقي ولي فخر بذلك ، ومهما أقصتني الأيام ، عن بلادي أظل شرقي الأخلاق سوري الأميال لبناني العواطف. أنا شرقي وللشرق مدينة قديمة العهد ، ذات هيبة سحرية ونكهة طيبة عطرية! ومهما أعجب برقي الغربيين ومعارفهم ، يبقى الشرق موطناً لأحلامي ومسرحاً لأمانيّ وآمالي. في تلك البلاد الممتدة من قلب الهند إلى جزائر العرب ، المنبسطة من الخليج العربي إلى جبال القوقاز تلك البلاد التي أنبتت الملوك والأنبياء والأبطال والشعراء ، في تلك البلاد المقدسة تتراكض روحي. شرقاً وغرباً وتتسارع قبلة وشمالاً ، مرددة أغاني المجد القديم ، محدقة إلى الأفق لترى طلائع المجد الجديد. بينكم أيها الناس من يلفظ اسمي مشفوعاً بقوله: "هو فتى جحود يكره الدولة العثمانية ويرجو اضمحلالها". أي والله لقد صدقوا ، فأنا أكره الدولة العثمانية ، لأني أحب العثمانيين ، أنا أكره الدولة العثمانية ، لأني أحترق غيرة على الأمم الهاجعة في ظل العلم العثماني. أنا أكره الدولة العثمانية لأني أحب الإسلام ، وعظمه الإسلام ، ولي رجاء برجوع مجد الإسلام. أنا لا أحب العلة ، ولكنني أحب الجسد المعتل ، أنا أكره الشلل ، ولكنني أحب الأعضاء المصابة به ، أنا أجلّ القرآن ، ولكنني أزدري من يتخذ القرآن وسيلة لإحباط مساعي المسلمين ، كما أنني أمتهن الذين يتخذون الإنجيل وسيلة للتحكم برقاب النصارى. وأي منكم أيها الناس لا يكره الأيدي التي تهدم ، حباً للسواعد التي تبني؟ أي بشري يرى العزم نائماً ولا يطلب إيقاظه؟ أي فتى يرى العظمة متراجعة إلى الوراء ، ولا يخشى انحجابها؟ خذوها يا مسلمون ، كلمة من نصراني أسكن يسوع في شطر من حشاشته ، ومحمداً في الشطر الآخر. إن لم يتغلب الإسلام على الدولة العثمانية ، فسوف تتغلب أمم الإفرنج على الإسلام. إن لم يقم فيكم من ينصر الإسلام على عدوه الداخلي ، فلا ينقضي هذا الجيل إلا والشرق في قبضة ذوي الوجوه البائخة والعيون الزرقاء.)هـ. وكأن جبران كان يرى غيباً مستقبلياً مخبوءاً!)

98 ـ القرصان التائب

(عمل قرصاناً مع مجموعة من القراصنة عقداً من السنين ، فاعتاد أن يسرق وينهب ويرتكب المحرمات. ومن هنا ألفَ ضرب الأبرياء وسحلهم وقمعهم وتعذيبهم. ولربما أفضى التعذيب إلى القتا! ولربما قتلهم عمداً مع سبق الإصرار والترصّد! ولربما حرقهم بالنار! ولربما أخفاهم قسرياً وأنكر لذويهم أنه يعرف مكانهم! ولربما ذهب إليهم في عُقر دارهم وحطم ما يشتهي من ممتلكاتهم وأحرق الدار أو هدمها على رؤوس ساكنيها! ولربما أخذ من الأهالي الرهائن لتدل على المطلوب الذي لم يجده! وشعاره في ذلك هو شعار باقي القراصنة الذين يعمل معهم: (من أشد منا قوة)! حتى أن أحدهم قال للناس يوما علانية: (لا أحد سيقدر علينا ، ونحن أسياد هذه الأرض ، ومن هم دوننا عبيد عندنا)! وكانت هذه العصبة المتفرعنة المجرمة من القراصنة قد اتخذت سجنا – قريبا من شاطئ البحر ـ تضع فيه ضحاياهم: تقتل بعضهم وتنكل بالبعض الآخر! ولم يكن ذلك القرصان ينكر عليهم ، بل يكره بقلبه لخميرة إيمانية فيه! ولكنه كان يأتي ما يأتون ويقول كما يقولون ويفعل ما يفعلون. وذات يوم سمع أحد ضحاياه من المأسورين المغلوبين المستضعفين يناجي ربه في صلاة له في جوف الليل فيقول: (ربي لقد غرهم عجزي عن الرد عليهم والانتصار لنفسي وضعفي عن مواجهتهم ، اللهم فانتصر لي كما انتصرت لعبد ونبيك نوح – عليه منك الصلاة والسلام – إذ دعاك فقال: إني مغلوب فانتصرْ! ربي عبيدك سوايَ كثير وليس لي رب سواك فخذ لي بحقي من القراصنة فقد جعلتك بيني

وبينهم! وأنا اليوم أولى من عبدك ونبيك نوح بما دعاك به! اللهم يا من لا إله غيرك يعبد ولا رب سواك يقصد ، عجّلْ لي بالنصر على هؤلاء فقد غرهم حِلمك عليهم وإمهالك لهم)! ففكّر القرصان وقدر ، ثم فكر وقدّر ، ثم نظر ، ثم عبس وبسر ، ولكنه هذه المرة لم يدبر ولم يستكبر! بل دخلت التوبة إلى قلبه ، وداعبت الإنابة عواطفه ، وتسرّب الندم إلى جوارحه! وذهب إلى ذلك الأسير السجين وقال له: بم كنت تدعو؟ فقال السجين: ما دعوت ولا تليت ، بل كنت أهذي وأهذرم بالكلام فقط! طبعا قال ذلك خوفا وفرقا من بطش الطاغوت وفتك القرصان! ولم يكن المسكين يدري أن القرصان قد تاب وأناب! وعذره القرصان التائب لأنه كان يقدّر الظرف ويعلم يقيناً أن الرجل لا يمكن أن يصدق معه! وحسنتْ توبة القرصان ، فاعتزل القراصنة وأخذ على نفسه عهدا أن يفضحهم ويكشف للناس خططهم حتى يحذروا على سفنهم وممتلكاتهم وأهليهم! وراح يجد في ذلك بلا هوادة وبدون أدنى خوفٍ أو ريبة. والحقيقة التي يجب أن يدركها القراصنة المجرمون أن الحياة قصيرة ، وأن الناس مربون لله تعالى لا لسواه ، فالخلق عِيال الله (أي عالة عليه)! وعليهم أن يدركوا جيدا أن ظلمهم له حد وبطشهم وتنكيلهم له نهاية! وأن الأمر ليس إليهم ، بل لله تعالى الأمر من قبل ومن بعد ، وأنهم آتيهم عذاب من الله غير مردود ولا مصروف. إن الظلم إذا استشرى في الأرض فإنه ينبغي على الأحرار - من ذوي العقائد السليمة والقلوب الواعية والهمم العالية والضمائر الحية – أن يردوا ذلك الظلم ويدفعوه عن الناس ابتغاء وجه الله عز وجل! فإن هم عجزوا لضعف فيهم أو تقاعسوا لخذلان الناس لهم أو تنازلوا لغلبة حب الحياة وكراهية الموت فإن الله تعالى يدحر ذلك الظلم ويهزم القائمين عليه من الطواغيت والمجرمين والقراصنة الخبثاء! ينزل الله بهم ذلك كله وأشد منه لا حباً في المتقاعسين عن نصرة الحق وقد أقدرهم على ذلك ولكن لأن الظلم قد حارب الله في الأرض زاعماً أنه يمكن أن يقول بلسان الحال أو المقال: (أنا ربكمُ الأعلى أو ما علمت لكم من إله غيري كما قال فرعون)! إن غيرة الله على ألوهيته وربوبيته وسلطانه لا تضارعُها غيرة أبداً! وإن أخذ الله للظالمين لأخذ عزيز مقتدر مصحوب بالعذاب البئيس المهين الشديد الأليم! فلئن كان الناس لا يستحقون نصر الله ، فإن نقمة الله من الظالمين غيرة على الربوبية والألوهية وإيقافاً للظلم والطاغوتية عند حدهما أمر مستقرأ في تاريخ الإنسانية! ولنرجع لفرعون وانتقام الله منه ، وهنا نسأل هل كانت رعية فرعون تستحق أن يغرق الله فرعون وملأه؟ بالطبع لا! ذلك أنه يوم قال: (أنا ربكم الأعلى – ما علمت لكم من إله غيري – ما أريكم إلا ما أرى – ذروني أقتل موسى) ، ما وجد طليعة توقفه عند حد ، بل بالعكس وجد جماهير مسبّحة بحمده ، راضية بما يصنع ، قانعة بما يقول كأنه ما قال إلا الحق! وإذن فلمَ أغرقه الله وانتقم منه؟ والجواب: لأن الله يُملي للظالم فإذا أخذه لم يفلته! فأنشدتُ من شعري هذه المعلقة التي جاوزت الثمانين متخيلاً القرصان يحكي لنا قصته شعراً ، فكانت القصة ترجمة لهذا!)

99 - القريض الصادق دعوة من القلب للقلب

(الشعر الصادق دعوة من قلب شاعر لقلب قارئ! وإلا يكنْ ذلك كذلك يُصبحْ مجموعة من الأفكار ذات المعاني الموزونة المُقفاة التي لا روح فيها! يقول أستاذنا الخضر حسين: (وأما الأساليب فيراعى فيها قوانين النحو والبيان المسلَّمة فلا يحسُن منع أن يتكئ على عِلة التجديد ويُسقط حرف العطف في نحو: لا ورحمك الله ، أو يدع الكلمات والجمل التي توضع في أثناء الكلام ، فتكسو البيت لطفاً ، وتدفع عنه أوهاماً يَفْقِدُ بها المعنى قوته ، أو ينقلب بها إلى غير

مراد ، إلى ما يشاكل هذه التصرفات التي تخرج بالشعر العربي عن حدود البلاغة وحسن البيان. بل على الشاعر أن يصدق!).هـ. ومن هنا تميز الشعر الصادق من التلفيق الكاذب! وهذه عملية مجربة: فما كان من الشعر صادقاً وعفيفاً وذا رسالة يريد كاتبه أن يوصلها لقرائه فإنه يخرج من قلب الشاعر إلى قرطاسه ثم إلى قلوب القراء!)

100 - القصر المهجور

(جادت (قمر) على قصر تشتهي سكناه وحدها بعد زواج أبنائها وبناتها جميعاً. حيث إنها بعد موت زوجها آثرت ألا تتزوج. وكانت ثرية لا تخشى الفقر ، ومعطاءة متصدقة ، فزاد مالها وتكاثر تكاثر الدود (ذلك أن المال لا ينقص بالصدقات أبداً ، بل يزيد). ومن هنا أنفقت على قصرها الملايين منتدبة له الصناع المهرة والحرفيين الحاذقين من كل بلد ، وفي كل فن من فنون العمارة والزخرفة والتأنق! وأغدقت عليهم ليُحسنوا بناء القصر والتأنق فيه وإتقان عمارته وزخرفته ليضاهي قصور الملوك والكبراء وعِلية القوم. وقد كان لها ما طلبت بمرور الأيام. ولمّا تم بناء القصر على الصورة التي أرادت ، وبات القصر آية في المعمار والزخرفة والأبّهة ، وقبيل عيد الفطر بيوم ماتت هذه المحسنة المتصدقة الصالحة ، تلك التي لا نزكّيها على الله تعالى. فرُحتُ أرسل هذه الرسالة الشعرية إلى القصر ، وأطلب منه أن يبكيها معنا بدموع الوداع لحظات خروج الجنازة من بيت ابنها الذي هو ملاصق له في البُنيان. وما يحجبه إلا الأشجار الباسقة التي أحاطت به من نخيل وبرتقال ونحوها...وصدق لبيد بن ربيعة حيث يقول مصوراً بقاء الذي نبنيه بعد أن نموت:

بُليـــنا ، ومـــا تـبـــلى الـنـجـــومُ الـطـــوالعُ وتـبـــقى الـديـــارُ بـعـــدنا ، والمصـــانعُ

ومـــــا الـــــمالُ والأهلـــــون إلا ودائـــــعٌ ولا بـــــد يـــومـــاً أن تُـــــردّ الـــودائـــع

عن مجاهد عن ابن عمر - رضي الله عنهما - قال: لا يصيب أحد من الدنيا ، إلا نقص من درجاته عند الله ، وإن كان عليه كريماً. وعن أسامة بن زيد - رضي الله عنهما - قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "قمت على باب الجنة ، فكان عامة من دخلها المساكين ، وأصحاب الجد محبوسون ، غير أن أصحاب النار قد أمر بهم إلى النار وقمت على باب النار ، فإذا عامة من دخلها النساء". وعن أبي عبد الرحمن البجلي قال: سمعت عبد الله بن عمرو بن العاص - رضي الله عنهما - وسأله رجل فقال: ألسنا من فقراء المهاجرين؟ فقال له عبد الله: ألك امرأة تأوي إليها؟ قال: نعم ، قال: ألك مسكن تسكنه؟ قال: نعم! قال: فأنت من الأغنياء ، قال: فإن لي خادما ، قال: فأنت من الملوك. وعن أبي ذر رضي الله عنه قال: (قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: "يا أبا ذر ، أترى كثرة المال هو الغنى؟" قلت: نعم يا رسول الله! قال: "وترى قلة المال هو الفقر؟" ، قلت: نعم يا رسول الله ، قال: "إنما الغنى غنى القلب ، والفقر فقر القلب) (من كان الغنى في قلبه ، فلا يضره ما لقي في الدنيا ، ومن كان الفقر في قلبه ، فلا يغنيه ما كثر له في الدنيا ، وإنما يضر نفسه شحها"). وعن عبيد الله بن محصن الأنصاري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من أصبح آمنا في سربه معافى في جسده ، عنده طعام يومه ، فكأنما حيزت له الدنيا بحذافيرها"). وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "الدنيا سجن المؤمن ، وجنة الكافر". وعن أبي

موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من أحب دنياه ، أضر بآخرته ، ومن أحب آخرته ، أضر بدنياه ، فآثروا ما يبقى على ما يفنى". وعن ثوبان رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن من أمتي من لو أتى باب أحدكم فسأله ديناراً ، لم يعطه إياه ، ولو سأله درهماً ، لم يعطه إياه ، ولو سأله فلساً ، لم يعطه إياه ، ولو سأل الله الجنة ، لأعطاها إياه ، ولو سأله الدنيا لم يعطها إياه ، وما يمنعها إياه لهوانه عليه ، ذو طِمِرّين ، لا يؤبه له ، لو يقسم على الله لأبره". وصدق الفاروق عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – حيث يقول: (كل عمل كرهت من أجله الموت فاتركه ، ثم لا يضرّك متى مت!) . فرحم الله الحاجة (قمراً)! وأبدلها من بيتها في الدنيا بيتاً عنده في الجنة لا تعب فيه!)

فهرست القصص – (من القصة الأولى بعد المئة الثالثة حتى القصة الأربعمائة)

مسلسل	عنوان القصة	النغم	النوع	الصفحة
1	شهيدة من شهداء البصرة (شهيدة العفة)	حزينة	قصة قصيرة	7
2	الجواب ما ترى لا ما تسمع	التصميم	قصة قصيرة	7
3	موت إصر موت!	الموت	قصة خاطفة	8
4	القس إسحق المسالم	العزيمة	قصة طويلة	8
5	غزوة مـؤتــة	البطولة	قصة طويلة	10
6	الشاعر عندما يعف	المروءة	موقف	12
7	الشاعر ليس نبياً ليكون شعره وحياً!	الدفاع	حقيقة	12
8	تحية للشاعر الشهيد / هاشم الرفاعي	التحية	موقف	47
9	الشافعي مناظراً	المناظرة	موقف	48
10	الشعر حنينٌ ورنينٌ وأنين	العاطفة	رأي	50
11	الشعر رحمٌ بين أهله	الشاعرية	رأي	53
12	الشقيقتان	الأخوة	حقيقة	54
13	الشكاة الخجلى	الشكوى	موقف	61
14	الشكاة الشاعرة	الشكوى	قصة قصيرة	62
15	الشمس والظل والدموع	الوصف	موقف	64
16	الشمعة الباكية	الحزن	قصة قصيرة	64
17	الشورى قِوامُ الإدارة	الإدارة	فلسفة وموقف	65
18	الصديقُ المخذول	الخذلان	موقف	66
19	الصعايدة وصلوا! 1	الغيرة والحميّة	تقرير	67
20	(الصعايدة وصلوا 2)	الغيرة والحمية	تقرير	75
21	الصعيدي عندما يعف	الضمير والأمانة	قصة قصيرة	84
22	الصلح العقيم	المصالحة	موقف	85
23	الضاد أم اللغات	الإثبات	رأي	85
24	الضحية	التبرير	قصة قصيرة	90
25	الطالع السعيد في مدح خالد بن الوليد	إيضاح الحق	قصة طويلة	91
26	الطبع يغلب التطبع	بيان الحقيقة	قصة قصيرة	102
27	(الطبيبتان)	المروءة	قصة قصيرة	103
28	الطبيعة الحزينة	الحزن	رأي	105

29	الطوفان	القلق	موقف	105
30	الظلم ظلمات يوم القيامة	الحقيقة	فتوى	106
31	العاشقة القتيلة	الخديعة	قصة قصيرة	107
32	العاشقة وجحيم العشق	الخديعة واللعب	قصة قصيرة	107
33	العاشقة	خديعة الزوج	قصة قصيرة	107
34	العاصفة	الهزل والخداع	قصة قصيرة	108
35	العدل أساس الملك	المبدأ	قصة قصيرة	108
36	العذراءُ والقلم التائه	جرأة الباطل	رأي	110
37	العروس ودموع الفرح	الحزن	قصة قصيرة	110
38	العزة بالعلم	الفخر	موقف	110
39	العقد الذي انفرط	الوفاء	قصة قصيرة	110
40	العقيدة لا تتطور البتة	العقيدة	تحليل	112
41	العنبة الطافية	حقيقة الدجال	تحليل وفتوى	113
42	العود أطيب يا أستاذي!	اللوم والعتاب	قصة قصيرة	115
43	العيد يجيب على السؤال	اللوم والعتاب	تخيل وتصور	115
44	العين جوهرة ثمينة	حقيقة	رأي	117
45	العين والعقل والقلب	الحوار والجدال	فكرة	118
46	ألغاز شعرية	إعمال الفكر	فكرة	118
47	الغاية لا تبرّرُ الوسيلة	الحقيقة	رأي صحيح	120
48	الغدرُ الجامح	الغدر	موقف	121
49	الغربة بين الأمس واليوم	حقيقة الغربة	رأي	122
50	الغربة على يديك	تشخيص	قصة قصيرة	122
51	الغربة مهر المعالي!	تشخيص	موقف	124
52	الغزالُ الأبكم	الإعراض	رأي حقيقي	124
53	الغلبة للدليل	الإقناع	فتوى صحيحة	124
54	الغمام الصيب	إعمال الفكر	رأي صائب	130
55	فراسة العالم ورهافة حسه	الفراسة	قصة طريفة	131
56	قصة آدم عليه السلام	السرد القصصي	قصة قصيرة	132
57	رب ضارةٍ نافعة!	موعظة أبوية	قصة قصيرة	133
58	مواعيد عرقوب	الحكمة	مثل جاري	134
59	المعروف لا يضيع أبداً	المعروف	قصة قصيرة	135

60	نزلاء الفندق غريبو الأطوار	الحكمة	قصة قصيرة	135
61	الصائغ والجان والجنة	الخديعة	قصة قصيرة	136
62	قصة مسافر	السراب	قصة قصيرة	137
63	احذر أن يدعو عليك أحد!	الدعاء	قصة قصيرة	138
64	إسلام العالم المجري عبد الكريم جرمانيوس	التحول للحق	قصة متشعبة	138
65	تجارب في معجزات الشفاء بالعسل	التجربة	مقال علمي	141
66	بين عابدين!	العبودية	مقارنة في مقال	143
67	وقمت أثناء الصلاة من كرسي الشلل	الموعظة	قصة قصيرة	143
68	العائلة المسحورة	السحر	قصة قصيرة	144
69	شبكة الليموزينات	الخديعة والغدر	قصة قصيرة	145
70	قصة الفتى الأنصاري	الإرادة القوية	قصة قصيرة	145
71	المقداد بن عمرو بن ثعلبة بن مالك	الشجاعة	قصة قصيرة	147
72	سماحة الشيخ محمد بن صالح العثيمين	التواضع	سيرة ذاتية	147
73	ضحية البعد عن الله (شيرين)	الإهمال	قصة دامية	148
74	حوار بين الرب سبحانه والملائكة	(الحكمة من الخلق)	قصة الخلق	150
75	لا أدري من أطيع؟	الطاعة	قصة قصيرة	150
76	زواج عمر بن الخطاب من أم كلثوم بنت علي	التحقق والتثبت	خبر تاريخي	151
77	المرأة والفقيه	الذكاء والوعي	قصة قصيرة	152
78	خشبة المقترض الأمين	الأمانة	قصة قصيرة	152
79	روعة الحياة	التسلية	قصة قصيرة	153
80	قصة المعلم والغلام	الموعظة	موقف طريف	154
81	قصة إسلام فتاة يهودية	الإسلام	قصة جميلة	154
82	الغيث سر الحياة!	التشخيص	موقف	156
83	ألف ليلة عيد	الفرحة	موقف	157
84	الفاروق يخير النيل	اليقين	قصة قصيرة	158
85	الفتيا أمانة ومسؤولية	مسؤولية الفتيا	رأي	158
86	الفجر الضائع	الأخوة الزائفة	موقف	158
87	الفجور تحرير من القيم	الفجور	موقف	161
88	الفجور	الفجور	موقف	161
89	الفيروز المصعوق	الرجولة	رأي سليم	162
90	ألقاب بلا رصيد	التفاخر الباطل	موقف	162

91	القاتل البطيء (التدخين)	التحذير	المقال العلمي	163
92	القاتل الضحية	اللامبالاة	مقال	170
93	القارئ الصغير	القراءة	موقف	170
94	القاضي الأمريكي الرحيم (فرانك كَابريو)	الرحمة	موقف	170
95	القاضي المصري الرحيم (هشام الشريف)	المروءة	قصة قصيرة	173
96	القرار الضرير	التهور	قصة قصيرة	175
97	القرآن بالمدح أولى	المدح	موقف	177
98	القرصان التائب	التوبة والإنابة	قصة قصيرة	178
99	القريض الصادق دعوة من القلب للقلب	الصدق	رأي	179
100	القصر المهجور	الرثاء	قصة قصيرة	180

تم بحمد الله وتوفيقه وعنايته إتمام (من القصة الأولى بعد المئة الثالثة حتى القصة الأربعمائة)

الخاتمة

على أمل اللقاء بكم أعزائي القراء في الجزء التالي حتى نكمل معاً ثلاثة آلاف قصة وقصة! لنقرأ ونستمتع ونتأمل ونعتبر! فإن العاقل من وعظ بغيره! والقصة خير معلم!

مع خالص احترامي وتقديري

الكاتب الفقير إلى الله والراجي عفوه ومغفرته /

أحمد علي سليمان عبد الرحيم

(كاتب أهل الصعيد)

نبذة عن أحمد علي سليمان عبد الرحيم

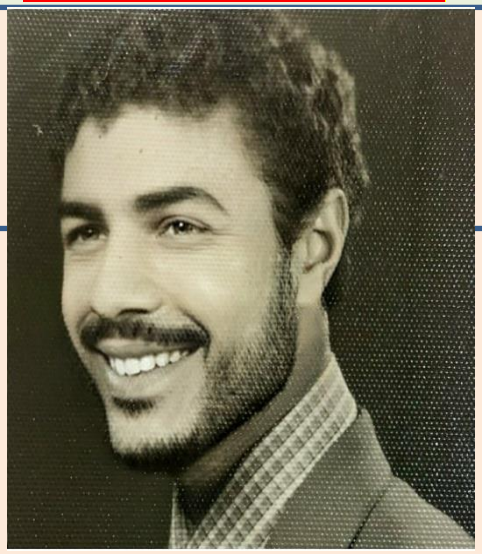

(الشاعر والكاتب والناقد / أحمد علي سليمان عبد الرحيم ، ولد في جمهورية مصر العربية - محافظة بورسعيد - تقاطع شارعي روس وأسوان ، في يوم 15 / 10 / 1963م. تخرّج في كلية الآداب – قسم اللغة الإنجليزية - جامعة المنصورة - مايو عام 1985م. والشاعر بدوي صَعيديٌ قح أباً وجداً وأعماماً من بيت خليفة - الكولة - مركز أخميم - محافظة سوهاج. يدعو في أدبه إلى القيم والأخلاق والمبادئ بوسطية ودليل! وهو معلم لغة إنجليزية - لم يُقدمه للناس أحد! وإنما قدمه أدبه وشعره ونثره ونقده بالحسنى - بتوفيق الله – سبحانه وتعالى -!

ويمكننا إجمال الدواوين والقصائد والمجموعات الشعرية والكتب في هذه القائمة:

أولاً: الدواوين الشعرية

1 – نهاية الطريق: (ديوان شعر).
2 – عزيز النفس: (ديوان شعر).
3 - سويعات الغروب: (ديوان شعر).
4 – القوقعة الدامية: (ديوان شعر).
5 - ترنيمة على جدار الحب: (ديوان شعر).
6 – الأمل الفواح: (ديوان شعر).
7 – من وحي الذكريات (1): (ديوان شعر).
8 – الصعايدة وصلوا: (ديوان شعر).
9 – ذل الجمال: (ديوان شعر).
10 – ماسحة الأحذية: (ديوان شعر).
11 – دموع التصبر: (ديوان شعر).
12 – عتاب وشكوى: (ديوان شعر).
13 – فأعِضُّوه ولا تكنوا: (ديوان شعر).
14 – الشعر مسبحتي وتغريدتي: (ديوان شعر).
15 – غادة اليمن: (ديوان شعر).
16 – عزة الخير: (ديوان شعر).
17 – منار الخير: (ديوان شعر).
18 – غربة وحَربة وكُربة: (ديوان شعر).
19 – الطبيبتان: (ديوان شعر).
20 – عجبتُ من قدرة الله تعالى: (ديوان شعر).
21 – أعلام الأرض المقدسة: (ديوان شعر).
22 – كالقابض على الجمر: (ديوان شعر).
23 – من وحي الذكريات (2): (ديوان شعر).
24 – خانك الغيث: (ديوان شعر).
25 – الشعر رحمٌ بين أهله: (ديوان شعر).

ثانياً: الكتب الأدبية والنقدية

1 - قراءة أسلوبية في شعر الصحابي الجليل المخضرم: حسان بن ثابت الأنصاري (رضي الله تعالى عنه).
2 – قراءة أسلوبية في شعر أحد أغربة الجاهلية: عنترة بن شداد العبسي.
3 - السيرة والمسيرة (دراسة نقدية لحياة التابعية الأميرة: زبيدة بنت جعفر بن المنصور) (رحمها الله).
4 - ترجمة الشاعر أحمد علي سليمان عبد الرحيم.
5 – ثلاثمائة سؤال وجواب في سيرة النبي – صلى الله عليه وسلم -!
6 – إن من الشعر حكمة! (مجموعة من الأبيات الشعرية لآخرين تأثرتُ بها في حياتي العملية والعلمية)

ثالثاً: القصائد الشعرية ذات الشأن

1 – الشاعر ليس نبياً ليكون شعره وحياً!
2 – القاتل البطيء (التدخين)
3 – بين شوقي وحافظ!
4 – ثاني اثنين إذ هما في الغار
5 – عُمَير بن وهب الجمحي – رضي الله عنه -.
6 – لو كان له رجال! (سيرة الحاجب المنصور)
7 – من أجل زوجي!
8 – هشام الشريف (القاضي المصري الرحيم)
9 – فرانك كابريو (القاضي الأمريكي الرحيم)
10 – يا ليل الصب متى غده! (معارضة للقيرواني)
11 - يزيد بن معاوية (ما له وما عليه)
12 – رباعيات الخيام اليمنية (معارضة لعمر الخيام)
13 – ابتسم! (معارضة لإيلياء أبو ماضي)
14 – إبراهيم مصطفى صديقاً وصهراً
15 – أبو غياث المكي – رحمه الله –
16 – أتيناكم! أتيناكم!
17 – أحمد الجدع مؤرخاً وشاعراً ونحوياً وناقداً
18 – أستاذي قال لي! (عريف الكُتاب – رحمه الله -)
19 – قراءة في أوراق الماضي (القصيدة الوحيدة من شعر التفعيلة)
20 – أسماء الله الحسنى
21 – الآن طاب الموت (السلطان سليمان القانوني)
22 – التلون أخو النفاق من الرضاعة
23 – موقع (الديوان) منتجع الشعراء
24 – (الزاهية) تحدثنا عن نفسها
25 – أبجديات شعرية
26 – الشعر رحِمٌ بين أهله
27 – الله يرحمُ مُزنة
28 – رسالة شعرية إلى أم يوسف
29 – امتَهنوا فما امتُهنوا! (علماء السلف رحمهمُ الله)
30 – تراني عندما أرى لحيتك!
31 – لا فضّ فوك يا دكتور بدر العتيبي!
32 – بُردة أبي بكر الصديق – رضي الله عنه –
33 – بردة عائشة بنت أبي بكر الصديق – رضي الله عنهما –
34 – بردة عثمان بن عفان – رضي الله عنه –
35 – بردة علي بن أبي طالب – رضي الله عنه –
36 – بردة عمر بن الخطاب – رضي الله عنه –
37 – بردة فاطمة بنت محمد – رضي الله عنها –
38 - بكائية إسماعيل علي سليم (فقيد التربية والتعليم)
39 – نعم الميّت ، ونعمت المِيتة! (رثاء فقيد الأزهر الشريف)

40 – تحية رقيقة إليك يا غدير!
41 – تحية أهل الشعر في جروب (أهل الشعر)
42 – تغير الحال أم الخال؟!
43 – تلميذي البار شكراً!
44 – تيس يرث نعجة! (جيء به محللاً فورثها)
45 – ثلاثة أقمار وأنت رابعتهن! (رؤيا عائشة)
46 – جاز المعلم وفه التبجيلا! (معارضة لشوقي)
47 – حادي القلوب (ظفر النتيفات)
48 – حبيبتي أقبلتْ! (معارضة لجاءت معذبتي لابن الخطيب)
49 – حرامية الشعر!
50 – حنين القلب (رثاء الشيخ عبد الباسط عبد الصمد)
51 – حنين بقلبي (معارضة للعشماوي)
52 – خانك الغيث (معارضة للسان الدين بن الخطيب)
53 – رثاء الدكتور الشربيني أبو طالب (معارضة لشوقي)
54 – رثاء الحاجة فاطمة (أم زكريا مجاهد)
55 – رسالة إلى دائنة!
56 – رضيعة الحاوية (رماها أبوها رضيعة فنفعته في كبره)
57 – رفقاً بنفسكِ يا صاحبة الدموع (عائشة – رضي الله عنها -)
58 – رفيدة بنت سعد الأسلمية – رضي الله عنها –
59 – سلطان المجنوني (رائد القصة الهادفة)
60 – سمية بنت خياط – رضي الله عنها –
61 – سنسافر أنا والكتب (عبد الرشيد صوفي)
62 – ضحية تعتب على قاتلها (بعد استشراء ظاهرة قتل البنات)
63 – طبت حياً وميتاً يا أبتاه!
64 – طبت حياً وميتاً يا رسول الله!
65 – طبيب الغلابة (الدكتور محمد المشالي – رحمه الله -)
66 – ظلم الشقيقتين (كفلهما صغيرتين وخذلتاه في الكبر)
67 – عاشقٌ عزيز النفس (معارضة لقصيدة نزار قباني: يا من هواه)
68 – موقع (عالم الأدب) مأوى الشعراء
69 – عجبتُ للنذل
70 – عجبت من قدرة الله تعالى! (معارضة لقصيدة: عجبتُ لا تنتهي)
71 – غادة اليمن (معارضة لغادة اليابان لحافظ)
72 – وربما حار الدليل!
73 – يا جارة الوادي اليمنية (1 & 2) (معارضة لشوقي)
74 – لصوص القريض
75 – لقاؤنا في المحكمة
76 - لوعة الرحيل
77 - مسألة كرامة (تحويل (تبيني صدق لحامد زيد) إلى العربية الفصحى)
78 – كفى تبرجاً وقبحاً (معارضة لقصيدة: أفوق الركبتين للخوري)
79 – مصابيح الدجى (علماء السلف – رحمهمُ الله -)

80 – مكتبة نور مأوى الأدباء والعلماء والشعراء
81 – منار الخير (هدية لجمعية حماية اللغة العربية)
82 – ميلاد أمة بميلاد نبيها (معارضة لقصيدة شوقي: ولد الهدى)
83 – هذا بعض ما أعيش! (معارضة لقصيدة الأميري: أين الضجيج؟)
84 – الأطلال اليمنية (1 & 2) (معارضة لقصيدة الأطلال لإبراهيم ناجي)
85 – الكائنات الفضائية!

رابعاً: المجموعات الشعرية الموضوعية

1 – الغربة سلبيات وإيجابيات
2 – إلى هؤلاء أتكلم!
3 - آمال وأحوال
4 – أمتي الغائبة الحاضرة
5 – أنات محموم وآهات مكلوم
6 – أوبريت هيا إلى العمل (أوبريت غنائي للأطفال)
7 – تحية شعرية والرد عليها
8 – رمضان شهر الخير والبركة
9 – عندما لا نجد إلا الصمت
10 – يا أماه ويا أختاه كفا الدمع!
11 – بيني وبينك!
12 – تجاذبات مع الشعر والشعراء
13 – دموع الرثاء وبكاء الحُداء (1 & 2)
14 – رجالٌ لعب بهمُ الشيطان
15 – رسائل سليمانية شعرية
16 – شخصيات في حياتي! (1 & 2)
17 – شرخ في جدار الحضارة
18 – شريكة العمر هذي تحاياك! (أم عبد الله)
19 – ضدان لا يجتمعان: الشهامة والنذالة (1 & 2&3)
20 – عندما يُثمر العِتاب
21 – فمثله كمثل الكلب!
22 – قصائد لها قصص مؤثرة (1 : 10)
23 – كل شعر صديق شاعره
24 – مساجلات سليمانية عشماوية
25 – مراودة ومعاندة (بين نذل وزوجة أخيه المسافر)
26 – الأميرة زبيدة بنت جعفر بن المنصور – رحمها الله –
27 – الزاهية تحدثنا عن نفسها (مسرحية شعرية من عشرة فصول)
28 – الشهادة خيرٌ من النفوق!
29 – الصبر تِرياق العلل والداءات
30 – الصعيد مهد المجد والسعد
31 – الضاد بين عدو وصديق
32 – العيد السعيد جائزة الله تعالى
33 – الغربة دُربة على الطريق

34 – الغيرة غير القاتلة
35 - القصيدة ابنتي
36 – اللغة العربية وصراع اللغات
37 – اللقيط بريءٌ لا ذنب له!
38 – المال والجمال والمآل
39 – المشاكل الزوجية توابل الحياة (1 & 2)
40 – المعلم صانع الأجيال
41 – الوحدة بر الأمان (مسرحية من فصل واحد)
42 – اليُتْم غنمٌ لا غرم
43 – أمومة وأمومة
44 – أهازيج بين الشعر والشاعر
45 – أهكذا تكون الصداقة يا قوم؟!
46 – أهكذا يُعامَل الشقيقُ يا هؤلاء؟!
47 – بين الفتنة والبطنة!
48 – بين هندٍ وزيد!
49 – جيران وجيران!
50 – رب ارحمهما كما ربياني صغيرا! (شاعر يرثي أبويه)
51 – عزة الخير (أم عبد الله)
52 – فداك أبي وأمي ونفسي يا رسول الله!
53 - قصائدي القصيرة المشوقة (1 & 2)
54 – مدائح إلهية شعرية
55 – اليمن في شعر أحمد علي سليمان عبد الرحيم
56 – البُردات الشعرية السليمانية
57 – عيون الدواوين السليمانية
58 – معارضات سليمانية شوقية (معارضاتي لشوقي)
59 – المعارضات الشعرية الكاملة (معارضاتي لبعض الشعراء) (1&2&3)
60 - مقدمات وإهداءات شعرية
61 – من أزاهير الكتب
62 – من الأجوبة المُسكتة المُفحمة
63 – من أناشيد الأفراح
64 – نحويات شعرية
65 – نساء صَقلتهن العقيدة
66 – نساءٌ لعب بهن الشيطان
67 – وتبقى الحقيقة كما هي!
68 - وصايا شعرية!
69 – أم المؤمنين عائشة في شعر أحمد علي سليمان
70 – النفس في شعر أحمد علي سليمان
71 – الأندلس في شعر أحمد علي سليمان
72 – الحجاج في شعر أحمد علي سليمان
73 – الدنيا في شعر أحمد علي سليمان
74 – الصحابة في شعر أحمد علي سليمان (1&2)
75 – العثمانيون في شعر أحمد علي سليمان

76 – المنشدون في شعر أحمد علي سليمان
77 – علماء السلف في شعر أحمد علي سليمان
78 - علماء الخلف في شعر أحمد علي سليمان
79 – رسائل شعرية لمن يهمه الأمر
80 – ماذا قال لي شعري؟ وبم أجبته؟
81 – مواقع متفردة لهمم مغردة!
82 – المرأة في شعر أحمد علي سليمان 1 & 2 & 3
83 – التوبة في شعر أحمد علي سليمان
84 – الحجاج في شعر أحمد علي سليمان
85 – أبو بكر الصديق في شعر أحمد علي سليمان
86 – نصيب طلابي من شعري
87 – حضارة البِطنة لا الفِطنة
88 – إحقاقاً للحق وإظهاراً للحقيقة 1 & 2
89 – لا ينبغي أن ننخدع بلحن القول!
90 – الإدمان ذلك الشبح القاتل!
91 – دعاة الحق في شعر أحمد علي سليمان
92 – المرتزقة في شعر أحمد علي سليمان
93 – القرآن الكريم في شعر أحمد علي سليمان
94 – وترجون من الله ما لا يرجون
95 – قرية ظفر في شعر أحمد علي سليمان
96 – الفاروق عمر في شعر أحمد علي سليمان
97 – الإسلام في شعر أحمد علي سليمان
98 – صنائع المعروف تقي مطارق السوء! (1&2&3)
99 – الموت في شعر أحمد علي سليمان
100 – لماذا؟
101 – (لا) كلمة لها وقتها!
102 – هارون الرشيد في شعر أحمد علي سليمان
103 - أخرْتُ عمّنْ هان رد سلامي! (معارضة لحمزة شحاته)
104 - العشق في شعر أحمد علي سليمان
105 - الحكمة في شعر أحمد علي سليمان (1&2&3)
106 – أين؟!
107 – الحب في شعر أحمد علي سليمان
108 – القلوب في شعر أحمد علي سليمان
109 - الشعر والشعراء في شعر أحمد علي سليمان (1&2)
110 - الطب والأطباء في شعر أحمد علي سليمان
111 – أيومة إلى الأبد!
112 – شتان بين البر والعقوق
113 – الملك والأميرة!
114 - عنوسة مع سبق الإصرار والترصد
115 – الظلم والظالمون في شعر أحمد علي سليمان
116 - النفاق والمنافقون في شعر أحمد علي سليمان
117 - الطبيعة في شعر أحمد علي سليمان

118 – الأميرات الثلاث!
119 – عندما!
120 - تحايا شعرية سليمانية (1&2&3)

خامساً: الكتب القصصية

شرائح قصصية سليمانية في ثلاثة آلاف قصة وقصة ، مقسمة على ثلاثين جزء ، كل جزء يحتوي على مائة قصة!

سادساً: الكتب الإنجليزية

1. Proofreading Drills (1-12)

2. Reading Drills (1-50)

3. Reading Quizzes (1-111)

4 – Airborn (Story Analyzes with Vocabulary Drills)

5 - Allied with Green (Story Analyzes with Vocabulary Drills)

6 - Conversation Skills

7 - Correction Exercise (1-100)

8 - Frederick Douglass (Story Analyzes with Vocabulary Drills)

9 - Grammar Tasks (1-77)

10 - Harriet Tubman (Story Analyzes with Vocabulary Drills)

11. Kensuke' s Kingdom (Story Analyzes with Vocabulary Drills)

12. Punctuation Tasks (1-56)

13. Reorder Quizzes (1-34)

14. Two Legs or One (Story Analyzes with Vocabulary Drills)

15. Writing Practices (1-76)

16. Eleanor Roosevelt (Story Analyzes with Vocabulary Drills)

17. Roughing It (Story Analyzes with Vocabulary Drills)

18. Raymond's Run – Toni Bambara

19. Clean Sweep (Story Analyzes with Vocabulary Drills)

20. The Treasures of Lemon Brown (Story Analyzes with Vocabulary Drills)

21. O' Captain! My Captain! (Story Analyzes with Vocabulary Drills)

22. The Ransom of Red Chief (Story Analyzes with Vocabulary Drills)

In addition to hundreds of social essays to enrich the students backgrounds in English and make them love English! & 77 Translation Passages!